فتح المجيد

لشرح كتاب التوحيد

تأليف
الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

راجعه وصححه سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله تعالى

حققه وخرج أحاديثه
أبو عبد الرحمن محمد العلاوي

أشرف على تحقيقه وقدم له
مصطفى بن العدوي

دار ابن رجب




فتح المجيد
لشرح كتاب التوحيد

اسم الكتاب : فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد
اسم المؤلف : عبد الرحمن حسن آل الشيخ
اسم المحقق : محمد العلاوي
القطع : ١٧ x ٢٤
عدد الصفحات : ٦٨٨
عدد المجلدات : ١
سنة الطبع : ٢٠٠٧م

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٣١٧٥



طبع . نشر . توزيع
دار الفوائد

المركز الرئيسي : فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع المنصورة : ٣٣ شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨
فرع القاهره : شارع البيطار خلف الجامع الأزهر هاتف : ٠١٠٤٠٢٢٤٢٢

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد ﷺ، وبعد:

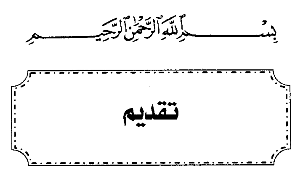
فهذه الطبعة الثانية لهذا الكتاب النافع، بعد أن نفدت الطبعة الأولىٰ بفضل الله وكرمه.

وقد نظرت في الكتاب فصححت ما ند منه في الطبعة السابقة من تصحيف أو تحريف، وأعدت الكرة في حكم عدد من الأحاديث والآثار، وخرجت ما نُسي منها، فالكتاب من الكتب التي يُهتم بها، ويحرص عليها، لما حواه من أشرف العلوم، فهو أصول الدين - علم التوحيد - فعلم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلىٰ فقه الفروع، ولهذا سَمّىٰ الإمامُ أبو حنيفة - رحمة الله عليه - ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: «الفقه الأكبر» وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلَّا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر مقدمة العلامة ابن أبي العز الحنفي في: «شرح الطحاوية».



تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فلا يخفىٰ أن أفضل العلوم علىٰ الإطلاق علم التوحيد، فبتوحيد الله عز وجل تورث الجنان، وتتقىٰ النيرانُ، وبالشرك بالله تحبط الأعمال، وتستوجب النيران.

فمن ثَم لزمنا أن نوحد ربَّنا عز وجل، وأن نقف علىٰ علم ذلك حتىٰ يعبد الربُّ علىٰ بصيرة، ومن أفضل الكتب التي جمعت العلم بذلك - بعد كتاب الله عز وجل - «كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب مع شرحه «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمها الله تعالىٰ -. ثم يزداد النفع بتعليقات الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله تعالىٰ -، واستدراكات الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالىٰ - ثم توالىٰ النفع بتحقيقات إخواننا العلماء وطلبة العلم للأحاديث والآثار الواردة في هذا كله.

ومن هذه التحقيقات المتعلقة بالحكم علىٰ الآثار صحة أو ضعفًا: التحقيق الذي بين أيدينا، وهو لأحد إخواننا في الله من طلبة العلم، ألا وهو الأخ محمد العلاوي - حفظه الله تعالىٰ -، فقد قام بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتابين «التوحيد» و«فتح المجيد» والحكم علىٰ هذه الأحاديث والآثار بما تستحقه صحةً أو ضعفًا، فأفاد في ذلك وأحسن وأجاد، جزاه الله خيرًا علىٰ ما قدَّم وصَنَعَ وقد نظرتُ في جملة كبيرة من الكتاب وتحقيقات أخي محمد وتعليقاته فألفيتُها نافعةً موفقةً ولله الحمد.

فاللهَ أسأل أن يجازيه خيرًا علىٰ ما قدَّم وصَنَعَ، كما أسألُه سبحانه أن يرحم برحمته الواسعة مؤلف الكتاب وشارحه ومراجعه وناشره، وأن ينفع به المسلمين.

وصلِّ اللهم وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن علم التوحيد هو العلم الأساس الذي تجدر العناية به تعلمًا وتعليمًا وعملًا بموجبه، لتكون الأعمال صالحة مقبولة عند الله عَزَّ وَجَلَّ، نافعة للعاملين، فالأعمال الصالحة بنيانٌ أساسه التوحيد الخالص، ومن أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه، وشدة الاعتناء به، لذا كان أشرف ما يتعلمه الإنسان ويعلمه لغيره أمور التوحيد، وأحوط ما يحتاط ويتسلح الإنسان به معرفة معالم الكفر وأسبابه، فإن كان علىٰ بصيرة من هذين الأمرين، عرف الإنسان طريق سعادته فالتزمه ولم يحد عنه، وطريق شقائه فاجتنبه.

وكل دعوة للإسلام تَجِدُّ لا تقوم علىٰ التوحيد الخالص لله تعالىٰ، ولا تأخذ طريقها إلىٰ منهج سلف الأمة الصالح، فهي تائهة مخذولة مهزومة، وإن توهمت غير ذلك، لا تصبر علىٰ لقاء، ولا تجسر علىٰ حق، ولا تحتمل المواجهة، وما كتاب «**فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**» للعلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - الذي نقدم له - إلَّا قبس من شعاع الدعوة السلفية القائمة علىٰ التوحيد الخالص.

وقمت بتحقيق الكتاب، وتبيين صحيح حديثه من سقيمه، فما كان في البخاري ومسلم أو أحدهما اكتفيت بالعزوِ إليهما أو إلىٰ أحدهما، وما كان خارج الصحيحين بذلت جهدي في تخريجه والحكم عليه.

وقد اعتمدت في تحقيق النص على ثلاث نسخ مطبوعة:

الأولى: طبعة دار الصميعي تحقيق د/ الوليد آل فريان ومما تتميز به هذه النسخة عن غيرها أنها روجعت على حوالي خمس نسخ خطية.

الثانية: طبعة مؤسسة قرطبة تحقيق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود.

الثالثة: طبعة دار الفضيلة، وقد صححت ما ندَّ أو سقط أثناء النسخ أو الصف أو الطباعة.

وكان اعتماد النص غالبًا على نسخة دار الصميعي لجودتها، وما كان بين معكوفتين [ ] في نسخته تركت أغلبه في الأصل من غير تعليق عليه في الحاشية.

واكتفيت بذكر ترجمة موجزة للمصنف العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وقد سبق لي ذكر ترجمة للإمام محمد بن عبد الوهاب والكلام على كتاب «التوحيد» في تحقيقي لشرح كتاب التوحيد للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، ط. دار الضياء بطنطا[1] سائلًا المولى عز وجل أن نكون من أهل التوحيد الخالص، والعمل الصالح، فإنه على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تحقيق
أبي عبد الرحمن
محمد بن علي العلاوي
منية سمنود/ دقهلية/ مصر

* * *

---

(١) والآن تطبعه دار ابن عباس بسمنود.

ترجمة موجزة للشيخ العلامة
عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب(*)

نسبه وميلاده: هو العلامة المجدد الثاني، الشيخ أبو الحسن، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية، والواقعة إلىٰ الشمال من مدينة الرياض سنة ١١٩٣هـ، قبل وفاة جده الإمام محمد بن عبد الوهاب بثلاث عشرة سنة.

نشأته: مات والده وهو صغير، فتولىٰ رعايته والعناية به جده الإمام محمد بن عبد الوهاب، ثم وجهه إلىٰ طلب العلم في وقت مبكر، فحفظ القرآن في التاسعة، وأخذ عنه بعض «كتاب التوحيد» إلىٰ أبواب السحر، وجملة من كتاب «آداب المشي إلىٰ الصلاة» وحضر القراءة عليه في كتب التفسير والحديث والأحكام. ولم يزل ينقلب في تلك الأوفياء الوارفة الظليلة، حتىٰ أدرك علمًا غزيرًا في مدة قصيرة، لما حباه الله من الذكاء وجودة الفهم، والصبر علىٰ المطالعة.

شيوخه: أخذ العلم عن طائفة من علماء عصره، في نجد ومصر، ومنهم:

(١) جده الإمام، محمد بن عبد الوهاب «ت ١٢٠٦هـ».

(٢) العلامة الشيخ، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب «ت ١٢٤٣هـ».

(٣) الشيخ الجليل، حمد بن ناصر بن معمر «ت ١٢٢٥هـ».

(٤) المؤرخ الشيخ، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي «ت١٢٤٠هـ».

(٥) النحوي المؤرخ، حسين بن غنام «ت ١٢٢٥هـ».

(٦) الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر «ت ١٢٧٧هـ».

أعماله: عينه الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد «ت ١٢٢٩ هـ» في قضاء الدرعية

(*) هذه الترجمة مستفادة من تحقيق «فتح المجيد» ط. الصميعي (صـ ٣٣ وما بعدها).

عاصمة الدولة آنذاك، ثم نقله الأمير عبد الله بن سعود «ت ١٢٣٤هـ» إلىٰ مكة.

ولما اجتاحت جيوش محمد علي «باشا» الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ انتقل إلىٰ مصر مع أفراد أسرته، واستقروا هناك، وفي سنة ١٢٤١هـ تمكن من العودة إلىٰ نجد، بعد استعادة الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود «ت ١٢٤٩هـ» الحكم فأعاده إلىٰ القضاء، واتخذ منه مستشارًا فيما يعرض له من الأمور الخاصة والعامة، وساهم معه في إحياء الدعوة وتطهير البلاد مما أصابها من الشرور والفتن، واشترك في معظم الغزوات التي خاضها الإمام تركي تحت راية التوحيد. وما برح كذلك في ولاية الإمام فيصل «ت ١٢٨٢هـ» وعهد الأمير عبد الله «ت ١٣٠٦هـ» حتىٰ فارق الدنيا.

مصنفاته: ألف رحمه الله مجموعة من الكتب، التي تشهد بطول باعه في التفسير والحديث والفقه، مع أنه كان مشغولًا بالقضاء والتدريس والدعوة، وغير ذلك.

وقد ذكر له ما يلي:

(١) فتح المجيد وهو كتابنا هذا.

(٢) قرة عيون الموحدين.

(٣) القول الفصل النفيس.

(٤) المقامات في تاريخ الدعوة.

(٥) المحجة.

(٦) بيان كلمة التوحيد وغيرها.

أبناؤه وطلابه: أنجب خمسة أولاد: محمد، وإسماعيل، وعبد اللطيف، وإسحاق، وعبد الله، ولهؤلاء الثلاثة عقب، وقد أخذوا عنه، وأخذ عنه أعداد كبيرة من الطلاب في الدرعية يوم أن كانت عاصمة الدولة، وفي الرياض لما انتقل إليها، وتوافدوا عليه من كل مكان.

يقول ابن بشر: أخذ عنه العلم خلق كثير لا يُحصىٰ، فنفع الله الطالب بعلمه، بحيث لا يلبث عنده إلَّا يسيرًا حتىٰ يكون فائقًا بفهمه. وضربت إليه آباط الإبل من جميع نواحي نجد والأحساء، وظهرت أثر البركات في تعليمه.

فتخرج في حلقاته الجامعة، الكثير من العلماء والقضاة وأهل الفضل والسابقة، ومنهم:

(١) **نجله العلامة الكبير:** عبد اللطيف بن عبد الرحمن.

(٢) **القاضي الجليل:** حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب.

(٣) **الشيخ:** حمد بن علي بن عتيق.

(٤) **الشيخ:** عبد الرحمن بن عدوان.

(٥) **الشيخ:** سليمان بن سحمان.

(٦) **الشيخ:** محمد بن إبراهيم بن عجلان.

(٧) **الشيخ:** محمد بن إبراهيم بن محمود.

وفاته: امتد به العمر ممتعًا بكامل حواسه إلىٰ أن أدركه الأجل عشية يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من عام ١٢٨٥هـ، في مدينة الرياض. وصلي عليه بجامعها الكبير، ودفن في مقبرة العود.

فأصيب الناس بفقده، وبكاه العلماء والعامة، وأسفوا عليه. وكتبت في رثائه القصائد. رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في مستقر رحمته.

ثناء العلماء عليه: نال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في حياته الثناء والتقدير البالغ، من صفوة أهل عصره، فمدحوه، وأشادوا بمواقفه ومواهبه، وأظهروا له التبجيل والاحترام.

يقول ابن بشر: الشيخ العالم النحرير، والبحر الزاخر الغزير، مفيد الطالبين ومرجع الفقهاء والمتكلمين، المحفوف بعناية رب العالمين، جامع العلوم الشرعية، ومحقق العلوم الدينية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية، وارث العلم كابرًا عن كابرٍ، الذي قصرت عن استنباطاته العلماء والأكابر، وصارت الأصاغر بإفاداته شيوخًا أكابر. ورجع العلم به غضًّا، بعدما كان دابرًا. ناصر شريعة سيد المرسلين، الموفق للصواب في الجواب، الحافظ المتقن.

ويقول ابن عيسىٰ: الشيخ الإمام العالم الفاضل القدوة، رئيس الموحدين، وقامع الملحدين، كان إمامًا بارعًا، محدثًا فقيهًا، له اليد الطولىٰ في جميع العلوم الدينية.

كما كان محل صفاوة زعماء نجد في وقته، وهو المتصدر للدروس التي كانت تعقد في مجالس الإمام تركي والإمام فيصل، في الحل والترحال.

يقول ابن عيسىٰ: وكان - رحمه الله تعالىٰ - ورعًا تقيًّا صالحًا، ملازمًا للتدريس، مرغبًا للعلم، معينًا عليه، كثير الإحسان للطلبة، لين الجانب، كريمًا سخيًّا ساكنًا، وقورًا كثير العبادة(١).

❊ ❊ ❊

---

(١) **من مصادر ترجمته**: المؤلف «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢/ ٢٠ - ٢٤) وابن بشر «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ١٩١، ٢/ ٤١، ٤٦) وابن عيسىٰ «عقد الدرر» (٥٤ - ٦٢) وإسماعيل باشا، «إيضاح المكنون» (٢/ ١٧٢) و«هدية العارفين» (١/ ٥٥٨) وابن قاسم «الدرر السنية» (٦٠) والزركلي «الأعلام» (٣/ ٣٠٤) وكحالة «معجم المؤلفين» (٥/ ١٣٥) وعبد الرحمن بن عبد اللطيف «مشاهير علماء نجد» (٧٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعينُ وعليه التُّكلان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عُدوان إلَّا علىٰ الظالمين - كالمبتدعة والمُشركين - وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، إلهُ الأوَّلين والآخرين، وقَيُّوم السموات والأرضين. وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، وخِيرتُه من خلقه أجمعين.

اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليمًا.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ كتابَ التَّوحيد - الذي أَلَّفه الإمامُ شيخُ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب[1] أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له ومن أجاب دعوتَه يوم يقوم الحساب، قد جاء بديعًا في معناه: من بيان التوحيد ببراهينه، وجمع جُملٍ من أدلته لإيضاحه وتبيينه. فصار علمًا للموحِّدين، وحُجَّةً علىٰ الملحدين. فانتفع به الخَلْقُ الكثير، والجَمُّ الغفير.

فإنَّ هذا الإمام رَحِمَهُ اللهُ في مُبتدأ نشأته قد شرح الله صدره للحق المبين، الذي بَعث به المرسلين: من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما كان عليه الكثيرُ من شرك المشركين.

فأعلىٰ الله همَّته، وقوَّىٰ عزيمته، فتصدَّىٰ لدعوة أهل نجد إلىٰ التوحيد - الذي هو أساسُ الإسلام والإيمان - ونهاهم عن عبادة الأشجار والأحجار والقبور، والطواغيت والأوثان، وعن الإيمان بالسَّحرة والمنجِّمين والكهان.

فأبطل الله بدعوته كلَّ بدعة وضلالة يدعو إليها كلُّ شيطان، وأقام الله به عَلم الجهاد، وأدْحَض به شُبَه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودانَ بالإسلام أكثرُ أهل تلك البلاد، الحاضر منهم والباد، وانتشرت دعوته ومؤلفاتُه في الآفاق، حتىٰ أقرّ له بالفضل من كان من أهل الشقاق، إلَّا من استحوذ عليه الشيطان، وكرّه إليه الإيمان، فأصرَّ علىٰ العناد والطغيان.

---

(١) ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ وتوفي بالدرعية سنة ١٢٠٦هـ رَحِمَهُ اللهُ. [الفقي].

وقد أصبح أكثرُ أهل جزيرة العرب بدعوته، كما قال قتادةُ رحمه الله تعالىٰ عن حال أوَّل هذه الأمة: إنَّ المسلمين لما قالوا: لا إله إلَّا الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، وضاق بها إبليسُ وجنوده، فأبىٰ الله إلَّا أن يُمْضيها ويظهرها، وينصرها علىٰ من ناوأها، إنَّها كلمةٌ من خاصم بها فَلَج، ومن قاتل بها نُصر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة التي يقطعها الراكب في ليالٍ قلائل، ويسير الراكب في فئام من الناس، لا يعرفونها ولا يُقرُّون بها.

وقد شرح الله صدورَ كثير من العلماء لدعوته، وسرُّوا واستبشروا بطلعته، وأثنوا عليه نثرًا ونظمًا.

فمن ذلك ما قاله عالمُ صنعاء: محمد بن إسماعيل الأمير[1] في هذا الشيخ - رحمه الله تعالىٰ - شعرًا:

وَقَـدْ جَـاءَتِ الأَخْبَـارُ عَنْـهُ بِأَنَّـهُ ... يُعِيدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيفَ بِمَا يُبْدِي

وَيَنْشُرُ جَهْرًا مَا طَوىٰ كُلُّ جَاهِلٍ ... وَمُبْتَـدِعٍ مِنْـهُ فَوَافَـقَ مَـا عِنْـدِي

ويَعْمُـرُ أَرْكَـانَ الشَّرِيعَةِ هَادِمًـا ... مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيهَا عَنِ الرُّشْدِ

أَعَـادُوا بِهَـا مَعْنَـىٰ سُـوَاعَ وَمِثْلِـهِ ... يَغُـوثَ وَوَدٍّ بِـئْسَ ذَلِـكَ مِـنْ وَدِّ

وَقَدْ هَتَفُـوا عِنْـدَ الشَّدَائِدِ بِاسْـمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ الْمُضطر بِالصَّمَدِ الفَـرْدِ

وَكَمْ عَقَرُوا فِي سُـوحِهَا مِـنْ عَقِيـرَةٍ ... أُهِلَّتْ لِغَـيْرِ الله جَهْـرًا عَـلَىٰ عَمْـدِ

وَكَـمْ طَـائِفٍ حَـوْلَ القُبُـورِ مُقَبِّـلٍ ... ومُسْتَلِم الأَرْكـان مِـنْهُنَّ بِالأَيْـدِي

وقال شيخنا عالم الأحساء أبو بكر حُسين بن غَنَّام - رحمه الله تعالىٰ - فيه[2]:

لَقَـدْ رَفَـعَ الْمَـوْلَىٰ بِـهِ رُتْبَـةَ الْهُـدَىٰ ... بِوَقْـتٍ بِـهِ يُعْـلَىٰ الـضَّلَالُ ويرفـعُ

---

(١) ولد بصنعاء سنة ١٠٥٩هـ وتوفي في شعبان سنة ١١٨٢هـ وكان إمامًا جليلًا، له المؤلفات الكثيرة النافعة، منها: «سبل السلام شرح بلوغ المرام»، و«منحة الغفار علىٰ ضوء النهار»، و«العدة علىٰ شرح العمدة» لابن دقيق العيد، و«شرح التنقيح في علوم الحديث». [الفقي].

(٢) قالها في رثاء الشيخ رحمه الله، وهي تسعة وثلاثون بيتًا مذكورة بتمامها في كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» في حوادث سنة ١٢٠٦هـ (جـ١ صـ٩٥) توفي ابن غنام سنة ١٢٢٥هـ وله ترجمة في عنوان المجد (جـ١ صـ١٤٩). [الفقي].

سَقَاهُ نَمِيرَ الفَهْمِ مَوْلَاهُ فَارْتَوَىٰ ... وَعَامَ بِتَيَّارِ المَعَارِفِ يَقْطَعُ
فَأَحْيَا بِهِ التَّوحِيدَ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ ... وَأَوهَىٰ بِهِ مِنْ مَطْلَعِ الشِّرْكِ مَهْيَعُ[(١)]
سَمَا ذِرْوَةَ المَجْدِ الَّتِي مَا ارْتَقَىٰ لَهَا ... سِوَاهُ وَلَا حَاذَىٰ فِنَاهَا سَمَيْذَعُ[(٢)]
وَشَمَّرَ فِي مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدَ ... يُشِيدُ وَيُحْيِي مَا تَعَفَّىٰ وَيَرْفَعُ
يُنَاظِرُ بِالآيَاتِ والسُّنَّةِ الَّتِي ... أُمِرْنَا إِلَيْهَا فِي التَّنَازُعِ نَرْجَعُ
فَأَضْحَتْ بِهِ السَّمْحَاءُ يَبْسُمُ ثَغْرُهَا ... وَأَمْسَىٰ مُحَيَّاهَا يُضِيءُ وَيَلْمَعُ
وَعَادَ بِهِ نَهْجُ الغِوَايَةِ طَامِسًا ... وَقَدْ كَانَ مَسْلُوكًا بِهِ النَّاسُ تَرْتَعُ
وَجَرَّتْ بِهِ نَجْدٌ ذُيُولَ افْتِخَارِهَا ... وَحُقَّ لَهَا بِالأَلْمَعِيِّ تَرَفَّعُ
فَآثَارُهُ فِيهَا سَوَامٍ سَوَافِرٌ ... وَأَنْوَارُهُ فِيهَا تُضِيءُ وَتَلْمَعُ

وأما كتابه المذكور، فموضوعه: في بيان ما بعث الله به رسله: من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه.

وقد تصدَّىٰ لشرحه حفيد المُصَنِّفِ، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله تعالىٰ[(٣)] - فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب منه ويراد، وسمَّاه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد».

وحيث أطلق **شيخ الإسلام**: فالمراد به أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. والحافظ، فالمراد به: أحمد بن حجر العسقلاني.

---

(١) في عنوان المجد (وأقوىٰ به من مظلم الشرك) والمهيع: الطريق الواسع. [الفقي].

(٢) في عنوان المجد (ولا حاذاه فيها) والسميذع: الشجاع القوي. [الفقي].

(٣) كان عالمًا فاضلًا بارعًا في الحديث والتفسير والفقه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، صادق الاتصال بالله، قتل رحمه الله في آخر سنة ١٢٣٣هـ وشىٰ به بعض المنافقين إلىٰ إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة للشيخ، ثم أخرجه إلىٰ المقبرة وأمر العساكر أن يرموه بالرصاص جميعًا فمزقوا جسمه - رحمه الله ورضي عنه -. اهـ. (عنوان المجد جـ١ صـ٢١٠). [الفقي].

ولما قرأتُ شرحَه رأيتُه أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرارٌ يُستغنىٰ بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله.

فأخذتُ في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة تتميمًا للفائدة، وسمَّيتُه «**فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**».

والله أسأل أن ينفع به كلَّ طالب للعلم ومُستفيد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وموصلًا مَنْ سَعىٰ فيه إلىٰ جنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

❊ ❊ ❊

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم**

ش: ابتدأ كتابَهُ بالبسملة، اقتداءً بالكتاب العزيز، وعملًا بحديث: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ**»[١] أخرجه ابنُ حبَّان من طريقين. قال ابنُ الصلاح: والحديثُ حسن.

ولأبي داود وابن ماجه: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لله - أو بِالْحَمْدِ - فَهُوَ أَقْطَعُ**»[٢].

ولأحمد: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَتَحُ بِذِكْرِ الله فَهُوَ أَبْتَرُ أَوْ أَقْطَعُ**»[٣].

وللدارقطني، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِذِكْرِ الله فَهُوَ أَقْطَعُ**»[٤].

---

(١) **ضعيف جدًّا:** رواه الخطيب في «الجامع» (٢/ ٦٩)، والسبكي في «طبقات الشافعية» (١/ ٦) من طريق محمد بن عمران أنا محمد بن صالح البصري نا عبيد بن عبد الواحد بن شريك نا يعقوب بن كعب الأنطاكي نا مبشر بن إسماعيل عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره مرفوعًا.

وفي الإسناد محمد بن عمران ضعفه الخطيب في «تاريخه» (٥/ ٧٧)، وقال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٣) شيعي اتهمه ابن الجوزي بالوضع، وفيه محمد بن صالح البصري، قال الحافظ في «اللسان» (٦/ ٢٦٨) ط. دار المؤيد: فما علمت حاله. وعزاه المصنف وكذا السيوطي في «الدر» (١/ ٢٦) إلىٰ عبد القادر الرهاوي في «الأربعين» وقال الشيخ الألباني في «الإرواء» (١): ضعيف جدًّا.

(٢) **ضعيف:** رواه أبو داود (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وابن أبي شيبة (٩/ ١١٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١، ٢)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٤٠٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٤)، وسيأتي علته.

(٣) **ضعيف:** رواه أحمد (٢/ ٣٥٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٧)، وسيأتي علته.

(٤) **ضعيف:** رواه الدارقطني في «السنن» (١/ ٢٢٩)، وكل الأسانيد من طريق قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي هريرة. وقرة ضعيف، وقد قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي مرسلًا. وصوب المرسلَ الدارقطنيُّ في «السنن». ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٦، ٤٩٧) من طريق عقيل والحسن بن عمر عن الزهري مرسلًا. ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٥)، وفي الإسناد الوليد وهو مدلس ويسوي، وقد عنعن الإسناد، وسعيد بن عبد العزيز قد رواه مرسلًا كما سبق من كلام أبي داود رحمه الله.

وقال الدارقطني في «السنن»: ورواه صدقة عن محمد بن سعيد عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه مرفوعًا. وقال الدارقطني: وصدقة ومحمد بن سعيد ضعيفان، والمرسل هو الصواب، وضعفه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٢).

والمصنفُ قد اقتصر في بعض نسخه علىٰ البسملة، لأنها من أبلغ الثناء والذكر، وللحديث المتقدم.

وكان النبيُّ ﷺ يقتصر عليها في مُراسلاته، كما في كتابه لِهِرَقْلَ عظيم الروم[١][٢].

ووقع لي نسخةٌ بخطه - رحمه الله تعالىٰ - بدأ فيها بالبسملة، وثَنَّىٰ بالحمد والصلاة علىٰ النبي ﷺ وآله.

وعلىٰ هذا: فالابتداءُ بالبسملة حقيقي، وبالحمدلة نسبيٌّ إضافي، أي: بالنسبة إلىٰ ما بعد الحمد يكون مبدوءًا به.

والباء في: (بسم الله) متعلقة بمحذوف، اختار كثير من المتأخرين كونه فعلًا خاصًّا، متأخرًا.

أما كونه فعلًا: فلأن الأصل في العمل للأفعال.

وأمَّا كونه خاصًّا: فلأن كل مُبتدئ بالبسملة في أمر يُضْمِرُ ما جَعل البسملة مَبدأً له.

وأمَّا كونه متأخرًا: فلدلالته علىٰ الاختصاص، وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود، ولأنَّ أهمَّ ما يُبدأ به ذِكرُ الله تعالىٰ.

وذكر العلاَّمةُ ابن القيم - رحمه الله تعالى - لحذف العامل فوائد:

منها: أنَّه موطنٌ لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله.

ومنها: أن الفعل إذا حُذف صحَّ الابتداء بالبسملة، في كل عملٍ وقول وحركة، فكان الحذفُ أعمَّ. انتهىٰ ملخصًا.

وباءُ (**بسم الله**) للمصاحبة. وقيل: للاستعانة. فيكون التقدير: بسم الله أؤَلِّفُ حال كوني مستعينًا بذكره، متبركًا به.

وأمَّا ظهوره في ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] وفي ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا﴾ [هود: ٤١]؛ فلأنَّ المقام يقتضي ذلك، كما لا يخفىٰ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) رواه البخاري في حديث أبي سفيان الطويل الذي رواه عن ابن عباس في كتاب بدء الوحي. [الفقي].

والاسم: مشتقٌّ من السُّمُو وهو العلو. وقيل: من الوَسْم وهـو العلامـة؛ لأن كـل مـا سُمِّي فقد نُوِّه باسمه ووُسِم.

قوله: (الله) قال الكسائي والفَرّاء: أصـله الإلـه، حـذفوا الهمـزة، وأدغمـوا الـلام في اللام، فصارتا لامًا واحدةً مشدَّدةً مُفخَّمةً.

قال ابنُ القيم رحمه الله: الصحيحُ أنَّـه مـشتق، وأنَّ أصـله الإلـه، كـما هـو قـول سـيبويه وجمهور أصحابه إلَّا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنىٰ، والصفات العُلىٰ.

والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دالٌّ علىٰ صفة له تعـالىٰ، وهـي الإلهيـة، كـسائر أسمائه الحسنىٰ، كالعليم والقدير، والسميع، والبـصير، ونحـو ذلـك. فـإنَّ هـذه الأسـماء مشتقةٌ من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحـن لا نعنـي بالاشـتقاق إلَّا أنَّهـا ملاقيـةٌ لمصادرها في اللفظ والمعنىٰ، لا أنَّها متوَلِّدة منه تَوَلُّدَ الفرْع من أصله.

وتسميةُ النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلًا وفرعًا، ليس معناه أنَّ أحدهما متولِّدٌ مـن الآخر، وإنما هو باعتبار أنَّ أحدهما يتضمَّن الآخر وزيادة.

قال أبو جعفر بن جرير: (الله) أصله الإلـه أُسـقطت الهمـزةُ التـي هـي فـاء الاسـم، فالتقت اللام التي هي عين الاسـم والـلام الزائـدة وهـي سـاكنة فأُدغمـت في الأخـرىٰ، فصارتا في اللفظ لامًا واحدةً مشددةً. انتهىٰ.

وقال: وأمَّا تأويل (الله) فإنَّه علىٰ معنىٰ ما رُوي لنا عن عبد الله بن عبـاس قـال: هـو الذي يَألَهه كُلُّ شيءٍ ويَعبدهُ كلُّ خلْقٍ.

وساق بسنده عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس قال: الله ذو الألوهيـة والعبوديـة علىٰ خلقه أجمعين[1].

فإن قال لنا قائل: وما دلَّ علىٰ أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبـود، وأنَّ لـه أصلًا في فَعَل ويَفْعَل؟

---

(1) **ضعيف واه:** رواه الطبري في «تفسيره» (1/ 54) ط. دار الفكر من طريق بـشر بـن عـمارة حـدثنا أبـو روق عـن الضحاك عن ابن عباس به. وبشر بن عمارة ضعيف والضحاك ضعيف مدلس ولم يسمع ابن عباس.

قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم وذكرَ بيتَ رؤبة بن العجَّاج[(١)]:

للهِ دَرُّ الغَانِيـــــاتِ المُـــــدَّهِ سَـبَّحْنَ واسْـتَرْجَعْنَ مِـنْ تَـأَلُّهِي [(٢)]

يعني: من تعبدي وطلبي الله بعملي.

ولا شك أنَّ التألُّه التفعُّل، من أَلَه يَأْلَهُ، وأن معنىٰ أله إذا نطق به: عبد الله. وقد جاء منه مصدرٌ يدل علىٰ أن العرب قد نطقت منه بفَعَل يَفْعَل، بغير زيادة.

وذلك ما حدّثنا به سفيان بن وكيع وساق السند إلىٰ ابن عباس: أنَّه قرأ: (ويذرك وَإِلَهَتَكَ)[(٣)] قال: عبادتك. ويقول: إنه كان يُعبد ولا يَعبدُ[(٤)].

وساق بسندٍ آخر عن ابن عباس: (ويذرك وَإِلَهَتَكَ)[الأعراف: ١٢٧]. قال: إنما كان فرعونُ يُعبد ولا يَعبدُ[(٥)]. وذكر مثلَه عن مجاهد[(٦)].

ثم قال: فقد بيَّن قولُ ابن عباس ومجاهد هذا: أنّ ألهَ عَبَدَ، وأنَّ الإلهة مصدره، وساق حديثًا عن أبي سعيد مرفوعًا: **«إنَّ عِيسَىٰ أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَىٰ الكُتَّابِ لِيُعَلِّمهُ. فَقَالَ لَهُ المُعَلِّمُ: اكْتُبْ بِسْمِ الله. فَقَالَ عِيسَىٰ: أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ اللهُ إِلَهُ الآلِهَةِ»**[(٧)].

---

(١) كذا في الأصل، والعبارة ناقصة. ونصها: فإن قال لنا قائل: فهل لذلك في فعل ويفعل أصل كان منه بناء هذا الاسم؟ قيل: أما سماعًا من العرب فلا، ولكن استدلالًا. فإن قال: وما دل علىٰ أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلًا في فعل يفعل؟ قيل: لا تمانع العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلًا بعبادة الله ويطلب مما عند الله: تأله فلان بالصحة ولا خلاف. ومن ذلك قول رؤبة. إلخ.[الفقي].

(٢) **قال في اللسان**: مدهه يمدهه مدهًا، مثل مدحه، والجمع: المده، أي: المستحقات المدح لحسنهن وجمالهن. والتأله: التنسك والتعبد. واسترجعن: قلن إنا لله وإنا إليه راجعون.[الفقي].

(٣) الآية ١٢٧ من سورة الأعراف ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾.[الفقي].

(٤) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤) عن شيخه سفيان بن وكيع وهو ضعيف.

(٥) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤) عن شيخه سفيان وهو ضعيف كسابقه.

(٦) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤) من طريق الحسين بن داود قال: أخبرني الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد به. والحسين بن داود ضعيف، وابن جريج مدلس وقد عنعن، وقيل: لم يسمع التفسير من مجاهد إلَّا أحرفًا يسيرة.

(٧) **موضوع**: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٠٣ - ٢٠٤)، وأبو نعيم في =

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية وساقها. ثم قال: وأما خصائصُه المعنوية فقد قال أعلم الخلق به ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»[1] وكيف نحصي خصائص اسمٍ لمسمَّاه كلُّ كمال علىٰ الإطلاق، وكلُّ مدح وحمدٍ، وكل ثناءٍ وكل مجد، وكل إجلال وكل كمال، وكل عزٍّ وكل جمال، وكلُّ خير وإحسان، وجود وفضل وبرٍّ فله ومنه؟

فما ذكر هذا الاسمُ في قليل إِلَّا كثَّره، ولا عند خوف إِلَّا أزاله، ولا عند كرْبٍ إِلَّا كشفه، ولا عند هَمٍّ وغَمٍّ إِلَّا فرَّجه، ولا عند ضيق إِلَّا وَسَّعه، ولا تعلق به ضعيفٌ إِلَّا أفاده القوة، ولا ذليلٌ، إِلَّا أناله العزّ، ولا فقيرٌ إِلَّا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إِلَّا آنسه، ولا مغلوبٌ إِلَّا أيّده ونصره، ولا مضطر إِلَّا كشف ضره، ولا شريدٌ إِلَّا آواه.

فهو الاسمُ الذي تُكشف به الكربات، وتُستنزل به البركات، وتُجاب به الدعوات، وتُقال به العثرات، وتُستدْفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات.

وهو الاسم الذي قامت به السمواتُ والأرض، وبه أُنزلت الكتب، وبه أُرسلت الرسلُ، وبه شُرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شُرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقةُ إلىٰ السعداء والأشقياء، وبه حقَّت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القِسْط، ونُصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عُبد ربّ العالمين وحُمد، وبحقِّه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شَقي من جهله وترك حقه، فهو سرُّ

=

«الحلية» (٧/ ٢٥١)، وابن عدي (١/ ٣٠٤ ط/ دار الفكر)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٢٦ - ١٢٧) من طريق يحيىٰ بن إسماعيل التيمي: مرة عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود مرفوعًا -وهذا في بعض الطرق- ومرة عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري به مرفوعًا.

وفي الإِسناد يحيىٰ بن إسماعيل بن يحيىٰ التيمي وهو ضعيف جدًّا والراوي عن ابن مسعود مبهم. والراوي عن أبي سعيد الخدري - هو عطية العوفي - ضعيف مدلس. وانظر «اللآلئ» (١/ ١٧٢)، و«تنزيه الشريعة» (١/ ٢٣١)، و«الفوائد المجموعة» (١٣٧٤).

(١) صحيح: وهو قطعة من حديث رواه مسلم (٤٨٦).

الخلق والأمر. وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا.

فالخلقُ به وإليه، ولأجله، فما وجد خلقٌ ولا أمر، ولا ثواب ولا عقاب إلَّا مبتديًا منه منتهيًا إليه.

وذلك موجبه ومقتضاه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١] إلىٰ آخر كلامه – رحمه الله تعالىٰ –.

قوله: (الرحمن الرحيم) قال ابن جرير: حدَّثني السَّريُ بن يحيىٰ حدثنا عثمان بنُ زُفَرَ سمعتُ العرزمي يقول: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين[١].

وساق بسنده عن أبي سعيد – يعني: الخُدري – قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ: الرَّحْمَنُ: رَحْمَنُ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا. وَالرَّحِيمُ: رَحِيمُ الآخِرَةِ**»[٢].

قال ابنُ القيم – رحمه الله تعالىٰ –[٣]: واسمه الله تعالىٰ دالٌّ علىٰ كونه مألوهًا معبودًا، يألهه الخلائق محبةً وتعظيمًا وخضوعًا، ومفزعًا إليه في الحوائج والنوائب.

وذلك مستلزمٌ لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنتين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحيٍّ، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا مُتكلم، ولا فعَّال لما يُريد، ولا حكيم في أقواله وأفعاله.

فصفاتُ الجلال والجمال أخصُّ باسم الله، وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذِ المشيئة وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة أخصُّ باسم الرب.

وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والرأفة واللطف أخصُّ باسم الرحمن.

وقال رحمه الله **أيضًا:** الرحمنُ: دال علىٰ الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم: دالٌّ علىٰ تعلُّقها بالمرحوم.

---

(١) إسناده حسن: إلىٰ العرزمي والعرزمي هو محمد بن عبيد الله وهو ضعيف.
والأثر رواه ابن جرير الطبري (١/ ٥٥).

(٢) ضعيف جدًا بل موضوع: رواه الطبري (١/ ٥٦)، وفي إسناده إسماعيل بن يحيىٰ التيمي وهو ضعيف جدًا وهو طرف من خبر طويل وسبق الحديث علىٰ إسناده قريبًا.

(٣) في مدارج السالكين (ج١ ص١٨). [الفقي].

وإذا أردت فهم هذا فتأمّل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]ولم يجئ قطُّ رحمن بهم.

وقال: إنَّ أسماء الرب تعالىٰ هي أسماءٌ ونعوت، فإنَّها دالةٌ علىٰ صفات كماله، فلا تَنَافي فيها بين العلميَّة والوصفية، فالرحمنُ: اسمُه تعالىٰ ووصفه.

فمن حيثُ هو صفةٌ جرىٰ تابعًا لاسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورُودَ الاسم العلم، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]. انتهىٰ ملخصًا.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: الحمد لله.**

ش: ومعناه الثناء بالكلام علىٰ الجميل علىٰ وجه التعظيم.

فمورده: اللسان والقلب. والشكرُ: يكون باللسان والجنَان والأركان. فهو أعمُّ من الحمد مُتعلَّقًا، وأخص سببًا، لأنه يكون في مقابلة النعمة، والحمد أعمُّ سببًا وأخص متعلقًا، لأنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها. فبينهما عمومٌ وخصوص وجهي، يجتمعان في مادة، وينفرد كلُّ واحد عن الآخر في مادة.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: (وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم)**[1].

ش: أصحُّ ما قيل في معنىٰ صلاة الله علىٰ عبده: ما ذكره البخاريُّ - رحمه الله تعالىٰ - عن أبي العالية، قال: صلاةُ الله علىٰ عبده ثناؤه عليه عند الملائكة[2].

وقرَّره ابنُ القيم - رحمه الله تعالىٰ - ونصره في كتابيه: «جلاء الأفهام»، و«بدائعُ الفوائد».

قلتُ: وقد يُراد بها الدعاء، كما في «المسند» عن علي مرفوعًا: «**المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»[3].

---

(١) هذه الجملة في بعض النسخ دون بعض. [الفقي].

(٢) **في إسناده كلام:** رواه البخاري معلقًا (٨/ ٥٣٢ الفتح) ووصله القاضي إسماعيل في «فضل الصلاة» (٩٥)، وابن أبي حاتم كما في «الفتح» عن طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية به وأبو جعفر الرازي فيه ضعف.

(٣) **إسناده ضعيف والحديث صحيح:** رواه أحمد (١/ ١٤٤) من طريق إسرائيل عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن قال: سمعت عليًا... فذكره مرفوعًا وعطاء مختلط. وصح من حديث أبي هريرة عند البخاري =

قوله: (وعلىٰ آله) أي: أتباعه علىٰ دينه، نصَّ عليه الإمامُ أحمد هنا، وعليه أكثر الأصحاب.

وعلىٰ هذا: فيشمل الصحابة وغيرهم من المؤمنين(١).

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: كتابُ التوحيد.**

ش: كتاب: مصدر كَتَبَ يكتُب كتابًا، وكتابةً وكتْبًا، ومدارُ المادة علىٰ الجمع. ومنه: تكتَّب بنو فلان، إذا اجتمعوا. والكتيبة: لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم: لاجتماع الكلمات والحروف. وسُمِّي الكتابُ كِتابًا: لجمعه ما وُضع له.

والتوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات. وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة.

قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: وأمَّا التوحيد الذي دعت إليه الرسلُ، ونزلت به الكتب فهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثباتُ حقيقة ذات الرب تعالىٰ، وصفاته وأفعاله وأسمائه، وتكلُّمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآنُ عن هذا النوع جِدَّ الإفصاح، كما في أول سورة «الحديد»، وسورة «طه»، وآخر «الحشر»، وأوَّل «تنزيل السجدة»، وأول «آل عمران»، وسورة «الإخلاص» بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأوَّلُ سورة «تنزيل الكتاب» وآخرها. وأول سورة «المؤمن» ووسطها وآخرها، وأوَّلُ سورة «الأعراف» وآخرها، وجملةُ سورة «الأنعام»، وغالبُ سور القرآن. بل كلُّ سورة في القرآن فهي متضمنةٌ لنوعي التوحيد، شاهدةٌ به داعية إليه.

=

(٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩)، باب فضل صلاة الجماعة بلفظ: «وَالمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ...» الحديث.

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب: «جلاء الأفهام في الصلاة علىٰ خير الأنام» للعلامة المحقق ابن القيم -رحمه الله-، فإنه استوفىٰ المذاهب في ذلك، وبين الحق فيها، وأن المراد من الآل أتباعه الذين آمنوا به. [الفقي].

فإنَّ القرآن إمَّا خبرٌ عن الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته، وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العِلميُّ الخبري.

وإمَّا دعوةٌ إلىٰ عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإراديُّ الطلبي.

وإما أمرٌ ونهي، وإلزامٌ بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكمِّلاتُه.

وإمَّا خبرٌ عن إكرام أهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يَحُلّ بهم في العُقبىٰ من العذاب، فهو جزاءُ من خرج عن حُكم التوحيد.

فالقرآنُ كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. انتهىٰ.

قال شيخُ الإسلام: التوحيدُ الذي جاءت به الرسلُ إنما يتضمَّن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهدَ أنْ لا إله إلَّا هو، لا يَعبُدُ إلَّا إياه، ولا يتوكلُ إلَّا عليه، ولا يوالي إلَّا له، ولا يُعادي إلَّا فيه، ولا يعمل إلَّا لأجله.

وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وقال تعالىٰ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].

وأخبر عن كل نبيٍّ من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له. وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦] وهذا في القرآن كثير.

وليس المرادُ بالتوحيد: مجرَّدَ توحيد الربوبية، وهو اعتقادُ أنَّ الله وحده خَلَق العالم، كما

يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف! ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد!

فإنَّ الرجلَ لو أقرَّ بما يستحقه الربُّ تعالىٰ من الصفات، ونزَّهه عن كل ما يتنزه عنه، وأقرَّ بأنه وحده خالقُ كل شيء، لم يكن موحِّدًا حتىٰ يَشهدَ أنْ لا إله إلَّا الله وحده، فيقرُّ بأنَّ الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإلهُ: هو المألوهُ المعبود الذي يستحقُّ العبادة، وليس هو الإله بمعنىٰ القادر علىٰ الاختراع.

فإذا فسَّر المُفسِّرُ الإله بمعنىٰ القادر علىٰ الاختراع واعتقد أنَّ هذا المعنىٰ هو أخصُّ وصف الإله. وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد - كما يفعل ذلك من يفعله من متكلِّمة الصفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه - لم يعرف حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فإنَّ مشركي العرب كانوا مُقرِّين بأن الله وحده خالقُ كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

قالت طائفةٌ من السلف: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله. وهم مع هذا يعبدون غيره[1].

قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]، فليس كلُّ من أقر بأن الله تعالىٰ ربُّ كل شيء وخالقه يكون عابدًا له دون ما سواه، داعيًا له دون ما سواه، راجيًا له خائفًا منه دون ما سواه، يوالي فيه ويعادي فيه، ويطيع رُسلَه ويأمر بما أمر به، وينهىٰ عمَّا نهىٰ عنه.

وعامَّةُ المشركين أقرُّوا بأن الله خالقُ كل شيء، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به، وجعلوا له أندادًا، قال تعالىٰ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٣ - ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا

---

(١) ذكره ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. [الفقي].

يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ولهذا كان من أتباع هؤلاء[١] من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها، ويصوم وينسك لها، ويتقرب إليها[٢]، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، إنَّما الشركُ إذا اعتقدتُ أنَّها المدبرةُ لي، فإذا جعلتُها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا!

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ هذا شركٌ. انتهىٰ كلامه رحمه الله تعالىٰ.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]

ش: بالجر، عطفٌ علىٰ التوحيد؛ ويجوز الرفع علىٰ الابتداء.

قال شيخُ الإسلام: العبادةُ هي طاعةُ الله بامتثال ما أمر الله به علىٰ ألسِنَة الرسل.

وقال أيضًا: العبادةُ اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قال ابنُ القيم: ومدارها علىٰ خمسَ عشرةَ قاعدة، من كمَّلها كمَّل مراتب العبودية.

وبيانُ ذلك: أن العبادة منقسمةٌ علىٰ القلب واللسان والجوارح. والأحكامُ التي للعبودية خمسة: واجبٌ ومستحب وحرام ومكروه ومباح. وهنَّ لكل واحدٍ من القلب واللسان والجوارح.

قال القُرطُبيُّ: أصلُ العبادة: التذلل والخضوع.

وسُمِّيت وظائفُ الشرع علىٰ المكلفين عبادات؛ لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين

---

(١) أي ممن يزعمون معرفة التوحيد علىٰ هذا المعنىٰ، ككثير ممن ينتسبون إلىٰ الإسلام، ويشتغل بالسحر الذي هو عبادة الكواكب والشياطين بأنواع العزائم والبخور، وذبح الحيوان الأسود أو الأحمر وغير ذلك مما سيأتي تفصيله. [الفقي].

(٢) أي: يذبح لها الذبائح، ويصنع الأطعمة، كما يفعل الحاج لبيت الله من المناسك. [الفقي].

متذللين لله تعالىٰ.

ومعنىٰ الآية: أنَّ الله تعالىٰ أخبر أنَّه ما خلق الجن والإنس إلَّا لعبادته، فهذا هو الحكمةُ في خلقهم.

قلتُ: وهي الحكمةُ الشرعية الدينية.

قال العمادُ ابن كثير: وعبادتُه هي طاعتُه بفعل المأمور وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الإسلام؛ لأن معنىٰ الإسلام: الاستسلامُ لله تعالىٰ، المتضمّن غاية الانقياد والذل والخضوع. انتهىٰ.

وقال أيضًا - في تفسير هذه الآية -: ومعنىٰ الآية: أن الله تعالىٰ خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له. فمن أطاعه جازاه أتمَّ الجزاء، ومن عصاه عذَّبه أشد العذاب، وأخبر أنَّه غيرُ محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو خالقهم ورازقهم.

قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ في الآية: إلَّا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلىٰ عبادتي[١].

وقال مجاهد: إلَّا لآمُرَهم وأنهاهم[٢]. اختاره الزجّاج وشيخُ الإسلام.

قال: ويدلُّ علىٰ هذا قولُه تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. قال الشافعي: لا يُؤمر ولا يُنهىٰ؟[٣].

وقال في القرآن في غير موضع: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١]، فقد أمرهم بما خلقوا له، وأرسل الرسل بذلك. وهذا المعنىٰ هو الذي قُصد بالآية قطعًا، وهو الذي يفهمه جماهيرُ المسلمين ويحتجُّون بالآية عليه.

قال: وهذه الآيةُ تُشبه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. ثم قد يُطاع وقد يُعصىٰ. وكذلك ما خلقهم إلَّا لعبادته، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون.

وهو سبحانه لم يقُل: إنه فعل الأول: وهو خلْقهم ليَفعلَ بهم كلِّهم الثاني وهو عبادته،

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٣٥).

(٢) ذكره شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٧٨).

(٣) ذكره في «الرسالة» (صـ٢٥)، فقرة (٦٩).

ولكن ذكر أنه فعل الأول ليفعلوا هم الثاني، فيكونوا هم الفاعلين له، فيحصل لهم بفعله سعادتُهم ويحصل ما يحبُّه ويرضاه منهم ولهم. انتهى.

ويشهدُ لهذا المعنى ما تواترت به الأحاديث:

فمنها: ما أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي** – أحسبه قال: **وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ – فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ**»[1][2].

فهذا المشركُ قد خالف ما أراده الله تعالىٰ منه: من توحيده وأن لا يُشرك به شيئًا، فخالف ما أراده الله منه، فأشرك به غيره. وهذه هي الإرادةُ الشرعيةُ الدينية كما تقدَّم.

فبَين الإرادة الشرعية الدينية والإرادة الكونية القدرية عمومٌ وخصوص مُطلق، يجتمعان في حق المُخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي. فافهم ذلك تنجُ به من جهالات أرباب الكلام وتابعيهم.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله**: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ش: الطاغوت: مشتقٌّ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الطاغوت: الشيطان[3][4].

---

(١) رواه الإمام أحمد والبخاري. [الفقي].

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

(٣) ذكره ابن كثير عن حسان بن قائد العبيسي عن عمر قال: «إن الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، وإن الشجاعة والجبن تكون غرائز في الرجال» إلخ. ثم قال الحافظ: ومعنىٰ قوله في الطاغوت «إنه الشيطان» قوي جدًّا، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها. وكذلك رواه ابن جرير. [الفقي].

(٤) إسنادَه ضعيف: رواه البخاري معلقًا كما في «الفتح» (٨/ ٢٥١)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٥٨٣٥، ٥٨٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦١٨، ٥٤٤٣، ٥٤٤٩)، وأبو القاسم البغوي كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٩)، =

وقال جابر رضي الله عنه: الطواغيت كُهَّانٌ كانت تنزل عليهم الشياطين[1] رواهما ابن أبي حاتم.

وقال مالك: الطاغوت كلُّ ما عُبد من دون الله[2].

قال العمادُ ابن كثير: الطاغوت: الشيطان، وما زيَّنه من عبادة غير الله.

قلتُ: وذلك المذكور بعض أفراده، وقد حدَّه العلَّامةُ ابن القيم رحمه الله تعالىٰ حدًّا جامعًا فقال: الطاغوتُ كل ما تجاوز به العبدُ حدَّه، من معبودٍ أو متبوع أو مُطاع.

فطاغوتُ كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتّبعونه علىٰ غير بصيرة من الله، أو يُطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

فهذه طواغيتُ العالم إذا تأملتها وتأمَّلت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالىٰ إلىٰ عبادة الطاغوت، وعن طاعة الله ورسوله ﷺ إلىٰ طاعة الطاغوت ومتابعته.

وأمَّا معنىٰ الآية: فأخبر تعالىٰ أنَّه بعث في كلّ طائفة من الناس رسولًا بهذه الكلمة: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] أي: اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وهذا معنىٰ: لا إله إِلَّا الله، فإنها هي العروة الوثقىٰ.

قال العمادُ ابن كثير - في هذه الآية -: وكلُّهم - أي: الرسل - يدعو إلىٰ عبادة الله،

=

وعبد بن حميد في «تفسيره» ومسدد في «مسنده» وعبد الرحمن بن رُسته في كتاب «الإيمان» كما في «الفتح» (٨/ ٢٥٠٢) كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر فذكره، وقال الحافظ: وإسناده قوي ووقع التصريح بسماع أبي إسحاق من حسان بن فائد وسماع حسان من عمر في رواية رسته. اهـ.

قلت: ورواه شعبة عن أبي إسحاق به في رواية الطبري وبعض روايات ابن أبي حاتم وفي رواية مسدد وذكر الأخير الحافظ في «التهذيب» في ترجمة حسان بن فائد، وفي الإسناد حسان بن ثابت، قال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في «الثقات» وروىٰ عنه أبو إسحاق السبيعي، فالأثر لا يرتقي للحسن لهذا الرجل، فالأقرب فيه الجهالة والله أعلم.

وروىٰ الأثر الفريابي وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٤) ط/ دار الكتب.

(١) إسناده صحيح: رواه البخاري معلقًا (٨/ ٢٥١)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٥٨٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٥٢) من طريق حجاج عن أبي جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع من جابر بن عبد الله فذكره.

(٢) إسناده صحيح: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٥٦) حدثنا أبو زرعة ثنا يونس يعني ابن عبد الأعلىٰ ثنا ابن وهب عن مالك به.

وينهىٰ عن عبادة ما سواه، فلم يزل سبحانه يرسل إلىٰ الناس الرسل بذلك، منذ حدث الشركُ في بني آدم في قوم نوح الذي أرسل إليهم.

وكان أوَّلَ رسولٍ بعثه الله تعالىٰ إلىٰ أهل الأرض، إلىٰ أنْ ختمهم بمحمد ﷺ، الذي طبَّقت دعوتُه الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلُّهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝﴾[الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

فكيف يسوغُ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[النحل: ٣٥] فمشيئةُ الله تعالىٰ الشرعية عنهم منفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك علىٰ ألسُن رُسله، وأمَّا مشيئته الكونية - وهي تمكينهم من ذلك قَدَرًا - فلا حُجَّة لهم فيها؛ لأنه تعالىٰ خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضىٰ لعباده الكفر.

وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة، ثم إنه تعالىٰ قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل، فلهذا قال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[النحل: ٣٦] انتهىٰ.

قلتُ: وهذه الآيةُ تفسِّر الآية قبلها. وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ فتدبر.

ودلت هذه الآية علىٰ أن الحكمة في إرسال الرسل، دعوتُهم أُممهم إلىٰ عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأنَّ هذا هو دينُ الأنبياء والمرسلين، وإن اختلفت شريعتهم. كما قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨]، وأنه لابُدَّ في الإيمان من العمل من القلب والجوارح.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

ش: قال مجاهد[١]: قضىٰ: يعني: وصَّىٰ. وكذا قرأ أُبيُّ بن كعب[٢] وابن مسعود[٣] وغيرهم.

ولابن جرير عن ابن عباس: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، يعني: أمر[٤].

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ المعنىٰ: أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنىٰ: لا إله إلَّا الله.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالىٰ –: والنفيُ المحض ليس توحيدًا، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلَّا متضمنًا للنفي والإثبات. وهذا هو حقيقة التوحيد.

وقوله: (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾) أي: وقضىٰ أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا، كما قضىٰ، بعبادته وحده لا شريك له. كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

وقوله: (﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾) أي: لا تُسمعهما قولًا سيئًا، حتىٰ ولا التأفيف الذي هو أدنىٰ مراتب القول السيء.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ **أي:** لا يصدر منك إليهما فعلٌ قبيح، كما قال عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يديك علىٰ والديك[٥].

ولمَّا نهاه عن الفعل القبيح والقول القبيح، أمره بالفعل الحسن والقول الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: لينًا طيبًا، بأدب وتوقير.

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٥/ ٦٢) من طريق الحسين قال: ثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره. والحسين بن داود ضعيف، وابن جريج مدلس وقد عنعن، وفي سماعه من مجاهد نظر.

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٢)، وفي إسناده يحيىٰ بن عيسىٰ وهو ضعيف.

(٣) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٥/ ٦٢) من طريق معمر عن قتادة فذكر نحوه ثم قال: وفي حرف ابن مسعود: (وصىٰ ربك)... ورواية معمر عن قتادة ضعيفة، وقتادة لم يسمع ابن مسعود.

(٤) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٥/ ٦٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به. وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس. وفي الإسناد إليه عبد الله بن صالح «أبو صالح» وهو ضعيف.

(٥) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٥/ ٦٥) من طريق واصل الرقاشي عن عطاء بن أبي رباح فذكره. وواصل الرقاشي ضعيف.

وقوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ أي: تواضع لهما.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ **أي:** في كبرهما وعند وفاتهما، ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾.

وقد ورد في برِّ الوالدين أحاديثُ كثيرة:

منها: الحديثُ المروي من طُرقٍ، عن أنس وغيره، أن رسول الله ﷺ لَمَّا صعد المنبر قال: «آمِين، آمِين، آمِين». فقالوا: يا رسول الله علىٰ ما أمَّنت؟ فقال: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ. ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ. ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاهُ الجَنَّةَ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِين**»(١) (٢).

---

(١) **أخرجه عن أنس:** ابن أبي شيبة والبزار في مسنديهما من طريق سلمة بن وردان عنه، وسلمة ضعيف. ورواه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح الإسناد، وابن حبان في ثقاته وصحيحه، والطبراني في «الكبير»، والبخاري في «بر الوالدين»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والضياء المقدسي في «المختارة»، كلهم عن كعب بن عجرة، ورجاله ثقات. وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» و«الثقات» والطبراني ورجاله ثقات عن مالك بن الحويرث، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» والطبراني في تهذيبه والدارقطني في «الأفراد». وأشار إليه الترمذي وأخرجه النسائي وابن السني في اليوم والليلة، والضياء المقدسي في «المختارة»، كلهم عن جابر بن عبد الله. وأخرجه البزار والطبراني عن عمار بن ياسر. وأخرجه البزار عن ابن مسعود. وأخرجه الطبراني عن ابن عباس وأبي ذر. وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أبي هريرة وهو عند البيهقي في الدعوات مختصرًا. وعند الترمذي وأحمد وقال الترمذي: حسن غريب. وأخرجه الدارقطني في «الأفراد»، والبزار في مسنده، والطبراني في الكبير عن جابر بن سمرة، وأخرجه البزار والطبراني وابن أبي عاصم عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي.[الفقي]

(٢) **صحيح بطرقه وشواهده:** رواه البزار (٣١٦٨ كشف) وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة» (١٥) من طريق سلمة بن وردان عن أنس به. وسلمة ضعيف.

ورواه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٩٠٨)، والحاكم (١/ ٥٤٩)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة (١٦، ١٧) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة به مرفوعًا، وهذا إسناد لا بأس به، وروىٰ نحوه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦)، وابن خزيمة (١٨٨٨)، والبزار (٣١٦٩ كشف) وإسماعيل القاضي (١٨) من طريق كثير بن يزيد الأسلمي عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة به. وإسناده حسن في الشواهد، ورواه أبو يعلىٰ (٥٩٢٢)، وابن حبان (٩٠٧) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة به وإسناده حسن.

=

وروى الإمامُ أحمد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ وَالدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»[1].

قال العمادُ ابن كثير: صحيح من هذا الوجه.

وعن أبي بكرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**». وكان مُتكئًا فجلس، فقال: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليتهُ سكت[2]. رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِ الوَالِدَيْنِ**»[3] رواه الترمذي، وصححه ابنُ حبان والحاكم.

وعن أبي أسيد السَّاعدي رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوسٌ عند النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ من

وفي الباب عن جابر ومالك بن الحويرث وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وجابر بن سمرة وغيرهم. انظر إسماعيل القاضي (١٩٢١٥)، والبزار (٣١٦٤، ٣١٦٥، ٣١٦٨)، و«الأدب المفرد» (٦٤٤)، وابن حبان (٤٠٩)، والطبراني (١٩/ ٣١٥، ٦٤٩)، وانظر تحقيق مسند أحمد عند ح(٧٤٥١) للشيخ شعيب الأرنؤوط.

وذكر الشيخ جاسم الدوسري للحديث اثنا عشر صحابيًا في «المنهج السديد» (صـ٣١٩ – ٣٢٤).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥١)، وأحمد (٢/ ٣٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٣) **ضعيف**: رواه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (٢٠٢٦ موارد) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥١، ١٥٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٢)، وبحشك في «تاريخ واصل» (صـ٥١) من طريق خالد بن الحارث وابن مهدي وأبي إسحاق الفزاري عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو فذكره مرفوعًا.

وفي الإسناد عطاء العامري وهو مجهول.

والحديث معل بالوقف.

فقد رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢)، والترمذي عقب حديث (١٨٩٩) من طريق آدم ومحمد بن جعفر عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو فذكره موقوفًا وصحح الترمذي الوقف. وللحديث شاهد عن ابن عمر عند البزار (١٨٦٥ كشف) وفي الإسناد عاصم بن محمد وهو متروك، وشاهد آخر عند الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣٦ – ١٣٧)، وفي الإسناد إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف جدًا. وفيه شيخ الطبراني أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان وهو لين كما قال الهيثمي.

بني سَلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بِرِّ أبَوَيَّ شيءٌ أبرُّهما بـه بعـد مـوتهما؟ فقـال: «**نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا**»[١] رواه أبو داود وابن ماجه. والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرةٌ جدًّا.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٢] [النساء: ٣٦].

ش: قال العمادُ ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: يأمرُ الله تعالىٰ عباده بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالقُ الرازق المُنعم المتفضِّلُ علىٰ خلقه في جميع الحالات، وهو المستحق منهم أنْ يوحِّدوه ولا يُشركوا به شيئًا من مخلوقاته. انتهىٰ.

وهذه الآيةُ هي التي تُسمَّىٰ آيةُ الحقوق العشرة، وفي بعض النسخ المُعتمدة من نُسخ هذا الكتاب تقديمُ هذه الآية علىٰ آية «الأنعام»، ولهذا قدَّمتُها لمناسبة كلام ابن مسعود الآتي لآية «الأنعام»، ليكون ذكرُه بعدها أنسب.

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، وأحمد (٣/ ٤٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وابن حبان (٢٠٣٠ موارد) وغيرهم من طريق علي بن عبيد الأنصاري عن أبي أسيد الساعدي فذكره مرفوعًا. وفيه علي بن عبيد وهو مجهول. قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ١١٤) لا يعرف وحديثه في «بر الوالدين بعد موتهما».

(٢) **قال في قرة العيون:** وهذه الآية تبين العبادة التي خلقوا لها أيضًا. فإنه تعالىٰ قرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه، وهو الشرك في العبادة فدلت هذه الآية علىٰ أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة فلا تصح بدونه أصلًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦] فتقديم المعمول يفيد الحصر أي: بل الله فاعبده وحده لا غيره، كما في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، وقرر تعالىٰ هذا التوحيد بقوله: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١]، والدين هو العبادة بفعل ما أمر به وترك ما نهىٰ عنه، كما قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -:

وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي

وتقدم أن أصله وأساسه توحيد العبادة فلا تغفل عما تقدم. [الفقي].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ [الأنعام: ١٥١- ١٥٣][1].

---

(١) **في قرة العيون:** وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرمات، كما وقع فيه أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن، كما عبد أولئك اللات والعزىٰ ومناة وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك دينًا، ونفروا إذا دعوا إلىٰ التوحيد أشد نفرة، واشتد غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)﴾ [الزمر: ٤٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)﴾ [الإسراء: ٤٦] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦)﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦] علموا أنَّ لا إله إلَّا الله تنفي الشرك الذي وقعوا فيه، وأنكروا التوحيد الذي دلت عليه. فصار أولئك المشركون أعلم بمعنىٰ هذه الكلمة ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ من أكثر متأخري هذه الأمة، لا سيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام، فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه، فوقعوا في نفيه أيضًا وصنفوا فيه الكتب؛ لاعتقادهم أن ذلك حق وهو باطل، وقد اشتدت غربة الإسلام حتىٰ عاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، فنشأ علىٰ هذا الصغير، وهرم عليه الكبير. وقد قال النبي ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**» وقد قال ﷺ: «**افْتَرَقَت الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**» وهذا الحديث قد صح من طرق كما ذكره العماد ابن كثير وغيره من الحفاظ، وهو في السنن وغيرها. ورواه محمد بن نصر في كتاب «الاعتصام»، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ بعد القرون الثلاثة.

فلهذا عم الجهل بالتوحيد الذي هو أصل دين الإسلام، فإن أصله أن لا يعبد إلَّا الله وأن لا يعبد إلَّا بما شرع، وقد ترك هذا وصارت عبادة الأكثرين مشوبة بالشرك والبدع، ولكن الله تعالىٰ وله الحمد لم يخل الأرض من قائم له بحججه، وداع إليه علىٰ بصيرة، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته التي أنزلها علىٰ أنبيائه ورسله، فله الحمد والشكر علىٰ ذلك. [الفقي].

ش: قال العماد ابن كثير: يقول تعالىٰ لنبيه ورسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرَّموا ما رزقهم الله، ﴿تَعَالَوْا﴾ أي: هلمُّوا وأقبلوا ﴿أَتْلُ﴾ أي: أقصُّ عليكم ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حقًّا، لا تخرُّصًا ولا ظنًّا، بل وحيًا منه وأمرًا من عنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وكأن في الكلام محذوفًا، دل عليه السياق، تقديرُه: وصَّاكم أن لا تشركوا به شيئًا، ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ انتهىٰ.

قلت: فيكون المعنىٰ: حرَّم عليكم ما وصَّاكم بتركه من الإشراك به.

وفي «المغني» لابن هشام في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ سبعةُ أقوال، أحسنها: هذا الذي ذكره ابنُ كثير، ويليه: أُبيِّنُ لكم ذلك لئلا تُشركوا، فحُذِفَت الجملةُ من أحدهما، وهي ﴿وَصَّاكُمْ﴾ وحرفُ الجر وما قبله من الأخرىٰ.

ولهذا إذا سُئلوا عمَّا يقول لهم رسولُ الله ﷺ قالوا: يقول: «**اعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**» كما قال أبو سفيان لهرقل[1][2].

وهذا هو الذي فهم أبو سفيان وغيرُه من قول رسول الله ﷺ لهم: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»[3].

قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ قال القُرطبي: الإحسانُ إلىٰ الوالدين: برُّهما وحفظُهما وصيانتهما وامتثال أمرهما، وإزالة الرِّق عنهما، وتركُ السَّلطنة عليهما.

و﴿إِحْسَانًا﴾ نُصب علىٰ المصدريَّة، وناصبُه فعلٌ مضمر من لفظه تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا.

---

(١) رواه البخاري - في بدء الوحي، في حديث أبي سفيان الطويل.[الفقي].

(٢) سبق تخريج حديث هرقل وهو في صحيح البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) **صحيح:** رواه ابن خزيمة (١٥٩)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٧)، والدارقطني (٣/ ٤٤ - ٤٥)، والحاكم (٢/ ٦١١ - ٦١٢)، وابن أبي شيبة كما في «المطالب» (٤/ ١٩١) من طريق يزيد بن زياد، وهو ابن أبي الجعد. قال: حدثنا جامع بن شداد عن طارق المحاربي. وإسناده حسن، وللحديث شواهد أحدها من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبي الزناد عن ربيعة بن عباد الديلمي. رواه أحمد (٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢)، وشاهد آخر عن شيخ من بني مالك بن كنانة رواه أحمد (٤/ ٦٣، ٣٧٥، ٣٧٦)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٢٦٣).

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] **الإملاق:** الفقر. أي: لا تئدوا بناتكم خشية العَيلة والفقر، فإني رازقُكم وإياهم، وكان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور خشيةَ الفقر. ذكره القرطبي.

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أَنْ تُزَانِي بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**» ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[(١)] [الفرقان: ٦٨].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال ابنُ عطية: نهيٌ عامٌّ عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي. و﴿ظَهَرَ﴾ و﴿بَطَنَ﴾ حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء. انتهى.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»[(٢)].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال ابنُ عطية: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى هذه المحرمات، والوصية: الأمر المؤكَّد المقرر.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (لعل) للتعليل أي: إنَّ الله تعالى وصَّانا بهذه الوصايا لنعقلها عنه ونعمل بها.

وفي «تفسير الطبري» الحنفي: ذكر أولًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنهم إذا عقلوا تذكروا، فإذا تذكَّروا خافوا واتقوا.

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال ابن عطية: هذا نهيٌ عام عن القرب الذي يعم وجوه التصرف، وفيه سدُّ الذريعة، ثم استثنى ما يحسُنُ، وهو

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٤٧٧ وأطرافه)، ومسلم (٨٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

السعي في نمائه.

قال مجاهد: التي هي أحسن: التجارة فيه.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال مالك وغيره: هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ. رُوي نحو هذا عن زيد بن أسلم والشَّعْبي وربيعة وغيرهم.

قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ قال ابن كثير: يأمر تعالىٰ بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: من اجتهد بأداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ هذا أمرٌ بالعدل في القول والفعل علىٰ القريب والبعيد.

قال الحنفي: العدلُ في القول في حق الولي والعدوِّ، ولا يتغير في الرضىٰ والغضب، بل يكون علىٰ الحق وإن كان ذا قُربىٰ فلا يميلُ إلىٰ الحبيب والقريب ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

قوله: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ قال ابنُ جرير: وبوصية الله تعالىٰ التي وصَّاكم بها فأوفوا. وانقادوا لذلك بأنْ تُطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه. وتعملوا بكتابه وسنَّة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاءُ بعهد الله. وكذا قال غيرهُ.

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه.

قوله: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قال القرطبي: هذه آيةٌ عظيمة، عطفها علىٰ ما تقدم. فإنه لما نهىٰ وأمر وحذَّر عن اتباع غير سبيله علىٰ ما بيَّنته الأحاديثُ الصحيحة، وأقاويلُ السلف. ﴿وَأَنَّ﴾ في موضع نصب. أي: أتلُ أنَّ هذا صراطي، عن الفرَّاء والكسائي. قال الفراء: ويجوز أن يكون خفضًا. أي: وصَّاكم به، وبأنَّ هذا صراطي.

قال: والصراط الطريق الذي هو دين الإسلام. مُستقيمًا نُصب علىٰ الحال، ومعناه مستويًا قويمًا لا اعوجاج فيه.

فأمر باتباع طريقه الذي طرقه علىٰ لسان محمد ﷺ وشرعه، ونهايتُه الجنة.

وتشعَّبت منه طرقٌ، فمن سلك الجادَّة نجا، ومن خرج إلىٰ تلك الطرق أفضتْ بـه إلىٰ النار؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: تميل. انتهىٰ.

وروىٰ أحمد والنسائي والدارمي وابن أبي حاتم والحاكم – وصحَّحه – ورواه محمد ابن نصر المروزي في كتاب «الاعتصام» بسند صحيح عن ابن مسعود قال: خطَّ رسولُ الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: «**هَذَا سَبِيلُ الله مُسْتَقِيمًا**» ثم خطَّ خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: «**وَهَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1] الآية.

وعن مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، قال: البدع والشبهات[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: ولنذكر في الصراط المستقيم قولًا وجيزًا، فإنَّ الناس قد تنوَّعت عباراتُهم عنه بحسب صفاته ومتعلَّقاته. وحقيقتهُ شيءٌ واحد، وهو

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٣٥، ٤٦٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ١١١٧٤)، والطيالسي (٢٤٤)، وابن حبان «إحسان» (٧٢٦)، والدارمي (١/ ٦٧ – ٦٨)، والحاكم (٢/ ٣١٨)، والبزار (٢٢١٠) «كشف الأستار» والطبري في «تفسيره» (١٤١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٠٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٧) من طريق حماد ابن زيد وأبي بكر بن عياش وعمر بن أبي قيس عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا وهذا إسناد حسن، وتابع عاصمًا الأعمشُ عند البزار (٢٢١٠) «كشف الأستار» من طريق أبي موسىٰ «محمد بن المثنىٰ» عن محمد بن حازم «أبو معاوية» عنه.

وقد رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ١١١٧٥)، والحاكم (٢/ ٢٣٩)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٦) من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا، ورواه البزار (٢٢١٢) «كشف الأستار» من طريق سفيان عن أبيه عن منذر الثوري عن الربيع بن خيثم عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا نحوه.

وقد رُوي هذا الحديث موقوفًا عن ابن مسعود عند الطبري في «تفسيره» (١١١٧٥)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٦)، وفي إسناديهما أبان بن أبي عياش وهو متروك. وللحديث شاهد آخر من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا عند عبد بن حميد (١١٣٩)، وابن ماجه (١١)، وأحمد (٣/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٠١)، والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٦) من طريق أبي خالد الأحمر عن مجالد عن الشعبي عنه، ومجالد بن سعيد ضعيف وانظر «حادي الأرواح» (صـ٩٨) بتحقيقي ط/ دار ابن رجب.

(٢) **فيه ضعف**: رواه الطبري (١٤١٦٨ – ١٤١٧٠)، وابن أبي حاتم (٨١٠٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس، وقيل: لم يسمع التفسير من مجاهد.

طريق الله الذي نصبه لعباده موصلًا لهم إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرقُ كلُّها مسدودةٌ علىٰ الخلق إلَّا طريقه الذي نصبه علىٰ ألسُن رسله، وجعله موصلًا لعباده إليه، وهو إفرادُه بالعبودية، وإفراد رسوله بالطاعة، فلا يُشْرِك به أحدًا في عبوديته ولا يُشْرِك برسوله ﷺ أحدًا في طاعته. فيجرِّدُ التوحيد، ويجرِّدُ متابعة الرسول ﷺ.

وهذا كلُّه مضمون شهادة: أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله. فأي شيءٍ فُسِّر به الصراطُ المستقيم، فهو داخلٌ في هذين الأصلين، ونكتة ذلك: أن تُحبَّه بقلبك وتُرضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضعٌ إلَّا معمورًا بحبه، ولا يكون لك إرادةٌ إلَّا متعلقةٌ بمرضاته.

فالأول: يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلَّا الله.

والثاني: يحصل بتحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله. وهذا هو الهدىٰ ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل به، وهو معرفةُ ما بعث الله به رسوله والقيام به، فقل ما شئت من العبارات التي هذا آخِيَّتُها[(١)] وقطب رحاها.

قال: وقال سهلُ بن عبد الله: عليكم بالأثر والسنة، فإني أخافُ أنَّه سيأتي عن قليل زمانٌ إذا ذكر إنسانٌ النبيَّ ﷺ والاقتداء به في جميع أحواله، ذمُّوه ونفَّروا عنه وتبرأوا منه وأذلُّوه وأهانوه.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال ابنُ مسعود: من أراد أن ينظر إلىٰ وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ - إلىٰ قوله -: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية.**

ش:قوله: **(ابن مسعود)** هو عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمةٍ وفاءٍ - ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ جليل من السابقين الأولين، من أهل بدر وأحد والخندق وبيعة الرِّضوان، ومن كبار علماء الصحابة، أمَّره عُمرُ علىٰ الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين رضي الله عنه.

---

(١) الآخية - بالمد والتشديد - حبيل، أو عويد يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير طرفه كالعروة تشد فيها الدابة، وجمعها: الأواخي. [الفقي]

وهذا الأثر، رواه الترمذيُّ وحسَّنه، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بنحوه[١].

وسببُ هذا القول والله أعلم ما رواه البخاريُّ في «صحيحه»، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما اشتدَّ بالنبي ﷺ وجعه، قال: «**ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَخْتَلِفُوا بَعْدَهُ**» قال عمر: إنَّ النبي ﷺ غَلَبَهُ الوجع! وعندنا كتاب الله حَسْبُنا. فاختلفوا وكثُرَ اللَّغط، قال: «**قُومُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُع**» فخرج ابنُ عباسٍ يقول: إنَّ الرَّزيَّة كلَّ الرزية، ما حال بين رسول الله وبين كتابه[٢]. فقال ابن مسعود: من أراد أنْ ينظر إلىٰ وصية محمدٍ ﷺ التي عليها خاتمه... الحديث.

قال بعضُهم: معناه: من أراد أن ينظر إلىٰ الوصية التي كأنها كُتبت وخُتم عليها فلم تُغيَّر ولم تُبدَّل فليقرأ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلىٰ آخر الآيات.

شبهها بالكتاب الذي كُتب، ثم خُتم فلم يُزد فيه ولم ينقص. فإنَّ النبي ﷺ لم يوص إلَّا بكتاب الله تعالىٰ.

---

(١) **فيه مقال**: رواه الترمذي (٣٠٧٠)، وقال: حسن غريب - والطبراني في «الكبير» (١٠٠٦٠)، وفي «الأوسط» (١٢٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩١٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٠٥٦) من طريق محمد بن فضيل عن داود الأودي عن عامر بن شرحبيل الشعبي عن علقمة بن قيس النخعي عن عبد الله بن مسعود به، وداود الأودي في هذه الطبقة اثنان أحدهما داود بن عبد الله وهو ثقة والآخر داود بن يزيد الأودي وهو ضعيف وكلاهما روىٰ عن الشعبي وروىٰ عنهما محمد بن فضيل وقد جاء في «الأوسط» منسوبًا داود بن يزيد الأودي، ولكنه من طريق خالد بن يوسف السمني عن محمد بن فضيل به وخالد السمني ضعيف، وضعف الحديث الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي (صـ٣٧٥) قال: ضعيف الإسناد.

وقد يترجح داود بن عبد الله الثقة لأن المزي لما ذكره في «تهذيب الكمال» رمز لروايته عن الشعبي بـ(ت) وعنه محمد بن فضيل بـ(ت) ولما ترجم لابن يزيد رمز لروايته عن الشعبي بـ(ق) «تهذيب الكمال» (٨ - ٤١٢، ٤٦٧)، وحديثنا رواه الترمذي من هذا الطريق.

ولذا قال المباركفوري في شرحه «تحفة الأحوذي» (٨/ ٤٤٦)، وعن داود الأودي الظاهر أن داود هذا هو داود بن عبد الله الأودي، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٣) ط. دار الكتب إلىٰ ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه؛ وانظر «الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد».

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١١٤)، ومسلم (١٦٣٧).

كما قال فيما رواه مسلم: «وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ»[١].

وقد روىٰ عُبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ الثَّلَاثِ؟**» ثم تلا قوله: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] حتىٰ فرغ من ثلاث الآيات. ثم قال: «**مَنْ وَفَّىٰ بِهِنَّ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا فَأَدْرَكَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتُهُ، وَمَنْ أَخَّرَهُ إِلَىٰ الآخِرَةِ كَانَ أَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ إِنْ شَاءَ آخَذَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**»[٢]. رواه ابن أبي حاتم والحاكم وصححه ومحمد بن نصر في «الاعتصام».

قلتُ: ولأن النبي ﷺ لم يوص أُمَّته إِلَّا بما وصَّاهم به الله تعالىٰ علىٰ لسانه، وفي كتابه الذي نزَّله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩] وهذه الآياتُ وصيةُ الله تعالىٰ ووصيةُ رسوله ﷺ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن معاذ بن جبل قال: كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ علىٰ حمار، فقال لي: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ: أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قلت: يا رسول الله، أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» أخرجاه في «الصحيحين»**[٣].

ش: هذا الحديث في «الصحيحين» من طرق. وفي بعض رواياته نحوٌ مما ذكره المصنف.

ومعاذ: هو ابن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها. وكان إليه المنتهىٰ في العلم والأحكام والقرآن رضي الله عنه.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الحاكم (٢/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم في التفسير (٨٠٧٧) من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ**... فذكره» وفي الإِسناد سفيان بن حسين وهو إن كان ثقة إِلَّا أنه ضعيف في الزهري، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١١٣) إلىٰ عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه، وعزاه صاحب «فتح المجيد» إلىٰ محمد بن نصر في «الاعتصام».

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٨)، وأطرافه وينظر (٢٨٥٦، ٥٩٦٧)، ومسلم (٣٠).

وقال النبي ﷺ: «**مُعَاذٌ يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ العُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ**»[1][2]. أي: بخطوة.

قال في «القاموس»: والرَّتْوَةُ الخطوَةُ وشَرَفٌ من الأرض، وسُوَيعةٌ من الزمان، والدَّعوةُ، والقطرة، ورميةٌ بسَهم أو نحوُ ميلٍ، أو مَدَىٰ البَصَر. والرَّاتي: العالمُ الربانيُّ. انتهىٰ.

وقال في «النهاية»: إنه يتقدَّم العُلماء برَتْوة أي: بَرمْية سَهْم. وقيل: بميل.

وقيل: مدىٰ البصر. وهذه الثلاثةُ أشبهُ بمعنىٰ الحديث.

مات سنة ثماني عشرة بالشام في طاعون عَمَواس. واستخلفه النبيُّ ﷺ علىٰ أهل مكة يوم الفتح، يعلمهم دينهم.

قوله: (**كنتُ رديف النبي ﷺ**) فيه: جواز الإرداف علىٰ الدابة، وفضيلةُ معاذ.

قوله: (**علىٰ حمار**) في رواية: اسمه عُفير[3].

قلت: أهداه إليه المقَوقِسُ صاحب مصر.

وفيه: تواضُعه ﷺ لركوب الحمار والإرداف عليه، خلافًا لما عليه أهل الكبر.

قوله: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ**» أخرج السؤال بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقعَ في النفس، وأبلغ في فهم المتعلِّم.

وحقُّ الله علىٰ العباد: هو ما يستحقُّه عليهم.

وحق العباد علىٰ الله: معناه أنه مُتحقِّقٌ لا محالة؛ لأنه قد وعدهم ذلك جزاءً لهم علىٰ

---

(١) **صحيح بشواهده:** رواه ابن سعد (٢/ ٣٤٨، ٣/ ٥٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٨) من طريق شهر بن حوشب، قال عمر: فذكره مرفوعًا. وشهر لم يدرك عمر، ثم إن شهرًا متكلم فيه، وله طريق آخر عن عمر عند أبي نعيم (١/ ٢٢٩)، وفي إسناده ضعف، والحديث له شواهد مراسيل، منها ما رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٤٧)، وأبو نعيم (١/ ٢٢٩) بإسناد صحيح عن محمد بن كعب عن النبي ﷺ مرسلًا، وآخر رواه ابن أبي شيبة (١٢٣٤٣)، وابن سعد (٢/ ٣٤٧) عن أبي عون بسند صحيح مرسل، وثالث ما رواه ابن أبي شيبة (١٢٣٤٤)، وابن سعد (٢/ ٣٤٧) بسند صحيح عن الحسن مرسلًا.

وَثَمَّ شواهد أخرىٰ انظر «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (صـ ٣٤٢) لشيخنا أبي عبد الله مصطفىٰ بن العدوي حفظه الله.

(٢) **قال الحافظ ابن حجر في «الإِصابة»:** أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه من مرسل أبي عون الثقفي، وأورده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» من طرق عن محمد بن الخطاب.[الفقي] .

(٣) رواه البخاري (٢٨٥٦) وانظر أطرافه.

توحيده ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الروم: ٦].

قال شيخُ الإسلام: كونُ المطيع يستحق الجزاءَ هو استحقاق إنعامٍ وفضلٍ، ليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوقُ على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق، إلَّا أنه أخبر بذلك ووعْدُه صدقٌ، ولكن أكثر الناس يُثْبتون استحقاقًا زائدًا على هذا، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم: ٤٧] لكن أهلُ السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحقَّ، لم يوجبه عليه مخلوق. والمعتزلة يدَّعون أنَّه واجب عليه بالقياس على المخلوق، وأنَّ العبادَ همُ الذين أطاعوه بدون أنْ يجعلهم مُطيعين له، وأنَّهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك.

وهذا البابُ غَلِطت فيه الجبريةُ والقدرية أتباع جهم، والقدرية النافية.

قوله: (قلتُ: الله ورسوله أعلم) فيه حُسن الأدب من المتعلم، وأنَّه ينبغي لمن سُئل عمَّا لا يعلم أن يقول ذلك، بخلاف أكثر المتكلِّفين.

قوله: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» أي: يوحِّدوه بالعبادة. ولقد أحسن العَلَّامةُ ابن القيم حيث عرَّف العبادة بتعريف جامع فقال:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ العِبَادَةِ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حَتَّىٰ قَامَتِ القُطْبَانِ

وَمَدَارُهُ بِالأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ ... لَا بِالهَوَىٰ وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ[1]

---

(١) في قرة العيون:

حَقُّ الْإِلَهِ عِبَادَةٌ بِالْأَمْرِ لَا ... بِهَوَىٰ النُّفُوسِ فَذَاكَ لِلشَّيْطَانِ

مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ بِهِ شَيْئًا هُمَا ... سَبَبَا النَّجَاةِ فَحَبَّذَا السَّبَبَانِ

لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ الله وَنَارِهِ ... إِلَّا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَصْلَانِ

وَالنَّاسُ بَعْدُ فَمُشْرِكٌ بِإِلَهِهِ ... أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ أَوْ لَهُ الوَصْفَانِ

وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا. ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة. لكن هو سبحانه جعل ذلك على نفسه تفضلًا وإحسانًا على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلَّا إليه وحده والله أعلم. [الفقي].

قوله: «وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» أي: يوحِّدوه بالعبادة، فلابُد من التجرُّد من الشرك في العبادة، وَمن لم يتجرَّد من الشرك لم يكن آتيًا بعبادة الله وحده، بل هو مشركٌ قد جعل لله ندًّا.

وهذا معنىٰ قول المصنف رحمه الله تعالىٰ: وفيه: أن العبادة هي التوحيد؛ لأنَّ الخصومة فيه.

وفي بعض الآثار الإلهية: إني والجنُّ والإنس في نبأ عظيم، أخلقُ ويُعبد غيري، وأرزقُ ويُشكر سواي، خيري إلىٰ العباد نازل، وشرُّهم إليَّ صاعد، أتحبَّبُ إليهم بالنعم، ويتبغَّضون إليَّ بالمعاصي[1].

قوله: «وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ الله: أَنْ لَا يُعذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا» قال الحافظ: اقتصر علىٰ نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثباتَ الرسالة باللزوم؛ إذ من كذَّب رسول الله ﷺ فقد كذَّب الله، ومن كذب الله فهو مشرك، أو هو مثلُ قولِ القائل: من توضأ صحَّت صلاتُه، أي: مع سائر الشروط. انتهىٰ.

قوله: (أفلا أبشر الناس؟) فيه: استحبابُ بشارة المسلم بما يسرُّه، وفيه ما كان عليه الصحابةُ من الاستبشار بمثل هذا. قاله المصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ.

قوله: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» أي: يعتمدوا علىٰ ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال.

وفي رواية: فأخبر بها مُعاذٌ عند موته تأثمًا[2] أي: تحرُّجًا من الإثم.

قال الوزير أبو المظفَّر: لم يكن يكتمها إلَّا عن جاهلٍ يحمله جهلُه علىٰ سُوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة، فأمَّا الأكياسُ الذين إذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة، ورأوا أن زيادة النعم تستدعي زيادة الطاعة، فلا وجه لكتمانها عنهم.

وفي الباب من الفوائد غيرُ ما تقدَّم: الحثُّ علىٰ إخلاص العبادة لله تعالىٰ، وأنها لا تنفع مع الشرك، بل لا تُسمَّىٰ عبادة. والتنبيهُ علىٰ عظمة حق الوالدين، وتحريم عقوقهما.

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٦٣) من طريق بقية عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير وشريح بن عبيد الحضرميان عن أبي الدرداء فذكره مرفوعًا. وفي الإسناد انقطاع بين الراوي عن أبي الدرداء وأبي الدرداء. وفي الإسناد بقية وهو مدلس ويسوي وقد عنعن الإسناد وإن كان وقع تصريح بينه وبين صفوان وبين صفوان وشيخه في بعض الطرق.

(٢) البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

والتنبيهُ علىٰ عظمة الآيات المحكمات في سُورة «الأنعام». وجواز كتمان العلم للمصلحة.

قوله: (**أخرجاه**) أي: البخاريُّ ومسلم.

والبخاري: هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرِدِزْبه الجُعفي مولاهم، الحافظ الكبير صاحب «الصحيح» و«التاريخ» و«الأدب المفرد» وغير ذلك من مصنفاته.

روىٰ عن: الإمام أحمد بن حنبل، والحُمَيدي وابن المديني وطبقتهم.

وروىٰ عنه: مسلمٌ والنسائي والترمذي، والفِربَري راوي «الصحيح». ولد سنة أربعٍ وتسعين ومائة، ومات سنة ست وخمسين ومائتين.

ومسلم: هو ابن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين، القُشيري النيسابوري، صاحب «الصحيح» و«العلل» و«الوحدان» وغير ذلك.

روىٰ عن: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبي خيثمة، وابن أبي شيبة وطبقتهم، وروىٰ عن البخاري «صحيحه».

وروىٰ عنه: الترمذي وإبراهيم بن محمد بن سفيان راوي «الصحيح» وغيرهما.

ولد سنة أربعٍ ومائتين، ومات سنة إحدىٰ وستين ومائتين بنيسابور رحمهما الله تعالىٰ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: الحكمةُ في خلق الجنِّ والإنس.

الثانيةُ: أن العبادة هي التوحيدُ، لأن الخصومة[1] فيه.

الثالثة: أن مَنْ لم يأتِ به لم يعْبدِ الله. ففيه معنىٰ قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝﴾ [الكافرون: ٣، ٥]

الرابعة: الحكمةُ في إرسال الرُّسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

---

(١) يعني: أن الخصومة إنما وقعت بين النبي ﷺ وبين المشركين في تحقيق ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ المكونة من جملتين: إحداهما: نفي والثانية: إثبات. فالأولىٰ: تنفي كل الآلهة التي يدعيها الناس. والثانية: تثبت الإلهية لله وحده. يعني: ينبغي أن يكفر بكل معبود لتخلص العبادة لله. [الفقي].

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلَّا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنىٰ قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن الثلاث آيات المحكمات في سورة «الأنعام» عند السلف وفيها عشر مسائل[1]. أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآياتُ المحكمات في سورة «الإسراء» وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢] وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩] ونبهنا الله سبحانه علىٰ عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.

الحادية عشرة: آية سورة «النساء» التي تسمىٰ آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه علىٰ وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حقِّ العباد عليه إذا أدَّوا حقَّه.

الخامسة عشرة: أنَّ هذه المسألة لا يعرفُها[2] أكثرُ الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحبابُ بشارة المسلم بما يَسرُّه.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال علىٰ سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسئول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

---

(١) التي هي الوصايا العشر. وأولها وأهمها: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]. [الفقي].

(٢) لا يعرفها أكثر الصحابة؛ لأن النبي أمر معاذًا أن يكتمها عن الناس مخافة أن يتكلوا علىٰ سعة رحمة الله ويتركوا العمل، فلم يخبر بها إلَّا عند موته تأثمًا. فلذلك لم يعرفها أكثر الصحابة في حياة معاذ. [الفقي].

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم [1] دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار، مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

* * *

---

(١) يعني: العلم الزائد على القدر المحتاج إليه في إقامة الدين، وإلا لم يجز بدليل وعيد الله الشديد على كتمان العلم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]. وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وقول النبي ﷺ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ». [الفقي].

(١)

بَابُ: فضل التوحيد[1] وما يكفر من الذنوب

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ بيان فضلِ التوحيد وما يكفِّر من الذنوب.**

ش: (باب) خبرُ مبتدأ محذوف تقديرُه: هذا.

قلتُ: ويجوز أن يكون مبتدأً خبرُه محذوف تقديره: هذا.

و(ما): يجوز أن تكون موصولة، والعائد محذوفٌ، أي: وبيانُ الذي يكفِّرهُ من الذنوب، ويجوز أن تكون مصدرية، أي: وتكفيره الذنوب، وهذا الثاني أظهر.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

ش: قال ابنُ جرير: حدَّثني المُثنَّىٰ - وساق بسنده - عن الربيع بن أنس، قال: الإيمان: الإخلاصُ لله وحده[2].

وقال ابنُ كثير في الآية: أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

وقال ابن زيد وابنُ إسحاق: هذا من الله علىٰ فَصل القضاء، بين إبراهيم وقومه[3].

وعن ابن مسعود: لما نزلت هذه الآيةُ قالوا: فأيُّنا لم يظلم نفسه؟

قال عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

---

(١) **في قرة العيون:** والمراد بالتوحيد توحيد العبادة، وهو إفراد الله تعالىٰ بأنواع العبادة الباطنة والظاهرة. كالدعاء والذبح والنذر ونحوه كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤]. وقال تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]. [الفقي].

(٢) **إسناده ضعيف:** في الإسناد المثنىٰ وهو الآملي ولا يعلم له ترجمة وانظر الطبري (١٣٤٧٢).

(٣) جاء نحو ذلك عند الطبري (١٣٤٧٧) بإسناده عن ابن إسحاق، وفي الإسناد إليه ابن حميد وهو ضعيف، وعند الطبري (١٣٤٧٨) بإسناد صحيح إلىٰ ابن زيد.

وساقه البخاريُّ بسنده[١] **فقال:** حدَّثنا عُمرُ بن حفص، حدثنا أبي حدثنا الأعمشُ، حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قلنا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «**لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ: بِشِرْكٍ. أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾»[٢].

هذا الحديث في «الصحيح» و«المستدرك» وغيرهما.

ولأحمد بنحوه عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقَّ ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، فأيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «**إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، **إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ**»[٣].

وعن عمر أنه فسَّره بالذنب[٤]، فيكون المعنىٰ: الأمنُ من كلِّ عذاب. وقال الحسن والكلبي: أولئك لهم الأمنُ في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا[٥].

قال شيخُ الإسلام: والذي شَقَّ عليهم أنهم ظنوا أنَّ الظلم المشروط عدمه هو ظُلمُ العبدِ نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلَّا لمن لم يظلم نفسه، فبيَّن لهم النبي ﷺ ما دلهم علىٰ أن الشرك ظلمٌ في كتاب الله، فلا يحصل الأمنُ والاهتداء إلَّا لمن لم يَلْبِس إيمانه بهذا الظلم، فإنَّ من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢].

وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدُهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

---

(١) في قصة إبراهيم عليه السلام من أحاديث الأنبياء. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود.

(٣) **إسناده صحيح:** رواه أحمد (١/ ٣٧٨).

(٤) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٣٥٠، ١٣٥١) من طريق أبي عثمان عمرو بن سالم عن عمر به، وعمرو بن سالم مجهول.

(٥) انظر نحو هذا التفسير عند الطبري آية (٨٢) من سورة «الأنعام» و«تفسير ابن كثير» (٢/ ١٥٢) عند هذه الآية أيضًا.

وقد سأل أبو بكر الصديق ﷺ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّنا لم يعمل سوءًا؟ فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْت تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَيْسَ يُصِيبُكَ اللأْوَاءُ؟ فَذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ**»[1].

فبين أنَّ المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة، قد يُجزىٰ بسيئاته في الدنيا بالمصائب.

قال: فمن سَلِم من أجناس الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك، كان له الأمنُ التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه، كان له الأمنُ والاهتداء مطلقًا.

بمعنىٰ: أنه لابدَّ أن يدخل الجنة، كما وُعد بذلك في الآية الأخرىٰ، وقد هداه الله إلىٰ

---

(١) **صحيح بطرقه وشواهده:** رواه أحمد (١/ ١١)، وابن حبان (٢٩١٠، ٢٩٢٦) «إحسان» وأبو يعلىٰ (٩٨: ١٠١)، والطبري (١٠٥٢٨ - ١٠٥٣٣) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير عن أبي بكر الصديق به. والإسناد فيه انقطاع بين أبي بكر بن أبي زهير وأبي بكر الصديق ثم إن أبا بكر بن أبي زهير مجهول. ورواه أبو يعلىٰ (٩٩) في بعض الطرق من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر الصديق والأول أشبه. وله طرق أخرىٰ من هذا الطريق وهم وخطأ كما في «علل الدارقطني» (١/ ٢٨٤)، ورواه الطبري (١٠٥٣٨ و ١٠٥٣٩) من طريق الربيع بن صبيح وابن جريج عن عطاء عن أبي بكر مرسلًا - أي: منقطعًا بين عطاء وأبي بكر -. ورواه الطبري (١٠٥٢٦) من طريقٍ لا بأس به عن محمد بن يزيد بن قنفذ عن عائشة عن أبي بكر به. ولكن ينظر هل لمحمد بن يزيد سماع من عائشة أم لا وما إخاله سمع. ورواه الترمذي (٣٠٣٩)، والبغوي (٥/ ٢٤٩، ٢٥٠)، وغيرهما من طريق موسىٰ بن عبيدة عن مولىٰ بن سبَّاع عن ابن قمر عن أبي بكر به وموسىٰ ضعيف ومولىٰ بن سباع مجهول. ورواه أحمد (٦/ ٦٥، ٦٦)، والبخاري في «التاريخ» (٨/ ٣٧١)، وابن حبان (٢٩٢٣)، وأبو يعلىٰ (٤٦٧٥، ٤٨٣٩)، وفي الموضع الثاني تحريف في بعض الأسماء، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٠٦، ٩٨٠٧)، وسقط اسم يزيد في الموضع الأول من المطبوع من طريق يزيد بن أبي يزيد عن عبيد بن عمير عن عائشة به نحوه. ويزيد مجهول وانظر تحقيق مسند أحمد للشيخ شعيب الأرناؤوط رقم (٢٤٣٦٨)، وله طريق آخر عن عائشة عند الطبري (١٠٥٣٥ - ١٠٥٣٧) من طريق أبي عامر الخزاز حدثنا ابن أبي مليكة عن عائشة به وأبو عامر الخزاز صدوق كثير الخطأ.

وللحديث شاهد عند مسلم (٢٥٧٤) عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا فقال رسول الله ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّىٰ النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا أَوِ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**».

الصراط المستقيم، الذي تكون عاقبتُه فيه إلىٰ الجنة، ويحصل له من نقصِ الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه.

وليس مرادُ النبي ﷺ بقوله: «إنَّما هُوَ الشِّرْكُ» أنَّ من لم يُشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام. فإنَّ أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبيِّنُ أنَّ أهل الكبائر مُعرَّضون للخوف، لم يحصل لهم الأمنُ التام والاهتداء التام اللذين يكونون بهما مُهتدين إلىٰ الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، من غير عذاب يحصل لهم. بل معهم أصلُ الاهتداء إلىٰ هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله تعالىٰ عليهم ولابُدَّ لهم من دخول الجنة.

وقوله: «إنَّما هُوَ الشِّرْكُ» إن أراد الأكبر، فمقصودُه: أنَّ من لم يكن من أهله فهو آمنٌ مما وُعِدَ به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة، وإنْ كان مرادهُ جنس الشرك، فيقال: ظُلْمُ العبد لنفسه، كبُخله بحب المال ببعض الواجب هو شركٌ أصغر. وحُبِّهِ ما يبغضه الله تعالىٰ، حتىٰ يقدِّم هواه علىٰ محبة الله شركٌ أصغر، ونحو ذلك. فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه، ولهذا كان السلفُ يُدخلون الذنوب في هذا الشرك بهذا الاعتبار[1].

انتهىٰ ملخصًا.

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٢]. قال الصحابة: وأيُّنا يا رسول الله لم يَلْبِس إيمانه بظلم؟ قال: «**ذَلِكَ الشِّرْكُ. أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ العَبْدِ الصَّالِحِ:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» فلما أشكل عليهم المراد بالظلم فظنُّوا أن ظلم النفس داخلٌ فيه. وأن من ظلم نفسه أيَّ ظلمٍ كان لم يكن آمنًا ولا مهتديًا. أجابهم - صلوات الله وسلامه عليه - بأنَّ الظلم الرَّافع للأمن والهداية علىٰ الإطلاق هو الشرك.

وهذا والله هو الجوابُ الذي يشفي العليلَ ويروي الغليل؛ فإنَّ الظلم المطلق التام: هو الشرك الذي هو وضعُ العبادة في غير موضعها. والأمن والهُدىٰ المطلق: هو الأمن في الدنيا والآخرة، والهدىٰ إلىٰ الصراط المستقيم.

---

(١) من كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. [الفقي].

فالظلمُ المطلق التام رافعٌ للأمن وللاهتداء المطلق التام، ولا يمنع ذلك أن يكون مطلقُ الظلم مانعًا من مطلق الأمن ومطلق الهدىٰ، فتأمَّله. فالمطلق للمطلق، والحصَّةُ للحصة. انتهىٰ ملخصًا[1].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ». أخرجاه**[2].

ش: عُبادة بن الصامت: ابن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، أحد النقباء، بدريٌّ مشهور، مات بالرَّملة سنة أربعٍ وثلاثين، وله اثنتان وسبعون سنة. وقيل: عاش إلىٰ خلافة مُعاوية رضي الله عنه.

قوله: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أي: من تكلم بها عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها، باطنًا وظاهرًا، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

أمَّا النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل - قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح - فغير

---

(١) **قال في قرة العيون:** قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢] فالظالم لنفسه هو الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فهو تحت مشيئة الله: إن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنبه، ونجاه بتوحيده من الخلود في النار.
وأما المقتصد فهو الذي عمل بما أوجب الله عليه وترك ما حرم عليه فقط، وهذه حال الأبرار. وأما السابق فهو الذي حصل له كمال الإيمان باستفراغه وسعه في طاعة الله علمًا وعملًا، فهذان لهم الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة. فالكل للكل، والحصة للحصة؛ لأن كمال الإيمان يمنع صاحبه من المعاصي وعقوباتها، فلم يلق ربه بذنب يعاقب به كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]، وهذا الذي ذكرته في معنىٰ هذه الآية هو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالىٰ -، وابن القيم رحمه الله في معناها، وهو الذي دل عليه القرآن، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

نافع بالإجماع[1].

قال القرطبي في «المُفهم علىٰ صحيح مسلم»: بابٌ لا يكفي مجرَّد التلفظ بالشهادتين، بل لابُدَّ من استيقان القلب.

هذه الترجمة تنبيهٌ علىٰ فساد مذهب غلاة المرجئة، القائلين بأنَّ التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان.

وأحاديثُ هذا الباب تدلُّ علىٰ فساده، بل هو مذهبٌ معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها؛ ولأنه يلزم منه تسويغُ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح. وهو باطلٌ قطعًا. انتهىٰ.

وفي هذا الحديث ما يدل علىٰ هذا. وهو قوله: «مَنْ شَهِدَ» فإنَّ الشهادة لا تصلح إِلَّا

---

(١) **قال في قرة العيون**: وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفيًا وإثباتًا، فنفت الإلهية عن كل ما سوىٰ الله بقولك: ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾، وأثبتت الإلهية لله بقولك: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]، فكم ضل بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الأكثرون، فقلبوا حقيقة المعنىٰ فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار والجن وغير ذلك، واتخذوا ذلك دينًا وشبهوا وزخرفوا، واتخذوا التوحيد بدعة وأنكروه علىٰ من دعاهم إليه، فلم يعرفوا منها ما عرف أهل الجاهلية من كفار قريش ونحوهم(*) فإنهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلت إليه، فلم يعرفوا منها ما دلت عليه من الإخلاص كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥- ٣٦] والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكروا ما أنكره أولئك علىٰ من دعاهم إلىٰ ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله من الموتىٰ والقبور والمشاهد والطواغيت ونحوها، فأولئك عرفوا هذا المعنىٰ وأنكروه، وهؤلاء جهلوا هذا المعنىٰ وأنكروه، فلهذا تجده يقول: لا إله إلا الله، وهو يدعو مع الله غيره. [الفقي]

(*) سبب ذلك أن عرب الجاهلية هم أهل لغة القرآن الفصحاء، فلا يجهلون شيئًا من معنىٰ التوحيد الذي قرره. وأما هؤلاء الذين فشا فيهم اليوم شرك العبادة فليسوا من أهل ملكة هذه اللغة، وإنما يدينون بالاصطلاحات التي تلقاها بعضهم من بعض من كلامية وعامية. وإذا كان مثل الفخر الرازي من أكبر أئمة متكلميهم وأصولييهم أخطأ في فهم معنىٰ الإله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فما الظن بمن دونه من علمائهم، دع عامتهم ودهماءهم؟ هل يستغرب منهم الجهل بأن من دعا ميتًا أو صالحًا حيًّا فيما لا يدعىٰ فيه إلا الله، أو طاف بقبره ونذر له يكون عابدًا له ومتخذًا له إلها ؟!!. [ابن باز].

إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق.

قال النووي: هذا حديثٌ عظيمٌ جليل الموقع، وهو أجمعُ - أو من أجمع - الأحاديث المشتملة علىٰ العقائد. فإنَّه ﷺ جمع فيه ما يُخرج من ملل الكفر، علىٰ اختلاف عقائدهم وتباعُدها. فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف علىٰ ما يباين به جميعهم. انتهىٰ.

ومعنىٰ: لا إله إلَّا الله. أي: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله. وهو في مواضعَ من القرآن، ويأتيك في قول البقاعي صريحًا.

قوله: «**وَحْدَهُ**» تأكيدٌ للإثبات «**لَا شَرِيكَ لَهُ**» تأكيدٌ للنفي. قاله الحافظ. كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، فأجابوه ردًّا عليه بقولهم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

فتضمن ذلك: نفي الإلهية عمَّا سوىٰ الله، وهي العبادة. وإثباتها لله وحده لا شريك له.

والقرآن من أوَّله إلىٰ آخره يُبيِّنُ هذا ويقرِّرُه ويُرشد إليه.

فالعبادةُ بجميع أنواعها إنما تصدر عن تألُّهِ القلب بالحب والخضوع والتذلل رَغَبًا ورَهَبًا، وهذا كلُّه لا يستحقه إلَّا الله تعالىٰ، كما تقدم في أدلة هذا الباب وما قبله.

فمن صرف من ذلك شيئًا لغير الله فقد جعله ندًّا لله، فلا ينفعه مع ذلك قولٌ ولا عمل.

ذِكرُ كلام العُلماء في معنىٰ: الإله:

قد تقدَّم كلامُ ابن عباس.

وقال الوزير أبو المظفر في «الإفصاح»: قوله: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» يقتضي أن يكون الشاهد عالمًا بأن لا إله إلَّا الله، كما قال تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

قال: واسم الله مرتفعٌ بعد إلَّا، من حيث أنَّه الواجبُ له الإلهية، فلا يستحقها غيرهُ سبحانه.

قال: وجملةُ الفائدة في ذلك: أن تعلم أنَّ هذه الكلمة مشتملة علىٰ الكفر بالطاغوت

والإيمان بالله، فإنَّك لما نفيت الإلهيةَ وأثبت الإيجاب لله تعالىٰ كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

وقال ابن القيم في «البدائع»[1] **ردًّا لقول من قال**: إنَّ المستثنىٰ مخرجٌ من المنفي. قال: بل هو مخرج المنفي وحكمه، فلا يكون داخلًا في المنفي، إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقوله: (لا إله إلَّا الله)؛ لأنه لم يُثبت الإلهية لله تعالىٰ، وهذه أعظم كلمة تضمَّنت نفي الإلهية عما سوىٰ الله، وإثباتها له بوصف الاختصاص، فدلالتها علىٰ إثبات إلهيته أعظم من دلالة قولنا: الله إلهٌ ولا يستريب أحد في هذا البتة. انتهىٰ بمعناه.

قلتُ: ولا ريب أنّه لم يدخل في المنفي أصلًا؛ لأنَّ المراد من هذه الكلمة: إفرادهُ تعالىٰ بالإلهية في قلب الموحِّد وقوله وعمله، كما دلَّت عليه الآيات المُحكمات، كما أخبر عن دعوة رسله ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢] فنفوا الإلهية عمَّا سوىٰ الله تعالىٰ، وأثبتوها لله وحده.

فإنه تعالىٰ هو المتصفُ بتفرُّده بالإلهية، أزلًا وأبدًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. وأخبر تعالىٰ عن المُشركين، أنهم قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠].

أرادوا أنْ يُدخلوه في جُملة آلهتهم في العبادة، وأنكروا أنْ تكون العبادةُ له وحده مع معرفتهم أنَّ: لا إله إلَّا الله. تبطلُ ذلك.

وتسويةُ آلهتهم بالله في العبادة هو الشرك الأكبرُ، الذي يوجبُ الخلود في النار. فالموحِّدُ، مخالفٌ للمشرك في قوله وفعله ونيَّته. وهذا ظاهرٌ لا خفاءَ به، بحمد الله.

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره: لا إله إلَّا هو: أي: لا معبود إلَّا هو.

وقال الزَّمخشري: الإله من أسماء الأجناس، كالرجل والفرس، يقع علىٰ كل معبودٍ بحق أو بباطل، ثم غلب علىٰ المعبود بحق.

قال شيخُ الإسلام: الإله: هو المعبودُ المُطاع؛ فإنَّ الإله هو المألُوه، والمألُوه: هو الذي

---

(١) بدائع الفوائد للعلامة ابن القيم (ج٣ ص٥٦) وهو بحث قيم جدًّا في الاستثناء والمستثنىٰ. [الفقي].

يستحق أنْ يُعبد، وكونُه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوبُ غايةَ الحب، المخضُوع له غاية الخضوع.

وقال رحمه الله تعالىٰ: فإنَّ الإله هو المحبوب المعبود، الذي تألَهُهُ القلوبُ بحبها، وتخضع له وتذلُّ له، وتخافه وترجوه، وتُنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهمَّاتها، وتتوكلُ عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئنُّ بذكره، وتَسكُن إلىٰ حبه.

وليس ذلك إلَّا لله وحده، ولهذا كانت لا إله إلَّا الله أصدق الكلام، وكان أهلُها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداءه، وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحَّت صحَّ بها كلُّ مسألةٍ وحالٍ وذوقٍ، وإذا لم يُصحِّحها العبدُ فالفسادُ لازمٌ له في علومه وأعماله.

قال ابنُ القيم: الإله: هو الذي تألَهُهُ القلوب محبةً وإجلالًا وإنابةً، وإكرامًا وتعظيمًا وذلًّا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا.

وقال ابنُ رجب: الإله: هو الذي يُطاعُ فلا يُعصىٰ، هيبةً له وإجلالًا، ومحبةً وخوفًا ورجاءً، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه ودعاءً له، ولا يصلح هذا كله إلَّا لله عَزَّوَجَلَّ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلَّا الله وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.

وقال البِقَاعي: لا إله إلَّا الله، أي: انتفىٰ انتفاءً عظيمًا أن يكون معبودٌ بحقٍّ غير الملك الأعظم؛ فإن هذا العلم هو أعظمُ الذِّكرىٰ المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون عِلْمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صِرْف.

وقال الطيبي: الإله: فِعَال بمعنىٰ مفعول، كالكِتَاب بمعنىٰ المكتوب، من ألَهَ إلهةً. أي: عَبَدَ عبادةً.

قال الشَّارحُ[1]: وهذا كثير في كلام العلماء وإجماع منهم أنَّ الإلهَ هو المعبود، خلافًا لما

(١) يقصد بالشارح هنا الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب صاحب أصل هذا الشرح «تيسير العزيز الحميد» (صـ٧٦ - ٧٧).

يعتقدهُ عُبَّادُ القبور وجهلة المتكلمين، من أنَّ معناه: هـو الخـالق والقـادر علىٰ الاخـتـراع، ونحو ذلك. ويظنون أنَّهم إذا قالوها فقد أتوا من التوحيد بالغاية القُصوىٰ، ولو فعلـوا مـا فعلوا: من عبادة غير الله كدعوة الأموات، والاسـتغاثة بهـم في الكربـات، والنـذر لهـم في المُلِمَّات، إلىٰ غير ذلك من أنواع العبادات.

وما شعروا أنَّ مُشركي العرب وغيرهم يُشاركونهم في الإقرار بهذا المعنىٰ، ويعتقدون أنَّ الله هو الخالقُ القادر علىٰ الاختراع، كما قال تعـالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

فأخبر تعالىٰ عنهم: أنَّهم اتخذوا الأولياء من دونـه، وقـالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فتبًّا لمن كان أبو جهلٍ ورؤوسُ الكفرِ من قريشٍ وغيرهم أعلَمَ منه بمعنـىٰ لا إله إلا الله!!.

قـال تعـالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥- ٣٦]. فعرفوا أنَّها تدلُّ علىٰ ترك عبادة معبوداتهم.

قلتُ: ودلالتُها علىٰ هذا دلالةُ تضمُّن، وأنَّ ذلك يقتضي إخلاص العبـادة لله وحـده. فدلالتُها علىٰ نفي الإلهية وعبادتها، وإفراد الله تعالىٰ بالعبادة دلالةُ مُطابقةٍ.

فدلت لا إله إلَّا الله علىٰ نفي العبادة عن كل ما سـوىٰ الله، كائنًـا مـن كـان، وإثبـات الإلهية لله وحده دون كل ما سواه، وهذا هو التوحيد الذي دعـت إليـه الرسـل ودلَّ عليـه القرآن من أوله إلىٰ آخره، كما قال تعالىٰ عـن الجـن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١- ٢].

فلا إله إلَّا الله: لا تنفع إلَّا من عرف مدلولها نفيًا وإثباتًا، واعتقد ذلك وقَبِلَه وعمل به.

وأمَّا من قالها عن غير علمٍ واعتقادٍ وعمل، فقـد تقَّـدم كـلامُ العلـماءُ أنَّ هـذا جَهـلٌ صِرْفٌ، فهو حجةٌ عليه بلا ريب.

فقوله في الحديث: «**وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**» تأكيدٌ وبيانٌ لمضمون معناها. وقد أوضح الله تعالىٰ ذلك وبيَّنه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين.

فما أجهل عُبَّادَ القُبور بحالهم! وما أعظـم مـا وقعـوا فيـه مـن الـشرك المنـافي لكلمـة

الإخلاص لا إله إلَّا الله! فإنَّ مُشركي العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلَّا الله لفظًا ومعنىٰ، وهؤلاء المشركون أقرُّوا بها لفظًا وجحدوها معنىٰ.

فتجد أحدَهم يقولُها وهو يألهُ غيرَ الله بأنواع العبادة، كالحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والدعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة. بل زاد شركُهم علىٰ شرك العرب بمراتب، فإنَّ أكثرهم إذا وقع في شدة، أخلص الدعاء لغير الله تعالىٰ، ويعتقدون أنَّه أسرع فرجًا لهم من الله، بخلاف حال المشركين الأوّلين، فإنهم يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد فإنما يخلصون لله وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥] الآية.

فبهذا تبين أنَّ مُشركي أهل هذه الأزمان أجهلُ بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم[1].

وقوله: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» أي: وشهد بذلك، وهو معطوفٌ علىٰ ما قبله علىٰ نيَّة تكرار العامل.

ومعنىٰ العبد هنا: المملوك العابد، أي: أنه مملوكٌ لله تعالىٰ. والعبوديةُ الخاصة وصْفُه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] فأعلىٰ مراتب العبد العبوديةُ الخاصة والرسالة.

فالنبيُّ محمد ﷺ أكملُ الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين. وأمَّا الربوبيةُ والإلهية:

---

(١) في **قرة العيون**: (قلت) وهؤلاء المتأخرون جهلوا معنىٰ الإله، وقلبوا حقيقة المعنىٰ إلىٰ معنىٰ توحيد الربوبية، وهو القدرة علىٰ الاختراع فأثبتوا ما نفته ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ من الشرك وأنكروا ما أثبتته من إخلاص العبادة لله جهلًا منهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢] . قال محيي الدين النووي: اعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع من أزمان متطاولة، ولم يبق في هذه الأزمان إلَّا رسوم قليلة جدًّا وهو باب عظيم، به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح.

وقوله: في هذه الأزمان يعني: القرن الخامس والسادس، وإذا كان كذلك فما الظن بالقرن العاشر وما بعده وقد استحكمت فيها الغربة. ولشيخنا محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالىٰ - في تفسير هذه الكلمة كلام بديع واضح لم يسبق إلىٰ مثله فليراجع لمسيس الحاجة إليه. [الفقي].

فهما حقٌّ الله تعالىٰ، لا يشاركه في شيء منهما مَلَكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل.

وقوله: «عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» أتىٰ بهاتين الصفتين وجمعهما دفعًا للإفراط والتفريط، فإنَّ كثيرًا ممن يدعي أنه من أُمَّته أفرط بالغلو قولًا وفعلًا، وفرَّط بترك مُتابعته، واعتمد علىٰ الآراء المخالفة لما جاء به، وتعسَّف في تأويل أخباره وأحكامه بصرفها عن مدلولها والصَّدْف عن الانقياد لها مع اطِّراحها؛ فإنَّ شهادة أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله تقتضي الإيمانَ به وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عمَّا عنه زجر، وأن يُعظِّم أمرهُ ونهيهُ، ولا يُقدَّمَ عليه قولُ أحدٍ كائنًا من كان(١).

والواقعُ اليومَ وقبلَه خلاف ذلك، فالله المستعان.

وروىٰ الدَّارميُّ في مسنده: عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه كان يقول: إنَّا لنجدُ صفةَ رسول الله ﷺ: إنَّا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا، وحِرزًا للأُميِّين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُه المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صخَّابٍ بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلَها، ولكن يعفو ويتجاوز، ولن أقبضه حتىٰ يُقيم الملة المتعوَّجة، بأن يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، يُفتح بها أعينًا عُميًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلفًا(٢).

---

(١) في قرة العيون: وأن لا تعارض بقول أحد؛ لأن غيره ﷺ يجوز عليه الخطأ، والنبى ﷺ قد عصمه الله تعالىٰ، وأمرنا بطاعته والتأسي به وتوعدنا علىٰ ترك طاعته بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] الآية. وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. وقد وقع التفريط في المتابعة وتركها وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ علىٰ قوله ﷺ لا سيما من العلماء كما لا يخفىٰ. [الفقي].

(٢) إسناده ضعيف والحديث صحيح لغيره: رواه البخاري معلقًا عقب حديث (٢١٢٥)، ووصله الدارمي (٦)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٣٨)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٢٢١) ط. دار العاصمة. والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٦)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٥١٨)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٣/ ٣٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١٦٣) قطعة من مسانيد من اسمه عبد الله ط. دار الراية. من طريق عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن هلال عن عطاء بن يسار عن ابن سلام به، وقد خالف سعيد بن أبي هلال فليح بن سليمان وعبد العزيز بن أبي سلمة في تعيين الصحابي فجعله
=

قال عطاءُ بن يسار: وأخبرني أبو واقد الليثي، أنَّه سمع كعبًا يقول مثل ما قال ابنُ سلام[(١)][(٢)].

قوله: «وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ» أي: خلافًا لما يعتقدُه النصارىٰ أنَّه الله أو ابنُ الله، أو ثالثُ ثلاثة[(٣)]، تعالىٰ الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

فلا بُدَّ أن يشهد أنَّ عيسىٰ عبدُ الله ورسوله، علىٰ علم ويقين بأنه مملوكٌ لله، خَلَقه من أُنثىٰ بلا ذكر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] فليس ربًّا ولا إلهًا. سبحان الله عما يشركون. قال تعالىٰ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾[(٤)] [مريم: ٢٩-٣٠].

سعيد بن أبي هلال، وابن سلام والآخران جعلاه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقد رواه البخاري (٢١٢٥، ٤٨٣٨) من طريق فليح بن سليمان وعبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله عن عمرو به، ولكن الحافظ قال: إنه محفوظ عنهما جميعًا، راجع «الفتح» (٤/ ٤٠٣)، و«تغليق التعليق» (٣/ ٢٣٣ - ٢٣٥) ثم إنه في الإسناد عبد الله بن صالح وفيه ضعف.

ولرواية عبد الله بن سلام طريق آخر أخرجه ابن سعد (١/ ٢٧٠) من طريق زيد بن أسلم، قال بلغنا عن عبد الله بن سلام فذكر نحوه.

(١) ذكره الدارمي (٦) عقب الرواية السابقة.

(٢) آخر رواية الدارمي (جـ١ صـ٥)، وفي الرواية عن كعب: (نجده مكتوبًا في التوراة). [الفقي].

(٣) **في قرة العيون:** فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده كما في الآيات المحكمات، وما فيها من الرد علىٰ كفار النصارىٰ وهم ثلاث طوائف: طائفة قالوا: إن عيسىٰ هو الله، وطائفة قالوا: ابن الله، وطائفة قالوا: ثالث ثلاثة. يعنون عيسىٰ وأمه. فبين الله تعالىٰ في كتابه الحق وأبطل الباطل فقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١] والآيات بعدها. وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ [المائدة: ١٧] في مواضع من سورة «المائدة»، وأخبر تعالىٰ عما قاله المسيح عليه السلام وهو في المهد. [الفقي].

(٤) **في قرة العيون:** فبين تعالىٰ الصراط المستقيم الذي من سلكه نجا ومن خرج منه هلك. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ

وقال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢].

ويشهدُ المؤمنُ أيضًا ببطلان قولِ أعدائه اليهود: أنَّه ولدُ بغيٍّ، لعنهم الله. فلا يصحُّ إسلامُ أحدٍ حتىٰ يتبرَّأ من قول الطائفتين جميعًا في عيسىٰ عليه السلام، ويعتقد ما قاله الله تعالىٰ فيه: أنَّه عبدُ الله ورسوله.

قوله: «وَكَلِمَتُهُ» إنما سُمِّي عيسىٰ - عليه السلام - كلمته لوجوده بقوله: كُن، كما قاله السلفُ من المُفسرين.

قال الإمامُ أحمد في «الرد علىٰ الجهمية»[1]: الكلمة التي ألقاها إلىٰ مريم حين قال له: كُن فكان عيسىٰ بكن، وليس عيسىٰ هو: كن، ولكن كان بكن، فكن من الله تعالىٰ قولًا، وليس كُن مخلوقًا، وكذبَ النصارىٰ والجهميةُ علىٰ الله في أمر عيسىٰ. انتهىٰ.

وقوله: «أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ» قال ابنُ كثير: خَلقه بالكلمة التي أُرسل بها جبرائيل عليه السلام إلىٰ مريم فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عز وجل، فكان عيسىٰ بإذن الله عز وجل، فهو ناشئٌ عن الكلمة التي قال له: كن فكان، والروح التي أُرسل بها: هو جبرائيل عليه السلام.

وقوله: «وَرُوحٌ مِنْهُ»[2]. قال أُبيُّ بن كعب: عيسىٰ روحٌ من الأرواح التي خلقها الله

=

عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] فبين تعالىٰ الصراط المستقيم بيانا شافيًا ووافيًا، وأقام حججه علىٰ توحيده فأحق الحق وأبطل الباطل ولو كره المشركون. [الفقي].

(١) صفحة ٢٠ طبعة عيسىٰ الحلبي وأولاده في باب: ثم إن الجهمي ادعىٰ أمرًا فقال: إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل علىٰ أن القرآن مخلوق. فقلنا: أي آية؟ قال: قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] وعيسىٰ مخلوق. [الفقي].

(٢) الظاهر أن معنىٰ ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أنه كغيره من بني آدم الذي يقول الله فيه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] كما مثل له في الآية الأخرىٰ بأنه مثل آدم. والله أعلم.

وقال في قرة العيون: أي: من الأرواح التى استخرجها من صلب آدم - عليه السلام - وأخذ عليها العهد أنه تعالىٰ ربهم وإلههم كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية. وروح عيسىٰ من تلك الأرواح التي خلقها الله تعالىٰ. وذكر ابن جرير عن وهب بن منبه قال: (نفخ جبريل في جيب درع مريم حتىٰ وصلت النفخة إلىٰ الرحم فاشتملت عليه). وعن

=

تعالىٰ واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[الأعراف: ١٧٢] بعثه الله إلىٰ مريم فدخل فيها[1]. رواه عبدُ بن حُميد وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرُهم.

قال الحافظ: ووصْفه بأنَّه منه، المعنىٰ: أنَّه كائنٌ منه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية: ١٢] فالمعنىٰ: أنه كائنٌ منه؛ كما أنَّ معنىٰ الآية الأُخرىٰ: أنه سخَّر هذه الأشياء كائنةً منه، أي: أنَّه مُكوِّنُ ذلك وموجِدُه بقدرته وحكمته.

قال شيخ الإسلام: المضافُ إلىٰ الله تعالىٰ إذا كان معنًىٰ لا يقوم بنفسه ولا بغيره من

=

السدي أن النفخة دخلت في صدرها فحملت. وقال ابن جريج: يقولون: إنما نفخ في جيب درعها وكمها انتهىٰ مختصرًا. فجبريل نفخ والله خلق بقول: ﴿كُن﴾ فكان. كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[الحجر: ٢٩] فسبحان من لا يخلق غيره ولا يُعبد سواه.

وقد أورد بعض النصارىٰ علىٰ بعض علماء المسلمين قول الله تعالىٰ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء: ١٧١].

فقال في الجواب: هذا ليس خاصًّا بعيسىٰ عليه السلام بل المخلوقات كذلك كلها. كما قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية: ١٣] أي: خلقًا وإيجادًا، وعيسىٰ كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته. وفي هذا الحديث الرد علىٰ اليهود أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله؛ فإنهم كانوا هم والنصارىٰ علىٰ طرفي نقيض فنسبوه إلىٰ أنه ولد بغي، قاتلهم الله. فأكذبهم الله تعالىٰ في كتابه وأبطل قولهم كما أبطل قول الغلاة من النصارىٰ فيما تقدم من الآيات ونحوها.

فالنصارىٰ غلوا في عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - أعظم الغلو والكفر والضلال، واليهود جفوا في حقه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضل ضلالًا بعيدًا، نبه الله تعالىٰ في مواضع كثيرة من كتابه وبين تعالىٰ الحق والصدق، ورفع قدر المسيح - عليه السلام - وجعله من أولي العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب (٧) والشورىٰ (١٣)، وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبروا فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥]، فهم أفضل الرسل علىٰ التحقيق، والنبي ﷺ أفضلهم، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين[الفقي].

(١) **حسن بطريقيه:** رواه الحاكم (٢/ ٣٥٣، ٤٠٥) ط/ دار الكتب العلمية تحقيق مصطفىٰ عبد القادر. والطبري (١٠٨٥٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٥٩، ٥٦٠) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب به، وأبو جعفر الرازي سيئ الحفظ ولكن تابعه سليمان التيمي عند عبد الله بن أحمد في «زوائده علىٰ المسند» (٥/ ١٣٥) إلَّا أن في الإسناد محمد بن يعقوب الربالي شيخ عبد الله بن أحمد وهو مستور قاله الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٥)، وانظر ترجمته في «تعجيل المنفعة».

المخلوقات وجب أن يكون صفةً لله تعالىٰ قائمةً به، وامتنع أن تكون إضافتها إضافة مخلوق مربوب.

فإذا كان المضافُ عينًا قائمةً بنفسها: كعيسىٰ وجبرائيل - عليهما السلام - وأرواح بني آدم، امتنع أن تكون صفةً لله تعالىٰ، لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره.

لكن الأعيان المضافة إلى الله على وجهين:

أحدهما: أن تُضاف إليه لكونه خلقها وأبدعها، فهذا شاملٌ لجميع المخلوقات، كقولهم: سماءُ الله، وأرضُ الله. فجميع المخلوقين عبيد الله، وجميع المال مالُ الله.

الوجه الثاني: أن يُضاف إليه لما خصَّهُ به من معنىٰ يُحبُّه ويأمر به ويرضاه، كما خصَّ البيتَ العتيق بعبادةٍ فيه لا تكون في غيره. وكما يُقال عن مال الفيء والخمس: هو مالُ الله ورسوله.

ومن هذا الوجه: فعبادُ الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه إضافةٌ تتضمن أُلوهَيَّته وشرعه دينه، وتلك إضافةٌ تتضمن ربوبيَّته وخلْقه. انتهىٰ ملخصًا.

قوله: «**وَالجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ**»[1] أي: وشهد أنَّ الجنة التي أخبر بها تعالىٰ في كتابه أنَّه أعدَّها للمُتقين حقٌّ، أي: ثابتةٌ لا شك فيها، وشهد أنَّ النار التي أخبر بها تعالىٰ في كتابه أنَّه أعدها للكافرين حق كذلك ثابتة، كما قال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد: ٢١]. وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] وفي الآيتين ونظائرهما دليلٌ علىٰ أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافًا للمبتدعة[2]. وفيهما: الإيمان بالمعاد.

قوله: «**أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**» هذه الجملةُ جوابُ الشرط. وفي رواية: «**أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ**».

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، وطرفه في كتاب المساجد باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر باب (٤٧).

(٢) في قرة العيون: ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل؛ فإن الله تعالىٰ بين الجنة وما أعد فيها من النعيم المقيم، وذكر أنها دار المتقين، وذكر النار وما فيها من العذاب وأنه أعدها لمن كفر به وأشرك. [الفقي].

قال الحافظ: ومعنىٰ قوله: «عَلَىٰ مَا كَانَ مِن الْعَمَلِ» أي: من صلاح أو فساد؛ لكنَّ أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة. ويحتملُ أنْ يكون معنىٰ قوله: «عَلَىٰ مَا كَانَ مِن الْعَمَلِ» أي: يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ حسب أعمال كلٍّ منهم في الدرجات. انتهىٰ.

قال القاضي عياض: ما ورد في حديث عُبادة يكون خصوصًا لمن قال ما ذكره النبيُّ ﷺ وَقَرَن بالشهادتين حقيقةَ الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجحُ علىٰ سيئاته، ويوجبُ له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأوَّل وهلة.

قال العلَّامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى: والمقصود أنَّ كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمنُ عارفًا لمعناها وحقيقته نفيًا وإثباتًا، مُتصفًا بموجبها، قائمًا قلبه ولسانُه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمةُ من هذا الشاهد. أصلُها ثابتٌ راسخ في قلبه، وفروعُها متصلةٌ في السماء، وهي مخرجةٌ لثمرتها كلَّ وقت. انتهى.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** ولهما في حديث عتبان: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ».

ش: قوله: (ولهما) أي: للبخاري ومسلم في «صحيحيهما» بكماله.

وهذا طرفٌ من حديث طويل أخرجه الشيخان[1].

---

(١) في قرة العيون: اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة وهو قوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ» وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن لم يكن مخلصًا فهو مشرك ومن لم يكن صادقًا فهو منافق، والمخلص أن يقولها مخلصًا الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالىٰ، وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الذي قاله الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[البقرة: ١٢٨] . وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٤﴾[النمل: ٤٤] . وقال الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾[الأنعام: ٧٩] . والحنيف: هو الذي ترك الشرك رأسًا وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم، وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[لقمان: ٢٢] فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق، وهو معنىٰ الآية ونحوها إجماعًا. فهذا هو الذي يعنيه قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[لقمان: ٢٢] ، وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ويستغيث به من ميت أو غائب =

وعتبان: بكسر المهملة بعدها مُثنَّاة فوقية ثم موحَّدة؛ ابنُ مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري، من بني سالم بن عوف، صحابيٌّ مشهور، مات في خلافة معاوية.

وأخرجه البخاريُّ في «صحيحه» بسنده عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أنَّ النبي ﷺ ومُعاذٌ رديفُه علىٰ الرَّحْل قال: «**يَا مُعَاذُ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «**يَا مُعَاذُ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «**يَا مُعَاذُ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك - ثلاثًا - قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ النَّارِ**». قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**». فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّمًا»[1].

وساق بسند آخر: حدثنا معتمرٌ قال: سمعتُ أبي، قال: سمعتُ أنسًا قال: ذُكر لي أنَّ النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**». قال: أفلا أُبشِّرُ

=

لا ينفع ولا يضر، كما ترىٰ عليه أكثر الخلق، فهؤلاء وإن قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها، فلا تنفع قائلها إلَّا بالعلم بمدلولها نفيًا وإثباتًا. والجاهل بمعناها وإن قالها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقن له، فإذا انتفىٰ اليقين وقع الشك.

ومما قيدت به في الحديث قوله ﷺ: «**غَيْرَ شَاكٍّ**» فلا تنفع إلَّا من قالها بعلم ويقين لقوله: «**صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**» وكذلك من قالها غير صادق في قوله، فإنها لا تنفعه لمخالفة القلب اللسان كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. وكذلك حال المشرك فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للإخلاص، ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة فإنها دلت علىٰ نفى الشرك والبراءة منه، والإخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة. ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ كما هو حال كثير من عبدة الأوثان يقولون: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص ويعادون أهله وينصرون الشرك وأهله. وقال الخليل - عليه السلام - لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[الزخرف: ٢٦ - ٢٨] وهي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه، وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدم تقريره، وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه من الإخلاص، كان قوله لهذه الكلمة كذبًا منه، بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك ونفىٰ ما أثبتته من الإخلاص.

فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسبب ذلك الجهل بمعناها واتباع الهوىٰ فيصده عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم.[الفقي].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

الناس؟ قال: «**لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا**»[١].

قلتُ: فتبينَّ بهذا السياق معنىٰ شهادةِ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنها تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدقٍ ويقين وإخلاص.

قال شيخُ الإسلام وغيره - في هذا الحديث ونحوه -: إنها فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدةً بقوله: «**خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهَا بِصِدْقٍ وَيَقِينٍ**».

فإنَّ حقيقة التوحيد انجذابُ الروح إلىٰ الله تعالىٰ جملةً، فمن شهد أن لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة؛ لأنَّ الإخلاص هو انجذابُ القلب إلىٰ الله تعالىٰ بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا.

فإذا مات علىٰ تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديثُ بأنه: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، وَمَا يَزِنُ خَرْدَلَةً، وَمَا يَزِنُ ذَرَّةً**».

وتواترت بأنَّ كثيرًا ممن يقول: لا إله إلَّا الله يدخل النار ثم يخرج منها.

وتواترت بأن الله حرَّم علىٰ النار أن تأكل أثرَ السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله.

وتواترت بأن الله يحرِّمُ علىٰ النار من قال: لا إله إلَّا الله، وشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، لكن جاءت مقيَّدةً بالقيود الثِّقال.

وأكثرُ من يقولها لا يعرف الإخلاص، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا أو عادةً، ولم يخالط الإيمانُ بشاشة قلبه.

وغالبُ من يُفتنُ عند الموت وفي القبور أمثالُ هؤلاء، كما في الحديث: «**سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»[٢][٣]. وغالبُ أعمال هؤلاء إنَّما هو تقليدٌ واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٩).

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (٦/ ١٣٩ - ١٤٠)، وإسحاق بن راهويه (١١٧٠)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٧)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٨، ٢٩)، وابن ماجه (٤٢٦٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٤٢) من غير ذكر الشاهد وغيرهم: من طرق عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء مرة عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة مرفوعًا ومرة عن ذكوان عن عائشة مرفوعًا، وللحديث شواهد عن أنس وأبي سعيد الخدري وغيرها انظر «عذاب القبر» للبيهقي. وعند البخاري (١٣٧٤) من حديث أنس بلفظ: «...**وَكُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ**».

(٣) في حديث البراء بن عازب الذي رواه أصحاب السنن وغيرهم في سؤال القبر. [الفقي].

الناس من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

وحينئذٍ فلا مُنافاة بين الأحاديث؛ فإنَّه إذا قالها بإخلاصٍ ويقين تامٍّ، لم يكن في هذه الحال مُصرًّا علىٰ ذنب أصلًا، فإنَّ كمال إخلاصه ويقينه يوجبُ أن يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقىٰ في قلبه إرادةٌ لما حرَّم الله، ولا كراهةٌ لما أمر الله.

وهذا هو الذي يَحرُم علىٰ النار، وإن كانت له ذنوبٌ قبل ذلك، فإنَّ هذا الإيمان وهذا الإخلاص، وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين، لا يتركون له ذنبًا إلَّا مُحي عنه كما يمحو الليلَ النهارُ.

فإذا قالها علىٰ وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غيرُ مصرٍّ علىٰ ذنبٍ أصلًا، فيُغفر له ويحرم علىٰ النار. وإنْ قالها علىٰ وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقضُ ذلك، فهذه الحسنةُ لا يقاومها شيءٌ من السيئات، فيرجح بها ميزانُ الحسنات، كما في حديث البطاقة[1]، فيحرم علىٰ النار. ولكن تنقص درجتُه في الجنة بقدر ذنوبه.

وهذا بخلاف من رجحت سيئاتهُ بحسناتِه ومات مُصرًّا علىٰ ذلك؛ فإنَّه يستوجب النار. وإنْ قال: لا إله إلَّا الله، وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنَّه لم يمت علىٰ ذلك، بل أتىٰ بعد ذلك بسيئاتٍ رجحت علىٰ حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصًا لكنه أتىٰ بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتىٰ أحرقت ذلك، بخلاف المخلص المستيقن؛ فإنَّ حسناته لا تكون إلَّا راجحةً علىٰ سيئاته ولا يكون مصرًّا علىٰ سيئاته، فإنْ مات علىٰ ذلك دخل الجنة.

وإنَّما يُخاف علىٰ المخلص أنْ يأتي بسيئةٍ راجحة، فيضعُف إيمانُه فلا يقولها بإخلاص ويقين مانعٍ من جميع السيئات، ويُخشىٰ عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإنْ سَلِم من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيُضيف إلىٰ ذلك سيئاتٍ تنضمُّ إلىٰ هذا الشرك فيرجح جانبُ السيئات.

(١) إسناده صحيح وسيأتي مطولًا: رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣، ٢٢١)، والحاكم (١/ ٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥/ ١٣٣، ١٣٤)، وابن حبان (٢٥٢٤) «موارد» وغيرهم من طريق أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا. وانظر «الصحيحة» (١/ ٢١٣).

فإنَّ السيئات تُضعف الإيمان واليقين، فيضعف قولُ لا إله إلَّا الله، فيمتنع الإخلاصُ بالقلب، فيصير المتكلمُ بها كالهاذي أو النائم، أو من يُحسِّن صوته بآيةٍ من القرآن من غير ذوق حلاوةٍ، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقُض ذلك بل يقولونها من غير يقينٍ وصدقٍ، ويموتون علىٰ ذلك، ولهم سيئاتٌ كثيرة تمنعهم من دخول الجنة.

وإذا كثُرت الذنوبُ ثقُل علىٰ اللسان قولُها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح وثقُل عليه سماعُ القرآن، واستبشر بذكر غير الله، واطمأنَّ إلىٰ الباطل، واستحلىٰ الرَّفث ومخالطة أهل الباطل، وكره مخالطة أهل الحق، فمثلُ هذا إذا قالها، قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدِّقهُ عملُه.

قال الحسن: ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا بالتمني، ولكن ما وقَر في القلوب وصدَّقته الأعمال. فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قُبل منه، ومن قال خيرًا وعمل شرًّا لم يقبل منه[1].

وقال بكرُ بن عبد الله المُزَنيُّ: ما سبقهم أبو بكر ﷺ بكثرة صيامٍ ولا صلاة ولكن بشيءٍ وقرَ في قلبه[2].

فمن قال: لا إله إلَّا الله ولم يقُم بموجبها بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا، وكان صادقًا في قولها موقنًا بها، لكن له ذنوبٌ أضعفت صدقه ويقينه - وانضاف إلىٰ ذلك الشركُ الأصغر

---

(١) حسن: رواه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» رقم (٥٦) من طريق أبي بشر الحلبي و«عمران بن بستر» عن الحسن فذكره.

وصح أوله عند ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٤) بإسناد صحيح وله طريق آخر عنده (١١/ ٢٢) بسند واهٍ وعند ابن المبارك في «الزهد» (١٥٦٥)، وفيه رجل مبهم وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (صـ٣٢٢) نحوه.

ونحوه عن الآجري في «الشريعة» رقم (٢٥٥، ٢٦٠) ط/ دار الوطن، وابن بطه في «الإبانة الكبرىٰ» (١٠٩٤)، وغيرهم انظر «تبييض الصحيفة القسم الأول» (صـ٩٩)، وقد رُوي مرفوعًا بأسانيد واهية انظر ابن عدي (٦/ ٢٨٨ - ٢٨٩)، و«فيض القدير» (٥/ ٣٥٦)، و«الضعيفة» (١٠٨٩)، و«تبييض الصحيفة» (صـ٩٩).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الحكيم الترمذي في «كتاب الصلاة» صـ (٨٠، ٨١) بإسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين، وعزاه العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٣) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول». قاله: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود في تحقيق «فتح المجيد» (١/ ٦٣ ط. قرطبة).

العملي، رجحت هذه السيئاتُ علىٰ هذه الحسنة، ومات مُصرًّا علىٰ الذنوب.

بخلاف من يقولُها بيقين وصدق، فإنَّه إمَّا أنْ لا يكون مصرًّا علىٰ سيئةٍ أصلًا، أو يكون توحيده المتضمِّن لصدقه ويقينه رجَّح حسناته.

والذين يدخلون النار - ممن يقولها -: لم يقولوها بالصدق واليقين التامَّين المنافيين للسيئات، أو لرُجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئاتٍ رجحت علىٰ حسناتهم، ثم ضعُف لذلك صدقُهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدقٍ ويقين تام؛ لأنَّ الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوىٰ علىٰ محو السيئات فترجحُ سيئاتهم علىٰ حسناتهم. انتهىٰ مُلخصًا.

وقد ذكر هذا كثيرٌ من العُلماء، كابن القيِّم وابن رجب وغيرهم.

قلتُ: وبها قرره شيخُ الإسلام رحمه الله تعالىٰ تجتمع الأحاديث.

قال: وفي الحديث دليلٌ علىٰ أنَّه لا يكفي في الإيمان النطقُ من غير اعتقاد، وبالعكس.

وفيه: تحريمُ النار علىٰ أهل التوحيد الكامل.

وفيه: أنَّ العمل لا ينفعُ إلَّا إذا كان خالصًا لله تعالىٰ.

تنبيه: قال القرطبي في «تذكرته»: قوله في الحديث: «**مِنْ إِيمَانٍ**» أي: من أعمال الإيمان التي هي من أعمال الجوارح. فيكون فيه دلالةٌ علىٰ أن الأعمال الصالحة من الإيمان.

والدليلُ علىٰ أنَّه أراد بالإيمان ما قلناه - ولم يُرد مجرَّد الإيمان الذي هو التوحيد ونفي الشركاء والإخلاص بقوله لا إله إلَّا الله - ما في الحديث نفسه من قوله: «**أَخْرِجُوا**» ثم بعد ذلك «**يَقْبِضُ سُبْحَانَهُ قَبْضَةً فَيُخْرِجُ قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**» - يريد بذلك إلا التوحيد المجرد من الأعمال. انتهىٰ ملخصًا من «شرح سنن ابن ماجه».

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ عن رسول الله ﷺ** قال: «**قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَىٰ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَىٰ لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرَضِينَ السَّبعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»

رواه ابنُ حبان والحاكم وصححه[1].

ش: أبو سعيد: اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاريُّ الخزرجي، صحابيٌّ جليل وأبوه كذلك. استُصغِر أبو سعيد بأُحُدٍ، وشهد ما بعدها. مات بالمدينة سنة ثلاثٍ أو أربع أو خمس وستين. وقيل: سنة أربعٍ وسبعين.

قوله: «**أَذْكُرُكَ**» أي: أثني عليك «**وَأَدْعُوكَ**» أي: أسألك به.

قوله: «**قُلْ يَا مُوسَىٰ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[2] فيه أنَّ الذاكر بها يقولها كلَّها، ولا يقتصر علىٰ لفظ الجلالة، ولا علىٰ «هو» كما يفعله غُلاة جهَّال المتصوفة، فإنَّ ذلك بدعةٌ وضلالة.

قوله: «**كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا**» ثبت بخط المصنف بالجمع، والذي في الأصول: «**يَقُولُ**» بالإفراد مراعاة للفظة «**كُلّ**».

وهو في «المسند» من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ الجمع كما ذكره المصنِّفُ علىٰ معنىٰ كل، ومعنىٰ: «**كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا**» أي: إنما أُريد شيئًا تخُصّني به من بين عموم عبادك.

وفي رواية بعد قوله: «كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا» «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبِّ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ».

ولَمَّا كان بالناس - بل بالعالم كلِّه - من الضرورة إلىٰ: لا إله إلَّا الله ما لا نهاية له،

---

(١) إسناده ضعيف: رواه النسائي في الكبرىٰ (١٠٦٧٠ - ١٠٦٨٠)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، وأبو يعلىٰ (١٣٩٣)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١/ ٥٢٨)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٠، ١٤٨١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٨٥)، والبغوي (٥/ ٥٤ - ٥٥)، وأبو نعيم (٨/ ٣٢٨) من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به، ورواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ضعيفة نص علىٰ تضعيفها أحمد وأبو داود كما في «التهذيب».

(٢) قال في قرة العيون: فلا نافية للجنس نفيًا عامًّا إلَّا ما استثني، وخبرها محذوف تقديره «حق». قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢]، فإلهيته تعالىٰ هي الحق وكل ما سواه من الآلهة فإلهيته باطلة كما في هذه الآية ونظائرها. فهذه كلمة عظيمة هي العروة الوثقىٰ وكلمة التقوىٰ وكلمة الإخلاص، وهي التي قامت بها السموات والأرض، وشرعت لتكميلها السنة والفرض، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد. فمن قالها وعمل بها صدقًا وإخلاصًا وقبولًا، ومحبة وانقيادًا أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل. [الفقي].

كانت من أكثر الأذكار وجودًا، وأيسرها حصولًا، وأعظمها معنىٰ. والعوامُّ والجُهَّال يعدلون عنها إلىٰ الدعوات المُبتدعة التي ليست في الكتاب ولا في السنة.

قوله: «وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي»[1] هو بالنصب عطفٌ علىٰ السموات، أي: لو أنَّ السموات

---

(١) قال في قرة العيون: أي كل من في السموات والأرض. وقوله: «غَيْرِي» استثنىٰ ممن في السموات نفسه؛ لأنه العلي الأعلىٰ تعالىٰ وتقدس كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، علو القهر وعلو القدر وعلو الذات. فالثلاثة كلها صفته ودلت علىٰ كماله كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]الآية. في سبعة مواضع من كتابه (الأعراف: ٥٤ ويونس: ٣ والرعد: ٢ والسجدة: ٤ والحديد: ٤) كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١]وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤]﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]وأمثال هذه الآيات.

فمن سلب علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة، وألحد في أسمائه وصفاته ومعنىٰ هذه الكلمة: نفي الإلهية عن كل شيء سوىٰ ما استثني بها وهو الله تعالىٰ.

لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلَّا في حق من أتىٰ بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة، وقد ذكر الله سبحانه في سورة «براءة» وغيرها كثيرًا ممن يقولها ولم ينفعهم قولها، كحال أهل الكتاب والمنافقين علىٰ كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم، فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود.

فمنهم: من يقولها جاهلًا بما وضعت له، وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، والصدق والإخلاص وغيرها. كعدم القبول ممن دعي إليها علمًا وعملًا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه كحال أكثر من يقولها قديمًا وحديثًا، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر.

ومنهم: من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوىٰ أو غير ذلك من الأسباب وهي كثيرة، منها: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وأما أهل الإيمان الخالص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودها التي قيدت بها علمًا ويقينًا، وصدقًا وإخلاصًا ومحبة وقبولًا وانقيادًا، وعادوا فيه ووالوا فيه وأحبوا فيه وأبغضوا فيه. وقد ذكرهم الله تعالىٰ في مواضع من سورة «براءة» وغيرها وخصهم بالثناء عليهم والعفو عنهم، وأعد لهم جنته وأنجاهم من النار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهؤلاء ومن اتبعهم هم =

السبع ومن فيهنَّ من العُمَّار غير الله تعالىٰ، والأرضين السبع ومن فيهن، وُضعوا في كفة الميزان ولا إله إلَّا الله في الكِفَّة الأُخرىٰ، مالت بهنَّ لا إله إلَّا الله.

ورویٰ الإمامُ أحمد، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(١).

قوله: «**فِي كِفَّةٍ**» هو بكسر الكاف وتشديد الفاء، أي: كِفَّة الميزان.

قوله: «**مَالَتْ بِهِنَّ**» أي: رجحت. وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله الذي هو أفضل الأعمال. وأساسُ الملة والدين، فمن قالها بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها، واستقام علىٰ ذلك، فهذه الحسنة لا يوازنها شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣].

ودلَّ الحديثُ علىٰ أنَّ لا إله إلا الله أفضلُ الذكر، كحديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٢) رواه أحمد والترمذي.

أهل: لا إله إلَّا الله، وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم وما أعد لهم في الدار الآخرة.

فمن تدبر القرآن وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وإيثار ما يحبه تعالىٰ رغبة وعملًا، وترك ما يكرهه خشية ورجاء، واعتبر الناس بأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وما هم فيه من التفاوت البعيد، تبين له خطأ المغرورين؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ الْأَمَانِيَّ**». [الفقي].

(١) **إسناده صحيح:** رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٩ – ١٧٠، ٢٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨ – ٤٩)، وغيرهم من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا، وفي بعض الطرق بإسقاط عطاء بن يسار وفي البعض الآخر أظنه عن عطاء والصواب إثباته والله أعلم.

(٢) **حسنه الشيخ الألباني:** في «الصحيحة» (١٥٠٣) ورواه مالك في «الموطأ» (١/ ٢١٤ – ٢١٥، ٤٢٢ – ٤٢٣)، ومن طريقه البيهقي في «السنن» (٥/ ١١٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ١٥٧). عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلًا بإسناد صحيح، ورواه الترمذي (٣٥٨٥) من طريق حماد بن أبي حميد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

وعنه أيضًا مرفوعًا: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يُقَالُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيُقَالُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا، فَيُقَالُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَـذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَـذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ»(١) رواه الترمذيُّ وحسَّنه. والنسائي وابنُ حبان والحاكم. وقال: صحيحٌ علىٰ شرط مسلم، وقال الذهبيُّ في «تلخيصه»: صحيح.

قال ابنُ القيِّم رحمه الله تعالىٰ: فالأعمالُ لا تتفاضلُ بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورةُ العملين واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض.

قال: تأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعةٌ وتسعون سجلًّا كل سجلّ منها مدُّ البصر، فتثقل البطاقةُ وتطيش السجلات، فلا يُعذَّب. ومعلومٌ أنَّ كلَّ موحِّدٍ له هذه البطاقة وكثيرٌ منهم يدخل النار بذنوبه.

قوله: (رواه ابنُ حبان والحاكم) ابنُ حبان اسمُه: محمَّد بن حِبَّان - بكسر المهملة وتشديد الموحَّدة - ابنُ أحمد بن حبان بن مُعاذ، أبو حاتم التميمي، البُستي الحافظ صاحبُ التصانيف: كـ«الصحيح»، و«التاريخ»، و«الضعفاء»، و«الثقات» وغير ذلك.

قال الحاكمُ: كان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عُقلاء الرجال. مات سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائة بمدينة بُست - بالمهملة -.

وأما الحاكمُ، فاسمُه: محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، أبو عبد الله الحافظ،

=

جده موصولًا. وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو ضعيف واهٍ. وله شاهد آخر من حديث ابن عمر عند العقيلي في «الضعفاء» (١٥١٨)، وفي إسناده فرج بن فضالة وهو ضعيف جدًّا، وروىٰ الطبراني في المناسك نحوه من حديث علي وفيه قيس بن الربيع قاله الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٥٣، ٢٥٤)، ورواه أحمد (٢/ ٢١٠) بلفظ: كان أكثر دعاء رسول الله يوم عرفة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ...» بإسناد الترمذي السابق وفيه نفس العلة.

(١) إسناده صحيح: وسبق.

ويُعرف بابن البَيِّع، وُلد سنة إحدىٰ وعشرين وثلاثمائة، وصنَّف التصانيف، كـ«المستدرك» و«تاريخ نيسابور» وغيرهما، ومات سنة خمسٍ وأربعمائة.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وللترمذي، وحسّنه، عن أنس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»**(١)(٢).

ش: ذكر المصنف رحمه الله تعالىٰ الجملة الأخيرة من الحديث، وقد رواه الترمذيُّ بتمامه فقال: عن أنس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا**

---

(١) حسن بشواهده: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، والبخاري في «التاريخ» (٣/ ٤٩٦)، والدارقطني في «الأفراد» (٦٥٤) (٢/ ١٥، ١٦) من أطرافها لابن طاهر ط. دار الكتب العلمية، من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن كثير بن فائد أخبرنا سعيد بن عبيد قال: سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول: أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ فذكره، وفي الإسناد كثير بن فائد ذكره ابن حبان في «الثقات» ولم يوثقه معتبر فهو مجهولٌ وسعيد بن عبيد روىٰ عنه جماعة، وقال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال البزار: ليس به بأس وخالفه أبو قتيبة سلم بن قتيبة في إحدىٰ الروايات عنه، فرواه عن سيعد بن عبيد فوقفه علىٰ أنس، قاله الدارقطني: كما في «الأطراف» (٢/ ١٦) ونقله عنه ابن رجب كما في «جامع العلوم والحكم» (صـ٤٧٤) ثم قال ابن رجب: قد رُوي عنه مرفوعًا وموقوفًا.

قلت: رواه مرفوعًا البخاري في «التاريخ» (٣/ ٤٩٦ - ٤٩٧)، والضياء في «المختارة» (١٥٧١، ١٥٧٢) من طريق يحيىٰ بن حكيم عن سلم به.

وهذا الرواية المرفوعة إسنادها حسن لكن يخشىٰ من الرواية الموقوفة التي أشار إليها الدارقطني. وتابعه علىٰ رفعه أيضًا سعيد مولىٰ بني هاشم. كما أشار إلىٰ ذلك الضياء وابن رجب. وأبو سعيد موسىٰ بني هاشم هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد الله البصري مولىٰ بني هاشم وهو لا بأس به. وقد تفرد بهذا الحديث سعيد بن عبيد الهنائي عن بكر المزني عن أنس.

ورواه ثابت بن أسلم عن أنس، ذكره ابن رجب وقال: قال: أبو حاتم: وهو منكر، وللحديث شواهد سيأتي ذكرها.

(٢) **في قرة العيون:** في هذا الحديث ما يبين معنىٰ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ التي رجحت بجميع المخلوقات، وجميع السيئات، وأن ذلك هو ترك الشرك قليله وكثيره، وذلك يقتضي كمال التوحيد فلا يسلم من الشرك إلَّا من حقق توحيده، وأتىٰ بما تقتضيه كلمة الإخلاص من العلم واليقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول والانقياد، وغير ذلك مما تقتضيه تلك الكلمة العظيمة كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]. [الفقي].

دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي...» الحديث.

الترمذي: اسمه محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة - بفتح المهملة - ابن موسىٰ بن الضحاك السُّلمي، أبو عيسىٰ، صاحب «الجامع» وأحد الحفاظ، كان ضرير البصر، روىٰ عن قُتيبةَ وهنَّادٍ والبخاري وخلق. مات سنة تسع وسبعين ومائتين.

وأنسُ: هو ابن مالك بن النَّضْر الأنصاري الخزرجي، خادمُ رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين، وقال له: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»[1] مات سنة اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة.

وقد رواه الإمامُ أحمد من حديث أبي ذرٍّ بمعناه، وهذا لفظهُ: «مَنْ عَمِلَ قُرَابَ الْأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَقِيَنِي لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَهَا مَغْفِرَةً»[2].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٣٧٩، ٦٣٨١)، ومسلم (٢٤٨٠، ٢٤٨١) دون قوله: «وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ» وانظر أحمد (٣/ ١٠٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٣)، وعبد بن حميد (١٢٥٥)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٨٧)، وابن سعد (٧/ ١٩)، وعند بعضهم «وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ - أَو اغْفِرْ لَهُ -».

(٢) حسن بشواهده: رواه أحمد (٥/ ١٦٧، ١٧٢)، والدارمي (٢٧٨٨)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٣٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٢) من طريق مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي ذر عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل قال: «ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ مَا كَانَ فِيكَ، ابْنَ آدَمَ إِنْ تَلْقَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، ابْنَ آدَمَ إِنْ تُذْنِبْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرْ لَكَ وَلَا أُبَالِي» وتابع غيلان عامر الأحول عن شهر به كما عند أحمد (٥/ ١٧٢) مختصرًا.

وفي الإسناد ابن حوشب وهو مختلف فيه وإن كان إلىٰ الضعف أقرب، ومعدي كرب روىٰ عنه اثنان ووثقه ابن حبان، ووقع في رواية الدارمي عمرو بن معدي كرب بدلًا من معدي كرب ثم إنه اختلف فيه علىٰ شهر بن حوشب فروىٰ عنه كما سبق، ورواه أحمد (٥/ ١٥٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٤١) من طريق عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن أبا ذر حدثه فذكره مرفوعًا، وفي الإسناد عبد الحميد بن بهرام صدوق اختلفوا فيه، فرواية غيلان عنه أوثق ولكن قدم بعض الأئمة رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن غيره.

ورواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٠) من طريق العلاء بن زيد عن شهر، =

ورواه مسلم[1]، وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ[2].

قوله: «**لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ**» بضم القاف: وقيل: بكسرها، والضم أشهر، وهو ملؤُها أو ما يقارب ملأها.

قوله: «**ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا**» شرطٌ ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك: كثيره وقليله، صغيره وكبيره. ولا يسلمُ من ذلك إلَّا من سلَّمه الله تعالىٰ، وذلك هو القلب السليم، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

قال ابنُ رجب: من جاء مع التوحيد بُقراب الأرض خطايا لقيه الله تعالىٰ بقرابها مغفرة - إلىٰ أن قال: - فإنْ كمُل توحيدُ العبد وإخلاصُه لله تعالىٰ فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرةَ ما قد سلف من الذنوب كلِّها، ومنعه من دخول النار بالكلية. فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبُه، أخرجت منه كلَّ ما سوىٰ الله تعالىٰ: محبةً وتعظيمًا، وإجلالًا ومهابةً وخشيةً وتوكلًا، وحينئذٍ تُحرقُ ذنوبُه وخطاياه كلها، وإنْ كانت مثلَ زبد البحر. انتهىٰ ملخصًا.

قال العلَّامةُ ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ في معنىٰ الحديث -: ويُعفىٰ لأهل التوحيد المحض - الذي لم يشوبوه بالشرك - ما لا يُعفىٰ لمن ليس كذلك. ولو لقي الموحِّدُ الذي لم

عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، فذكره مرفوعًا، والعلاء متروك وقد خالف غيلان وعبد الحميد بن بهرام، وقد صح عن أبي ذر نحوه مختصرًا، وسبق شاهد أنس بن مالك وبه يحسن.

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٨٧)، وذكر الحديث وفيه: «وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

(٢) **إسناده ضعيف جدًّا والحديث حسن لغيره:** رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٦)، وفي «الأوسط» (٥٤٧٩)، وفي «الصغير» (٢/ ١٠٢٠) من طريق إبراهيم بن إسحاق العيني عن قيس بن الربيع عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره مرفوعًا وإبراهيم بن إسحاق العيني متروك.

وروىٰ الحاكم (٤/ ٢٦٢) نحوه مختصرًا من طريق حفص بن عمر العدني ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس فذكره مرفوعًا. وحفص بن عمر العدني ضعيف واهٍ. وتابع حفص بن عمر العدني إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه به كما عند عبد بن حميد في «المنتخب» (٦٠٠)، وإبراهيم بن الحكم متروك.

يُشرك بالله شيئًا ألبتَّة ربَّه بقُراب الأرض خطايا أتاه بقُرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده.

فإنَّ التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقىٰ معه ذنبٌ؛ لأنه يتضمَّنُ من محبة الله وإجلاله وتعظيمه، وخوفه ورجائه وحده ما يوجبُ غسل الذنوب ولو كانت قرابَ الأرض، فالنجاسةٌ عارضة والدافع لها قوي. انتهىٰ.

وفي هذا الحديث: كثرةُ ثواب التوحيد، وسعةُ كرم الله وجوده ورحمته، والردُّ علىٰ الخوارج الذين يكفِّرون المسلم بالذنوب، وعلىٰ المعتزلة القائلين: بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون ليس بمؤمنٍ ولا كافر، ويُخلَّد في النار.

والصواب: قولُ أهل السنة: أنه لا يُسلب عنه اسم الإيمان، ولا يُعطاه علىٰ الإطلاق، بل يقال: هو مؤمنٌ عاصٍ، أو مؤمنٌ بإيمانه، فاسق بكبيرته. وعلىٰ هذا يدلُّ الكتاب والسُّنة وإجماعُ سلف الأمة.

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما أُسري برسول الله ﷺ انتُهي به إلىٰ سِدرةِ المُنتهىٰ، فأعطي ثلاثًا: أُعطي الصلوات الخمس، وخواتيمَ سورة «البقرة»، وغُفر لمن لا يشرك بالله من أُمَّته شيئًا: المُقْحِمات[1]، رواه مسلم.

قال ابن كثير - في تفسيره -: وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، والنسائي، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المدثر: ٥٦] وقال: «**قَالَ رَبُّكُمْ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَىٰ فَلَا يُجْعَلْ مَعِي إِلَهٌ، فَمَنِ اتَّقَىٰ أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلَهًا كَانَ أَهْلًا أَنْ أَغْفِرَ لَهُ**»[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣).

(٢) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٣٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٩٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» كما في «تحفة الأشراف» (١/ ١٣٩)، وأحمد (٣/ ١٤٢، ٢٤٣)، والدارمي (٢/ ٣٠٢، ٣٠٣)، والحاكم (٢/ ٥٠٨)، وغيرهم من طريق سهيل بن عبد الله القطعي وهو أخو حزم بن أبي حزم القطعي عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعًا.

قال أبو عيسىٰ (الترمذي): هذا حديث حسن غريب وسهيل ليس بالقوي في الحديث وقد تفرد سهل بهذا الحديث عن ثابت.

قلت: سهل بن أبي حزم القطعي ضعيف.

=

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: تأَمّل الخمسَ اللواتي في حديث عُبادة، فإنك إذا جمعت بينه وبيّن حديث عتبان تبين لك معنىٰ قول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ). وتبين لك خطأ المغرورين.**

وفيه: أنَّ الأنبياء يحتاجون للتنبيه علىٰ فضل لا إله إِلَّا الله، والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أنَّ كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

وفيه: إثبات الصفات خلافًا للمعطلة.

وفيه: أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أنَّ قوله في حديث عتبان: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**» أنّه ترك الشرك، ليس قولها باللسان. انتهىٰ.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية (٨٢) التي في سورة «الأنعام».

الخامسة: تأمّل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنىٰ قول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وتبين لك خطأ المغرورين [١].

=

ورواه الخطيب في «التاريخ» (٥/ ٥٢ - ٥٣) من طريق آخر عن أنس وفيه أحمد بن محمد بن عبد الله النجار.

قال الحافظ: قال الخطيب وابن طاهر: كان غير ثقة روىٰ أحاديث باطلة كما في «اللسان» (١/ ٣٧٤ ط دار المؤيد).

(١) كثير من الناس يخطئون في فهم أحاديث: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**» فيظنون بأن التلفظ بها يكفي وحده للنجاة من النار ودخول الجنة، وليس كذلك، فإن من يظن ذلك من المغرورين لم يفهم «لا إله إِلَّا الله» لأنه لم يتدبرها. إذ أن حقيقة معناها: البراءة من كل معبود، والتعهد بتجريد كل أنواع العبادة لله سبحانه وحده، والقيام بها علىٰ الوجه الذي يحبه ويرضاه. فمن لم يقم بحقها من العبادة، أو قام ببعض أنواع العبادة، ثم عبد مع الله غيره من دعاء الأولياء والصالحين والنذر لهم ونحو ذلك؛ فإنه يكون هادمًا لها، فلا تنفعه دعواه ولا تغني عنه شيئًا، ولو كان مجرد قولها كافيًا لم يقع من المشركين ما وقع من محاربة الرسول ﷺ ومعاداته. قال الله

=

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان[1].

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه علىٰ فضل لا إله إلَّا الله.

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص علىٰ أن الأرضين سبع كالسموات.

الحادية عشرة: أن لهن عُمارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِـذَلِكَ وَجْـهَ اللهِ**» أنـه تـرك الـشرك، لـيس قولهـا باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسىٰ ومحمد عبدي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسىٰ بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: «**عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

* * *

= تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]وقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦] فمن لم يوف بها ويعمل بمقتضاها لا ينفعه التلفظ. وكل من جعل شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فهو إما جاهل بمعناها، أو كاذب في ادعائه الإيمان، وأولئك هم المغرورون: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤] [الفقي].

(١) هو قوله: «يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ» ومن قالها يبتغي بها وجه الله لابد أن يعمل ويخلص عمله لله. [الفقي].

(٢)

بَابُ: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** بابٌ من حقَّق التوحيدَ دخل الجنَّةَ بغير حساب.

ش: أي: ولا عذاب.

قلتُ: تحقيقه تخليصُه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي(١).

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: قال الله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

ش: وصف إبراهيم – عليه السلام – بهذه الصفات التي هي الغايةُ في تحقيق التوحيد:

الأولىٰ: أنَّه كان أُمَّةً، أي: قدوةً وإمامًا مُعلِّمًا للخير. وما ذاك إلَّا لتكميله مقام الصبر واليقين اللَّذين تُنال بهما الإمامةُ في الدين.

---

(١) في قرة العيون: وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلَّا في أهل الإيمان الخلص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالىٰ في يوسف – عليه السلام –: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤] بفتح اللام، وفي قراءة (المخلِصين) بكسرها، وهم في صدر هذه الأمة كثيرون وفي آخرها هم الغرباء، وقد قلوا، وهم الأعظمون قدرًا عند الله. وقال تعالىٰ عن خليله – عليه السلام –: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨ – ٧٩] أي: أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والأرض أي: خلقهما وابتدعهما علىٰ غير مثال سبق ﴿حَنِيفًا﴾ أي: في حال كوني حنيفًا، أي: مائلًا عن الشرك إلىٰ التوحيد. ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير. كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في الآية: يقول تعالىٰ مخبرًا عمن أسلم وجهه لله أي: أخلص له العمل وانقاد لأوامره واتبع شرعه، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله واتباع ما أمر به وترك ما نهىٰ عنه وزجر. فدلت هذه الآية العظيمة علىٰ أن كمال الإخلاص إنما يوجد بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله كما تقدم في الباب قبل هذا. [الفقي].

الثانيةُ: قوله: ﴿قَانِتًا﴾ قال شيخُ الإسلام: القُنوتُ: دوامُ الطاعة، والمُصلي إذا أطال قيامُه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت. قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]. انتهىٰ ملخصًا.

الثالثة: أنه كان حنيفًا.

قلت: قال العَلامةُ ابن القيم: الحنيف المُقبلُ علىٰ الله، المعرِضُ عن كل ما سواه. انتهىٰ.

الرابعة: أنه ما كان من المشركين، أي: لصحة إخلاصه وكمالِ صدقه، وبُعدِهِ عن الشرك[1].

---

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة في الوجه (١٤٧) من فضل العلم: (إن الله أثنىٰ علىٰ إبراهيم خليله بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] الآية. فهذه أربعة أنواع من الثناء، افتتحها بأنه ﴿أُمَّةً﴾ وهو القدوة الذي يؤتم به. قال ابن مسعود: (الأمة: المعلم للخير) وهي فعلة - بضم الفاء - من الائتمام كالقدوة، وهو الذي يقتدىٰ به. والفرق بين (الأمة) و (الإمام) من وجهين: أحدهما: أن الإمام كل ما يؤتم به، سواء كان بقصده وشعوره أو لا، ومنه سمي الطريق إمامًا. كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: ٧٨ - ٧٩] أي: بطريق واضح لا يخفىٰ علىٰ السالك. ولا يسمىٰ الطريق أمة. الثاني: أن (الأمة) فيه زيادة معنىٰ. وهو الذي جمع صفات الكمال في العلم والعمل، وهو الذي بقي فيها فردًا وحده، فهو الجامع لخصال تفرقت في غيره، فكأنه باين غيره باجتماعها فيه، وتفرقها أو عدمها في غيره. ولفظ (الأمة) يشعر بهذا المعنىٰ، لما فيه من الميم المضعفة الدالة علىٰ الضم بمخرجها وتكريرها، وكذلك ضم أوله. فإن الضمة من الواو ومخرجها، فيضم عند النطق بها. وأتىٰ بالتاء الدالة علىٰ الوحدة كالغرفة واللقمة. ومنه الحديث: «إن زيد بن عمرو بن نفيل يبعث يوم القيامة أمة وحده» فالضم والاجتماع لازم لمعنىٰ الأمة. ومنه سميت الأمة التي هي آحاد الأمم، لأنهم الناس المجتمعون علىٰ دين واحد أو في عصر واحد. الثاني: قوله: ﴿قَانِتًا﴾ قال ابن مسعود: (القانت): المطيع. والقنوت يفسر بأشياء كلها ترجع إلىٰ دوام الطاعة. الثالث: قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ والحنيف: المقبل علىٰ الله. ويلزم من هذا المعنىٰ ميله عما سواه، فالميل لازم معنىٰ الحنيف، لا أنه موضوعه لغة. الرابع: قوله: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ والشكر للنعم مبني علىٰ ثلاثة أركان: الإقرار بالنعمة، وإضافتها إلىٰ المنعم بها، وصرفها في مرضاته والعمل فيها بما يجب. فلا يكون العبد شاكرًا إلَّا بهذه الثلاثة.

والمقصود: أنه سبحانه مدح خليله بأربع صفات كلها ترجع إلىٰ العلم والعمل بموجبه وتعليمه ونشره، فعاد الكمال كله إلىٰ العلم والعمل بموجبه ودعوة الخلق إليه). اهـ.

وقال في قرة العيون: قال العماد ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ -: يمدح الله تعالىٰ عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام =

قلتُ: يوضِّح هذا قولُه تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾[الممتحنة: ٤] أي: علىٰ دينه من إخوانه المرسلين، قاله ابن جرير - رحمه الله تعالىٰ -.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[الممتحنة: ٤]، وذكر تعالىٰ عن خليله - عليه السلام - أنه قال لأبيه آزر: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾[مريم: ٤٨ - ٤٩].

فهذا هو تحقيقُ التوحيد. وهو البراءة من الشرك وأهله، واعتزالهم والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم. فالله المُستعان.

الحنفاء: بتبرئته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية. و(الأمة) هو الإمام الذي يقتدىٰ به. و(القانت) هو الخاشع المطيع، والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلىٰ التوحيد، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠]. وقال مجاهد: كان إبراهيم أمة أي: مؤمنًا وحده، والناس كلهم إذ ذاك كفار.

قلت: وكلا القولين حق. فقد كان الخليل - عليه السلام - كذلك. وقول مجاهد - والله أعلم - لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوته ورسالته عليه السلام، فمدحه الله تعالىٰ بتبرئته من المشركين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤١ - ٤٢] [إلى الآيات: ٤٣- ٥٠]، وقوله ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤] [إلى الآيات: ٨٥- ١١٣] فهذا - والله أعلم - كان في ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام ولم يكن إذ ذاك علىٰ وجه الأرض مسلم غيره. وبذلك جاء الحديث.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته وكسر الأصنام، وصبر علىٰ ما أصابه في ذات الله. وهذا هو تحقيق التوحيد وهو أساس الدين ورأسه. كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾[البقرة: ١٣١] وأنت تجد أكثر من يقول ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويدعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته. بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم، ويحبهم ويواليهم، ويخافهم ويرجوهم، وينكر علىٰ من دعا إلىٰ عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يعد التوحيد علمًا ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته فالله المستعان[الفقي].

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى في هذه الآية:** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ **لئلاَ يستوحشَ سالكُ الطريقِ من قلةِ السَّالكين** ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ **لا للملوك ولا للتجار المترفين** ﴿حَنِيفًا﴾ **لا يميل يمينًا ولا شمالًا، كفعل العُلماء المفتونين** ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ **خلافًا لمن كثَّر سوادهم، وزعم أنَّه من المسلمين. انتهىٰ.**

وقد روىٰ ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ علىٰ الإسلام. ولم يكن في زمانه أحدٌ علىٰ الإسلام غيرُه[(١)].

قلت: ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدَّم: من أنه كان إمامًا يُقتدىٰ به في الخير.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون: ٥٩][(٢)].

ش: وصَفَ المؤمنين السابقين إلىٰ الجنةِ فأثنىٰ عليهم بالصفات التي أعظمُها: أنهم بربهم لا يشركون. ولما كان المرءُ قد يَعرض له ما يقدحُ في إسلامه: من شركٍ جَلي أو خفي، نفىٰ ذلك عنهم، وهذا هو تحقيقُ التوحيد الذي حسُنت به أعمالهم وكمُلت ونفعَتْهم.

قلتُ: قوله: حسُنت وكملت هذا باعتبار سلامتهم من الشرك الأصغر، وأمَّا الشركُ الأكبر فلا يُقال في تركه ذلك، فتدبر. ولو قال الشارح: صحَّت لكان أقوم.

قال ابنُ كثير: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: لا يعبدون مع الله غيره، بل يوحِّدونه ويعلمون أنه: لا إله إلَّا الله، أحدٌ صمد، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأنه لا نظير له[(٣)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٧٦).

(٢) **في قرة العيون:** قال العماد ابن كثير: أي: مع إحسانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله وخائفون وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: (المؤمن من جمع إحسانًا وشفقًا، والمنافق من جمع إساءة وأمنًا). ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨﴾ [المؤمنون: ٥٨]، أي: يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية لقوله تعالىٰ عن مريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: ١٢]، أي: أيقنت أن ما كان فهو من قدر الله وقضائه، وما شرعه الله إن كان أمرًا فهو ما يحبه الله ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو ما يكرهه ويأباه، وإن كان خبرًا فهو حق.[الفقي].

(٣) **في قرة العيون:** فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد ومعرفته علىٰ الحقيقة ومحبته وقبوله والدعوة إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد: ٣٦]، وتضمنت هذه الآية كمال التوحيد

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** عن حُصين بن عبد الرحمن قال: كنتُ عند سعيد بن جُبير، فقال: أيُّكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة؟ فقلتُ: أنا. ثم قلتُ: أما إني لم أكُن في صلاة، ولكني لُدغتُ. قال: فماذا صنعت؟ قلتُ: ارتقيتُ. قال: فما حملك على ذلك؟ قلتُ: حديثٌ حدَّثناه الشَّعبي، قال: وما حدثكم؟ قلتُ: حدَّثنا عن بُريدة بن الحُصَيْب، أنه قال: «لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ» قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدَّثنا ابنُ عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَـٰذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك. فقال بعضهم: فلعلَّهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلَّهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فقام عُكَّاشة بن مِحْصَن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أَنْتَ مِنْهُمْ». ثم قام رجلٌ آخر فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

ش: هكذا أورده المصنفُ غيرَ مَعزُوٍّ، وقد رواه البخاريُّ مختصرًا ومطولًا، ومسلم واللفظ له، والترمذي والنسائي.

قوله: (عن حصين بن عبد الرحمن) هو السُّلمي[2]، أبو الهذيل الكوفي. ثقةٌ، مات سنة ستٍ وثلاثين ومائة، وله ثلاثٌ وتسعون سنة.

وتحقيقه وبالله التوفيق. [الفقي].

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤١٠) مختصرًا وانظر أطرافه (٥٧٠٥ و ٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠)، واللفظ له والترمذي (٢٤٤٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٤١٠) من حديث بريدة بن الحصيب.

(٢) **في قرة العيون:** الحارثي، من تابعي التابعين. عن الشعبي. [الفقي].

وسعيد بن جُبير: هو الإمامُ الفقيه من جلَّة أصحاب ابن عباس، روايتُه عن عائشة وأبي موسىٰ مُرسلة. وهو كوفيٌّ مولىٰ لبني أَسَد، قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يُكمل الخمسين.

قوله: (**انقضَّ**) هو بالقاف والضَّاد المُعجمة أي: سقط. والبارحة هي أقربُ ليلةٍ مضت. قال أبو العباس ثعلب: يقال قبل الزوال: رأيتُ الليلة، وبعد الزوال: رأيتُ البارحة، وكذا قال غيرُه، وهي مُشتقَّةٌ من بَرِح إذا زال.

قوله: (**أما إني لم أكن في صلاة**) قال في «مغني اللبيب»: أمَا بالفتح والتخفيف، علىٰ وجهين: أحدُهما: أن تكون حرفَ استفتاح بمنزلة ألا، فإذا وقعت «أنّ» بعدها كُسرت. الثاني: أنْ تكون بمعنىٰ حقًّا، أو أحقًّا.

وقال آخرون: هي كلمتان: الهمزةُ للاستفهام، و(ما) اسمٌ بمعنىٰ: شيء، ذلك الشيءُ حقٌّ، فالمعنىٰ أحقًّا؟ وهذا هو الصواب.

وموضع (ما): النصب علىٰ الظرفية، وهذه تُفتح (أنّ) بعدها. انتهىٰ.

والأنسب هنا هو الوجه الأول.

والقائلُ هو حُصين، خاف أنْ يظنَّ الحاضرون: أنَّه رآه وهو يُصلي، فنفىٰ عن نفسه إيهام العبادة، وهذا يدل علىٰ فضل السلف، وحرصِهم علىٰ الإخلاص، وبعدهم عن الرياء والتزيُّن بما ليس فيهم.

قوله: (**ولكني لُدغت**) بضم أوَّله وكسر ثانيه. قال أهلُ اللغة: يُقال: لدغته العقربُ، وذوات السموم: إذا أصابته بسُمِّها، وذلك بأنْ تأبره بشوْكتها.

قوله: (**قلتُ: ارتقيت**) لفظُ مسلم: (استرقيتُ) أي: طلبت من يرقيني.

قوله: (**فما حملك علىٰ ذلك**)؟ فيه طلبُ الحجةِ علىٰ صحة المذهب.

قوله: (**حديثٌ حدثناه الشعبيُّ**) اسمُه: عامر بن شُرَاحيل الهمداني، وُلد في خلافة عمر، وهو من ثقات التابعين وفقهائهم[1] مات سنة ثلاث ومائة.

---

(١) روىٰ عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم. وعن أبي هريرة وعائشة وجرير وابن عباس وخلق. قال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء. يعني: أنه كان معتنيًا بالحفظ. [الفقي].

قوله:(عن بُريدة) بضم أوّله وفتح ثانيه، تصغيرُ بُردة. (ابن الحصيب) - بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين - ابن الحارث الأسلمي، صحابيٌّ شهير. مات سنة ثلاثٍ وستين. قاله ابنُ سعد.

قوله:«لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ». وقد رواه أحمدُ وابن ماجه عنه مرفوعًا[(١)].ورواه أحمدُ وأبو داود والترمذي عن عمران بن حصين به مرفوعًا[(٢)]. قال الهيثميُّ: رجالُ أحمد ثقات.

و(العين):هي إصابةُ العائن غيره بعينه. و(الحُمة) - بضمِّ المهملة وتخفيف الميم - سمُّ العقرب وشبهها.

قال الخطابي:ومعنىٰ الحديث: لا رُقية أشفىٰ وأولىٰ من رُقية العين والحمة، وقد رقىٰ النبيُّ ﷺ ورُقي.

قوله:(قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع) أي: من أخذ بما بلغه من العلم، وعمل به فقد أحسن بخلاف من يعملُ بجهل، أوْ لا يعمل بما يعلم؛ فإنَّه مسيءٌ آثم.

وفيه:فضيلةُ علم السَّلف وحُسنُ أدبهم[(٣)].

---

(١) **صحيح لغيره**:وقد جاء مرفوعًا من طريق بريدة قال: قال رسول الله ﷺ **«لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»** كما عند ابن ماجه (٣٥١٣)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٤٨)، والترمذي معلقًا علىٰ إثر حديث (٢٠٥٧) من طريق شعبة وأبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة عن النبي ﷺ

وخالفهما هشيمٌ فرواه عن حصين عن الشعبي عن بريدة موقوفًا كما في رواية مسلم السابقة، وهناك أوجه أخرىٰ ذكرها ابن أبي حاتم في «العلل».

وصح عند البخاري (٥٧٤١) من حديث عائشة بلفظ: **«رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة»** وعند مسلم (٢١٩٦) من حديث أنس بلفظ: «رخص في الحمة والنملة والعين».

(٢) **إسناده صحيح**:رواه أبو داود (٣٨٨٤)، وأحمد (٤/ ٤٣٦)، والحميدي (٨٣٦)، والترمذي (٢٠٥٧)، وغيرهما من طريق حصين عن الشعبي عن عمران بن حصين فذكره مرفوعًا. **«لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»** وإسناده صحيح. وله شاهد من حديث سهيل بن حنيف من طريق الرباب قالت: سمعت سهيل بن حنيف فذكره مرفوعًا كما عند أبي داود (٣٨٨٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٨٦)، وفي إسنادهما الرباب وهي مجهولة.

(٣) **في قرة العيون**:فيه حسن الأدب مع العلم وأهله، وأن من فعل شيئًا سئل عن مستنده في فعله هل كان مقتديًا أم لا؟ ومن لم يكن معه حجة شرعية فلا عذر له بما فعله، ولهذا ذكر ابن عبد البر الإجماع علىٰ أن المقلد ليس من أهل العلم. فتفطن لهذا. [الفقي]

قوله: (ولكن حدثنا ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابنُ عم النبي ﷺ. دعا له فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[(١)(٢)] فكان كذلك. مات بالطائف سنة ثمانٍ وستين.

قال المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه عُمقُ علمِ السلف لقوله: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ولكن كذا وكذا. فعُلِمَ أنَّ الحديث الأول لا يخالفُ الثاني.

قوله: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ» وفي الترمذي والنسائي - من رواية عَبْثر بن القاسم، عن حُصين بن عبد الرحمن -: أن ذلك كان ليلة الإسراء[(٣)].

قال الحافظ: فإنْ كان ذلك محفوظًا كان فيه قوَّةٌ لمن ذهب إلىٰ تعدد الإسراء، وأنه وقع بالمدينة أيضًا[(٤)].

قلتُ: وفي هذا نظر.

قوله: «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ» والذي في «صحيح مسلم» «**الرُّهَيْطُ**» بالتصغير لا غير، وهم الجماعةُ دون العشرة. قاله النووي.

قوله: «وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ ولَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ» فيه الردُّ علىٰ من

---

(١) رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه. [الفقي].

(٢) **إسناده صحيح:** رواه أحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠٦٦٤)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٩٤) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به، والحديث في البخاري (١٤٣٠) ومسلم (٢٤٧٧) بلفظ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

(٣) **إسناده صحيح:** رواه الترمذي (٢٤٦)، والنسائي في الكبرىٰ كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٤١٠) من طريق عبثر بن القاسم عن حصين به.

(٤) **في قرة العيون:** فالله أعلم متىٰ عرضت، وعرضها أن الله تبارك وتعالىٰ أراه مثالها إذا جاءت الأنبياء ومن تبعهم. فمن نجا بالإيمان بالله وما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم، وهو عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، والأخذ بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه كما قال تعالىٰ عن قوم نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝﴾ [نوح: ٢ - ٣] فعبادته وتوحيده وطاعته بامتثال ما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه، وطاعة رسوله. هذا هو الدين، أن لا يعبد إلَّا الله، وأن لا يعبد الله إلَّا بما شرع، فعلًا وتركًا، وأن يقدم طاعة رسوله علىٰ ما يحبه ويهواه. [الفقي].

احتج بالكثرة[١].

قوله: «**إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ**» المراد به هنا: الشخص الذي يُرىٰ من بعيد.

قوله: «**فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي**»؛ لأن الأشخاص التي تُرىٰ في الأُفق لا يدرك منها إلَّا الصورة.

وفي «صحيح مسلم»: «**وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ**» ولم يذكره المصنف، فلعلَّه سقط من الأصل الذي نقل الحديث منه. والله أعلم.

قوله: «**فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ**» أي: موسىٰ بن عمران، كليم الرحمن، وقومه: أتباعُه علىٰ دينه من بني إسرائيل[٢].

قوله: «**فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، أي: لتحقيقهم التوحيد.

وفي رواية ابن فضيل: «**وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ سَبْعُونَ أَلْفًا**».

وفي حديث أبي هريرة في «الصحيحين»: أنهم «**تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ**

---

(١) في قرة العيون: أي: يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾ [الحجر: ١٠ - ١١] وفيه دليل علىٰ أن الناجي من الأمم هم القليل، والأكثرون غلبت عليهم الطبائع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ۝١٠٢﴾ [الأعراف: ١٠٢] وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ۝٤٢﴾ [الروم: ٤٢] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير. والناجون - وإن كانوا أقل القليل - فهم السواد الأعظم؛ فإنهم الأعظمون قدرًا عند الله وإن قلوا. فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة وقد اغتر بهم كثيرون حتىٰ بعض من يدعي العلم، اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهال الضلال ولم يلتفتوا إلىٰ ما قاله الله ورسوله. [الفقي].

(٢) في قرة العيون: فيه فضيلة أتباع موسىٰ من بني إسرائيل ممن آمن منهم بالرسل، والكتب التي أنزلها الله: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان وغيرها. وكانت بنو إسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الأنبياء، ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود، وهذا الحديث يدل علىٰ أن التابع لموسىٰ - عليه السلام - كثيرون جدًّا، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ [الجاثية: ١٦]، أي: في زمانهم. وذلك أن في زمانهم وقبله ممن كفر بالله خلقًا لا يحصون، كحزب جالوت وبختنصر وأمثالهم. ففضل الله بني إسرائيل بالإيمان فصاروا أفضل أهل زمانهم، وحدث فيهم ما ذكر الله في سورة «البقرة» وغيرها من معصيتهم لأنبيائهم واختلافهم في دينهم، وقد ذكره الله تعالىٰ محتجًا به علىٰ اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، فتدبر ما ذكره الله تعالىٰ من أحوالهم بعد الاختلاف. [الفقي].

الْبَدْرِ»[١]. وروىٰ الإمامُ أحمد والبيهقي في حديث أبي هريرة: «فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا»[٢]. قال الحافظُ: وسندُه جيد[٣].

قوله: (ثم نهض) أي: قام.

قوله: (فخاض الناس في أولئك) هذا من العامِّ الذي أريد به الخصوص، أي: جملة الحاضرين. خاض: بالخاء والضاد المعجمتين.

وفي هذا: إباحةُ المناظرة والمُباحثة في نصوص الشرع، علىٰ وجه الاستفادة وبيان الحق.

وفيه: عمق علم السلف، لمعرفتهم أنَّهم لم ينالوا ذلك إلَّا بعملٍ.

وفيه: حرصُهم علىٰ الخير. ذكره المصنف[٤].

قوله: (فقال: «هُم الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ») هكذا ثبت في «الصحيحين» وهو كذلك في

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٨١١، ٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

(٢) صحيح بشواهده: رواه أحمد (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في «كتاب البعث» رقم (٤١٦)، وفي الإسناد زهير بن محمد وفيه ضعف.

ولكن روايات غير أهل الشام عنه مستقيمة والراوي عنه يحيىٰ بن أبي بكير كوفي بغدادي، وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤١٠) سنده جيد. اهـ.

وللحديث شواهد من حديث أبي أمامة، وعتبة بن عبد السلمي وأبي سعيد الأنماري وغيرهم، وقد تكلمت عليها في تحقيقي «لحادي الأرواح» (صـ١٦٧، ١٧٠) وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٤٨٦) لشواهده.

(٣) **في قرة العيون:** فيه فضيلة هذه الأمة وأنهم أكثر الأمم تابعًا لنبيهم ﷺ، وقد كثروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، فملأوا القرىٰ والأمصار والقفار، وكثر فيهم العلم، واجتمعت لهم الفنون في العلوم النافعة، فما زالت هذه الأمة علىٰ السنة في القرون الثلاثة المفضلة، وقد قلوا في آخر الزمان.

قال شيخنا - رحمه الله تعالىٰ - في مسائله: «وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية، فالكمية الكثرة والعدد، والكيفية فضيلتهم في صفاتهم». [الفقي].

(٤) **في قرة العيون:** وفيه أيضًا فضل الصحابة رضي الله عنهم في مذاكرتهم العلم وحرصهم علىٰ فهم ما حدثهم به نبيهم ﷺ حرصًا علىٰ العمل به، وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل؛ لأنهم قالوا ما قالوا باجتهادهم، ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم، لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه، بل يقول: لعل الحكم كذا وكذا كقول الصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث. [الفقي].

حديث ابن مسعود في «مسند أحمد»[(١)]. وفي رواية لمسلم: «وَلَا يَرْقُونَ»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: هذه الزيادةُ وهمٌ من الراوي، لم يَقُل النبيُّ ﷺ: «لَا يَرْقُونَ»، وقد قال النبيُّ ﷺ – وقد سُئل عن الرُّقي –: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»[(٣)(٤)].

وقال: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا»[(٥)(٦)].

قال: وأيضًا، فقد رقىٰ جبريلُ النبيَّ ﷺ[(٧)] ورقىٰ النبيُّ ﷺ أصحابه[(٨)(٩)].

---

(١) صحيح: مسند أحمد (١/ ٤٠١، ٤٠٣، ٤٢٠) من طرق عن ابن مسعود.

(٢) الحديث صحيح دون قوله «لَا يَرْقُونَ»: رواه مسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان، باب دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأبو عوانة في «مستخرجه» (١/ ٥٨) من طريق سعيد بن منصور حدثنا هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فذكره وفيه لفظ: «لَا يَرْقُونَ».
ولكن رواه الأكثر بدون لفظ: «لَا يَرْقُونَ»، فقد خالف سعيد بن منصور أسيد بن زيد عند البخاري (٦٥٤١)، وسريح بن النعمان عند أحمد (١/ ٢٧١)، وشجاع «وهو ابن مخلد الفلاس» عند أحمد (١/ ٢٧١)، وزكريا بن يحيىٰ عند البيهقي في «الإيمان» (١١٢٢) رووه جميعًا عن هشيم عن حصين عن سعيد بن عباس بدون لفظ: «لَا يَرْقُونَ» وقد تابع هشيمًا علىٰ ذلك حصين بن نمير عند البخاري (٥٧٥٢)، ومحمد بن فضيل عند البخاري (٦٥٤١)، وشعبة عند البخاري (٦٤٧٢)، وعبثر بن القاسم عند الترمذي (٢٤٤٦) رووه جميعًا عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد عن ابن عباس، بدون لفظ: «لَا يَرْقُونَ» وللحديث طرق أخرىٰ عن ابن مسعود عند أحمد (١/ ٤٠١، ٤٠٣، ٤٥٤)، و(٤/ ٤٣٦)، والبزار (٤/ ٢٠٣) «كشف الأستار» وعبد الرزاق (١٠/ ٤٠٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٧)، وغيرهم، وجاء عن عمران بن حصين عند مسلم (٢١٨)، وأبي هريرة عند ابن حبان (١٤٠٩) «موارد» كلهم ذكروا الحديث بدون لفظ: «لَا يَرْقُونَ» وقد حكم عليها شيخ الإسلام بأنها غلط من بعض الرواة، وحكم عليها بالشذوذ الشيخ الألباني كما في «صحيح الجامع» (٣٩٩٩).

(٣) رواه مسلم والإمام أحمد وابن ماجة عن جابر رضي الله عنه. [الفقي]

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٩٩) من حديث جابر.

(٥) رواه مسلم وأبو داود عن عوف بن مالك. [الفقي]

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٠).

(٧) صحيح: رواه مسلم في «صحيحه» (٢١٨٦).

(٨) صحيح: رواه البخاري (٥٧٤٥، ٥٧٤٦)، ومسلم (٢١٩٤).

(٩) رقىٰ جبريل النبي ﷺ من السحر، كما في البخاري من حديث عائشة. وقد ثبت في البخاري وغيره رقىٰ كثيرة من قول النبي ﷺ عن عائشة وأنس وابن مسعود وغيرهم. [الفقي]

قال: والفرقُ بين الراقي والمُسترقي: أنَّ المُسترقي سائلٌ مستعطٍ ملتفتٌ إلىٰ غير الله بقلبه، والراقي مُحسن.

قال: وإنما المراد وصفُ السبعين ألفًا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرَهم أن يرقيهم ولا يكويهم. وكذا قال ابن القيم[١].

قوله: «**وَلَا يَكْتَوُونَ**» أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم، استسلامًا للقضاء وتلذذًا بالبلاء.

قلت: والظاهر أنَّ قوله: «**وَلَا يَكْتَوُونَ**» أعمُّ من أن يسألوا ذلك أو يُفعل بهم ذلك باختيارهم.

أمَّا الكيُّ في نفسه فجائز، كما في «الصحيح» عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ بعث إلىٰ أُبي بن كعب طبيبًا فقطع له عِرقًا وكواه[٢].

وفي «**صحيح البخاري**» عن أنس: أنه كُوي من ذات الجنب[٣] والنبي ﷺ حيٌّ[٤].

ورویٰ الترمذي وغيرهُ عن أنس، أنَّ النبي ﷺ كوىٰ أسعد بن زُرارة من الشوكة[٥][٦].

---

(١) في قرة العيون: فتركوا الشرك رأسًا، ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها، وتركوا الكي وإن كان يراد للشفاء، والحامل لهم علىٰ ذلك قوة توكلهم علىٰ الله، وتفويضهم أمورهم إليه، وأن لا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبره وقضاه. فلا يرغبون إلَّا إلىٰ ربهم، ولا يرهبون إلَّا منه، ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم، فلا يفزعون إلَّا إليه وحده في كشف ضرهم. قال تعالىٰ عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. [الفقي].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٧).

(٣) **قال في النهاية**: «ذات الجنب: الدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وينفجر إلىٰ داخل. وقلما يسلم صاحبها» اهـ. ولعلها: السل والله أعلم. [الفقي].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٥٧١٩).

(٥) **صحيح بشواهده**: رواه الترمذي (٢٠٥٠)، وابن حبان (٦٠٧١)، وأبو يعلىٰ (٣٥٨٢)، والطحاوي (٤/ ٣٢١)، والبيهقي (٩/ ٢٤٣) من طريق يزيد بن زريع حدثنا معمر عن الزهري عن أنس عن النبي ﷺ فذكره، وهذا الطريق مُعل بالإرسال كما ذكر أبو حاتم كما في علل ولده، وابن عبد البر في «التمهيد» وابن رجب في شرح «العلل»، ولكن للحديث شواهد يصح بها، انظرها في تحقيقي رقم (٢١) لشرح الشيخ ابن باز لكتاب التوحيد ط/ دار ابن عباس بسمنود.

(٦) قال في النهاية، الشوكة: حمرة تعلو الوجه والجسد. [الفقي].

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس مرفوعًا: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَارٍ وَأَنَا أَنْهَىٰ عَنِ الْكَيِّ»[(١)]. وفي لفظ: «وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِي»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: قد تضمَّنت أحاديثُ الكيِّ أربعةَ أنواع:

أحدُها: فعله.

والثاني: عدمُ محبته.

والثالث: الثناءُ علىٰ من تركه.

والرابع: النهيُ عنه. ولا تعارُض بينها بحمد الله.

فإنَّ فعله له يدلُّ علىٰ جوازه، وعدم محبته لا يدلُّ علىٰ المنع منه، وأمَّا الثناءُ علىٰ تاركه فيدلُّ علىٰ أن تركه أولىٰ وأفضل، وأمَّا النهيُ عنه فعلىٰ سبيل الاختيار والكراهة.

قوله: «وَلَا يَتَطَيَّرُونَ» أي: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها. وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ بيانُ الطيرة وما يتعلَّق بها في بابها.

قوله: «وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» ذكر الأصلَ الجامع الذي تفرَّعت عنه هذه الأفعالُ والخصال، وهو التوكلُ علىٰ الله، وصدقُ الالتجاء إليه، والاعتمادُ بالقلب عليه، الذي هو نهايةُ تحقيق التوحيد، الذي يُثمر كلَّ مقام شريف: من المحبة والرجاء والخوف، والرضا به ربًّا وإلهًا، والرضا بقضائه.

واعلم أنَّ الحديث لا يدلُّ علىٰ أنهم لا يُباشرون الأسباب أصلًا، فإنَّ مُباشرة الأسباب - في الجملة - أمرٌ فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه، بل نفسُ التوكل: مباشرةٌ لأعظم الأسباب، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه.

وإنما المرادُ: أنهم يتركون الأمورَ المكرُوهة مع حاجتهم إليها، توكلًا علىٰ الله تعالىٰ، كالاكتواء والاسترقاء، فتركُهم له لكونه سببًا مكروهًا، لا سيما والمريضُ يتشبَّث - فيما يظنُّه سببًا لشفائه - بخيط العنكبوت.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٦٨٠، ٥٦٨١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٦٨٣)، ومسلم طرف حديث (٢٢٠٥).

وأمَّا مباشرةُ الأسباب، والتداوي على وجهٍ لا كراهية فيه، فغيرُ قادح في التوكل، فلا يكون تركُه مشروعًا، لما في «الصحيحين» عن أبي هريرة مرفوعًا: **«مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»**[1].

وعن أُسامةَ بنِ شريك قال: كنتُ عند النبي ﷺ وجاءت الأعرابُ، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: **«نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ! تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللهَ عز وجل لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ»**. قالوا: وما هو، قال: **«الهَرَمُ»**[2] رواه أحمد.

قال ابنُ القيم - رحمه الله تعالى -: وقد تضمَّنت هذه الأحاديثُ إثباتَ الأسباب والمسبِّبات، وإبطالَ قول من أنكرها، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا يُنافيه دفعُ ألم الجوع والعطش، والحرِّ والبرد، بأضدادها، بل لا تتم حقيقةُ التوحيد إلَّا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيةً لمسبِّباتها قَدَرًا وشرعًا، وأنَّ تعطيلها يقدَحُ في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة. ويضعفُه من حيثُ يظنَّ معطِّلُها أنَّ تركها أقوى في التوكل.

فإنَّ تركها عجزٌ يُنافي التوكل، الذي حقيقتُه اعتمادُ القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضرُّه في دينه ودنياه. ولابُدَّ مع هذا الاعتماد من مُباشرة الأسباب، وإلَّا كان مُعطِّلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبدُ عجزه توكلًا ولا توكُّلَه عجزًا.

وقد اختلف العُلَماء في التداوي، هل هو مباحٌ وتركُه أفضل؟ أو مُستحب، أو واجب؟.

فالمشهورُ عن أحمد: الأول؛ لهذا الحديث وما في معناه، والمشهورُ عند الشافعية الثاني،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٦٧٨)، وليس عنده: «عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ» وإنما هي عند أحمد (١/ ٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٦، ٤٥٣) من طريق سفيان وهمام وعلي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن سمعت ابن مسعود فذكره مرفوعًا.

وهذا إسناد حسن، وعطاء بن السائب مختلط، وسفيان ممن روى عنه قبل الاختلاط.

وانظر «الصحيحة» (٤٥١)، والحديث رواه مسلم (٢٢٠٤) من حديث جابر بلفظ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عز وجل».

(٢) إسناده صحيح: رواه أبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٩)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٢٧)، والحميدي (٨٢٤)، وأحمد (٤/ ٢٧٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩١) من طريق زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك به.

حتىٰ ذكر النوويُّ في «شرح مسلم»: أنه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامَّةِ الخلف.

واختاره الوزير أبو المظفر قال: ومذهبُ أبي حنيفة أنه مؤكد حتىٰ، يُداني به الوجوب. قال: ومذهبُ مالك أنه يستوي فعلُه وتركه؛ فإنه قال: لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه.

وقال شيخُ الإسلام: ليس بواجبٍ عند جماهير الأئمة، وإنَّما أوجبه طائفةٌ قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد.

قوله: (فقام عُكَّاشةُ بن مِحْصَن) هو بضم العين وتشديد الكاف، ومِحْصن: بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المُهملتين، ابن حُرْثَان - بضم المهملة وسكون الراء بعدها مُثلّثة - الأسدي: من بني أسد بن خُزيمة. كان من السابقين إلىٰ الإسلام - ومن أجمل الرجال - هاجر وشهد بدرًا وقاتل فيها، واستُشهد في قتال الرِّدة مع خالد بن الوليد بيد طُليحة الأسدي سنة اثنتي عشرة، ثم أسلم طُليحةُ بعد ذلك وجاهد الفُرس يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، واستُشهد في وقعة الجسر المشهورة.

قوله: (فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أَنْتَ مِنْهُمْ») وللبخاري في روايةٍ: فقال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنهُمْ**».

وفيه: طلبُ الدعاء من الفاضل[1].

قوله: (ثم قام رجل آخر) ذكره مُبهمًا ولا حاجةَ بنا إلىٰ البحث عن اسمه[2].

---

(١) **في قرة العيون:** فيه أن شفاعة الحي لمن سأله الدعاء إنما كانت بدعائه، وبعد الموت قد تعذر ذلك بأمور لا تخفىٰ علىٰ من له بصيرة، فمن سأل ميتًا أو غائبًا فقد سأله ما لا يقدر عليه إلَّا الله، وكل من سأل أحدًا ما لا يقدر عليه إلَّا الله فقد جعله ندًّا لله كما كان المشركون كذلك. وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، إنه ربكم وخالقكم ومن قبلكم، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ترغبوا عنه إلىٰ غيره، بل أخلصوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير.

وقوله: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**» لما كان يعلمه ﷺ من إيمانه وفضله وجهاده كما في الحديث: «**لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». [الفقي].

(٢) **في قرة العيون:** والظاهر أنه أراد - صلوات الله وسلامه عليه - سد الذريعة؛ لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك فيسأله من ليس أهلًا له. وذلك منه ﷺ تعريض كما لا يخفىٰ. [الفقي].

قوله: (فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ») قال القُرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عُكَّاشة، فلذلك لم يُجبه؛ إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك كلُّ من كان حاضرًا فيتسلسل الأمر، فسدَّ الباب بقوله ذلك. انتهىٰ.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه استعمال المعاريض، وحسن خلقه ﷺ.**

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: معرفةُ مراتبِ الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنىٰ تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه سبحانه علىٰ إبراهيم بكونه لم يكُ من المشركين.

الرابعة: ثناؤه علىٰ سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرُّقية والكيِّ من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لن ينالوا ذلك إلَّا بعمل.

الثامنة: حرصهم علىٰ الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسىٰ.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه -عليه الصلاة والسلام-.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدمُ الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرُّقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمقُ علم السلف لقوله: «قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع. ولكن كذا وكذا». فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بُعد السلف عن مَدْح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**» علمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ.

❊ ❊ ❊

(٣)

بَابُ: الخوف من الشرك

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب الخوف من الشرك.**

وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦].

ش: قال ابنُ كثير: أخبر تعالىٰ أنَّه: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أي: لا يغفر لعبدٍ لقيه وهو مشرك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده. انتهىٰ.

فتبيَّن بهذه الآية: أن الشرك أعظمُ الذنوب؛ لأن الله تعالىٰ أخبر أنَّه لا يغفره لمن لم يتب منه، وما دونه من الذنوب فهو داخلٌ تحت المشيئة إنْ شاء غفره لمن لقيه به، وإن شاء عذَّبه.

وذلك يوجبُ للعبد شدَّة الخوف من الشرك الذي هذا شأنُه عند الله؛ لأنه أقبحُ القبيح، وأظلم الظلم، وتنقّصٌ لربِّ العالمين، وصرفُ خالص حقِّه لغيره، وعدلُ غيره به؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

ولأنه مناقضٌ للمقصود بالخلق والأمر، منافٍ له من كل وجه، وذلك غايةُ المُعاندة لربِّ العالمين، والاستكبارِ عن طاعته، والذّل له، والانقيادِ لأوامره، الذي لا صلاح للعالم إلَّا بذلك، فمتىٰ خلا منه خرب وقامت القيامة، كما قال ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللهُ اللهُ**»[1] رواه مسلم.

ولأن الشرك تشبيهٌ للمخلوق بالخالق -تعالىٰ وتقدّس- في خصائص الإلهية: مِن مُلك الضر والنفع، والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلُّق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل، وأنواع العبادة كلِّها بالله تعالىٰ وحده، فمن علَّق ذلك بمخلوقٍ فقد شبَّهه بالخالق، وجعل من لا يملكُ لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نُشورًا، شبيهًا بمن له الحمدُ كلُّه، وله الخلق كله، وله المُلك كله، وبيده الخيرُ كله، وإليه يرجع الأمرُ كلُّه.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٨).

فأزمَّةُ الأمور كلِّها بيده سبحانه ومرجعُها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. لا مانع لما أعطىٰ ولا مُعطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمةً فلا ممسك لها، وما يمسكُ فلا مُرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم. فأقبحُ التشبيه: تشبيه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلهية: الكمالُ المُطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه. وذلك يوجبُ أن تكون العبادةُ كلُّها له وحده، والتعظيم والإجلال، والخشيةُ والدعاء، والرجاء والإنابة، والتوكلُ والتوبة والاستعانة، وغايةُ الحبِّ مع غايةِ الذل. كلُّ ذلك يجب عقلًا وشرعًا وفطرة أنْ يكون لله وحده، ويمتنع عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره.

فمن فعل شيئًا من ذلك لغيره فقد شبَّه ذلك الغيرَ بمن لا شبيه له، ولا مثل له، ولا نِدَّ له، وذلك أقبحُ التشبيه وأبطلُه.

فلهذه الأمور وغيرها: أخبر - سبحانه وتعالىٰ - أنَّه لا يغفره، مع أنَّه كتب علىٰ نفسه الرحمة. هذا معنىٰ كلام ابن القيِّم رحمه الله تعالىٰ.

وفي الآية ردٌّ علىٰ الخوارج المكفِّرين بالذنوب. وعلىٰ المُعتزلة القائلين بأنَّ أصحاب الكبائر مخلَّدون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار.

ولا يجوز أن يُحمل قولُه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] علىٰ التائب؛ فإنَّ التائب من الشرك مغفورٌ له، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

فهنا عمَّ وأطلق؛ لأن المُراد به التائب، وهناك خصَّ وعلّق؛ لأن المراد به من لم يتب. هذا مُلخص قولِ شيخ الإسلام(١).

---

(١) في قرة العيون: قال النووي - رحمه الله تعالىٰ -: «أما دخول المشرك النار فهو علىٰ عمومه فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق بين الكتابي - اليهودي والنصراني -، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك. وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مصرًّا عليها ومات علىٰ ذلك فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل الجنة أولًا وإلا عذب في النار، ثم أخرج منها وأدخل الجنة». اهـ.

=

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال الخليلُ عليه السلام:** ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ش: الصَّنَم: ما كان منحوتًا علىٰ صورة، والوَثَنُ: ما كان منحوتًا علىٰ غير ذلك. ذكره الطبريُّ عن مجاهد[١].

قلتُ: وقد يُسمّىٰ الصنمُ وَثنًا كما قال الخليلُ[٢] - عليه السلام -: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[العنكبوت: ١٧] ويقال: إنَّ الوَثَنَ أعمُّ، وهو قويٌّ، فالأصنامُ أوثانٌ كما أنَّ القبور أوثان.

قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: اجعلني وبنيَّ في جانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها. وقد استجاب الله تعالىٰ دعاءه، وجعل بنيه أنبياء، وجنّبهم عبادة الأصنام.

وقد بيَّن ما يوجب الخوفَ من ذلك، بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[إبراهيم: ٣٦] فإنَّه هو الواقعُ في كلِّ زمان. فإذا عرف الإنسانُ أنَّ كثيرًا وقعوا في الشرك الأكبر، وضلُّوا بعبادة الأصنام: أوجب ذلك خوفه من أنْ يقع فيما وقع فيه الكثير، من الشرك الذي لا يغفره الله.

قال إبراهيمُ التيميّ: من يأمنُ البلاءَ بعد إبراهيم؟[٣] رواه ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم.

=

قلت: هذا قول أهل السنة والجماعة، لا اختلاف بينهم في ذلك. وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك؛ لأن الله تعالىٰ قطع المغفرة عن المشرك وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد، ثم قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨] فخصص وقيد فيما دون الشرك، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمل أن يقع فيه فلا يرجىٰ له معه نجاة، إن لم يتب منه قبل الوفاة.[الفقي].

(١) **في إسناده ضعف:** رواه الطبري (١٣/ ٢٢٨) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقد عنعن، وقد طعن يحيىٰ القطان في سماع ابن أبي نجيح من مجاهد التفسير.

(٢) الخلة: أخص من المحبة، ولذلك اختص الله بها الخليلين: إبراهيم ومحمدًا عليهما من الله أفضل الصلاة والسلام. ويقول النبي ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا أَحَدًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا**» رواه البخاري.[الفقي].

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦).

فلا يأمنُ الوقوعَ في الشرك إلَّا من هو جاهلٌ به وبما يخلِّصه منه: من العلم بالله، وبما بعث به رسوله من توحيده، والنهي عن الشرك به[1].

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الحديث: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» فسئل عنه فقال: «الرِّيَاءُ».**

ش:أورد المصنفُ هذا الحديثَ مختصرًا غير معزوّ. وقد رواه الإمامُ أحمد والطبراني والبيهقي.

---

(١) في قرة العيون: فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة واحده، وابتلاه بكلمات فأتمهن، وقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: ٣٧] وأُمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام واشتد نكيره على أهل الشرك، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام؛ لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلَّا الله بهدايته وتوفيقه، لا بحوله هو وقوته.

فهذا أمر لا يؤمن الوقوع فيه. وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة فاتخذت الأصنام وعبدت، فالذي خافه الخليل - عليه السلام - على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور، وصرفت لها العبادات بأنواعها، واتخذ ذلك دينًا، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب وغيرهم. فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم، بل وقع ما هو أعظم، من الشرك في الربوبية مما يطول عده (*) فذكر - عليه السلام - السبب الذي أوجب له الخوف عليه وعلى ذريته بقوله ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده. فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه والوعيد على فعله، والثواب على تركه. وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن، وجهله بما أمر الله به ونهى عنه. نسأل الله الثبات على الإسلام والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم. وقال تعالى عن عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة: ١١٨] رد أمرهم إلى الله كما رده محمد - عليه السلام -، وقد بين الله تعالى فيما أنزله على نبيه محمد ﷺ حكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفره لهم فلا معارضة، وقد بين حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢] [الفقي]

(*) فإن أكثر الناس يعتقدون أن الأقطاب الأربعة وعلى رأسهم القطب الغوث يتصرفون في الكون بالإحياء والإماتة والرزق والضر والنفع، وأن مجلس أوليائهم تعرض عليه شئون العالم. اقرأ كتاب الشعراني، و«الإبريز» للدباغ، وكتب التيجانية وغيرها من كتب أولئك الضالين المضلين، تجد الشرك الذي ما كان يخطر على بال أبي جهل وإخوانه؛ لأنهم لم يكونوا بوقاحة هؤلاء وفجورهم. [ابن باز]

وهذا لفظُ أحمد: حدَّثنا يُونس حدَّثنا ليث عن يزيد – يعني: ابن الهاد – عن عمرو عن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا جَازَىٰ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم: اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟**»(١).

قال المنذري: ومحمودُ بن لبيد رأىٰ النبي ﷺ ولم يصح له منه سماعٌ فيما أرىٰ.

وذكر ابن أبي حاتم: أنَّ البخاريَّ قال: له صحبة، ورجَّحه ابنُ عبد البر والحافظ.

وقد رواه الطبرانيُّ بأسانيد جيّدة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خَديج(٢).

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (٥/ ٤٢٨) رقم (٢٣٦٣١)، و(٢٣٦٣٦)، و(٢٣٦٣٢)، وفي الرقم الأخير سقط عاصم بن عمر بين عمرو بن أبي عمرو ومحمود بن لبيد، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١) من طريق عمر بن أبي عمرو مولىٰ المطلب عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ فذكره وهذا إسناد حسن. وله طرق انظرها في تحقيقي «لشرح كتاب التوحيد لابن باز» رقم (٣١).

ورواه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٥٣) رقم (٤٣٠١) من طريق عبد الله بن شبيب ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فذكره مرفوعًا، وفي الإسناد عبد الله بن شبيب وهو ضعيف واه.

ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٨١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٧) من طريق أبي خالد الأحمر وعيسىٰ بن يونس كلاهما عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال: خرج النبي ﷺ فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**» قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**» وإسناده صحيح، ورواه البيهقي في «السنن» (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١) من طريق محمد بن سعيد الأصبهاني ثنا أبو خالد الأحمر عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن جابر عن عبد الله قال: خرج النبي ﷺ فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**» فذكره، فهذا الأخير جعله من مسند جابر والصواب الأول وانظر البيهقي في «الشعب» (٦٨٢٤، ٦٨٢٥، ٦٨٢٩)، ويشهد لبعض فقرات الحديث حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٩٨٥)، وحديث أبي سعيد وابن أبي فضالة عند الترمذي (٣١٥٤)، وابن ماجه (٤٢٠٣)، وأحمد (٣/ ٤٦٦ و ٤/ ٢١٥)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٠٤).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٥٣) رقم (٤٣٠١)، وفي سنده عبد الله بن شبيب وهو ضعيف واهٍ وانظر الحديث السابق.

مات محمود سنة ستٍ وتسعين، وقيل: سنة سبع وتسعين. وله تسع وتسعون سنة.

قوله: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» هذا من شفقته ﷺ بأمته ورحمته ورأفته بهم، فلا خير إِلَّا دلَّهم عليه وأمرهم به، ولا شرَّ إِلَّا بيَّنه لهم وأخبرهم به ونهاهم عنه، كما قال ﷺ فيما صحَّ عنه: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**» الحديث[1].

فإذا كان الشركُ الأصغر مخوفًا علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ مع كمال علمهم وقوَّة إيمانهم، فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟! خصوصًا إذا عُرف أنَّ أكثر عُلماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إِلَّا ما أقرَّ به المشركون، وما عرفوا معنىٰ الإِلهية التي نفتها كلمةُ الإِخلاص عن كلِّ ما سوىٰ الله[2].

وأخرج أبو يعلىٰ وابنُ المنذر[3] عن حُذيفة بن اليمان عن أبي بكر، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) صحيح: وهو قطعة من حديث مسلم (١٨٤٤).

(٢) في قرة العيون: فإذا كان يخافه ﷺ علىٰ أصحابه الذين وحدوا الله بالعبادة، ورغبوا إليه وإلىٰ ما أمرهم به من طاعته، فهاجروا وجاهدوا من كفر به، وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم، وما أنزله الله في كتابه من الإِخلاص والبراءة من الشرك، فكيف لا يخاف من لا نسبة له إليهم في علم ولا عمل مما هو أكبر من ذلك؟ وقد أخبر ﷺ عن أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره: «**حَتَّىٰ يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**» وقد جرىٰ ما أخبر به ﷺ، وعمت به البلوىٰ في أكثر الأقطار حتىٰ اتخذوه دينًا مع ظهور الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠-٣١]، وهذا هو تحقيق التوحيد كما تقدم في الباب قبله. ثم قال تعالىٰ محذرًا عباده من الشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]. ومن لم تخوفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه. [الفقي].

(٣) إسناده ضعيف: رواه أبو يعلىٰ (٥٨ – ٦١)، وابن السني (٢٨٦)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥٤) من طريق الليث بن أبي سليم عن أبي محمد مرة عن حذيفة عن أبي بكر به، ومرة عن معقل بن يسار عن أبي بكر به، والليث ضعيف، وأبو محمد لا يعرف وقد اضطرب في الإِسناد كما ترىٰ وللحديث شواهد منها:

ما رواه أحمد (٤/ ٤٠٣)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٣٧ – ٣٣٨)، والبخاري في «التاريخ» (٩/ ٥٨)، والطبراني في «الأوسط» (٣٥٠٣) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي عن أبي علي رجل من بني كاهل عن أبي موسىٰ =

«الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ». قال أبو بكر: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله، أو ما دعي مع الله؟ قال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» الحديث. وفيه: «أَنْ تَقُولَ: أَعْطَانِي اللهُ وَفُلَانٌ، وَالنِّدُّ: أَنْ يَقُولَ الإِنْسَانُ: لَوْلَا فُلَانٌ قَتَلَنِي فُلَانٌ» انتهىٰ من «الدُّر».

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» رواه البخاري[1][2].

ش: قال ابن القيم: النِّدُّ: الشَّبيه، يُقال: فلانٌ نِدُّ فلان، ونديده، أي: مثله وشبهه انتهىٰ. قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

قوله: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا» أي: يجعل لله ندًّا في العبادة، يدعوه ويسأله ويستغيث به «دَخَلَ النَّارَ».

قال العلامةُ ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى:

وَالشِّرْكُ فَاحْذَرْهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ ... ذَا القِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الغُفْرَانِ

وَهُوَ اتِّخَاذُ النِّدِّ لِلرَّحْمَنِ أَيًّا ... كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانِ

يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ ... وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدَّيَّانِ

= مرفوعًا وأبو علي مجهول.

ومنها: ما رواه البزار (٣٥١٦) «زوائد» والعقيلي (٣/ ٦١ - ٦٢)، والحاكم (٢/ ٤٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٦٨، ٩/ ٢٥٣) من طريق عبد الأعلىٰ بن أعين عن يحيىٰ بن أبي كثير عن عروة عن عائشة، وعبد الأعلىٰ ضعيف، وخاصة في روايته عن يحيىٰ بن أبي كثير. وثم شواهد أخرىٰ ضعيفة.

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٤٩٧، ٦٦٨٣)، وانظر البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢) نحوه.

(٢) في قرة العيون: وهذا الحديث فيه التحذير من الشرك أيضًا والتخويف منه. والند: المثل والشبيه، فمن دعا ميتًا أو غائبًا وأقبل عليه بوجهه وقلبه رغبة إليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، ولهذا حرم الله تعالىٰ اتخاذ الشفعاء وأنكره علىٰ من فعل ذلك أشد الإنكار؛ لكونه ينافي الإخلاص الذي هو إقبال القلب والوجه علىٰ الله في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به. ومن المعلوم أنه إذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن الله تعالىٰ وذلك ينافي الإخلاص. ويأتي بيان ذلك في باب الشفاعة إن شاء الله تعالىٰ [الفقي].

واعلم أنَّ اتخاذ الندِّ على قسمين:

الأول: أن يجعله لله شريكًا في أنواع العبادة أو بعضها كما تقدَّم، وهو شركٌ أكبر.

والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر، كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت. وكيسير الرياء، فقد ثبت أن النبي ﷺ لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[1] رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في «الأدب المفرد» والنسائي وابن ماجه. وقد تقدَّم حُكمهُ في باب: فضل التوحيد.

وفيه: بيانُ أنَّ دعوةَ غير الله فيما لا يقدرُ عليه إلَّا الله شركٌ جلي، كطلب الشفاعة من الأموات؛ فإنَّها مُلكٌ لله تعالىٰ، وبيده، ليس بيد غيره منها شيء، وهو الذي يأذنُ للشفيع أن يشفع فيمن لاقىٰ الله بالإخلاص والتوحيد من أهل الكبائر، كما يأتي تقريرهُ في باب الشفاعة إنْ شاء الله تعالىٰ.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ. وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»**[2].

ش: جابر: هو ابنُ عبد الله بن عمرو بن حَرام - بمُهملتين - الأنصاري ثم السَّلَمي - بفتحتين - صحابيٌّ جليل هو وأبوه، ولأبيه مناقبُ مشهورة رضي الله عنهما[3] مات بالمدينة بعد

---

(١) **إسناده حسن:** رواه ابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٨٢٥)، وأحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٤٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٦)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٦)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢١٧) وفي «الأسماء والصفات» (٢٩٣) وابن المبارك في «مسنده» (١٨١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٦٧) من طرق عن الأجلح عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي لله عَدْلًا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**» وفي الإسناد: الأجلح! وهو مختلف فيه، وحديثه إلىٰ الحسن أقرب، ثم إن للحديث شواهد ستأتي. تحت باب قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٩٣)، وانظر أطرافه.

(٣) كان عبد الله والد جابر من الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة، وجعله النبي ﷺ نقيب بني سلمة. ثم حضر بدرًا. وقتل يوم أحد، فأخذ يبكي عليه ولده جابر وأخته فاطمة بنت عمرو فقال رسول الله ﷺ: «**تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ، لَا زَالَت المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رَفَعْتُمُوهُ**». [الفقي].

السبعين، وقد كُفَّ بصرهُ، وله أربعٌ وتسعون سنة.

قوله: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» قال القرطبي: أي: لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السُّنة: أنَّ من مات علىٰ ذلك فلا بُدَّ له من دخول الجنة، وإن جَرت عليه قبل ذلك أنواعٌ من العذاب والمحنة. وأنَّ من مات علىٰ الشرك لا يدخل الجنَّة ولا يناله من الله رحمة، ويُخلَّد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذابٍ ولا تصرُّم آماد.

وقال النووي: أمَّا دخولُ المشرك النارَ فهو علىٰ عُمومه، فيدخلها ويخلَّد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي - اليهودي والنصراني - وبين عبدةِ الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف مِلَّة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حُكم بكفره بجحده ما يكفرُ بجحده وغير ذلك[١].

وأمَّا دخولُ من مات غيرَ مشرك الجنَّةَ فهو مقطوعٌ له به. لكن إنْ لم يكن صاحبُ كبيرةٍ مات مُصرًّا عليها دخل الجنة أوَّلًا.

وإنْ كان صاحب كبيرة مات مُصرًّا عليها فهو تحت المشيئة. فإنْ عفىٰ الله عنه دخل الجنة أولًا، وإلَّا عُذِّب في النار ثم أُخرج من النار وأُدخل الجنة.

وقال غيرُه: اقتصر علىٰ نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء، واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم؛ إذ من كذَّب رُسلَ الله فقد كذَّب الله، ومن كذَّب الله فهو مشرك، وهو كقولك: من توضأ صحَّت صلاتُه. أي: مع سائر الشروط، فالمرادُ: من مات حال كونه مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمان به إجمالًا في الإجمالي، وتفصيلًا في التفصيلي[٢]. انتهىٰ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

---

(١) يعني: أنهم مستوون في الخلود في النار، ولكنهم متفاوتون في دركاتها. ولا يظلم ربك أحدًا مثقال ذرة. [الفقي].

(٢) يعني: خالطت حلاوة هذا الإيمان بشاشة قلبه فأثمرت الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة. وإلا فكم من مدع لهذا الإيمان الإجمالي والتفصيلي وهو عري عنه إجمالًا وتفصيلًا. [الفقي].

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد.

السابعة: أنه مَنْ لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة. ومَنْ لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]

العاشرة: فيه تفسير: (لا إله إلَّا الله) كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

❊ ❊ ❊

(٤)

بَابُ: الدعاء إلى شهادة ألا إله إلاَّ الله

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ الدُّعاء إلىٰ شهادة أنْ لا إله إلَّا الله.**

ش: لَمَّا ذكر المصنف رحمه الله تعالىٰ التوحيدَ وفضله، وما يُوجب الخوف من ضدِّه: نبَّه بهذه الترجمة علىٰ أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر علىٰ نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو سبيل المُرسلين وأتباعهم. كما قال الحسنُ البصري لَمَّا تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣] فقال: هذا حبيبُ الله، هذا وليُّ الله، هذا صفوةُ الله، هذا خِيرَةُ الله، هذا أحبُّ أهل الأرض إلىٰ الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين. هذا خليفةُ الله [(١)] [(٢)].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

ش: قال أبو جعفر ابن جرير: يقول - تعالىٰ ذِكْره - لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، من الدعاء إلىٰ توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلىٰ طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِىٓ﴾

---

(١) ذكره العماد ابن كثير في تفسير الآية (٣٣) من سورة فصلت عن عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري رحمه الله. ويعني الحسن بذلك: أن الصدق في حب الله وعبادته وطاعته يستلزم ولا بد الدعوة إلىٰ ذلك والجهاد فيه. لأن من أحب الله أحب كل ما أحبه الله وكل من أحب الله، وكره كل ما كره ومن كره، وأحب أن يكون الناس كلهم معه في حب الله. [الفقي]

(٢) فيه مقال: رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٨) من طريق معمر عن الحسن فذكره. ورواية معمر عن البصريين فيها ضعف، والحسنُ بصريٌّ.

وطريقتي ودعوتي، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعالىٰ وحده لا شريك لـه ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بـذلك ويقـينِ علمٍ مني به (أنا و) يدعو إليه علىٰ بصيرة أيضًا (من اتبعني) وصـدَّقني وآمـن بي. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يقول له – تعالىٰ ذِكره –: وقل: تنزيهًا لله تعالىٰ وتعظيمًا له: مِن أن يكون لـه شريـكٌ في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني. انتهىٰ.

قال في «شرح المنازل»: يريدُ أنْ تـصل باسـتدلالك إلىٰ أعـلىٰ درجـات العلـم، وهـي البصيرةُ التي تكون نـسبة المعلـوم فيهـا إلىٰ القلـب كنـسبة المرئـي إلىٰ البـصر، وهـذه هـي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلىٰ درجات العلماء.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ أي: أنا وأتبـاعي عـلىٰ بصيرة. وقيل: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ عطـفٌ عـلىٰ المرفـوع في ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ أي: أنـا أدعـو إلىٰ الله عـلىٰ بصيرة، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ كذلك يدعو إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرة، وعلىٰ القولين: فالآيةُ تدل علىٰ أن أتْباعَه هم أهلُ البصائر الداعين إلىٰ الله تعالىٰ، ومن ليس منهم فلـيس مـن أتباعـه عـلىٰ الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه علىٰ الانتساب والدَّعوىٰ.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

منها: التنبيه علىٰ الإخلاص؛ لأن كثيرًا من الناس ولو دعا إلىٰ الحق فهو يدعو إلىٰ نفسه.

ومنها: أنَّ البصيرةَ من الفرائض.

ومنها: أنَّ من دلائل حُسن التوحيد: أنَّه تنزيهٌ لله تعالىٰ عن المسبَّة.

ومنها: أنَّ من قُبح الشرك كونه مَسبَّةً لله.

ومنها: إبعادُ المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يُشرك. انتهىٰ.

وقال العلَّامةُ ابنُ القيِّم – رحمـه الله تعـالىٰ – في معنـىٰ قولـه تعـالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥] الآية ذكر سبحانه مراتبَ الـدعوة، وجعلهـا ثلاثـة أقسام بحسب حال المدعو:

فإنَّه إمَّا أنْ يكون طالبًا للحق محبًّـا لـه، مُـؤثرًا لـه عـلىٰ غـيره إذا عرفـه، فهـذا يُـدعَىٰ بالحكمة، ولا يحتاج إلىٰ موعظةٍ وجدال.

وإمَّا أنْ يكونَ مُشتغلًا بضد الحق. لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتـاج إلىٰ الموعظـة بالترغيب والترهيب.

وإمَّا أن يكونَ مُعاندًا معارضًا، فهذا يُجادَل بالتي هي أحـسن. فـإنْ رجـع وإلا انتقـل معه إلىٰ الجلاد إنْ أمكن. انتهىٰ.

وقال أيضًا رحمه الله تعالىٰ: والفرق بين حبِّ الإمامة والدعوة إلىٰ الله، وحب الرياسـة: هو الفرقُ بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيمِ النفس والسعي في حظِّها.

فإنَّ الناصح لله المحب له، يُحب أنْ يُطاع ربُّه فلا يُعصىٰ، وأن تكون كلمته هي العليـا، وأن يكون الدينُ كلُّه لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه.

فقد ناصح الله في عبوديته، وناصـح خلقـه في الـدعوة إلىٰ الله، فهـو يحـب الإمامـة في الدين. بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إمامًا يقتدي به المقتدون، كما اقتدىٰ هو بالمتقين. فإذا أحب هذا العبدُ الداعي إلىٰ الله أن يكون في أعين الناس جليلًا، وفي قلوبهم مهيبًا، وإلـيهم حبيبًا، وأن يكون فيهم مطاعًا، لكي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول ﷺ علىٰ يديـه. لم يـضره ذلك بل يُحمد عليه، لأنه داع إلىٰ الله، يُحب أنْ يطاع ويعبد ويوحَّد. فهو يُحب ما يكون عونًا علىٰ ذلك، موصلًا إليه.

ولهذا ذكر الله سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه، وأثنىٰ عليهم في تنزيلـه وأحـسن جزاءهم يوم لقائه. فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم، ثم قـال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] فسألوه أنْ يقـر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم علىٰ طاعته وعبوديته.

فإنَّ الإمام والمؤتم متعاونان علىٰ طاعتـه، وإنَّـما سـألوه مـا يعـاونون بـه المتقـين عـلىٰ مرضاته وطاعته، وهو دعوتهم إلىٰ الله بالإمامة في الدين، التي أساسها الصبر واليقين، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]. فسؤالهم: أنْ يجعلهم أئمة للمتقين. هُوَ سؤالٌ أنْ يهديهم ويوفقهم ويمـنَّ علـيهم بـالعلوم النافعة، والأعمال الصالحة ظاهرًا وباطنًا، التي لا تتم الإمامةُ إلَّا بها.

وتأمَّل كيف نسبهم في هذه الآيات إلىٰ اسم الرحمن جلَّ جلاله، ليعلم خلقُه أنَّ هذا إنما نالوه بفضله ورحمته، ومحض جوده ومِنَّته.

وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه الصورة: الغرف وهي المنازل العالية في الجنة.

وهذا لمَّا كانت الإمامةُ في الدين من الرتب العالية - بل من أعلىٰ مراتب يُعطاها العبد في الدنيا - كان جزاؤه عليها الغرف العالية في الجنة.

وهذا بخلاف طلب الرياسة، فإنَّ طالبيها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم: من العلوِّ في الأرض، وتعبد القلوب لهم، وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم علىٰ جميع أغراضهم، مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم.

فترتب علىٰ هذا الطلب من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله: من البغي والحسد، والطغيان والحقد، والظلم، والحمية للنفس دون حق الله، وتعظيم من حقَّر الله، واحتقار من أكرمه الله. ولا تتم الرياسةُ الدنيوية إلا بذلك، ولا تُنال إلا بأضعافه من المفاسد، والرؤساء في عمىٰ عن هذا.

فإذا كُشف الغطاء وتبيَّن لهم فسادَ ما كانوا عليه، ولا سيما إذا حشروا في صِفة الذَّر، يطؤهم أهلُ الموقف بأرجلهم؛ إهانة لهم وتحقيرًا وتصغيرًا، كما صغَّروا أمر الله، وحقروا عباده، انتهىٰ كلامُه رحمه الله تعالىٰ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث مُعاذًا إلىٰ اليمن، قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - وفي رواية: إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ - فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» أخرجاه[1].**

ش: قال الحافظ: كان بعثُ معاذٍ إلىٰ اليمن سنة عشر، قبل حجِّ النبي ﷺ، كما ذكره المصنف - يعني: البخاري - في أواخر المغازي، وقيل: كان ذلك في آخر سنة تسع، عند

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (١٣٩٥) وأطرافه، ومسلم (١٩).

مُنْصرفه ﷺ من تبوك. رواه الواقديُّ بإسناده إلىٰ كعب بن مالك. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» عنه.

واتفقوا علىٰ أنه لم يزل علىٰ اليمن إلىٰ أن قدم في خلافة أبي بكر ﷺ، ثم توجَّه إلىٰ الشام فمات بها.

قال شيخُ الإسلام: ومن فضائل معاذ رضي الله تعالىٰ عنه أنه بعثه ﷺ إلىٰ اليمن مبلِّغًا عنه، ومفقِّهًا ومعلمًا وحاكمًا.

قوله: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» قال القُرطبي: يعني به اليهود والنصارىٰ، لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب، وإنَّما نبَّه علىٰ هذا ليتهيأ لمناظرتهم.

وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية لجمع همَّته عليها.

قوله: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1] شهادة: رُفع علىٰ أنه

---

(١) **في قرة العيون:** وكانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه، فكان قولهم: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» لا ينفعهم لجهلهم بمعنىٰ هذه الكلمة، كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة، فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد، فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم، وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك، وظنوا أن معناها القدرة علىٰ الاختراع تقليدًا للمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فلم يدخلهم في الإسلام كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩] وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير. وهذا التوحيد قد أقر به مشركو الأمم، وأقر به أهل الجاهلية الذين بعث فيهم محمد ﷺ فلم يدخلهم في الإسلام، لأنهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلهية، وهو إخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾[آل عمران: ٦٤] فهذا التوحيد هو أصل الإسلام. وقال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠] وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ۝٤٣﴾[الروم: ٤٣] وقال =

اسم يكن مؤخر. وأوّل خبرها مقدّم. ويجوز العكس.

قوله: (وفي رواية: «إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»)(١) هذه الرواية ثابتةٌ في كتاب التوحيد من «صحيح البخاري». وأشار المصنف بذكر هذه الرواية إلىٰ التنبيه علىٰ معنىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله؛ فإنَّ معناها توحيدُ الله تعالىٰ بالعبادة، ونفيُ عبادة ما سواه.

وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله» وذلك هو الكفرُ بالطاغوت والإيمان بالله، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] والعُروةُ الوثقىٰ هي: لا إله إلَّا الله.

وفي رواية للبخاري، فقال: «**ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله**»(٢).

قلتُ: لا بُدَّ في شهادة أنْ لا إله إلَّا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلَّا باجتماعها:

أحدُها: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقينُ المنافي للشك.

الثالث: القبولُ المنافي للرد.

الرابع: الانقيادُ المنافي للترك.

الخامس: الإخلاصُ المنافي للشرك.

السادس: الصدقُ المنافي للكذب.

السابع: المحبةُ المنافية لضدها.

وفيه دليلٌ علىٰ أنَّ التوحيد - الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه - هو أوَّلُ واجب. ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسلُ - عليهم السلام - ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢] وقال نوح: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٦] وفيه

تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣] وأمثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب في القرآن كثير. وسنذكر بعض ذلك إن شاء الله في هذا التعليق. [الفقي].

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٥).

معنىٰ: لا إله إِلَّا الله مطابقة(١).

قال العلَّامة ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ: ولهذا خاطب الرسلُ أممهم، مخاطبة من لا شك عنده في الله، وإنَّما دَعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، لا إلىٰ الإقرار به، فقالت لهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] فوجودُه سبحانه وربوبيتُه وقدرته، أظهرُ من كل شيء علىٰ الإطلاق.

فهو أظهرُ للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده. فما يُنكره إلا مكابر بلسانه، وقلبهُ وعقله وكلُّها تكذِّبه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢] إلىٰ آخر الآيات.

---

(١) في قرة العيون: وأما قول المتكلمين ومن تبعهم: إن أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال، فذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده، ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم إلىٰ توحيد العبادة: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢] أي: لا تعبدوا إِلَّا الله. قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

قال العماد ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ -: هذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجوده شك؟ فإن الفطرة شاهدة بوجوده ومجبولة علىٰ الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة.

والمعنىٰ الثاني: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة إِلَّا هو وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تقربهم من الله زلفىٰ اهـ.

قلت: وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الأول.

روىٰ أبو جعفر ابن جرير بسنده عن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا: ليس أحد إِلَّا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض فهذا إيمانهم. وعن عكرمة أيضًا تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله، فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره.

وتقدم أن: «لا إله إِلَّا الله»، قد قيدت بالكتاب والسنة بقيود ثقال. منها: العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والقبول والانقياد، والكفر بما يعبد من دون الله. فإذا اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة، وإن لم تجتمع هذه لم تنفعه، والناس متفاوتون في العلم بها والعمل، فمنهم من ينفعه قولها ومنهم من لا ينفعه كما لا يخفىٰ. [الفقي].

قال شيخ الإسلام: وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمةُ: أن أصل الإسلام وأوّل مَا يُؤمر به الخلق: شهادةُ أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًّا، والمباحُ دمه وماله معصوم الدم والمال. ثم إنْ كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان، قال: وأمَّا إذا لم يتكلَّم بها مع القُدرة فهو كافرٌ باتفاق المسلمين باطنًا وظاهرًا، عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء. انتهىٰ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه أنَّ الإنسان قد يكون عالمًا[1] وهو لا يعرف معنىٰ لا إله إلَّا الله أو يعرفه ولا يعمل به.**

قلتُ: فما أكثر هؤلاء، لا كثَّرهم الله تعالىٰ.

قوله: «**فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ**» أي: شهدوا وانقادوا لذلك، «**فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ**» فيه: **أنَّ الصلاة أعظمُ واجب بعد الشهادتين.**

قال النووي ما معناه: أنه يدلُّ علىٰ أنَّ المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلَّا بعد الإسلام. ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مُخاطبين بها، ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة. والصحيح: أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه. وهذا قولُ الأكثرين. انتهىٰ.

قوله: «**فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ**»[2]. فيه دليلٌ علىٰ أنَّ الزكاة أوجبُ الأركان بعد الصلاة، وأنها تؤخذ من الأغنياء

---

(١) يعني عالمًا بعلوم الدنيا، أو عالمًا حافظًا لعلوم الدين ولكنها لا تمس قلبه ولا عقيدته؛ لأنه تعلمها للدنيا وليقال: عالم. فهو محترف العلم، وقد يكون بارعًا حاذقًا في هذه الحرفة ولكنه لا ينتفع في نفسه بعلمه؛ لأن علمه في ناحية وعقيدته ودينه مع تقليد العوام والجمهور في ناحية أخرىٰ، وهذا حال أكثر العلماء الرسميين اليوم أصلحهم الله. [الفقي].

(٢) في قرة العيون: فيه أن الزكاة لا تنفع إلَّا من وحد الله وصلىٰ الصلوات بشروطها وأركانها وواجباتها. والزكاة قرينة الصلوات في كتاب الله تعالىٰ، ويدل علىٰ هذه الجملة قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]. فمن أتىٰ بهذه الأمور أتىٰ ببقية الأركان لقوة الداعي إلىٰ ذلك؛ لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لزومًا. قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. قال

وتصرف على الفقراء، وإنَّما خصَّ النبيُّ ﷺ الفقراء؛ لأن حقَّهم في الزكاة آكدُ من حق بقية الأصناف الثمانية.

وفيه: أنَّ الإمام هو الذي يتولَّىٰ قبض الزكاة وصرفَها: إما بنفسه أو نائبه، فمن امتنع من أدائها إليه أُخذت قهرًا منه.

وفي الحديث: دليلٌ علىٰ أنه يكفي إخراج الزكاة في صنفٍ واحد، كما هو مذهب مالك وأحمد.

وفيه: أنه لا يجوز دفعُها إلىٰ غني، ولا إلىٰ كافرٍ غيرِ المؤلَّف، وأنَّ الزكاة واجبةٌ في مال الصبي والمجنون، كما هو قولُ الجمهور؛ لعموم الحديث.

قلتُ: والفقير إذا أفرد في اللفظ تناول المسكين وبالعكس، كنظائره. قرره شيخُ الإسلام.

قوله: «**فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**» بنصب كرائم؛ علىٰ التحذير، جمعُ كريمة. قال صاحبُ «المطالع»: هي الجامعةُ للكمال الممكن في حقها: من غزارة لبن، وجمال صورة، وكثرة لحمٍ وصوف. ذكره النووي.

قلت: وهي خيارُ المال وأنفسُه وأكثره ثمنًا.

وفيه: أنَّه يحرُم علىٰ العامل في الزكاة أخذُ كرائم المال، ويحرم علىٰ صاحب المال إخراجُ شرار المال. بل يُخرج الوسط، فإنْ طابت نفسه بالكريمة جاز[1].

قوله: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ**»[2] أي: اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم،

أنس في الآية: «توبتهم: خلع الأوثان وعبادتهم ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة». وعن ابن مسعود مرفوعًا: «أُمِرْتُ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَمَنْ لَمْ يُزَكِّ فَلَا صَلَاةَ لَهُ». [الفقي]

(١) في قرة العيون: تحذير له من أن يتجاوز ما شرعه الله ورسوله في الزكاة، وهو أخذها من أوساط المال؛ لأن ذلك سبب لإخراجها بطيب نفس ونية صحيحة. وكل ما زاد علىٰ المشروع فلا خير فيه. وهذا أصل ينبغي التفطن له. [الفقي]

(٢) في قرة العيون: يدل علىٰ أن العامل إذا زاد علىٰ المشروع صار ظالمًا لمن أخذ ذلك منه، ودعوة المظلوم مقبولة ليس بينها وبين الله حجاب يمنع قبولها.

فعلىٰ العامل أن يتحرىٰ العدل فيما استعمل فيه، فلا يظلم بأخذ زيادة علىٰ الحق، ولا يحابي بترك شيء منه، فعليه أن يقصد العدل من الطرفين، والله أعلم. [الفقي]

وهذان الأمران يقيان من رُزقهما من جميع الشرور دُنيا وأُخرىٰ.

وفيه: تنبيهٌ علىٰ التحذير من جميع أنواع الظلم.

قوله: «**فَإِنَّهُ**» أي: الشأن «**لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**» هذه الجملةُ مفسرة لضمير الشأن، أي: فإنَّها لا تُحجب عن الله فيقبلها.

وفي الحديث أيضًا: قبولُ خبر الواحد العدل، ووجوب العمل به. وبعثُ الإمام العُمَّالَ لجباية الزكاة. وأنه يعظ عُمَّاله وولاته، ويأمُرهم بتقوىٰ الله تعالىٰ، ويعلِّمُهم، وينهاهم عن الظلم، ويعرِّفهم سوء عاقبته. والتنبيهُ علىٰ التعليم بالتدريج. قاله المصنف.

قلتُ: ويبدأ بالأهم فالأهم.

واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصومَ والحج، فأشكل ذلك علىٰ كثير من العلماء.

قال شيخُ الإسلام: أجاب بعضُ الناس: أنَّ بعض الرواة اختصر الحديث، وليس كذلك؛ فإنَّ هذا طعنٌ في الرواة؛ لأن ذلك إنما يقعُ في الحديث الواحد، مثل حديث وفد عبد القيس[1][2] حيث ذكر بعضُهم الصيام وبعضهم لم يذكره.

فأما الحديثان المنفصلان فليس الأمرُ فيهما كذلك، ولكن عن هذا جوابان:

أحدُهما: أنَّ ذلك بحسب نزول الفرائض، وأوَّلُ ما فرض الله الشهادتان ثم الصلاة. فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي، ولهذا لم يذكر وجوب الحج، كعامة الأحاديث،

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٥٣)، وأطرافه، ومسلم (١٧).

(٢) روىٰ البخاري ومسلم عن ابن عباس: أن عبد القيس وفدوا علىٰ النبي ﷺ فقال: «**مِمَّن القَوْم؟**» فقالوا: من ربيعة. قال: «**مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَىٰ**». فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلَّا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل نأخذ به ونأمر به من وراءنا وندخل به الجنة. فقال: «**آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ. أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ...**» الحديث وكان وفد عبد القيس في سنة تسع(*) [الفقي].

(*) وكان وفد عبد القيس في سنة تسعٍ وفي هذا نظر والأظهر أنهم وفدوا قبل فتح مكة لقولهم: (إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر)، ومعلوم أن أهل مكة هم رءوس كفار مضر وقادتها، وقد أسلموا عام الفتح وذلك سنة ثمان، وقد استنبط الحافظ ابن كثير رحمه الله في تاريخه البداية، هذا المعنىٰ من هذا السياق - والله أعلم -[ابن باز].

إنَّما جاء في الأحاديث المتأخرة.

قلتُ: وهذا من الأحاديث المتأخرة؛ ولم يُذكر فيها.

الجوابُ الثاني: أنه كان يذكرُ في كل مقامٍ ما يُناسبه. فيذكر تارةً الفرائض التي يُقاتل عليها: كالصلاة والزكاة. ويذكرُ تارة الصلاة والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم. فإمَّا أنْ يكون قبل فرض الحج، وإمَّا أن يكون المخاطبُ بذلك لا حج عليه.

وأما الصلاةُ والزكاة فلهما شأنٌ ليس لسائر الفرائض، ولهذا ذكر تعالىٰ في كتابه: القتالَ عليهما؛ لأنهما عبادتان ظاهرتان، بخلاف الصوم فإنَّه أمرٌ باطن من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة، ونحو ذلك مما يؤتمنُ عليه العبد، فإنَّ الإنسان يمكنه أنْ لا ينوي الصوم وأنْ يأكل سرًّا، كما يمكنه أن يكتم حدثه وجنابته، وهو ﷺ يذكر في الأعمال الظاهرة التي يُقاتل الناسُ عليها، ويصيرون مسلمين بفعلها. فلهذا علَّق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصوم، وإنْ كان واجبًا كما في آيتي «براءة»[1] فإن «براءة» نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس. وكذلك لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن لم يذكر في حديثه الصوم؛ لأنه تبعٌ وهو باطن، ولا ذكر الحجَّ؛ لأنَّ وجوبه خاصٌّ ليس بعامٍّ، ولا يجب في العُمر إلَّا مرة. انتهىٰ بمعناه[2].

قوله: (أخرجاه) أي البخاري ومسلم، وأخرجه أيضًا أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما عن سهل بن سعد: أنَّ رسول الله ﷺ قال**

---

(١) هما قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥] الآية الخامسة. ومثلها الآية الحادية عشرة، وخاتمتها: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [التوبة: ١١]. [الفقي]

(٢) ولعل الصواب ما أجاب به بعض العلماء من اختصار الراوي للحديث. وليس في ذلك طعن في الرواة؛ لأنهم كانوا يروون الحديث بحسب الظروف والمناسبات. فقد تكون المناسبة مقتضية لبعض الحديث فيقتصر علىٰ هذا البعض. وذلك كثير جدًّا، كما تراه في البخاري وغيره - والله أعلم -. [الفقي].

يوم خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ». فباتَ الناسُ يَدوكون ليلتهم: أيُّهم يُعطاها. فلما أصبحوا، غدوا علىٰ رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أنْ يعطاها، فقال: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فقيل: هو يشتكي عينيه. «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ» فأُتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، قال: «انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله تَعَالَىٰ؛ فِيهِ فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[1]. يدوكون: أي: يخوضون.

ش: قوله: **(عن سهل بن سعد)** أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي السَّاعدي، أبو العباس صحابيٌّ شهير، وأبوه صحابي أيضًا، مات سنة ثمانٍ وثمانين وقد جاوز المائة.

قوله: **(قال يوم خيبر)** أي: في غزوة خيبر وفي «الصحيحين» عن سَلَمة بن الأكوع قال: كان عليٌّ رضي الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان أرمدًا، فقال: أنا أتخلفُ عن رسول الله ﷺ؟ فخرج عليٌّ رضي الله عنه فلحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساءَ الليلة التي فتحها الله عز وجل في صباحها، قال رسول الله ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ** – أو: **لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ** – **غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ** – أو قال: **يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ** – **يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**». فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه[2].

قوله: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ**» قال الحافظ: في رواية بُريدة: «**إِنِّي دَافِعٌ اللِّوَاءَ إِلَىٰ رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[3] وقد صرَّح جماعةٌ من أهل اللغة بترادفهما.

لكن روىٰ أحمد والترمذيُّ من حديث ابن عباس: كانت رايةُ رسول الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض[4].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٩٤٢)، وأطرافه، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٥٣) بإسناد حسن.

(٤) حسن: رواه الترمذي (١٦٨١)، وابن ماجه (٢٨١٨) من طريق يحيىٰ بن إسحاق السالحيني عن يزيد بن حيان =

ومثله عند الطبراني عن بُريدة [(١)].

وعند ابن عَدي، عن أبي هريرة وزاد: مكتوبٌ فيه: لا إله إلَّا الله محمد رسول الله [(٢)].

قوله: «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» فيه: فضيلةٌ عظيمة لعلي رضي الله تعالىٰ عنه.

قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصفُ مختصًّا بعلي ولا بالأئمة؛ فإنَّ الله ورسوله يحب كلَّ مؤمن تقي يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يُحتجُّ به علىٰ النواصب الذين لا يتولَّونه، أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج. لكنَّ هذا الاحتجاج لا يتم علىٰ قول الرافضة، الذين يجعلون النصوص الدالة علىٰ فضائل الصحابة كانت قبل ردَّتهم، فإنَّ الخوارج تقول في علي مثلَ ذلك، ولكن هذا باطل؛ فإن الله تعالىٰ ورسوله لا يُطلق مثل هذا المدح علىٰ من يعلم الله أنه يموت كافرًا.

وفيه: إثباتُ صفة المحبَّة لله خلافًا للجهمية [(٣)].

قوله: «**يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**» صريحٌ في البشارة بحصول الفتح، فهو عَلَمٌ من أعلام النبوة.

قوله: (**فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ**) بنصب ليلتهم ويدوكون، قال المُصَنِّفُ: يخوضون. أي: فيمن يدفعها إليه.

وفيه: حرصُ الصحابة علىٰ الخير واهتمامُهم به، وعلوُّ مراتبهم في العلم والإيمان.

=

سمعت أبا مجلز يحدث عن ابن عباس فذكره. ويزيد بن حيان صدوق يخطئ كما قال الحافظ في «التقريب». وتابعه حيان بن عبيد الله بن حبان أبو زهير كما عند البغوي (١٠/ ٤٠٣ - ٤٠٤)، وأبي الشيخ في «أخلاق النبي» (صـ١٥٠)، والطبراني (١١٦١)، وابن عدي (٢/ ٤٥٢)، وحيان بن عبيد الله مختلف فيه وترجمته في «اللسان» (٣/ ٢٠٣)، وقد اضطرب في إسناده كما سيأتي من الطريق الآتي والصحيح عنه هذا الطريق لمتابعة يزيد بن حيان له.

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبراني (١٢٩٠٩) من طريق حيان بن عبيد الله أبي زهير ثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه فذكره. وفي سنده حيان وسبق الكلام عليه.

(٢) إسناده ضعيف: رواه ابن عدي (٢/ ٢٤١) من طريق حيان بن عبيد الله عن أبي مجلز عن ابن عباس به. وسبق الكلام علىٰ علة هذا السند. ورواه من طريق آخر عن أبي هريرة بمثله. وفي إسناده محمد بن السدي ومحمد بن أبي حميد وكلاهما ضعيف.

(٣) في قرة العيون: وفيه فضيلة لعلي رضي الله عنه بما خصه من إعطاء الراية، ودعوته أهل خيبر إلىٰ الإسلام، وقتالهم إذا لم يقبلوا. وفيه مشروعية الدعوة إلىٰ الإسلام. [الفقي].

قوله: «**أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا**» هو برفع (أي) علىٰ البناء لإضافتها وحذف صدر صلتها.

قوله: (فلما أصبحوا غدوا علىٰ رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاها). وفي رواية أبي هريرة عند مسلم، أن عمر قال: ما أحببتُ الإمارة إلَّا يومئذ[١].

قال شيخُ الإسلام: إنَّ في ذلك شهادةَ النبي ﷺ لعلي بإيمانه باطنًا وظاهرًا، وإثباتًا لموالاته لله تعالىٰ ورسوله ووجوبَ موالاة المؤمنين له، وإذا شهد النبيُّ ﷺ لمعين بشهادة، أو دعا له أحبَّ كثيرٌ من الناس أن يكون له مثلُ تلك الشهادة، ومثل ذلك الدعاء، وإن كان النبي ﷺ يشهد بذلك لخلقٍ كثير، ويدعو لخلقٍ كثير، وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس[٢][٣] وعبد الله بن سلام[٤][٥] وإنْ كان شهد بالجنة لآخرين، والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضُرب في الخمر[٦][٧].

قوله: (فقال: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»).

فيه: سؤالُ الإمام عن رعيَّته، وتفقُّد أحوالهم.

قوله: (فقيل: هو يشتكي عينيه) أي: من الرمد، كما في «صحيح مسلم» عن سعد بن

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٤٠٥).

(٢) قال له النبي ﷺ: «**هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» في حديثٍ طويلٍ حين جلس في بيته حزينًا عند نزول: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢] وكان ثابت رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي. الحديث. رواه الإمام أحمد (ج ٣ ص ١٣٧)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان (حديث ١٨٧). [الفقي].

(٣) **صحيح:** أخرجه مسلم (١١٩).

(٤) **صحيح:** أخرجه البخاري (٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٤).

(٥) عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي علىٰ الأرض: أنه من أهل الجنة إلَّا لعبد الله بن سلام. رواه البخاري في مناقب الأنصار، ورواه مسلم والترمذي وابن ماجه. [الفقي].

(٦) **صحيح:** أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٧) روىٰ البخاري عن عمر قال: كان رجل يسمىٰ عبد الله ويلقب حمارًا، وكان يُضحك رسول الله ﷺ وكان يشرب الخمر فيؤتىٰ به فيقيم عليه الحد، فلعنه بعض الصحابة، فقال ﷺ: «**لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**» الحديث. [الفقي].

أبي وقاص فقال: «**ادْعُوا لِي عَلِيًّا**» فأُتِي به أرمد. الحديث[١].

وفي نسخةٍ صحيحة بخط المصنف: فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسل إليه: مبنيٌّ للفاعل، وهو ضميرٌ مستتر في الفعل راجعٌ إلىٰ النبي ﷺ ويحتمل أنْ يكون مبنيًّا لما لم يُسمَّ فاعله.

ولمسلم من طريق إياس بن سلمة عن أبيه، قال: **فأرسلني إلىٰ عَلِيٍّ فجئتُ به أقوده أرمد**[٢].

قوله: (فبصق) بفتح الصاد، أي: تفل.

قوله: (ودعا له فبرأ) هو بفتح الراء والهمزة، أي: عُوفي في الحال، عافية كاملة كأن لم يكن به وجعٌ من رمد ولا ضعف بصر[٣].

وعند الطبراني من حديثِ عَلِيٍّ: فما رَمِدْتُ ولا صُدِّعتُ مُنْذُ دَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ إليَّ الرَّاية[٤].

وفيه: دليلٌ علىٰ الشهادتين.

قوله: (فأعطاه الراية) قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه الإيمانُ بالقدر، لحصولها لمن لم يَسْعَ، ومنعها عمَّن سعىٰ.

وفيه: أنَّ فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا يُنافي التوكل.

قوله: (فقال: «انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ») بضم الفاء. أي: امض، و«رِسْلِكَ» بكسر الراء وسكون السين، أي: علىٰ رفقك من غير عجلة. و(ساحتهم) فِناء أرضهم وهو ما حولها.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٠٧).

(٣) في قرة العيون: وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في الحديث فدعا فاستجيب له عليه الصلاة والسلام، وفيه علم من أعلام النبوة أيضًا، وذلك كله بالله ومن الله وحده وهو الذي يملك الضر والنفع؛ والعطاء والمنع، لا إله غيره ولا رب سواه. [الفقي].

(٤) حسن: رواه أحمد (١/ ٧٨)، والطيالسي (١٨٥) ط. هجر، وأبو يعلىٰ (٥٩٣)، وغيرهم من طريق مغيرة عن أم موسىٰ عن علي فذكره، ومغيرة الضبي ثقة ربما دلس وقد عنعن، وأم موسىٰ قال الدارقطني: حديثها مستقيم يخرج حديثها اعتبارًا. وقال العجلي: كوفية تابعية ثقة. وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٢٢): رواه أبو يعلىٰ وأحمد: ورجالهما رجال الصحيح غير أم موسىٰ وحديثها مستقيم. وللحديث شاهد يتقوىٰ به من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن علي نحوه عند النسائي في خصائص علي، رقم (١٣٦)، والطبراني في «الأوسط» وحسن إسناده الهيثمي (٩/ ١٢٢).

وفيه: الأدبُ عند القتال، وترك العجلة والطيش، والأصوات التي لا حاجة إليها.

وفيه: أمرُ الإمام عمَّاله بالرفق من غير ضعفٍ ولا انتقاض عزيمة، كما يُشير إليه قوله: «حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ».

قوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ»[1] أي: الذي هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله.

وإن شئت قلت: الإسلام: شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاصِ الطاعة له ولرسوله ﷺ.

ومن هنا طابق الحديثُ الترجمة؛ كما قال تعالىٰ لنبيه ورسوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالىٰ: والإسلامُ هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهلُ اللغة.

وقال - رحمه الله تعالىٰ -: ودينُ الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رُسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوعُ له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلهًا آخر لم يكن مسلمًا، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأمَّا الإيمان، فأصله: تصديقُ القلب وإقراره ومعرفته، فهو من باب قول القلب المتضمِّن عمل القلب. انتهىٰ.

فتبيَّن أنَّ أصل الإسلام: هو التوحيد ونفيُ الشرك في العبادة، وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلامُ لله تعالىٰ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به علىٰ ألسُن رسله، كما قال تعالىٰ عن أوَّل رسولٍ أرسله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح: ٣].

وفيه: مشروعيةُ الدعوة قبل القتال، لكن إنْ كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم

---

(١) في قرة العيون: هذا هو شاهد الترجمة، وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلىٰ الإسلام والدخول فيه، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم [الفقي].

ابتداءً؛ لأن النبي ﷺ أغار علىٰ بني المصطلق(١) وهم غارُّون(٢). وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتُهم.

قوله: «وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله تَعَالَىٰ فِيهِ»(٣) أي: الإِسلام، إذا أجابوك

---

(١) حديث غزوة بني المصطلق رواه البخاري (٢٥٤١)، ومسلم (١٧٣٠).

(٢) الغار: الغافل. وقال البخاري: غزوة بني المصطلق من خزاعة. وهي المريسيع. قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست. وقال موسىٰ بن عقبة: سنة أربع. وقال النعمان بن راشد عن الزهري: أن النبي ﷺ أغار علىٰ بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تسقىٰ علىٰ الماء، فقتل مقاتلتهم وسبىٰ ذراريهم. وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث. وبنو المصطلق بطن شهير من خزاعة. وسبب غزوهم: أن النبي ﷺ بلغه أن الحارث بن ضرار سيدهم أبا جويرية يجمع الناس ويستعد لقتاله. ففاجأهم رسول الله وهم غافلون، وأسر منهم أكثرهم وأسلم الحارث بن ضرار. [الفقي].

(٣) في قرة العيون: فيه مما أمر به وشرعه من حقوق (لا إله إلَّا الله) وهذا يدل علىٰ أن الأعمال من الإِيمان خلافًا للأشاعرة والمرجئة في قولهم: إنه القول. وزعموا أن الإِيمان هو مجرد التصديق، وتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة؛ لأن الدين ما أمر الله به فعلًا، وما نهىٰ عنه تركًا.

وفيه: الرد علىٰ المشركين المستدلين علىٰ الشرك بكرامات الأولياء لدلالتها علىٰ فضلهم. وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره. وقد خد الأخاديد وأضرمها بالنار وقذف فيها من غلا فيه أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم. فصار من أشد الصحابة رضي الله عنهم بعدًا عن الشرك، وشدة علىٰ من أشرك حتىٰ أحرقهم بالنار مثل عبد الله بن سبأ اليهودي وشيعته؛ والقصة في البخاري.

وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ما أعطي من الكرامات صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه. وهؤلاء أفضل أهل الكرامات فما زادهم ذلك إلَّا قوة في التوحيد، وشدة علىٰ أهل الشرك والتنديد، كما جرىٰ لعمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس وتعمية قبر دانيال لما وجده الصحابة في بيت مال الهرمزان، كما أن المعجزات إنما زادت الرسل قوة في الدعوة إلىٰ التوحيد وشدة علىٰ أهل الشرك والإِنكار عليهم وجهادهم، ولكن قد يقع من الأحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه ما قد يلتبس علىٰ الجهال الذين تلبسوا بالشرك، ويظنون أن ذلك كرامات، وهي من مكر الشيطان، وإغوائه لمن لم يعرف الحق من الباطل، وقد قال تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣] فكذلك يجب علىٰ كل أحد أن يطلب الحق من القرآن بتدبره؛ فإنه الصراط المستقيم، ولا يلتفت إلىٰ ما زخرفته الشياطين كما اغتر به من اغتر في هذه الأمة من قبلهم.

وفيه: من أداء الفرائض علىٰ الوجه الشرعي والنهي عن تعدي الحدود التي حدها الله بين الحلال والحرام، وذلك من الإِيمان. فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله، فإذا أخذ بالإِسلام الذي هو التوحيد والإِخلاص، وأحل ما أحله الله تعالىٰ وحرم ما حرم الله تعالىٰ وأمر بذلك وجاهد عليه، فقد قام بها وجب. وبالله التوفيق. [الفقي].

إليه فأخبرهم بما يجب من حقوقه التي لا بُدَّ لهم من فعلها: كالصلوات والزكاة، كما في حديث أبي هريرة: «**فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**»، ولما قال عمر لأبي بكر في قتاله مانعي الزكاة: كيف تُقاتل الناس وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**». قال أبو بكر: فإنَّ الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدّونها إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها[(١)].

وفيه: بعثُ الإمام الدعاةَ إلىٰ الله تعالىٰ، كما كان النبيُّ ﷺ وخلفاؤه الراشدون يفعلون، كما في «المسند» عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في خُطبته: ألا إني والله ما أُرسل عُمّالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم. ولكن أُرسلهم إليكم ليعلّموكم دينكم وسُنَنكم[(٢)].

قوله: «**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» (أنْ) مصدريةٌ، واللام قبلها مفتوحة؛ لأنها لامُ القَسَم، و(أن) والفعلُ بعدها في تأويل مصدر، رُفع علىٰ الابتداء والخبر «خَيرٌ» و«حُمْر» بضم المهملة وسكون الميم، جمعُ أحمر، و«النَّعَم» بفتح النون والعين المهملة، أي: خيرٌ لك من الإبل الحمر، وهي أنفسُ أموال العرب.

قال النوويُّ: وتشبيه أُمور الآخرة بأمور الدنيا؛ إنما هو للتقريب إلىٰ الأفهام، وإلا فذرَّةٌ من الآخرة خيرٌ من الأرض بأسرها وأمثالها معها.

وفيه: فضيلةُ من اهتدىٰ علىٰ يديه رجلٌ واحد، وجوازُ الحلفِ علىٰ الخبر والفُتيا ولو لم يُستحلف.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: أن الدعوة إلىٰ الله طريقُ من اتبع رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).

(٢) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٤١)، وابن الجارود في «المنتقىٰ» (٨٤٤) من طريق أبي فراس النهدي عن عمر. وأبو فراس: لا يعرف، انظر «الميزان» للذهبي (٤/ ٥٦١)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي (٥/ ٢١١).

الثانية: التنبيه عَلَىٰ الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلىٰ الحق، فهو يدعو إلىٰ نفسه.

الثالثة: أن البصيرةَ من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حُسن التوحيد: أنه تنزيه الله تعالىٰ عن المسبَّة.

الخامسة: أنَّ مِن قُبح الشرك كونه مَسَبَّة لله.

السادسة: - وهي أهمها - إبعادُ المسلم عن المشركين لا يصير منهم، ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أن يُبدأ به قبل كل شيء، حتىٰ الصلاة.

التاسعة: أن معنىٰ: «**أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**» معنىٰ: شهادة أن لا إله إلَّا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه علىٰ التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشفُ العالِمِ الشبهةَ عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النَّهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تُحجَبُ.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرىٰ علىٰ سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ**» إلخ علَم من أعلام النبوة.

العشرون: تَفْلُه في عَيْنَيه عَلم من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي ﷺ.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكهم تلك الليلة وشُغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمانُ بالقَدَر، لحصولها لمن لم يَسْعَ لها وَمَنْعِها عمن سعىٰ.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «عَلَىٰ رِسْلِكَ».
الخامسة والعشرون: الدعوة إلىٰ الإسلام قبلَ القتال.
السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا.
السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ».
الثامنة والعشرون: المعرفة بحقِّ الله في الإسلام.
التاسعة والعشرون: ثوابُ من اهتدىٰ علىٰ يديه رجلٌ واحد.
الثلاثون: الحَلِفُ علىٰ الفُتيا.

❊ ❊ ❊

(٥)

بَابُ: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلاَّ الله

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** بابُ تفسيرِ التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلَّا الله.

ش: أراد المصنف - رحمه الله تعالىٰ - بهذه الترجمة، وما جاء بعدها من الآيات والحديث: أنْ يزيد هذا المقام بيانًا وإيضاحًا، وإلَّا فقد تقدم في الآيات والأحاديث ما يفسِّرُ لا إله إلا الله، وما دلَّت عليه من التوحيد ونفي الشرك والتنديد.

قلت: هذا من عطف الدال علىٰ المدلول[1].

فإن قيل: قد تقدم في أول الكتاب من الآيات ما يبين معنىٰ «لا إله إلَّا الله» وما تضمنته من التوحيد كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٢٣] وسابقها ولاحقها. وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها، فما فائدة هذه الترجمة؟.

قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنىٰ كلمة الإخلاص وما دلت عليه: من توحيد العبادة.

وفيها: الحجة علىٰ من تعلق علىٰ الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم؛ لأن ذلك هو سبب نزول بعض هذه الآيات، كالآية الأولىٰ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[الإسراء: ٥٦]. أكثر المفسرين علىٰ أنها نزلت فيمن يعبد المسيح وأمه، والعُزيرَ والملائكة، وقد نهىٰ الله عن ذلك أشد النهي، كما في هذه الآية من التهديد والوعيد علىٰ ذلك. وهذا يدل علىٰ أن دعاءهم من دون الله شرك بالله ينافي التوحيد، وينافي شهادة أن لا إله إلَّا الله؛ فإن التوحيد أن لا يُدعىٰ إلَّا الله وحده. وكلمة الإخلاص نفت هذا الشرك، لأن دعوة غير الله تأليه

---

(١) في قرة العيون: لأن التوحيد هو معنىٰ هذه الكلمة العظيمة، وذلك يتبين بما ساقه من الآيات والحديث؛ لما فيها من زيادة البيان وكشف ما أشكل من ذلك، وإقامة الحجة علىٰ من غلط في معنىٰ (لا إله إلَّا الله) من أهل الجهل والإلحاد. [الفقي].

وعبادة له. و«الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»(١)(٢).

وفي هذه الآية: أن المدعو لا يملك لداعيه كشف ضرر ولا تحويله من مكان إلىٰ مكان، ولا من صفة إلىٰ صفة، ولو كان المدعو نبيًّا أو ملكًا. وهذا يقرر بطلان دعوة كل مدعو من دون الله كائنًا من كان؛ لأن دعوته تخون داعيه أحوج ما كان إليها؛ لأنه أشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره. وهذه الآية تقرر التوحيد ومعنىٰ لا إله إلَّا الله.

وقوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧](٣) يبين أن هذا

---

(١) رواه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ. [الفقي].

(٢) **لفظ حديث إسناده ضعيف:** رواه الترمذي (٣٣٧١)، وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال مشهور، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن.

ولكن صح الحديث بلفظ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**» رواه الترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، وغيرهم من طريق ذر بن عبد الله الهمداني عن يُسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير فذكره مرفوعًا.

(٣) **في قرة العيون:** أي: أولئك الذين يدعوهم أهل الشرك ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين كالمسيح وأمه والعزير، فهؤلاء دينهم التوحيد وهو بخلاف من دعاهم من دون الله ووصفهم بقوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه. وأعظم القرب التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وأوجب عليهم العمل به والدعوة إليه، وهذا الذي يقربهم إلىٰ الله، أي: إلىٰ عفوه ورضاه، ووصف ذلك بقوله: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فلا يرجون أحدًا سواه ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده؛ لأن ذلك يمنعهم من الشرك، ويوجب لهم الطمع في رحمة الله والهرب من عقابه، والداعي لهم - والحالة هذه - قد عكس الأمر، وطلب منهم ما كانوا ينكرون من الشرك بالله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون الله. ففيه معنىٰ قوله: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [فاطر: ١٤] وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٦].

وفيه: الرد علىٰ من ادعىٰ أن شرك المشركين إنما هو بعبادة الأصنام، وتبين بهذه الآية أن الله تعالىٰ أنكر علىٰ من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم، وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر هو من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وأن ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الإخلاص.

فتدبر هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد، فإنها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه والعزير، فهم المعنيون بقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦]. ثم بين تعالىٰ أن هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه فقال: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ =

سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين. قال قتادة: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وقرأ ابن زيد: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[1]. قال العماد

= يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]وقدم المعمول لأنه يفيد الحصر، يعني: يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة لا إلىٰ غيره. وأعظم الوسائل إلىٰ الله تعالىٰ التوحيد الذي بعث به الله أنبياءه ورسله، وخلق الخلق لأجله. ومن التوسل إليه: التوسل بأسمائه وصفاته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]وكما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات كقوله ﷺ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»**، وقوله: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»** وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يشبها شرك. فالتوسل إلىٰ الله هو بما يحبه ويرضاه، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزه نفسه عنه بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ [الحشر: ٢٣]وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]وقوله في الإنكار علىٰ من اتخذ الشفعاء ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير يأمر عباده بإخلاص العبادة له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، ويعظم عقوبته كما قد جرىٰ علىٰ الأمم المكذبة للرسل فيما جاءوهم به من التوحيد والنهي عن الشرك. فأوقع الله تعالىٰ بهم ما أوقع كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم؛ فإنهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد وتمسكوا بالشرك، وقالوا لنوح: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧]. وقالوا لهود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣﴾ [هود: ٥٣] الآيات. وقالوا لصالح: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٦٢﴾ [هود: ٦٢] وقالوا لشعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧].

فتدبر ما قص الله تعالىٰ في كتابه مما دعت إليه الرسل وما أوقع بمن عصاهم؛ فإن الله تعالىٰ أقام به الحجة علىٰ كل مشرك إلىٰ يوم القيامة. وأما ما ورد في معنىٰ الآية عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم.

فإنه لا يخالف ما تقدم؛ لأن هذه الآية حجة علىٰ كل من دعا مع الله وليًّا من الأولين والآخرين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ في هذه الآية: وهذه الأقوال كلها حق؛ فإن الآية تعم من كان معبوده عابدًا لله سواء كان من الملائكة أو الجن أو من البشر. [الفقي].

(١) يعني: أن جميع الصالحين الذين يدعوهم المشركون ويستغيثون بهم إما توسلًا إلىٰ الله ليقضي حوائجهم، وإما استقلالًا، بأن يطلبوا منهم قضاء الحاجة معتقدين بأن الله وهبهم التكوين والتصرف، أولئك الصالحون مشتغلون بأنفسهم يدعون الله لها ويتوسلون إليه بعبادته مخلصين له الدين خائفين عذابه راجين رحمته، وإذا لم يملكوا =

ابن كثير: وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين. وذكره عن عدة من أئمة التفسير.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاث: الحب، وهو ابتغاء التقرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء والخوف. وهذا هو حقيقة التوحيد وحقيقة دين الإسلام، كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال للنبي ﷺ: والله يا رسول الله ما أتيتك إلَّا بعدما حلفتُ عدد أصابعي هذه أن لا آتيك، فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال: «**الْإِسْلَامُ**». قال: وما الإسلام؟ قال: «**أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ وَأَنْ تُوَجِّهَ وَجْهَكَ إِلَىٰ اللهِ، وَأَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ**»[1].

وأخرج محمد بن نصر المروزي من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلْإِسْلَامِ صُوىً**[2] **وَمَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَالْأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**»[3] وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ

=

لأنفسهم نفعًا ولا دفع ضر، فكيف يملكون لغيرهم ضرًّا أو نفعًا؟. [الفقي].

(١) إسناده حسن: رواه النسائي (٥/ ٤، ٨٢)، وأحمد (٤/ ٤٤٦، ٥/ ٣، ٤) من طريق أبي قزعة وبهز بن حكيم كلاهما عن حكيم بن معاوية عن معاوية بن حيدة به.

(٢) **الصوىٰ**: الأعلام المنصوبة من الحجارة في المفازة المجهولة يستدل بها علىٰ الطريق، واحدتها صوة - كقوة - أراد أن للإسلام طرائق وأعلامًا يهتدىٰ بها. [الفقي].

(٣) رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٠٥)، والحاكم (١/ ٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» وغيرهم من طريق ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي هريرة به مرفوعًا، وقال ابن أبي حاتم في «المراسيل»: خالد أدرك أبا هريرة ولا يذكر له سماع. وقد ذكر أنه لقي سبعة عشر رجلًا من الصحابة، انظر الحاكم (١/ ٢١)، والبخاري في «التاريخ» (٣/ ١٧٦)، ورواه أبو عبيد بن سلام في «الإيمان» رقم (٣) من حديث يحيىٰ بن سعيد العطار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي هريرة مرفوعًا. ويحيىٰ بن سعيد العطار شامي ضعيف. وللحديث شاهد من حديث أبي الدرداء رواه ابن دوستي في «الأمالي» (١١٨/ ٢) كما في «الصحيحة»، (٣٣٣)، وفي إسناده عبد الله بن صالح وفيه ضعف وصحح الحديث الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣٣).

ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

وقولــه تعــالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨] أي: لا إله إِلَّا الله.

فتدبر كيف عبر الخليل – عليه السلام – عن هذه الكلمة العظيمة بمعناها الذي دلت عليه ووضعت له[1] من البراءة من كل ما يعبد مـن دون الله مـن المعبـودات الموجـودة في الخارج: كالكواكب والهياكل والأصنام التي صورها قوم نوح علىٰ صـور الـصالحين: ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وغيرها من الأوثان والأنداد التي كـان يعبـدها المـشركون بأعيانها. ولم يستثن من جميع المعبودات إِلَّا الذي فطره، وهو الله وحده لا شريك له، فهـذا هـو الذي دلت عليه كلمة الإِخـلاص مطابقـة. كـما قـال تعـالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. فكل عبادة يقصد بها غير الله: من دعاء وغيره فهـي باطلة، وهي الشرك الـذي لا يغفـره الله، قـال تعـالىٰ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر: ٧٣-٧٤].

وقولــــه تعــــالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ[2] وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ

---

(١) **في قرة العيون:** فعبر عن المنفي بها قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦] وعبر عما أثبتته بقولـه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧] فقصر العبادة علىٰ الله وحده، ونفاها عن كل ما سـواه ببراءتـه مـن ذلـك. فـما أحـسن التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه.

قال العماد ابن كثير في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]: أي: هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إِلَّا الله، جعلها في ذريته يقتدىٰ به فيها من هداه الله مـن ذريـة إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: إليها. قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والـسدي وغـيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾. يعني: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لا يزال في ذريته من يقولها. [الفقي].

(٢) **الأحبار:** هم العلماء. والرهبان: هم العباد. قال السدي: استنصحوا الرجـال ونبـذوا كتـاب الله وراء ظهـورهم. ولهـذا قـال تعـالىٰ في الآيـة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١] فصار ذلك عبادة لهم. وجعلوا أحبارهم ورهبانهم مشرعين في تحليل ما حـرم الله وتحريم ما أحل الله، فاتخذوهم بذلك أربابًا؛ لأن التشريع من خصائص الربوبية كما أن العبادة من مستحقات الربوبيـة. وقـال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠]. [الفقي].

مَرْيَمَ﴾[1] [التوبة: ٣١].

وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ تلا هذه الآية علىٰ عدي بن حاتم الطائي فقال: يا رسول الله، لسنا نعبدهم. قال: «**أَلَيْسَ يُحِلُّونَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟**» قال: بلىٰ. قال النبي ﷺ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»[2][3].

---

(١) في قرة العيون: أي: اتخذوه ربًّا بعبادتهم له من دون الله. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧]. فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنىٰ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وتبين له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعي العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخري هذه الأمة، وقد عمت البلوىٰ بالجهل بعد القرون الثلاثة لما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم وبنيت عليهم المساجد، وبنيت لهم المشاهد، فاتسع الأمر وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم بالعبادة. فبهذه الأمور التي وقع فيها الأكثر، وعاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنة والسنة بدعة، نشأ علىٰ هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**» وفي رواية: «**يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ**». [الفقي].

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير مطولًا. [الفقي].

(٣) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٣٠٩٥)، والبيهقي (١٠/ ١١٦)، والطبري في «التفسير» (١٦٦٤٧، ١٦٦٤٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٠٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٢١٨ و ٢١٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٥٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ١١٨)، وابن عبد البر معلقًا في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨٦٢) من طريق عبد السلام بن حرب قال: حدثنا غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم فذكره، وفي الإسناد عبد السلام بن حرب ثقة حافظ له مناكير كما قال الحافظ، وغطيف بن أعين الجزري ذكره ابن حبان في «الثقات»، وروىٰ عنه غير واحد، وقال فيه الترمذي: ليس بمعروف في الحديث، وضعفه الدارقطني. وضعفه الحافظ في «التقريب» ورواه أبو البختري واسمه سعيد واختلف عليه.

فرواه الطبري في «تفسيره» (١٦٦٤٩ و ١٦٦٥٠ و ١٦٦٥١ و ١٦٦٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٠٥٨)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١١٦)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٥٤)، وابن عبد البر في «بيان العلم وفضله» (١٨٦٤) من طريق سفيان الثوري والأعمش والعوام عن حبيب بن أبي زائدة عن أبي البختري عن حذيفة قوله في تفسير الآية، وفي الإسناد حبيب وهو مدلس وقد عنعن، وأبو البختري أرسل عن حذيفة فسنده منقطع.

=

فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابًا، كما هو الواقع في هذه الأمة، وهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلَّا الله.

فتبين بهذه الآية أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة، فأثبتوا ما نفته من الشرك وتركوا ما أثبتته من التوحيد.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فكل من اتخذ ندًّا لله يدعوه من دون الله، يرغب إليه ويرجوه لما يؤمله منه من قضاء حاجاته وتفريج كرباته - كحال عُباد القبور والطواغيت والأصنام - فلا بد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك؛ فإنهم أحبوهم مع الله وإن كانوا يحبون الله تعالىٰ(١)، ويقولون: «لا إله إلَّا الله»

=

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٧٨٦)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٥٦)، وابن عبد البر في «بيان العلم وفضله» (١٨٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٦٦٥٢) من طريق ابن فضيل وجرير وأبي الأحوص عن عطاء بن السائب عن أبي البختري مقطوعًا من قوله، وفي الإسناد عطاء بن السائب وهو مختلط.

وجرير ومحمد بن فضيل رويا عنه بعد الاختلاط وأما أبو الأحوص فلم يذكر أنه رویٰ عنه قبل الاختلاط.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦٦٥٨) عن بشر بن سويد عن سفيان عن عطاء عن أبي البختري عن حذيفة فذكره.

وقد خالف بشر بن سويد أصحاب سفيان كوكيع وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهما فقد روياه عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري عن حذيفة فذكره كما سبق في الخلاف الأول علىٰ أبي البختري وهو الصواب من رواية سفيان ولا سيما وقد تابعه الأعمش وغيره كما سبق.

(١) هم في الواقع ما أحبوا الله حقيقة؛ لأن حب الله لا يكون إلا عن معرفة بالله، بأسمائه وصفاته. ومن أحب الله علىٰ الحقيقة لا يمكن أن يتخذ من دونه ندًّا. وليس معنىٰ: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: كحبهم لله. ولكن معناها - والله أعلم -: يحبونهم حبًّا من جنس الحب الذي لا يكون إلَّا لله. وهو حب العبادة: غاية الحب في غاية الذل والتعظيم. فهذا هو الحب الذي ينشأ عنه الدعاء واللجأ والضراعة وطلب تفريج الكروب ونحوها، مما يجرده المؤمنون لله وحده وهم أشد حبًّا لله، والمشركون يجردونه لأوليائهم أو يشركونهم مع الله، ولا يرجون لله وقارًا.

وقال في قرة العيون: الأنداد: الأمثال والنظراء، كما قال العماد ابن كثير وغيره من المفسرين. فكل من صرف من العبادة شيئًا لغير الله رغبة إليه أو رهبة منه، فقد اتخذه ندًّا لله؛ لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -: «فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه أي: مع الله بعبادته له، وتوحيد الحب أن لا يبقىٰ في قلبه بقية حب حتىٰ يبذلها له، فهذا الحب وإن سمي عشقًا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلَّا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن لا تكون محبته لغير الله، فلا

=

ويصلون ويصومون، فقد أشركوا بالله في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره. فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله يبطل كل قول يقولونه وكل عمل يعملونه؛ لأن المشرك لا يقبل منه عمل ولا يصح منه. وهؤلاء وإن قالوا: «لا إله إلَّا الله» فقد تركوا كل قيد قيِّدت به هذه الكلمة العظيمة: من العلم بمدلولها؛ لأن المشرك جاهل بمعناها، ومن جهله بمعناها جعل لله شريكًا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلت عليه من الإخلاص، ولم يكن صادقًا في قولها؛ لأنه لم ينف ما نفته من الشرك، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وترك اليقين أيضًا؛ لأنه لو عرف معناها وما دلت عليه لأنكره أو شك فيه، ولم يقبله وهو الحق، ولم يكفر بما يعبد من دون الله؛ كما في الحديث. بل آمن بما يعبد من دون الله باتخاذه الندّ ومحبته له وعبادته إياه من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾؛ لأنهم أخلصوا له الحب فلم يحبوا إلَّا إياه، ويحبون من أحب ويخلصون أعمالهم جميعًا لله، ويكفرون بما عبد من دون الله.

فبهذا يتبين لمن وفقه الله تعالىٰ لمعرفة الحق وقبوله دلالة عَلَىٰ هذه الآيات العظيمة علىٰ

= يحب إلَّا الله، كما في الحديث الصحيح: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ» ومحبة رسوله هي من محبته، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها. ويصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلىٰ محبوبه - وهو الكفر - بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد. ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة؛ فإن الإنسان لا يقدم علىٰ محبة نفسه شيئًا، فإذا قدم محبة الإيمان بالله علىٰ نفسه بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقىٰ في النار ولا يكفر، كان أحب إليه من نفسه. وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة، كما لا مثيل لمن تعلقت به، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها علىٰ النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان، ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركًا لا يغفره الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. والصحيح أن معنىٰ الآية: أن الذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم، كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا، كما لا يماثل محبوبهم غيره. وكل أذىٰ في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته. انتهىٰ. [الفقي].

معنىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله، وعلىٰ التوحيد الذي هو معناها الذي دعا إليه جميع المرسلين. فتدبر.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

ش: يتبيَّنُ معنىٰ هذه الآية بذكر ما قبلها، وهو قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].

قال ابنُ كثير: يقول تعالىٰ: ﴿قُلِ﴾ يا محمد[١] للمشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ من الأصنام والأنداد، وارغبوا إليهم؛ فإنَّهم ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾، أي: بالكلية ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: ولا أن يحوِّلوه إلىٰ غيركم.

فإنَّ الذي يقدرُ علىٰ ذلك هو الله وحده لا شَريك له، الذي له الخلق والأمر.

قال العَوْفي عن ابن عباس في الآية: كان أهلُ الشرك يقولون: نعبدُ الملائكة والمسيح وعُزيرًا[٢]، وهم الذين يُدعون.

وروىٰ البخاريُّ - في الآية - عن ابن مسعود، قال: ناسٌ من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا. وفي رواية: كان ناسٌ من الإنس يَعبُدون ناسًا من الجن فأسلم الجنُّ وتمسَّك هؤلاء بدينهم[٣].

وقولُ ابن مسعود هذا يدلُّ علىٰ أنَّ الوسيلة هي الإسلام، وهو كذلك علىٰ كلا القولين.

وقال السُّدي عن أبي صالح، عن ابن عباس في الآية؛ قال: عيسىٰ وأُمُّهُ وعُزير[٤].

---

(١) يستعمل المفسرون هذا الخطاب كثيرًا، تفسيرًا لخطاب الله. ولكن يلاحظ أن الله لم يخاطب رسوله ولا مرة واحدة بهذا الخطاب «يا محمد»، بل كل خطاب الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ فينبغي أن يكون ذلك كذلك، والله أعلم. [الفقي].

(٢) **ضعيف:** لأن عطية العوفي ضعيف وانظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٦).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠).

(٤) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ١٠٥، ١٠٦) من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وأبو صالح باذام مولىٰ أم هانئ ضعيف، وقال ابن حبان: لم يسمع من ابن عباس.

وقال مغيرة عن إبراهيم: كان ابنُ عباس يقول في هذه الآية: هم عيسىٰ وعُزير، والشمس والقمر [١].

وقال مُجاهد: عيسىٰ وعُزير والملائكة [٢].

قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ لا تتم العبادةُ إلَّا بالخوف والرجاء، فكل داعٍ دُعاءَ عبادةٍ أو استغاثة لا بد له من ذلك: فإمَّا أن يكون خائفًا، وإما أن يكون راجيًا، وإما أن يجتمع فيه الوصفان.

قال شيخُ الإسلام - رحمه الله تعالىٰ - في هذه الآية، لَمَّا ذكر أقوال المفسرين: وهذه الأقوال كلها حق؛ فإنَّ الآية تعمُّ من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر. والسلفُ في تفسيرهم يذكرون جنسَ المراد بالآية علىٰ نوع التمثيل، كما يقول التُّرجُمان لمن سأله: ما معنىٰ الخُبز؟ فيريه رغيفًا. فيقول: هذا. فالإشارة إلىٰ نوعه لا إلىٰ عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية.

فالآيةُ خطابٌ لكل من دعا من دون الله مدعوًّا، وذلك المدعو يبتغي إلىٰ الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكلُّ من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن، فقد نهىٰ الله تعالىٰ عن دعائهم، وبيَّن أنهم لا يملكون كشف الضرِّ عن الداعين ولا تحويله، ولا يرفعونه بالكلية ولا يحوِّلونه من موضع إلىٰ موضع، كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ فذكر نكرة تعمُّ أنواع التحويل.

فكلُّ من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين أو دعا الملائكة، فقد دعا من لا يُغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله. انتهىٰ.

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٥/ ١٠٦) عن شيخه ابن حميد وهو ضعيف، ومغيرة بن مقسم مدلس ولا سيما عن إبراهيم.

(٢) حسن بطريقيه: رواه الطبري (١٥/ ١٠٦) من طريقين، أحدهما: عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني: عن ابن جريج عن مجاهد. وابن أبي نجيح وابن جريج كلاهما مدلس وقد عنعن وقد توسعت في روايتها عن مجاهد في تحقيقي لـ«حادي الأرواح».

وفي هذه الآية ردٌّ على من يدعو صالحًا، ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئًا، الشركُ عبادة الأصنام.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

ش: قال ابنُ كثير: يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحُنفاء، ووالد من بُعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[الزخرف: ٢٦-٢٨] أي: هذه الكلمة وهي عبادةُ الله وحده لا شريك له، وخلعُ ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلَّا الله[1] جعلها في ذُريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذُرية إبراهيم - عليه السلام - ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها.

قال عكرمة ومجاهد والضَّحاك وقتادة والسدي وغيرُهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ يعني: لا إله إلَّا الله، لا يزال في ذريته من يقولها[2].

وروى ابن جرير عن قتادة: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ قال: كانوا يقولون: إن الله ربُّنا. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزخرف: ٨٧] فلم يبرأ من ربِّه[3]. ورواه عبد بن حُميد.

وروى ابنُ جرير وابن المنذر عن قتادة: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ قال: الإخلاصُ

---

(١) فإن (لا إله إلَّا الله) مطابقة لقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[الزخرف: ٢٦، ٢٧]؛ لأن كلتاهما مركبة من جملتين: نفي، وهي ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ و﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ وإثبات: وهي ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ و﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فينبغي أن يلاحظ المسلم عند نطقه بكلمة الشهادة ذلك ويحققه علمًا وعملًا [الفقي].

(٢) الطبري (٢٥/ ٦٣)، وابن كثير (٤/ ١٢٦).

(٣) رجاله ثقات: رواه الطبري (٢٥/ ٦٢) من طريق سعيد عن قتادة.

وقيل: سعيد لم يسمع التفسير من قتادة كما قال القطان، ولكن غيره من أهل العلم كأحمد وغيره قووا رواية سعيد عن قتادة في التفسير.

والتوحيد، لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحّده[(١)].

قلتُ: فتبيَّن أن معنىٰ لا إله إلَّا الله: توحيدُ الله بإخلاص العبادة له والبراءة من كل ما سواه.

قال المُصَنِّفُ: وذكر سبحانه أنَّ هذه البراءة وهذه الموالاة، هي شهادةُ أن لا إله إلَّا الله.

وفي هذا المعنىٰ يقول العلَّامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في «الكافية الشافية»:

وَإِذَا تَوَلَّاهُ امْرُؤٌ دُونَ الوَرَىٰ ... طُرًّا تَوَلَّاهُ العَظِيمُ الشَّانِ

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

ش: الأحبارُ: هم العُلماء، والرُّهبان: هم العُبَّاد.

وهذه الآيةُ قد فسَّرها رسولُ الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مُسْلِمًا، دخل علىٰ رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية. قال: فقلتُ: إنَّهم لم يعبدوهم. فقال: «**بَلَىٰ، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الحَلَالَ، وَحَلَّلُوا لَهُمُ الحَرَامَ فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»[(٢)] رواه أحمد والترمذي وحسنه، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طُرق.

قال السُّدي: استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، فإنَّ الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله تعالىٰ.

فظهر بهذا، أنَّ الآية دلَّت علىٰ أنَّ من أطاع غير الله ورسوله. وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن الله، فقد اتخذه ربًّا ومعبودًا وجعله لله شريكًا، وذلك يُنافي التوحيد الذي

---

(١) **حسن لغيره:** رواه الطبري (٢٥/ ٦٣) من طريق معمر عن قتادة به. ورواية معمر عن قتادة فيها ضعف ولكن رُوي نحوه عن قتادة بأسانيد تقوي بعضها بعضًا كما في الطبري.

(٢) **إسناده ضعيف:** وسبق الكلام عليه.

هو دينُ الله الذي دلَّت عليه كلمةُ الإخلاص «لا إله إلَّا الله»؛ فإنَّ الإله هو المعبود، وقد سمَّىٰ الله تعالىٰ طاعتهم عبادةً لهم، وسمَّاهم أربابًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠] أي: شركاء لله تعالىٰ في العبادة ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠] فكلُّ معبودٍ رب، وكل مطاع ومتبع علىٰ غير ما شرعه الله تعالىٰ ورسوله فقد اتخذه المطيع المتَّبِعُ ربًّا ومعبودًا، كما قال تعالىٰ في آية الأنعام: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١]. وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة.

ويُشبه هذه الآية في المعنىٰ، قول الله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١] والله أعلم.

قال شيخُ الإسلام في معنىٰ قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارَهم ورُهبانهم أربابًا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحل الله، يكونون علىٰ وجهين:

أحدُهما: أن يعلموا أنهم بدَّلوا دينَ الله فيتبعونهم علىٰ التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله أو تحريمَ ما أحل الله؛ اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل. فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يُصلُّون لهم ويسجدون لهم. فكان من اتبع غيرَه في خلاف الدين - مع علمه أنه خلافٌ للدين - واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله، مشركًا مثل هؤلاء.

الثاني: أنْ يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعلُ المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حُكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[1].

ثم ذلك المحرِّمُ للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهدًا قصدُه اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقىٰ الله ما استطاع، فهذا لا يُؤاخذه الله بخطئه، بل

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

يثيبُه علىٰ اجتهاده الذي أطاع به ربه.

ولكن من علم أنَّ هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه علىٰ خطئه وعدل عن قول الرسول، فهذا له نصيبٌ من هذا الشرك الذي ذمَّه الله، لا سيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باليد واللسان، مع علمه بأنه مخالفٌ للرسول، فهذا شركٌ يستحق صاحبه العقوبة عليه.

ولهذا اتفق العلماءُ علىٰ أنَّه إذا عُرف الحق لا يجوز تقليد أحدٍ في خلافه، وإنَّما تنازعوا في جواز التقليد للقادر علىٰ الاستدلال.

وإنْ كان عاجزًا عن إظهار الحق الذي يعلمه. فهذا يكون كمن عرف أنَّ دين الإسلام حق وهو بين النصارىٰ، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه، وهؤلاء كالنجاشي وغيره. وقد أنزل الله في هؤلاء الآيات من كتابه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وأمَّا إن كان المتبعُ للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق علىٰ التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثلُه من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القِبْلة.

وأمَّا إنْ قلَّد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أنَّ معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية، وإنْ كان متبوعُه مصيبًا لم يكن عمله صالحًا، وإنْ كان متبوعُه مخطئًا كان آثمًا. كمن قال في القرآن برأيه، فإنْ أصاب فقد أخطأ، وإنْ أخطأ فليتبوأ مقعده من النار[1].

وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد، ومن جنس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؛ فإنَّ ذلك لما أحبَّ المال منعه عن عبادة الله وطاعته وصار

(١) في ذلك حديث جندب مرفوعًا عند أبي داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢) من طريق سهيل بن مهران أخو حزم القطعي عن أبي عمران الجوني عن جندب به، وسهيل ضعيف، وجاء نحو ذلك عن ابن عباس مرفوعًا عند الترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٨٨٥)، وأحمد (١/ ٢٣٣، ٢٦٩) من طريق عبد الأعلىٰ الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وعبد الأعلىٰ الثعلبي ضعيف.

عبدًا له، وكذلك هؤلاء فيكون فيهم شركٌ أصغر، ولهم من الوعيد بحسب ذلك. وفي الحديث: «إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ»[1] وهذا مبسوطٌ عند النصوص التي فيها إطلاقُ الكفر والشرك علىٰ كثير من الذنوب. انتهىٰ.

وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله **في معنىٰ قول الله تعالىٰ:** ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ [فصلت: ٩] أي: وتجعلون لمن خلق ذلك الأنداد، وهم الأكفاء من الرجال تُطيعونهم في معاصي الله. انتهىٰ.

قلتُ: كما هو الواقع من كثير من عُبَّاد القبور!

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ش: قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالىٰ: يذكر تعالىٰ حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا لله أندادًا، أي: أمثالًا ونُظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلَّا هو، ولا ضد له، ولا ند له، ولا شريك معه.

وفي «الصحيحين»، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**».

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الحاكم (١/ ٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣١٧)، والبيهقي في «الأسماء» (١٠٤٦) من طريق الربيع بن سليمان عن عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن معاذ به مرفوعًا.

وهذا إسناد ظاهره الصحة لكن به علة، وهو أن عياش سمع هذا الحديث من عيسىٰ بن عبد الرحمن الزرقي عن زيد بن أسلم به، وعيسىٰ متروك، أشار إلىٰ هذه الرواية البيهقي في «الأسماء» بعد الرواية الأولىٰ ووصلها في «الشعب» (٥/ ٣٢٨)، والحاكم (٤/ ٣٢٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣١٧)، وأبو نعيم (١/ ٥)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٨) من طرق عن سعيد بن أبي مريم عن عياش عن عيسىٰ عن زيد به: وللحديث طريق رواه الحاكم (٣/ ٢٧٠)، وأبو نعيم (١/ ١٥) من طريق أبي قحذم عن أبي قلابة عن ابن عمر به مرفوعًا، وأبو قحذم واهٍ. وأبو قلابة لم يسمع من ابن عمر.

والحديث له طريقان آخران ضعيفان انظر الحاكم (٢/ ٤٥)، وتحقيق الحاشدي «لكتاب الأسماء والصفات» للبيهقي. حديث (١٠٤٦).

لا يُشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكَّلون عليه، ويلجأون في جميع أمورهم إليه.
ثم توعَّد تعالىٰ المشركين، الظالمين لأنفسهم بذلك.

فقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

قال بعضُهم: تقديرُ الكلام: لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذٍ أنَّ القوة لله جميعًا، أي: أنَّ الحكم لله وحده لا شريك له، فإنَّ جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]. كما قال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥ - ٢٦].

يقول: لو علموا ما يعاينون هناك وما يحلُّ بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل علىٰ شركهم وكفرهم؛ لانتهوا عما هم فيه من الضلال. ثم أخبر عن كُفرهم بأوثانهم وتبرُّء المتبوعين من التابعين. فقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦] تبرأت منهم الملائكةُ الذين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدونهم في الدنيا، فتقول الملائكة[1]: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٣]. ويقولون: ﴿سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤١]. والجن أيضًا يتبرأون منهم ويتنصلون من عبادتهم لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ

---

(١) قال العماد ابن كثير في تفسير سورة «القصص»: «وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص: ٦٣] يعني: الشياطين والمردة والدعاة إلىٰ الكفر ﴿رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٣] فشهدوا عليهم أنهم أغووهم، ثم تبرأوا من عبادتهم» اهـ. والدعاة إلىٰ الكفر: هم من بني آدم ممن كانوا رؤساء وشيوخًا لأولئك الغاوين كأصحاب الطرق الصوفية، فإنهم الذين زينوا لمريديهم ومتبوعيهم الشرك والكفر بالله ورسوله. فإن أساس طرقهم الشيطانية: أن يعبد المريد شيخه بأنواع التعظيم والخوف واعتقاد أنه جاسوس قلبه يدخل ويخرج والمريد لا يشعر. وأنه قبل أن يذكر الله يستحضر الشيخ في قلبه. ويعظمونهم بأنواع الطاعة العمياء أحياء وأمواتًا - كما هو مدون في كتبهم - من شروط المريد وما يسمونه العهد الوثيق. وتجد أكثر هذا الكفر والضلال في كتب الشعراني. وأما آيات سورة «الأحقاف» فإنها صريحة في أن الذين يكفرون بشرك المشركين: هم من عباد الله الصالحين الذين اتخذهم الناس آلهة بعد موتهم، واتخذوا قبورهم أوثانًا، وما كانوا يحبون ذلك ولا يرضون به، من أمثال الحسين وإخوته وأبيه وأبنائهم، والإمام الشافعي في مصر، وأبي حنيفة وعبد القادر في بغداد ونحوهم، فإنهم يتبرأون يوم القيامة من أولئك المشركين. [الفقي].

وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦] انتهىٰ كلامه.

روىٰ ابن جرير، عن مجاهد، في قوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ مباهاة ومضاهاة للحق سبحانه بالأنداد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من الكفار لأوثانهم[1].

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: ومن الأمور المبيِّنة لتفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إِلَّا الله: آيةُ البقرة في الكفار الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧] ذكر أنهم يُحِبُّون أندادهم كحب الله، فدل علىٰ أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا، فلم يُدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إِلَّا النِّد وحده؟ انتهىٰ.**

ففي الآية بيانُ أنَّ من أشرك مع الله تعالىٰ غيره في المحبة فقد جعله شريكًا لله في العبادة واتخذه ندًّا من دون الله، وأنَّ ذلك هو الشركُ الذي لا يغفره الله، كما قال تعالىٰ في أولئك: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾. وقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٥] المرادُ بالظلم هنا: الشرك. كقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] كما تقدم.

فمن أحب الله وحده، وأحب فيه وله فهو مخلص، ومن أحبه وأحب معه غيره، فهو مشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

قال شيخُ الإسلام ما معناه: فمن رغب إلىٰ غير الله في قضاء حاجة أو تفريج كربة، لزم أن يكون محبًّا له، ومحبَّتُهُ هي الأصل في ذلك. انتهىٰ.

فكلمةُ الإخلاص: لا إله إِلَّا الله تنفي كلَّ شرك في أي نوع كان من أنواع العبادة، وتُثبت العبادة بجميع أفرادها لله تعالىٰ. وقد تقدَّم بيانُ أنَّ الإله: هو المألوه، الذي تألهه

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٢/ ٦٦) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس، بل قيل: لم يسمع التفسير من مجاهد.

القلوب بالمحبة أو غيرها من أنواع العبادة فلا إله إلَّا الله، نفت ذلك كلَّه عن غير الله، وأثبتته لله وحده. فهذا هو الذي دلت عليه كلمةُ الإخلاص مطابقة، فلا بد من معرفة معناها واعتقاده، وقبوله، والعمل به باطنًا وظاهرًا، والله أعلم.

قال ابنُ القيم - رحمه الله تعالىٰ -: فتوحيدُ المحبوب أنْ لا يتعدَّد محبوبهُ أي: مع الله تعالىٰ بعبادته له، وتوحيد الحب: أنْ لا يبقىٰ في قلبه بقيةُ حب حتىٰ يبذلها له، فهذا الحب - وإن سُمِّي عشقًا - فهو غايةُ صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاحٌ ولا نعيم إلَّا بأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من كل ما سواهما، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله تعالىٰ، فلا يُحب إلَّا الله، ولا يحب إلَّا لله، كما في الحديث الصحيح: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ**»[1][2] الحديث.

ومحبةُ رسول الله ﷺ هي من محبة الله، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي مُنقصةٌ لمحبة الله مضعفة لها.

ويُصدِّقُ هذه المحبة: بأنْ تكون كراهيته لأبغض الأشياء إلىٰ محبوبه - وهو الكفر - بمنزلة كراهيته لإلقائه في النار أو أشد، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة، فإنَّ الإنسان لا يقدم علىٰ محبة نفسه وحياته شيئًا، فإذا قدم محبة الإيمان بالله علىٰ نفسه بحيث لو خيِّر بين الكفر وبين إلقائه في النار لاختار أن يُلقىٰ في النار ولا يكفر، كان أحبَّ إليه من نفسه.

وهذه المحبة هي فوقَ ما يجده العشاق المحبون من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة؛ كما لا مثل لمن تعلَّقت به، وهي محبةٌ تقتضي تقديمَ المحبوب فيها علىٰ النفس والمال والولد. وتقتضي كمال الذُّل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا. وهذا لا نظير له في محبة المخلوق، ولو كان المخلوق من كان.

---

(١) رواه البخاري عن أنس بلفظ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». [الفقي]

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣) عن أنس بلفظ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

ولهذا من شرَّك بين الله تعالىٰ وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مُشركًا شركًا لا يغفره الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والصحيح: أنَّ معنىٰ الآية: أنَّ الذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله من أهل الأنداد لأندادهم. كما تقدم أنَّ محبة المؤمنين لربهم لا يُماثلها محبة المخلوق أصلًا، كما لا يُماثل محبوبهم غيره. وكلُّ أذىٰ في محبة غيره فهو نعيمٌ في محبته. وكلُّ مكروهٍ في محبة غيره فهو قرة عين في محبته، ومن ضرب بمحبته الأمثال التي في محبة المخلوق للمخلوق: كالوصل، والهجر، والتجني بلا سبب من المُحب، وأمثال ذلك مما يتعالىٰ الله عنه علوًّا كبيرًا، فهو مخطئٌ أقبح الخطأ وأفحشه، وهو حقيقٌ بالإبعاد والمقت. انتهىٰ.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن النبي ﷺ، أنه قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ»**(١).

ش: قوله: (وفي «**الصحيح**»): أي: «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فذكره.

وأبو مالك، اسمه: سعد بن طارق، كوفيٌّ ثقة، مات في حُدود الأربعين ومائة. وأبوه طارق بن أشْيَم - بالمعجمة والمُثنَّاة التحتية وزن أحمر - ابن مسعود الأشجعي، صحابيٌّ له أحاديث. قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه.

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي مالك قال: وسمعته يقول للقوم: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ**»(٢) رواه أحمد من طريق يزيد بن هارون قال: أنبأنا أبو مالك الأشجعي، عن أبيه.

ورواه الإمام أحمد، عن عبد الله بن إدريس، قال: سمعتُ أبا مالك قال: قلتُ لأبي... الحديث. ورواية الحديث بهذا اللَّفظ تفسر لا إله إلَّا الله.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٧٢، ٦/ ٣٩٤ - ٣٩٥)، وليس في أحد الطريقين عبد الله بن إدريس.

قوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ» اعلم أنَّ النبيَّ ﷺ علَّق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قولُ: لا إله إلَّا الله، عن علمٍ ويقينٍ، كما هو مُقيَّد في قولها في غير ما حديث كما تقدم.

والثاني: الكفر بما يُعبد من دون الله، فلم يكتف باللَّفظ المجرد عن المعنىٰ. بل لا بد من قولها والعمل بها(١).

قلتُ: وفيه معنىٰ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وهذا من أعظم ما يُبيِّن معنىٰ: لا إله إلَّا الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلَّا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرُم مالُه ودمه حتىٰ يُضيف إلىٰ ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألةٍ ما أجلَّها ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع! انتهىٰ.**

قلتُ: وهذا هو الشرط المصحِّحُ لقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فلا يصح قولُها بدون هذه الخمس التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالىٰ أصلًا. قال تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

أمر بقتالهم حتىٰ يتوبوا من الشرك، ويخلصوا أعمالهم لله تعالىٰ، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا عن ذلك أو بعضه قوتلوا إجماعًا.

وذكر ابن كثير رحمه الله تعالىٰ، في تفسير قوله تعالىٰ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلىٰ: ١٤]

---

(١) **في قرة العيون:** فيه دليل أنه لا يحرم ماله ودمه إلَّا إذا قال: «لا إله إلَّا الله»، وكفر بما يعبد من دون الله، فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فدمه وماله حلال؛ لكونه لم ينكر الشرك ويكفر به، ولم ينفه كما نفته «لا إله إلَّا الله». فتأمل هذا الموضوع فإنه عظيم النفع. [الفقي].

فقال: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن أحمد، وساق بسنده عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾. قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ»[1] الحديث.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة مرفوعًا: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ»[2].

وفي «الصحيحين»، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ».

وهذان الحديثان تفسيرُ الآيتين: آية «الأنفال»، وآية «براءة». وقد أجمع العلماءُ علىٰ أنَّ من قال: «لا إله إلَّا الله» ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتىٰ يعمل بما دلَّت عليه من النفي والإثبات.

قال أبو سُليمان الخطَّابي رحمه الله تعالىٰ في قوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: معلومٌ أن المراد بهذا: أهل عبادة الأوثان، دون أهل الكتاب؛ لأنهم يقولون: «لا إله إلَّا الله»، ثم يُقاتَلون ولا يُرفع عنهم السيف.

وقال القاضي عياض: اختصاصُ عصمة المال والنفس بمن قال: «لا إله إلَّا الله». تعبيرٌ عن الإجابة إلىٰ الإيمان، وأنَّ المراد بذلك: مشركو العرب وأهل الأوثان، فأما غيرُهم ممن يقرُّ بالتوحيد، فلا يُكتفىٰ في عصمته بقول: «لا إله إلَّا الله»؛ إذ يقولها في كفره. انتهىٰ ملخصًا.

---

(١) إسناده ضعيف جدًّا: رواه البزار (٢٢٨٤) «كشف» وانظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٠١) من طريق عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله مرفوعًا. وعطاء بن السائب مختلط.

وشيخ البزار عباد بن أحمد العرزمي ضعيف جدًّا. قال الهيثمي: رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمي وهو متروك (٧/ ١٣٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١).

وقال النووي: لا بُدَّ مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ كما جاء في الرواية: «**وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ**».

وقال شيخُ الإسلام - لما سُئل عن قتال التتار فقال -: كلُّ طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم؛ فإنه يجب قتالُهم حتىٰ يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه؛ كما قاتل أبو بكر والصحابةُ رضي الله عنهم مانعي الزكاة، وعلىٰ هذا اتفق الفقهاء بعدهم.

قال: فأيما طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، أو الأموال، أو الخمر أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرَّماته التي لا عُذر لأحد في جحودها أو تركها، التي يكفر الواحد بجحودها. فإنَّ الطائفة الممتنعة تُقاتل عليها وإن كانت مقرَّةً بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء.

قال: وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البُغاة، بل هم خارجون عن الإسلام. انتهىٰ.

قوله: «**وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**» أي: الله تبارك وتعالىٰ هو الذي يتولَّىٰ حسابه، فإن كان صادقًا جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا عذَّبه العذاب الأليم.

وأمَّا في الدنيا فالحكمُ علىٰ الظاهر، فمن أتىٰ بالتوحيد ولم يأت بما يُنافيه ظاهرًا، والتزم شرائع الإسلام وجب الكفُّ عنه.

قلتُ: وأفاد الحديث أن الإنسان قد يقول: «لا إله إلَّا الله» ولا يكفر بما يُعبد من دون الله، ولم يأت بما يعصمُ دمه وماله؛ كما دلَّ علىٰ ذلك الآياتُ المحكمات والأحاديث.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وشرحُ هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب**[١].

---

(١) **في قرة العيون:** فقد ذكر فيها - رحمه الله تعالىٰ - ما يبين التوحيد وما ينافيه، وما يقرب منه، وما يوصل إليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السلف من بُعدهم عن الشرك في العبادة وشدة إنكارهم له وجهادهم علىٰ ذلك، وقد جمع هذا الكتاب علىٰ اختصاره من بيان التوحيد ما لا يعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر. وكذلك الرد علىٰ أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنىٰ به عن غيره في الرد علىٰ كل مبتدع، فتدبره تجد ذلك بينًا. وسيأتي التنبيه علىٰ ذلك إن شاء الله تعالىٰ.[الفقي].

ش: قلتُ: وذلك أنَّ ما بعدها من الأبـواب فيـه مـا يبـيِّن التوحيـد، ويوضـح معنـىٰ «لا إله إلَّا الله».

وفيه أيضًا: بيانُ أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، ومـا يوصِّـل إلىٰ ذلـك مـن الغلو والبدع، مما تركُه من مضمون: لا إله إلَّا الله.

فمن عرف ذلك وتحقَّقه، تبين له معنىٰ لا إله إلَّا الله، وما دلت عليـه مـن الإخـلاص ونفي الشرك:

.... وَبِـضِدِّهَا تَتَبَـيَّنُ الْأَشْـيَاءُ

فبمعرفة الأصغر من الشرك يُعرف ما هو أعظم منه من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد، وأما الأصغر فإنما ينافي كماله، فمن اجتنبه فهو الموحد حقًّا.

وبمعرفة وسائل الشرك - والنهي عنها لتُجتنب - تُعرف الغايات التي نُهي عن الوسائل لأجلها، فإن اجتناب ذلك كله يستلزم التوحيد والإخلاص بل يقتضيه.

وفيها أيضًا من أدلة التوحيد: إثباتُ الصفات وتنزيه الرب تعالىٰ عما لا يليق بجلالـه، وكل ما يعرِّف بالله من صفات كماله وأدلة ربوبيته يدلُّ علىٰ أنـه هـو المعبـود وحـده، وأن العبادة لا تصلح إلَّا له، وهذا هو التوحيد، ومعنىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله.

* **قال المصنف رحمه الله تعالى**: فيه أكبر المسائل وأهمها: وهـي تفـسير التوحيـد، وتفسير الشهادة: وبيَّنها بأمور واضحة.

ومنها: آيةُ الإسراء بَيَّنَ فيها الردَّ علىٰ المشركين الذين يدعون الصالحين؛ ففيها: بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها : آية براءة ، بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا مـن دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الـذي لا إشـكال فيـه: طاعة العلماء والعبَّادِ في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها : قول الخليل عليه السلام للكفـار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] فاستثنىٰ من المعبودين رَبَّهُ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة :

هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله[١] فدل على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا؛ ولم يُدخلهم في الإسلام. فكيف بمن أحب[٢] الندَّ أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده؟ ولم يحب الله؟

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ» وهذا من أعظم ما يُبَيِّن معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضِيفَ إلى ذلك الكفر بما يُعْبَد من دون الله. فإن شك؛ أو توقف؛ لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألةٍ ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيانٍ ما أوضحه! وحجةٍ ما أقطعها للمنازع!.

---

(١) الظاهر أن المعنى: أنهم يحبون أندادهم من جنس حب الله الذي هو حب التعظيم والذل والخضوع؛ لأنه ليس كل حب يكون عبادة حتى يكون فيه تعظيم وخضوع. ولذلك قال: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: كحبهم لله. فهم في الوقت الذي يحبونهم أعظم الحب، يخافونهم أشد الخوف، معتقدين أنهم يخلفون عليهم خيرًا مما ينذرونه لهم، ويذبحونه لهم من طيب مالهم ويرجون منهم المساعدة والمعونة على كشف الضر ودفع البأساء، ويحذرون انتقامهم بحرق زرعهم وإهلاك أولادهم وأنفسهم، ويروون عن سدنتهم روايات مكذوبة في تأييد دعاويهم تهويلًا عليهم وتمكينًا للضلال والشرك من أنفسهم، فهم لا يرجون لله وقارًا كما يرجون لهم، ولا يخشون الله كما يخشونهم. فتجرد أنفسهم بسخاء في سبيل التقرب إلى أولئك الموتى من أوليائهم بما لا تجود بعشره في سبيل الله؛ برًّا للوالدين أو صلة للأرحام أو إطعامًا لجار بائس، أو مسكين من أهل قريته. هذا شأن عباد القبور والموتى اليوم. دقق في أحوالهم وطبقها على آيات المشركين في القرآن تجدهم زادوا على مشركي الجاهلية الأولى. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله. [الفقي].

(٢) إن من تحقق محبة مشركي زماننا لآلهتهم التي يسمونها بالأولياء يعلم يقينًا أنهم يحبونها أكثر من محبتهم لله؟ ويتصدقون لوجوهها بما لا يقدرون أن يتصدقوا بعشره لوجه الله. [الفقي].

(٦)

بَابٌ: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى**: بابٌ: من الشرك: لبسُ الحلقة والخيط ونحوهما، لرفع البلاء أو دفعه.

ش: رفْعه: إزالتُه بعد نزوله. ودفعُه: منعُه قبل نزوله.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى**: وقولُ الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

ش: قال ابنُ كثير: أي: لا تستطيعُ شيئًا من الأمر.

﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: الله كافي من توكَّل عليه ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ كما قال هودٌ - عليه السلام - حين قال له قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

قال مقاتل - في معنىٰ الآية -: فسألهم النبيُّ فسكتوا. أي: لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها[١].

---

(١) في قرة العيون: فإذا كان آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها علىٰ كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها علىٰ عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالىٰ هو معبودهم وحده لزومًا لا محيد لهم عنه. وذكر تعالىٰ مثل هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجه في الله فقال: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة: ٢٥٨]. فأقام الله تعالىٰ الحجة علىٰ المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الأمثال وغير ذلك، وهذا في القرآن كثير، كقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[الحج: ٧٣].
=

وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا أنهم يكشفون الضُّرَّ، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أنَّ ذلك لله وحده. وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٤].

قلتُ: فهذه الآيةُ وأمثالُها تبطل تعلُّقَ القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضرٍّ، وأنَّ ذلك شركٌ بالله.

وفي الآية: بيانُ أنَّ الله تعالىٰ وَسَمَ أهلَ الشرك بدعوة غير الله والرغبة إليه من دون الله. والتوحيدُ ضدُّ ذلك. وهو أن لا يدعو إلَّا الله، ولا يرغب إلَّا إليه، ولا يتوكل إلَّا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلُح منها شيءٌ لغير الله. كما دلَّ علىٰ ذلك الكتابُ والسنة وإجماعُ سلف الأمة وأئمتها، كما تقدَّم.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حَلْقة من صُفْر فقال: «مَا هَذِهِ؟» قال: من الواهنة. فقال: «انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» رواه أحمدُ بسند لا بأس به.**

ش: قال الإمام أحمد: حدَّثنا خلفُ بن الوليد حدَّثنا المباركُ عن الحسن، قال: أخبرني عمران بن حُصين، أنَّ النبي ﷺ أبصر علىٰ عَضُد رجلٍ حلْقة - قال: أراها من صُفْر - فقال: «**وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟**» قال: من الواهنة، قال: «**أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ،**

=

وقال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

ذكر العماد ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ - في هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعًا: «احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَضُرُّوكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ، جَفَّتِ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَاعْمَلْ لله بِالشُّكْرِ فِي اليَقِينِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا». [الفقي].

فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» ورواه ابنُ حبَّان في «صحيحه»، فقال: «فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ وُكِلْتَ إِلَيْهَا»[1]. والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وأقرَّه الذهبي.

وقال الحاكم: أكثرُ مشايخنا علىٰ أنَّ الحسن سمع من عمران. وقوله في الإسناد: أخبرني عمران يدلُّ علىٰ ذلك.

قوله: (عن عمران بن حُصين) أي: ابن عُبيد بن خَلَف الخُزاعي، أبو نُجَيْد - بنون وجيم مصَغر - صحابيٌّ ابنُ صحابي، أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

قوله: (رأىٰ رجلًا) في رواية الحاكم: دخلتُ علىٰ رسول الله ﷺ وفي عضُدي حلْقة صُفر، فقال: «مَا هَذِهِ؟» يُحتمل أنَّ الاستفهام للاستفصال عن سبب لُبسها، ويحتمل أنْ يكون للإنكار، وهو أظهر.

---

(١) إسناده ضعيف: واختلف فيه علىٰ الحسن رواه أحمد (٤/ ٤٤٥)، واللفظ له وابن ماجه (٣٥٣١) مختصرًا ليس فيها «لَوْ مِتَّ...» وابن حبان (٦٠٨٥)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٢) رقم (٣٩١). وعند ابن حبان والطبراني: «فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ وُكِلْتَ إِلَيْهَا». من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن عن عمران بن حصين فذكره مرفوعًا، وفي الإسناد مبارك بن فضالة وفيه ضعف، ثم إنه مدلس وقد عنعن، والحسن لم يسمع من عمران كما قال الإمام أحمد وغيره كما في «التهذيب» وانظر «الضعيفة» (٣/ ١٠١)، وقد وقع التصريح بالسماع من عمران في رواية أحمد وهو خطأ. ورواه ابن حبان (٦٠٨٨)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠ - ٣٥١)، والطبراني (١٥٩٨٨) رقم (٣٤٨)، والخطيب في «الموضح لأوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١٨٢) من طريق أبي عامر صالح بن رستم الخزاز عن الحسن عن عمران أنه دخل علىٰ رسول الله ﷺ وفي عضده حلقة من صفر. فقال: «مَا هَذِهِ؟» فقال: من الواهنة. قال: «أَيَسُرُّكَ أَنْ تُوكَلَ إِلَيْهَا، انْبِذْهَا عَنْكَ».

وأبو عامر صالح بن رستم مختلف فيه وقد قال فيه الحافظ: صدوق كثير الخطأ. ورواه عبد الرزاق (١١/ ٢٠٩)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢) رقم (٣٥٥) مطولًا، (١٨/ ١٧٩) رقم (٤١٤) من طريق معمر وإسحاق بن الربيع أبي حمزة ومنصور عن الحسن به إلَّا أنه أوقفه علىٰ عمران.

ورواية معمر عن الحسن ضعيفة لأن الحسن بصري ورواية معمر عن البصريين فيها ضعف. ثم إن معمر طلب العلم يوم موت الحسن. فالأصح أن بينهما انقطاع. وهي رواية عبد الرزاق وظاهرها الإرسال بين الحسن وعمران.

وإسحاق بن الربيع ضعيف، ورواية منصور عنه في إسناده إليه محمد بن خالد وهو ضعيف الحديث.

لكن بمجموعها يقوي أن الصحيح عن عمران موقوفًا.

قوله: (**من الواهنة**) قال أبو السَّعادات[١]: الواهِنةُ: عِرقٌ يأخُذ في المنكب وفي اليد كلِّها، فيُرقىٰ منها. وقيل: هو مرضٌ يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجالَ دون النساء[٢] وإنَّما نُهي عنها؛ لأنه إنما اتخذها علىٰ أنها تعصمُه من الألم.

وفيه: اعتبار المقاصد[٣].

قوله: «**انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا**» النزع: هو الجذبُ بقوة، أخبر أنَّها لا تنفعه بل تضره وتزيده ضعفًا. وكذلك كلُّ أمرٍ نُهي عنه فإنه لا ينفع غالبًا، وإنْ نفع بعضه فضُرُّه أكبرُ من نفعه.

قوله: «**فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**» لأنه شرك. والفلاح: هو الفوزُ والظفر والسعادة.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه شاهدٌ لكلام الصحابة: أنَّ الشرك الأصغر أكبرُ من الكبائر، وأنه لم يُعذر بالجهالة.**

وفيه الإنكارُ بالتغليظ علىٰ من فعل مثل ذلك.

قوله: (**رواه أحمد بسندٍ لا بأس به**) هو الإمام أحمد بن محمد بن حَنْبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهَلْ بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصىٰ بن دُعْمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان.

الإمام العالم أبو عبد الله الذُّهلي ثم الشيباني المَرْوزي، ثم البغدادي.

---

(١) هو ابن الأثير، ولد سنة ٥٤٤ وتوفي سنة ٦٠٦ له عدة تآليف. منها النهاية في غريب الحديث. [الفقي].

(٢) ومن هذا الباب: ما يفعله الجاهليون اليوم من إلباس أولادهم خلاخيل الحديد وغيره، يعتقدون أن ذلك يحفظهم من الموت الذي أخذ إخوتهم الذين ماتوا قبلهم. ومنه لبس حلقة الفضة للبركة أو لمنع البواسير، ولبس خواتيم لها فصوص مخصوصة للحفظ من الجن وغيرها. [الفقي].

(٣) في قرة العيون: وإنما نهاه عنها لكونه أنها تمنع عنه هذا الداء أو ترفعه، فأمره ﷺ بنزعها لذلك وأخبر أنها لا تزيده إلَّا وهنًا، فإن المشرك يعامل بنقيض قصده؛ لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، فإذا كان هذا بحلقة صفر فما الظن بما هو أطم وأعظم؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد وغيرها كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ مسكة من عقل. [الفقي].

إمامُ أهل عصره وأعلمُهم بالفقه والحديث، وأشدُّهم ورعًا ومتابعة للسنة، وهو الذي يقول فيه بعضُ أهل السُّنة: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته الدنيا فأباها، والشُّبَهُ فنفاها. خُرِجَ به من مرو وهو حَمل، فوُلد ببغداد سنة أربعٍ وستين ومائة في شهر ربيع الأول.

وطلب أحمدُ العلم سنة وفاة مالك، وهي سنة تسعٍ وسبعين، فسمع من هُشيم، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عُيينة، ومُعتمر بن سليمان، ويحيىٰ بن سعيد القطان، ومحمَّد بن إدريس الشافعي، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وعبد الرحمن بن مهدي، وخلائق بمكة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، واليمن، وغيرها من البلاد.

روىٰ عنه: ابناه صالح وعبد الله، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وإبراهيم الحربي، وأبو زُرْعة الرازي وأبو زُرْعَة الدِّمشقي وعبد الله بن أبي الدنيا، وأبو بكر الأثرم، وعُثمان بن سعيد الدارمي، وأبو القاسم البغوي، وهو آخر من حدَّث عنه، وخلائق.

وروىٰ عنه من شيوخه: عبدُ الرحمن بن مهدي والأسودُ بن عامر.

ومن أقرانه: عليُّ بن المديني، ويحيىٰ بن معين.

قال البخاري: مرض أحمد لليلتين خلتا من ربيع الأول، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه.

وقال حنبل: مات يوم الجمعة في ربيع الأول سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين وله سبعٌ وسبعون سنة. وقال ابنه عبدُ الله، والفضل بن زياد: مات في ثاني عشر ربيع الآخر - رحمه الله تعالىٰ -.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله عن عُقْبَةَ بن عامر مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»[1] وفي رواية: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً**

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، وابن حبان (٦٠٨٦)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، والدولابي في «الكنىٰ» (٢/ ١١٥)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٩٧) رقم (٨٢٠)، وأبو يعلىٰ (١٧٥٩)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٦٩)، والطحاوي (٤/ ٣٢٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ١٦٢)، وابن وهب في «جامعه» (٦٦٢) من طريق خالد بن عبيد المعافري عنه، قال: سمعت مشرح بن هاعان يقول: سمعت عقبة بن =

فَقَدْ أَشْرَكَ»(١)(٢).

ش: الحديثُ الأَوَّل: رواه الإمامُ أحمد، كما قال المُصَنِّفُ، ورواه أبو يعلىٰ والحاكم، وقال: صحيحُ الإسناد. وأقرَّه الذهبي.

قوله: **(وفي رواية)** أي: من حديث آخر، رواه أحمد، فقال: حدَّثنا عبدُ الصَّمد بن عبد الوارث، حدَّثنا عبد العزيز بن مسلم، حدَّثنا يزيد بن أبي منصور، عن دُخين الحَجْري، عن عُقبة بن عامر الجهني، أنَّ رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعةً وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: «**إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً**» فأدخل يده فقطعها، فبايعه وقال: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**» ورواه الحاكم بنحوه. ورواته ثقات.

=

عامر فذكره. وخالد بن عبيد المعافري مجهول. وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٢٦٦)، وله طريق آخر رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٤) من طريق الوليد بن الوليد بن ثوبان عن أبي سعيد عن عقبة بن عامر به والوليد رمي بالوضع.

وعزاه الشيخ شعيب في «تحقيق مسند أحمد» حديث (١٧٤٠٤) إلىٰ ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (صـ٢٨٩) عن أبي الأسود النضر بن عبد الجبار عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان به. وابن لهيعة فيه مقال مشهور.

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩)، والحارث بن أبي أسامة كما في «زوائده» (٥٣٨)، والطبراني (١٧/ رقم ٨٨٥) مختصرًا من طريق يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني فذكره مرفوعًا. ويزيد بن أبي منصور قال فيه أبو حاتم: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في «ثقات أتباع التابعين» وروىٰ عنه جماعة، وروىٰ له مسلم. دخين الحجري كاتب عقبة بن عامر وقال الحافظ في «التقريب»: ثقة.

(٢) في قرة العيون: وهذا الحديث فيه التصريح بأن تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها لدفع ما يضره أو جلب ما ينفعه، وهذا أيضًا ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنىٰ لا إله إلَّا الله؛ لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوىٰ الله كما تقدم في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] فكمال التوحيد لا يحصل إلَّا بترك ذلك وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم، فإذا كان هذا قد خفي علىٰ بعض الصحابة ﷺ في عهد النبوة فكيف لا يخفىٰ علىٰ من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب بعد ما حدث من البدع والشرك؟ كما في الأحاديث الصحيحة، وتقدمت الإشارة إلىٰ ذلك. وهذا مما يبين معنىٰ لا إله إلَّا الله أيضًا فإنها نفت كل الشرك قليله وكثيره كما قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨] [الفقي]

قوله: (عن عُقبة بن عامر) صحابيٌّ مشهور فقيهٌ فاضل، وليَ إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريبًا من الستين.

قوله: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً» أي: علَّقها متعلِّقًا بها قلبُه، وفي طلب خير أو دفع شر.

قال المنذري: خرزةٌ كانوا يُعلِّقونها يرون أنَّها تدفع عنهم الآفات، وهذا جهلٌ وضلالة؛ إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالىٰ.

وقال أبو السعادات: التمائمُ: جمعُ تميمة، وهي خَرَزاتٌ كانت العربُ تعلِّقها علىٰ أولادهم يتَّقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام.

قوله: «فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ» دعاءٌ عليه.

قوله: «وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً» بفتح الواو وسكون المهملة. قال في «مسند الفردوس»: الودْع: شيءٌ يخرج من البحر شبه الصَّدف يتَّقون به العين.

قوله: «فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ» بتخفيف الدال. أي: لا جعله في دَعةٍ وسكون.

قال أبو السعادات: وهذا دعاء عليه.

قوله: (وفي رواية: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ») قال أبو السعادات: إنَّما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذىٰ من غير الله الذي هو دافعُه.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: ولابن أبي حاتم، عن حُذيفة: أنه رأىٰ رجلًا في يده خَيطٌ من الحُمَّىٰ فقطعه، وتلا قوله:** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝﴾[1] [يوسف: ١٠٦]

ش: قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا محمَّد بن الحُسين بن إبراهيم بن إشكاب، حدثنا يونس بن

---

(١) إسناده منقطع: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٤٠) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم الأحول عن عزرة عن حذيفة فذكره، وفيه عزرة بن عبد الرحمن من الطبقة السادسة وروايته عن عائشة مرسلة. وعائشة ماتت سنة (٥٧هـ) فروايته عن حذيفة من باب أولىٰ لا سيما أن حذيفة مات في أول خلافة علي رضي الله عنه. وقد وقع عند المصنف في هذا المطبوع و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٩٤) عروة وهو تصحيف ثم إن عروة بن الزبير لا يعرف له سماع من حذيفة وقد ذكر «عزرة» في بعض المطبوعات وبعض المخطوطات «الفتح المجيد» انظر هامش «فتح المجيد» (١/ ٢٣٦) ط الصميعي.

محمد، حدثنا حمَّاد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن عُروة، قال: دخل حُذيفةُ علىٰ مريض، فرأىٰ في عضُده سيرًا فقطعه أو انتزعه ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

وابن أبي حاتم: هو الإمامُ أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، التميمي، الحنظلي، الحافظ، صاحبُ «الجرح والتعديل» و«التفسير» وغيرهما، مات سنة سبعٍ وعشرين وثلاثمائة.

وحُذيفة: هو ابن اليمان. واسم اليمان: حُسيل - بمهملتين مصغرًا -، ويقال: حِسْل - بكسر ثم سكون -، العبسي - بالموحدة - حليف الأنصار، صحابيٌّ جليل من السابقين، ويقال له: صاحبُ السِّر[1] وأبوه أيضًا صحابي، مات حذيفة في أوَّل خلافة علي سنة ستٍّ وثلاثين.

قوله: (رأىٰ رجلًا في يده خيط من الحمَّىٰ) أي: عن الحُمَّىٰ. وكان الجهال يعلِّقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمَّىٰ[2].

ورویٰ وكيع عن حُذيفة: أنه دخل علىٰ مريضٍ يعوده، فلمس عضُده، فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رُقي لي فيه، فقطعه وقال: لو متَّ وهو عليك ما صلَّيتُ عليك[3].

---

(١) لأن النبي ﷺ استصحبه في عودته من غزوة تبوك حين أخذ في طريق العقبة التي كان المنافقون كمنوا عندها؛ لينفروا راحلة رسول الله ﷺ ليقع عنها فيموت. فأطلعه الله علىٰ ما بيتوا وأعلمه بأسمائهم. فأعلم رسول الله ﷺ حذيفة بأسمائهم إذ ناداهم بأسمائهم حين حاذاهم. ثم استكتم حذيفة أسماءهم اتقاء الفتنة. ولم يكن عند حذيفة سر في الدين، كما يدعي الضالون من الصوفية. لأن الإسلام علانية لا سر فيه، وإنما الأسرار في النصرانية وكنائسها وقسسها ورهبانيتها. [الفقي].

(٢) ولا يزال هذا معتقدًا عند أهل الجاهلية الثانية، يتخذون خيوطًا يعقدونها بأيدي من اسمه محمد، وبعض ذلك يعملونه يوم الجمعة، وبعض ذلك يعملونه علىٰ مقاس باب الكعبة ثم يعقدونه أربعين عقدة ممن أسماؤهم محمد، ويقرأون عند كل عقدة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾، ويزعمون أن هذا الخيط نافع من العقم، فلا تلبسه عقيم في زعمهم إلَّا وتحمل. وهذا من أعظم الانحطاط إلىٰ أحط دركات البكم والصمم والعمىٰ، بل إلىٰ البهيمية أن يعتقد في خيوط. ومثله اتخاذ سبع من أنواع الحبوب تعلق في كيس مع سرة الطفل وأشباه ذلك كثير فاش فيمن يتسمون بأسماء إسلامية، وهم من أجهل المشركين للشرك الأكبر. ولا حول ولا قوة إلَّا بالله. [الفقي].

(٣) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣٥١٣) من طريق زيد بن وهب عن حذيفة به، ورواه ابن أبي شيبة (٣٥١٤) من طريق آخر عن حذيفة به.

وفيه: إنكارُ مثل هذا، وإنْ كان يعتقد أنه سبب، فالأسباب لا يجوز منها إلَّا ما أباحه الله تعالىٰ ورسوله، مع عدم الاعتماد عليها. وأمَّا التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلِّقه الجهال فهو شركٌ يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه.

قوله: (**وتلا قوله:** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾) استدل حذيفة رضي الله عنه بالآية علىٰ أنَّ هذا شرك[1].

ففيه: صحةُ الاستدلال علىٰ الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر؛ لشمول الآية ودخوله في مسمَّىٰ الشرك، وتقدَّم معنىٰ هذه الآية عن ابن عباسٍ وغيره. والله أعلم.

وفي هذه الآثار عن الصحابة: ما يبيِّنُ كمالَ علمهم بالتوحيد وما ينافيه أو ينافي كماله.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: التغليظ في لُبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة: إن

---

(١) في قرة العيون: فإذا كان يقع مثل ذلك في تلك القرون المفضلة، فكيف يؤمن أن يقع ما هو أعظم منه؟ لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظم مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية مما قد تقدم التنبيه عليه، حتىٰ إن كثيرًا من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم علىٰ من أنكر الشرك الأكبر، فصاروا هم والصحابة رضي الله عنهم علىٰ طرفي نقيض، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك؛ وهؤلاء ينكرون علىٰ من أنكر الشرك الأكبر، ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة، وكذلك كانت حال الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فيما بعثوا به من توحيد الله تعالىٰ وإخلاص العبادة له وحده، والنهي عن الشرك به، وقد بعث الله تعالىٰ خاتم رسله محمدًا ﷺ بذلك كما بعث به من قبله، فعكس هؤلاء المتأخرون ما دعا إليه رسول الله ﷺ مشركي العرب وغيرهم، فنصر هؤلاء ما نهىٰ عنه من الشرك غاية النصرة، وأنكروا التوحيد الذي بعث به غاية الإنكار؛ فإنه ﷺ لما قال لقريش: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا» عرفوا معناها الذي وضعت له وما أريد منها فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] الآية. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ [الصافات: ٣٥]. وفي صحيح البخاري وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ قال له: «فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة». [الفقي].

الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يُعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر؛ لقوله: «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق[١] شيئًا وكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية «البقرة».

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يُتمُّ له، ومن تعلق ودعة فلا ودع[٢] الله له. أي: ترك الله له.

* * *

(١) إنما وكله الله إليه؛ لأنه أعرض عن رحمة ربه واستغنى عن الله وتمسك بالسبب الأضعف بل تمسك بلا شيء، فوكله إلى ما تمسك به فلم ينفعه شيئًا. [الفقي].

(٢) ودع: فسره المصنف: بترك، أي: فلا ترك الله له ما يحب. وفسره غيره بأنه دعاء عليه ألا يجعله الله في دعة ولا سكون. [الفقي].

(٧)

بَابُ: ما جاء في الرقى والتمائم

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** بابُ ما جاء في الرُّقىٰ والتمائم.

ش: أي: من النهي، وما ورد عن السَّلف في ذلك.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن أبي بشير الأنصاري: أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ - أَوْ قِلَادَةٌ - إِلَّا قُطِعَتْ»**[١].

ش: هذا الحديث في «الصحيحين».

قوله: **(عن أبي بشير)** بفتح أوله وكسر المعجمة، قيل: اسمُه قيس بن عُبيد، قاله ابن سعد. وقال ابن عبد البر: لا يوقف له علىٰ اسمٍ صحيح، وهو صحابيٌّ شهد الخندق ومات بعد الستين. ويقال: إنه جاوز المائة.

قوله: **(في بعض أسفاره)** قال الحافظ: لم أقف علىٰ تعيينه.

قوله: **(فأرسل رسولًا)** هو زيدُ بن حارثة. روىٰ ذلك الحارثُ بن أبي أسامة في «مسنده» قاله الحافظ.

قوله: **«أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ»** بالمثناة التحتيَّة والقاف المفتوحتين، و«قِلَادَة» مرفوعٌ علىٰ أنَّه فاعل. و(الوتر) بفتحتين، واحدُ أوتار القوس. وكان أهلُ الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلَّدوا به الدواب؛ اعتقادًا منهم أنه يدفع عن الدَّابة العين.

قوله: **«أَوْ قِلَادَةٌ[٢] إِلَّا قُطِعَتْ»** معناه: أنَّ الراوي شكَّ هل قال شيخُه: «قِلَادَةٌ مِنْ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) وأصل معنىٰ القلادة: ما يوضع في العنق من الحلي والزينة للنساء، والحبل يوضع في عنق الدابة لتقاد به. ومثل ذلك ما يعلقه بعض الناس اليوم علىٰ السيارات من صورة قرد ونحوه، وما يضعه بعضهم علىٰ أبواب البيوت والحوانيت من حدوة حمار أو حصان، وتعليق سنابل من الحنطة أو غير ذلك كله من عمل الجاهلية المنهي عنه أشد =

وَتَرٍ» أو قال: «**قِلَادَة**» وأطلق ولم يُقيده؟

ويؤيدُ الأول: ما رُوي عن مالك، أنه سئل عن القلادة؟ فقال: ما سمعتُ بكراهتها إِلَّا في الوتر. ولأبي داود: «**وَلَا قِلَادَة**» بغير شك.

قال البغويُّ في «شرح السنة»: تأوَّل مالكُ أمرَه - عليه السلام - بقطع القلائد، علىٰ أنَّه من أجل العين. وذلك أنهم كانوا يشدُّون تلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويُعلِّقون عليها العُوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبيُّ ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا تردُّ من أمر الله شيئًا.

قال أبو عُبيد: كانوا يقلِّدون الإبل الأوتار، لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبيُّ ﷺ بإزالتها إعلامًا لهم بأنَّ الأوتار لا تردُّ شيئًا. وكذا قال ابنُ الجوزي وغيره.

قال الحافظ: ويؤيِّدُه حديثُ عُقبة بن عامر، رفعه: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ**» رواه أبو داود. وهي ما عُلِّق من القلائد خشيةَ العين، ونحو ذلك. انتهىٰ.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى**: وعن ابن مسعود: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[1] رواه أحمد وأبو داود.

=

النهي، وقد يصل إلىٰ الشرك الأكبر عند بعضهم حين يعتقد فيه أنه هو الذي يدفع حقيقة الضر والسوء. [الفقي].

(١) **حسن بمجموع طرقه**: رواه أحمد (١/ ٣٨١)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وأبو يعلىٰ (٥٢٠٨)، والبغوي (٣٢٤٠)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠) من طريقين عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيىٰ الجزار عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله بن مسعود عن زينب عن عبد الله به. وقد وقع عند ابن ماجه وأبي يعلىٰ: ابن أخت زينب وهو وهم، وقد وقع في بعض نسخ ابن ماجه: ابن أخي زينب، كما أشار إلىٰ ذلك المنذري في «الترغيب» (٤/ ٣٠٩) ثم قال: وعلىٰ كلا التقديرين مجهول. اهـ.

ولم أقف له علىٰ جرح ولا تعديل، ورُوي عنه يحيىٰ الجزار، وقال الحافظ في «التقريب»: كأنه صحابي لم أره مسمىٰ، وانظر «فتح الباري» (٣/ ٢٨٥)، ورواه الحاكم (٤/ ٤١٧ - ٤١٨) من طريق محمد بن مسلمة الكوفي عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيىٰ بن الجزار -- عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زينب امرأة عبد الله عن عبد الله به.

وفي هذا الإِسناد محمد بن مسلمة لم أجد له ترجمة، (والصواب: محمد بن سلمة الكوفي ووقع خطأ في «المستدرك» وترجمه ابن أبي حاتم (٣/ ٢/ ٢٧٦) قال فيه أبو حاتم: شيخ لا أعرفه وحديثه ليس بمنكر). وقد غلط، فابن عتبة

=

ش: وفيه قصة. ولفظُ أبي داود: عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود: إن عبد الله رأىٰ في عنقي خيطًا، فقال: ما هذا؟ قلتُ: خيطٌ رُقي لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك[1] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ**

=

إنما هو ابن أخ عبد الله بن مسعود لا ابن أخ زوجته والثاني هو صاحب الحديث.

ورواه ابن حبان (٦٠٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٢) رقم (١٠٥٠٣) من طريق العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن يحيىٰ بن الجزار قال: فذكر القصة، والحديث علىٰ صورة المرسل. ورواه الطبراني في «الكبير» (٨٨٦٣) من طريق عاصم بن علي عن المسعودي عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله به والمسعودي مختلط، وعاصم بن علي فيه ضعف، وأبو عبيدة لم يسمع من عبد الله بن مسعود، ورواه ابن أبي شيبة (٨/ ١٣) رقم (٣٥٠٩) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي عبيدة عن ابن مسعود به، وأبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود، ورواه الطبراني في «الكبير» (٨٨٦٢) من طريق موسىٰ بن داود الضبي ثنا أبو إسرائيل الملائي عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن ابن مسعود به. وخولف فيه موسىٰ الضبي عن أبي إسرائيل فقد رواه الحاكم (٤/ ٢١٧) من طريق أحمد بن مهران ثنا عبيد الله بن موسىٰ ثنا إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن الأسدي عن عبد الله به. وأحمد بن مهران لم يوثقه إِلَّا ابن حبان، وذكره أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٩٥)، وابن حجر في «اللسان» (١/ ٣١٦)، ولم يذكراه بجرح ولا تعديل، ووقع عند الحاكم إسرائيل وكأنه أبو إسرائيل كما في الإِسناد السابق، وروىٰ الحاكم (٤/ ٢١٦ - ٢١٧) من طريق السري بن إسماعيل عن أبي الضحىٰ عن أم ناجية قالت: دخلت علىٰ زينب امرأة ابن مسعود، وفي الإِسناد السري بن إسماعيل وهو متروك، وقد رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث» (٢/ ١٩٠) قال: حدثناه غندر عن شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن ابن مسعود به، قال: فذكره موقوفًا وله حكم الرفع، لأنه مما لا مجال للرأي فيه، ورواية إبراهيم عن ابن مسعود قبلها بعض أهل العلم لأنه قال: إذا قلت عن ابن مسعود فقد رويته عن غير واحد عنه، وأصحاب ابن مسعود ذكر بعض أهل العلم أنهم ثقات وإن لم يكونوا كذلك فإنه يجبر بعضهم بعضًا وثَمَّ روايات موقوفة أخرىٰ انظر عبد الرزاق (٢٠٣٤٣)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣١).

(١) من أول الحديث إلىٰ هنا ليس في سنن أبي داود في باب تعليق التمائم. وهو عند ابن ماجه بلفظ: كانت عجوز تدخل علينا من الحمرة، وكان لنا سرير طويل القوائم، وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت، فدخل يومًا، فلما سمعت صوته احتجبت منه، فجاء فجلس إلىٰ جانبي فمسني فوجد مس خيط، فقال: ما هذا؟ فقلت: رقي لي فيه من الحمىٰ، فجذبه فقطعه فرمىٰ به، ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ ... إلخ. [الفقي].

وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنتُ أختلف إلىٰ فلان اليهودي، فإذا رقىٰ سكنت. فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسُها بيده، فإذا رقىٰ كفَّ عنها. إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[1] ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح، وأقرَّه الذهبي.

قوله: «إِنَّ الرُّقَىٰ».

قال المُصَنِّفُ: (**هي التي تُسمَّىٰ العزائم، وخصَّ منه الدليلُ ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة**).

يُشير إلىٰ أنَّ الرقىٰ الموصوفةَ بكونها شركًا هي التي يُستعان فيها بغير الله، وأمَّا إذا لم يُذكر فيها إلَّا أسماء الله وصفاته وآياته، والمأثور عن النبي ﷺ، فهذا حسن جائزٌ أو مُستحب.

قوله: (فقد رخَّص فيه رسولُ الله ﷺ من العين والحُمَة) كما تقدَّم في باب من حقَّق التوحيد.

وكذا رخَّص في الرقىٰ من غيرها، كما في «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك: كُنَّا نَرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترىٰ في ذلك؟ فقال: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا**»[2] وفي الباب أحاديثُ كثيرة.

قال الخطَّابي: وكان عليه السلام قد رقىٰ ورُقي، وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالىٰ فهي مباحةٌ أو مأمور بها.

وإنما جاءت الكراهةُ والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفرًا أو قولًا يدخله شرك.

قلت: من ذلك ما كان علىٰ مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون أنَّ ذلك من قِبل الجن ومعونتهم. وبنحو هذا ذكر الخطَّابي.

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وأحمد (١/ ٣٨١)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وغيرهم، وانظر الكلام عليه في الحديث السابق.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٠).

وقال شيخُ الإسلام: كلُّ اسم مجهول فليس لأحدٍ أن يرقي به فضلًا عن أن يدعو به، ولو عُرف معناه؛ لأنه يُكره الدعاء بغير العربية، وإنما يُرخَّص لمن لا يُحسن العربية، فأمَّا جعلُ الألفاظ الأعجمية شعارًا فليس من دين الإسلام[1].

وقال السيوطي: وأجمع العلماءُ علىٰ جواز الرقىٰ عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وما يُعرف معناه، وأنْ يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالىٰ.

قوله: «وَالتَّمَائِمِ». قال المُصَنِّفُ: (شيءٌ يُعلَّق علىٰ الأولاد من العين).

وقال الخلخالي: التمائم جمعُ تميمة، وهي ما يُعلَّق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين، وهذا منهيٌّ عنه؛ لأنه لا دافع إلَّا الله، ولا يُطلب دفعُ المؤذيات إلَّا بالله وبأسمائه وصفاته.

قال المُصَنِّفُ: (لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخَّص فيه بعضُ السلف، وبعضُهم لم يرخِّص فيه، ويجعلُه من المنهي عنه. منهم ابن مسعود).

اعلم أنَّ العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته.

فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قولُ عبد الله بن عمرو بن العاص[2]، وهو ظاهر ما رُوي عن عائشة. وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمدُ في رواية. وحملوا الحديث علىٰ التمائم التي

---

(١) وذلك مثل قول أرباب الطرق الصوفية في أورادهم: (كركدن كرددن دهده، أصباءوات أهيا شراهيا جلجلوت) وأمثالها مما يقولون عنه أنه ذكر الله، فهذا كله ليس من دين الإسلام في شيء؛ لأن الإسلام عربي مبين، وهذا وغيره يدل علىٰ أن أصل هذه الطرق الصوفية خدعة يهودية هندية فارسية يونانية. كادوا بها للمسلمين ففرقوهم شيعًا وأحزابًا، وملأوا قلوبهم من الشرك في الإلهية والشرك في الربوبية. فوصلوا من ذلك إلىٰ ما يريدون من تقويض الدولة الإسلامية. [الفقي].

(٢) الرواية بذلك ضعيفة، ولا تدل علىٰ هذا، لأن فيها أن ابن عمرو وكان يحفظه أولاده الكبار. ويكتبه في ألواح ويعلقه في عنق الصغار فالظاهر أنه كان يعلقه في اللوح ليحفظه الصغير لا علىٰ أنه تميمة، والتميمة تكتب في ورقة لا في لوح. وبدليل تحفيظه الكبار. وكيفما كان فهو عمل فردي من عبد الله بن عمرو ولا يترك به حديث رسول الله، وعمل كبار الصحابة الذين لم يعملوا مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. [الفقي].

فيها شرك.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك. وبه قال ابنُ مسعود وابنُ عباس. وهو ظاهر قول حُذيفة وعقبة بن عامر وابن عُكيم، وبه قال جماعةٌ من التابعين، ومنهم: أصحابُ ابن مسعود وأحمدُ في روايةٍ اختارها كثيرٌ من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه[(١)].

قلت: وهذا هو الصحيح لوجوهٍ ثلاثة تظهرُ للمتأمِّل:

الأول: عمومُ النهي، ولا مُخصِّص للعموم.

والثاني: سدُّ الذريعة؛ فإنه يُفضي إلىٰ تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا عُلِّق فلا بُد أن يمتهنه المعلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك[(٢)].

---

(١) في قرة العيون: والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهىٰ عنها رسول الله ﷺ وأصحابه، لكمال علمهم بما دلت عليه لا إله إِلَّا الله من نفي الشرك قليله وكثيره؛ لتعلق القلب بغير الله في دفع الضر أو جلب نفع، وقد عمت البلوىٰ بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر. [الفقي].

(٢) ولأن فعل ذلك استهزاء أشد استهزاء بآيات الله، ومناقضة لما جاءت به(*) ومحادة لله ولرسوله، فإن الله أنزل القرآن هدىً للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان وشفاء لما في الصدور ولا يزيد الظالمين إِلَّا خسارًا. وإنه لتذكرة للمتقين. وإنه لحسرة علىٰ الكافرين. وإنه لحق اليقين. ولم ينزل القرآن ليتخذ حجبًا وتمائم، ولا ليتلاعب به المتآكلون به، الذين يشترون به ثمنًا قليلًا، والذين يقرءونه علىٰ المقابر وأمثال ذلك مما ذهب بحرمة القرآن، وجرأ الرؤساء علىٰ ترك الحكم به. [الفقي].

(*) قوله: (ولأن فعل ذلك استهزاء أشد استهزاء بآيات الله، ومناقضة لما جاءت به) إلخ. أقول: هذه فيها نظر، والصواب: أن تعليق التمائم ليس من الاستهزاء بالدين بل من الشرك الأصغر، ومن التشبه بالجاهلية، وقد يكون شركًا أكبر علىٰ حسب ما يقوم بقلب صاحب التعليق من اعتقاد النفع فيها، وأنها تنفع وتضر دون الله عز وجل، وما أشبه هذا الاعتقاد. أما إذا اعتقد أنها سبب للسلامة من العين أو الجن ونحو ذلك فهذا من الشرك الأصغر؛ لأن الله سبحانه لم يجعلها سببًا، بل نهىٰ عنها وحذر وبين أنها شرك علىٰ لسان رسوله ﷺ، وما ذاك إِلَّا لما يقوم بقلب صاحبها من الالتفات إليها والتعلق بها، ولو كان تعليقها استهزاء بآيات الله سبحانه لكان ذلك كفرًا وردة =

وتأمل هذه الأحاديث، وما كان عليه السلف - رضي الله تعالىٰ عنهم - يتبينُ لك بذلك غربة الإسلام.

خصوصًا إنْ عرفت عظيم ما وقع فيه الكثيرُ بعد القرون المفضَّلة من تعظيم القبور واتخاذ المساجد عليها، والإقبال إليها بالقلب والوجه، وصرف جُلِّ الدعوات والرغبات والرهبات وأنواع العبادات التي هي حقُّ الله تعالىٰ إليها من دونه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٦ - ١٠٧] ونظائرُها في القرآن أكثر من أن تُحصر.

قوله: «التِّوَلَة شِرْكٌ». قال المُصَنِّفُ: (هو شيءٌ يصنعونه يزعمون أنه يُحبِّبُ المرأة إلىٰ زوجها والرجل إلىٰ امرأته).

وبهذا فسَّره ابن مسعود راوي الحديث: كما في «صحيح ابن حبان» والحاكم: قالوا: يا أبا عبد الرحمن، هذه الرقىٰ والتمائم قد عرفناها، فما التولة؟ قال: شيءٌ يصنعه النساء يتحببن به إلىٰ أزواجهن[1].

قال الحافظ: التِّولة - بكسر المُثنَّاة وفتح الواو واللام مخفَّفًا - شيءٌ كانت المرأةُ تجلب به محبة زوجها، وهو ضربٌ من السحر[2] والله أعلم.

عن الإسلام، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦] الآية. ولا نعلم أحدًا من أهل العلم قال: إن تعليق التمائم استهزاء بآيات الله، ولأن الواقع من المعلقين يخالف ذلك؛ فإنهم إنما يعلقون التمائم من القرآن والسنة رجاء نفعها وبركتها، لا لقصد الاستهزاء بها، وهذا بين واضح لمن تأمل. والله المستعان. [ابن باز]

(١) رواه ابن حبان كما في «الإحسان» (٦٠٩٠) من طريق يحيىٰ الجزار عن ابن مسعود به ويحيىٰ لم يسمع ابن مسعود. وجاء نحوه عند الحاكم (٤/ ٤١٨)، وفي إسناده محمد بن مسلمة وهو محمد بن سلمة الكوفي قال فيه أبو حاتم: شيخ لا يعرف.

(٢) وإن زعم الذين يصنعونها للنساء أنهم مسلمون ومتدينون، وأن ما يكتبونه من القرآن وأسماء الله؛ فإنهم يفعلون ذلك تضليلًا بالقرآن وإلحادًا فيه؛ لأنهم يكتبونه علىٰ طريقة اليهود حروفًا مقطعة وبمداد خاص، ويمزجونه بأدعية

وكان من الشرك لما يُراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالىٰ.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عبد الله بن عُكَيم مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[1] رواه أحمد والترمذي.**

ش: ورواه أبو داود والحاكم. وعبد الله بن عُكَيم: هو بضمِّ المهملة مُصغَّرًا، ويكنَّىٰ أبا معبد الجُهني الكوفي.

قال البخاري: أدرك زمنَ النبيِّ ﷺ ولا يُعرف له سماعٌ صحيح.

وكذا قال أبو حاتم. قال الخطيب: سكن الكوفةَ، وقدِم المدائن في حياة حُذيفة، وكان ثقة. وذكر ابنُ سعد، عن غيره: أنه مات في ولاية الحجَّاج.

قوله: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» التعلُّق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما[2].

جاهلية وبخطوط يزعمونها علىٰ صورة خاتم سليمان الذي كان فيه سر ملكه، كما يزعم اليهود الذين يعتقدون كفر سليمان، وأنه كان يسخر الجن بالسحر لا بمعجزة من الله. وعلىٰ هذه العقيدة اليهودية الدجالون الذين يكتبون التمائم والتولات، ويزعمون أن للحروف والأسماء خدامًا يقومون بما يطلب منهم من الأعمال السحرية، ويتخذون أنواعًا من البخور والأدوات المخصوصة التي يوحي بها شياطينهم، وكل ذلك من الكفر العظيم. [الفقي]

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الترمذي (٢٠٧٢)، وأحمد (٤/ ٣١٠ و ٣١١)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٨٥) رقم (٩٦٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٧٦)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١١٧)، وابن أبي شيبة (٨/ ١٣) رقم (٣٥٠٨)، والحاكم (٤/ ٣١٦)، والبيهقي (٩/ ٣٥١) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن عيسىٰ أخيه، قال: دخلت علىٰ عبد الله بن عكيم فذكره، وفي الإسناد محمد بن عبد الرحمن وهو ضعيف سيئ الحفظ، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ.

وقد وقع تصريح سماع عبد الله بن عكيم من النبي ﷺ عند ابن قانع في «معجم الصحابة» وهو وهم كما نص عليه بعد روايته، وقد أعله بعلة أخرىٰ فقال: ولا أعلم أن عيسىٰ بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ لقي عبد الله بن عكيم. ورواه ابن وهب في «جامعه» (٦٧٤) أخبرني جرير بن حازم أنه سمع الحسن فرفعه إلىٰ النبي ﷺ، ومن طريقه البيهقي (٩/ ٣٥١)، وهذا إسناد صحيح مرسل، ولكن مراسيل الحسن ضعيفة، بل بعضهم قال: إنها أشد ضعفًا، ووصله النسائي (٧/ ١١٢) من طريق عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة فذكره مرفوعًا وعباد بن ميسرة ضعيف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة. وانظر حديث عمران بن حصين السابق في باب من الشرك لبس الخيط.

(٢) **في قرة العيون:** التعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل، وهو التفات القلب عن الله إلىٰ شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه كما تقدم بيانه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله، وهو ينافي قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ

«**وُكِلَ إِلَيْهِ**» أي: وكَلَه الله إلىٰ ذلك الشيء الذي تعلَّقه.

فمن تعلَّق بالله وأنزل حوائجه به والتجأ إليه، وفوَّض أمره إليه، كفاه وقرَّب إليه كلَّ بعيد، ويسَّر له كل عسير.

ومن تعلَّق بغيره أو سكن إلىٰ رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك، وكَلَه الله إلىٰ ذلك وخذله.

وهذا معروفٌ بالنصوص والتجارب. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا هشام بن القاسم، حدَّثنا أبو سعيد المؤدِّب حدثنا من سمع عطاء الخراساني، قال: لقيتُ وهب بن منبِّه - وهو يطوف بالبيت - فقلت: حدثني حديثًا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز. قال: نعم، أوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ داود: يا داود، أمَا وعزتي وعظمتي لا يعتصمُ بي عبدٌ من عبادي دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيده السمواتُ السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن: إلَّا جعلتُ له من بينهن مخرجًا. أمَا وعزَّتي وعظمتي لا يعتصم عبدٌ من عبادي بمخلوقٍ دوني، أعرف ذلك من نيته، إلَّا قطعتُ أسباب السماء من يده، وأسختُ الأرض من تحت قدميه، ثم لا أُبالي بأي أوديتها هلك[1].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وروىٰ الإمامُ أحمد عن رُويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ**

= ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] . فإن كان من الشرك الأصغر فهو ينافي كمال التوحيد، وإن كان من الشرك الأكبر كعبادة أرباب القبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك فهو كفر بالله، وخروج عن دين الإسلام، ولا يصح معه قول ولا عمل. [الفقي].

(١) إسناده ضعيف: والخبر من الإسرائيليات رواه أبو نعيم (٤/ ٢٦) من طريق فرج بن فضالة عن عطاء الخراساني به، وفرج بن فضالة ضعيف، وعطاء الخراساني فيه ضعف، والإسناد الذي ساقه المصنف فيه رجل مبهم ولم أقف عليه عند أحمد.

وَتَرًا أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»[(١)].

ش: الحديثُ رواه الإمامُ أحمد عن يحيىٰ بن إسحاق والحسن بن موسىٰ الأشيب، كلاهما عن ابن لهيعة. وفيه قصةٌ اختصرها المصنف.

وهذا لفظ الحسن: حدَّثنا ابنُ لهيعة، حدثنا عياش بن عباس، عن شُيَيْم بن بيتان، قال: حدَّثنا رُويفع بن ثابت، قال: كان أحدنا في زمن رسول الله ﷺ يأخذ جمل أخيه علىٰ أنْ يعطيه النصفَ مما يغنم وله النصف، حتىٰ إنَّ أحدنا ليَصير له النصلُ والريش وللآخر القدح. ثم قال لي رسول الله ﷺ:... الحديث[(٢)].

ثم رواه أحمد عن يحيىٰ بن غيلان حدثني المفضل، حدثنا عيَّاش بن عباس: أن شُييم بن بيتان أخبره، أنه سمع شيبان القِتْباني... الحديث[(٣)] ابن لهيعة فيه مقال.

وفي الإسناد الثاني شيبان القتباني، قيل فيه: مجهول. وبقيَّةُ رجالهما ثقات.

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود (٣٦)، وأحمد (٤/ ١٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٩١)، وابن أبي عاصم (٢١٩٦)، والبغوي (٢٦٨٠)، والبيهقي (١/ ١١٠)، والبزار (٢٤٢) «كشف» من طرق عن المفضل بن فضالة المصري عن عباس القتباني أن شييم بن بيتان أخبره أنه سمع شيبان القتباني أنه سمع رويفع بن ثابت رضي الله عنه يقول:....فذكره، وشيبان القتباني فيه جهالة. إلَّا أنه ثبت أن شييم سمعه من رويفع، وهنا مما قال فيه: أن شييم سمعه من شيبان عن رويفع ثم سمعه من رويفع. فقد رواه النسائي (٨/ ١٣٥ - ١٣٦)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٢٤٠) من طريقه، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ١٢٣) مختصرًا من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح، وآخر ذكره قبله عن عياش بن عباس القتباني أن شييم بن بيتان حدثه أنه سمع رويفع بن ثابت يقول: إن رسول الله ﷺ قال: فذكرهُ، وهذا إسناد صحيح، وتابع حيوةُ بن شريح ابنَ لهيعة كما في «مسند» أحمد (٤/ ٢٨)، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» رقم (٣٥١).

(٢) انظر هذه الطرق في الكلام علىٰ الحديث السابق.

(٣) الحديث رواه أبو داود في باب ما ينهىٰ عنه أن يستنجىٰ به: حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن موهب الهمداني أخبرنا المفضل - يعني ابن فضالة المصري -، عن عياش بن عباس القتباني - بكسر القاف - أن شييم بن بيتان أخبره عن شيبان القتباني أن مسلمة بن مخلد استعمل رويفع بن ثابت علىٰ أسفل الأرض، قال شيبان: فسرنا معه - إلخ... ثم ساق له سندًا آخر: حدثنا يزيد بن خالد حدثنا مفضل عن عياش أن شييم بن بيتان أخبره بهذا الحديث أيضًا عن أبي سالم الجيشاني عن عبد الله بن عمرو. اهـ. وليس في أحدهما ابن لهيعة وقال المنذري: ورواه النسائي [الفقي].

قوله: «**لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ**» فيه عَلَمٌ من أعلام النبوة؛ فإنَّ رُويفعًا طالت حياتُه إلىٰ سنة ستٍ وخمسين، فمات ببرقة من أعمال مصر أميرًا عليها، وهو من الأنصار، وقيل: مات سنة ثلاثٍ وخمسين.

قوله: «**فَأَخْبِرِ النَّاسَ**» دليلٌ علىٰ وجوب إخبار الناس، وليس هذا مُختصًّا برُويفع، بل كلُّ من كان عنده علمٌ ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس وجب إعلامهم به، فإن اشترك هو وغيره في علم ذلك، فالتبليغ فرض كفاية. قاله: أبو زُرْعة في «شرح سنن أبي داود».

قوله: «**أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ**» بكسر اللام لا غير، والجمع لُحىٰ بالكسر والضم، قاله: الجوهري.

قال الخطَّابي: أمَّا نهيُه عن عقد اللحية، فيفسَّرُ علىٰ وجهين:

أحدُهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم، وذلك من زيِّ بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها. قال أبو السعادات: تكبرًا وعجبًا.

ثانيهما: أنَّ معناه معالجة الشعرة ليتعقَّد ويتجعَّد، وذلك من فعل أهل التأنيث.

قال أبو زرعة ابن العراقي: والأولىٰ حملُه علىٰ عقد اللحية في الصلاة، كما دلَّت عليه روايةُ محمد بن الربيع. وفيه: «**أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ فِي الصَّلَاةِ**»[1].

قلت: وهذه الرواية لا تدل علىٰ تخصيصه في الصلاة، بل تدل علىٰ أنَّ فعله في الصلاة أشد من فعله خارجها.

قوله: «**أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا**» أي: جعله قلادة في عُنقه أو عُنق دابته. وفي رواية محمد بن الربيع: «**أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا** – يريد تميمة –».

فإذا كان هذا فيمن تقلَّد وترًا، فكيف بمن تعلَّق بالأموات وسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وما يترتب علىٰ ذلك من العبادة التي لا يستحقها إلا رب الأرض

---

(١) في **قرة العيون**: قلت ويشبه هذا ما يفعله كثير من فتل أطراف الشارب فيترك أطرافه لذلك وهي بعضه. وفي حديث زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا**» رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال: صحيح. وفي الصحيح: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ احْفُوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللِّحَىٰ**» وذلك يدل علىٰ الوجوب، وذكر ابن حزم الإجماع علىٰ أنه فرض فيتعين النهي عن ذلك. [الفقي].

والسموات الذي جاء النهيُ عنه وتغليظه في الآيات المحكمات؟

قوله: «أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ» قال النووي: أي: بريءٌ من فعله.

وهذا خلاف الظاهر. والنووي كثيرًا ما يتأول الأحاديث بصرفها عن ظاهرها فيغفر الله تعالىٰ له بل هو بريء من الفاعل وفعله.

وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ وَلَا الْعِظَامِ؛ فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ»[1].

وعليه لا يجزيءُ الاستنجاء بهما، كما هو ظاهر مذهب أحمد؛ لما روىٰ ابنُ خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة أن النبي ﷺ نهىٰ أنْ يُستنجىٰ بعظم أو روثٍ، وقال: «إِنَّهُمَا لَا يُطَهِّرَانِ»[2].

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن سعيد بن جُبير، قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة[3] رواه وكيع.**

ش: هذا عند أهل العلم له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يُقال بالرأي، ويكون هذا مرسلًا؛ لأن سعيدًا تابعي[4].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٥٠).

(٢) إسناده ضعيف: رواه ابن خزيمة (٨٢)، والدارقطني في «السنن» (١/ ٥٦)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣٢) من حديث أبي هريرة وفيه: «إِنَّهُمَا لَا تُطَهِّرَانِ».

وفي إسناده الحسن بن فرات القزاز، قال فيه أبو حاتم: منكر الحديث، كما في «التهذيب» والراوي عنه سلمة بن رجاء متكلم فيه، وذكره ابن عدي في «أفرداه وغرائبه».

(٣) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي شيبة (٣٥٢٤) قال: حدثنا حفص عن ليث عن سعيد بن جبير فذكره، وفي الإسناد ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، وروىٰ ابن أبي شيبة (٣٥٢٣) قال: حدثنا عبدة عن محمد بن سوقة أن سعيد بن جبير رأىٰ إنسانًا يطوق في عنقه خرزة فقطعها وإسناده صحيح.

(٤) في قرة العيون: فعلىٰ هذا يجب النهي عن تعليق التمائم والترغيب في قطعها وأن ذلك مما يجب، وفيه مع ما تقدم أنه شرك، وبيان حال السلف رضي الله عنهم من تعظيم الشرك قليله وكثيره والنهي عنه، فلما اشتدت غربة الإسلام في أواخر هذه الأمة صار إنكار هذا وما هو أعظم منه أعظم المنكرات حتىٰ عند من ينتسب إلىٰ العلم كما لا يخفىٰ. [الفقي].

وفيه: فضلُ قطع التمائم لأنها شرك.

ووكيع: هو ابنُ الجرَّاح بن مليح الكوفي، ثقةٌ إمام، صاحبُ تصانيف منها «الجامع» وغيرُه. روىٰ عنه الإمامُ أحمد وطبقتُه. مات سنة سبع وتسعين ومائة.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وله عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها من القرآن وغير القرآن**[1].

ش: إبراهيم: هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، يكنَّىٰ أبا عمران، ثقةٌ من كبار الفقهاء. قال المِزِّي: دخل علىٰ عائشة، ولم يثبت له سماعٌ منها. مات سنة ستٍ وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها.

قوله: (**كانوا يكرهون التمائم**) إلىٰ آخره، مرادُه بذلك أصحاب عبد الله بن مسعود، كعلقمة، والأسود وأبي وائل والحارث بن سُويد، وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خُثيم، وسُويد بن غفلة وغيرهم، وهم من سادات التابعين. وهذه الصيغةُ: يستعملها إبراهيمُ في حكاية أقوالهم، كما بيَّن ذلك الحفَّاظ كالعراقي وغيره.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير الرقىٰ والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟.

السادسة: أن تعليق الأوتار علىٰ الدواب عن العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد علىٰ مَن تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبد الله.

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه ابن أبي شيبة (٣٥١٨) قال: حدثنا هشام عن مغيرة عن إبراهيم قال فذكره، وفي الإِسناد مغيرة بن مقسم وهو مدلس وقد عنعن، وتدليسه عن إبراهيم مشهور، وصح عند ابن أبي شيبة (٣٥٢٧) عن وكيع عن ابن عون عن إبراهيم أنه كان يكره المعاذة للصبيان، ويقول: إنهم يدخلون به الخلاء.

(٨)

بَابُ: من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** بابُ من تبرَّك بشجرةٍ أو حجر ونحوهما.

ش: كبُقعةٍ أو قبر، ونحو ذلك، أي: فهو مُشرك.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝﴾

[النجم: ١٩ - ٢٣]

ش: وكانت اللَّاتُ: لثقيف، والعزىٰ: لقريش وبني كنانة، ومناة: لبني هلال. وقال ابنُ هشام: كانت لهذيل وخُزاعة.

فأمَّا اللَّاتُ: فقرأ الجمهورُ بتخفيف التاء، وقرأ ابنُ عباس وابن الزبير ومُجاهد وحُميد وأبو صالح ورُوَيْس عن يعقوب: بتشديد التاء.

فعلىٰ الأُولىٰ: قال الأعمش: سمَّوا اللات: من الإله، والعُزَّىٰ: من العزيز. قال ابنُ جرير: وكانوا قد شقُّوا اسمَها من اسم الله تعالىٰ، فقالوا: اللَّات مؤنثة منه، تعالىٰ الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا. قال: وكذا العُزَّىٰ من العزيز.

وقال ابنُ كثير: اللَّات، كانت صخرةً بيضاء منقوشة عليها بيتٌ بالطائف له أستار وسَدَنة، وحوله فِناءٌ معظَّمٌ عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون به علىٰ من عداهم من أحياء العرب بعد قريش. قال ابنُ هشام: فبعث رسول الله ﷺ المغيرةَ بن شُعبة فهدمها وحرَّقها بالنار [(١)].

وعلىٰ الثانية: قال ابنُ عباس: كان رجلًا يلُتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا علىٰ

(١) السيرة لابن هشام (٤/ ١٣٨)، وذكره ابن الكلبي كما في «الفتح» (٨/ ٤٧٨).

قبره[١] ذكره البخاريُّ.

قال ابن عباس: كان يبيع السويق والسَّمن عند صخرة، ويسلوه عليها، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيفُ تلك الصخرة إعظامًا لصاحب السويق[٢] وعن مجاهد نحوه وقال: فلما مات عبدوه. رواه سعيدُ بن منصور[٣].

وكذا روىٰ ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس: أنهم عبدوه[٤] وبنحو هذا قال جماعة من أهل العلم.

قلتُ: لا منافاة بين القولين؛ فإنَّهم عبدوا الصخرةَ والقبر تألُّها وتعظيمًا.

ولمثل هذا بُنيت المشاهدُ والقباب علىٰ القبور، واتخذت أوثانًا.

وفيه: بيانُ أنَّ أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والأصنام والأوثان.

وأمَّا العُزَّىٰ: فقال ابنُ جرير: كانت شجرةً عليها بناءٌ وأستار بنخلة - بين مكة والطائف - كانت قريشُ يعظمونها. كما قال أبو سفيان يوم أُحد: لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم. فقال رسولُ الله ﷺ: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»[٥].

وروىٰ النسائي وابنُ مردويه، عن أبي الطفيل، قال: لما فتح رسولُ الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ نخلة، وكانت بها العُزَّىٰ، وكانت علىٰ ثلاث سَمُرات، فقطع السَّمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتىٰ النبي ﷺ فأخبره. فقال: «**ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٨٥٩) دون قوله: فلما مات عكفوا علىٰ قبره وانظر الأثر عند الطبري (٢٧/ ٥٨) من قول مجاهد، وانظر «ابن كثير» (٤/ ٢٥٣).

(٢) وفي النهاية: السلاء السمن. وفي فتح الباري (جـ٨ صـ٤٣٣): وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس - ولفظه فيه زيادة -: وكان يلت السويق علىٰ الحجر، فلا يشرب منه أحد إلَّا سمن، فعبدوه. واختلف في اسم هذا الرجل، فعن مجاهد: كان رجلًا في الجاهلية علىٰ صخرة بالطائف وعليها له غنم فكان يسلؤ من رسلها. ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيسًا ويطعم من يمر به من الناس. فلما مات عبدوه. وزعم بعض الناس أنه عامر بن الظرب. اهـ مختصرًا. [الفقي].

(٣) سعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٢).

(٤) راجع «فتح الباري» (٨/ ٤٧٨) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣)

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٤٣).

تَصْنَعْ شَيْئًا» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة أمعنوا في الجبل، وهم يقولون: يا عـزَّىٰ يـا عزَّىٰ، فأتاها خالد فإذا امرأةٌ عُريانة ناشرةٌ شعرها تحفن التراب علىٰ رأسها فعمَّمها بالسيف فقتلها. ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره. فقال: «**تِلْكَ العُزَّىٰ**»(١).

قال أبو صالح: كانوا يُعلِّقون عليها السُّيور، والعُهن. رواه عبد بن حميد وابن جرير.

قلتُ: وكلُّ هـذا، وما هـو أعظـمُ منه يقـعُ في هـذه الأزمنة عند ضرائح الأموات وفي المشاهد.

وأما مَنَاة: فكانت بالمشلل عند قُديد، بين مكة والمدينة، وكانت خُزاعةُ والأوس والخزرج يعظمونها ويُهِلُّون منها للحج. وأصلُ اشتقاقها: من اسم الله المنَّان، وقيل: لكثرة ما يُمنىٰ – أي: يُراق – عندها من الدماء للتبرُّك بها.

قال البخاريُّ رحمه الله تعالىٰ في حديث عُروة عن عائشة ﵂: إنها صنمٌ بين مكة والمدينة(٢).

قال ابنُ هشام: فبعث رسولُ الله ﷺ عليًّا فهدمها عام الفتح(٣).

وقال العماد بن كثير: فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في غزوة بني المصطلق فكسرها.

فمعنىٰ الآية كما قال القرطبي: أنَّ فيها حذفًا تقديره: أفرأيتم هـذه الآلهة، أنفعت أو ضرَّت، حتىٰ تكون شركاء لله تعالىٰ؟.

وقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ قال ابنُ كثير: تجعلون له ولدًا وتجعلون ولده أنثىٰ وتختارون لكم الذكور؟

قوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ أي: جورٌ وباطلة. فكيف تُقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا، فتنزِّهون أنفسكم عن الإناث، وتجعلونهن لله تعالىٰ.

---

(١) إسناده حسن: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٤٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٧٧)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٦٣)، وأبو يعلىٰ (٩٠٢)، وغيرهم من طريق محمد بن فضيل قال: حدثنا الوليد بن جميع عن أبي الطفيل فذكره.

(٢) رواه البخاري (٤٨٦١).

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٥١)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥٣ – ٢٥٤).

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: من حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: ليس لهم مستندٌ إلَّا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم[1] وإلا حظ أنفسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ قال ابنُ كثير: ولقد أرسل الله تعالىٰ إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به ولا انقادوا له.

ومطابقةُ الآيات للترجمة: من جهة أنَّ عُبَّاد الأوثان إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها: بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها، ويؤمِّلونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك.

فالتبركُ بقبور الصالحين كاللَّات، وبالأشجار والأحجار كالعُزَّىٰ ومَناة[2] من فعل جملة أولئك المشركين مع تلك الأوثان، فمن فعل مثل ذلك أو اعتقد في قبرٍ أو حجرٍ أو شجرٍ، فقد ضاهىٰ عُبَّاد هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك، علىٰ أنَّ الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم، أعظم مما وقع من أولئك. فالله المستعان.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ**

---

(١) **الظن هنا:** ظن المشركين بأوليائهم أنها تسمع الدعاء وتجيب؛ فإنهم ليس لهم علم بذلك لا من طريق حواسهم، ولا من خبر صادق، وإنما هو مما يشيعه السدنة ترويجًا لتجارتهم الخاسرة. ويزيد الجاهلين تعلقًا بأوليائهم من دون الله: ما تهوىٰ أنفسهم من قضاء حاجاتهم بغير الأسباب الكونية، فهم يعظمون أولئك الموتىٰ لهوىٰ أنفسهم وقضاء وطرهم لا حبًّا في الإيمان والمؤمنين. ولذلك تراهم يتنقلون من ميت إلىٰ آخر إذا لم يجدوا مسألتهم قضيت عند الأول. وهكذا ترىٰ السدنة إذا انتقلوا من وظيفة عند هذا الولي الذي كان في نظرهم كبيرًا أصبح الولي الذي انتقلوا عند قبره أعظم بركة وأكثر كرامات. والله يقول: إن هؤلاء جميعًا لا يتبعون إلَّا هوىٰ أنفسهم وهم كاذبون أعظم الكذب في دعواهم حب الأولياء والصالحين. [الفقي].

(٢) ما كانوا يتبركون بالعزىٰ ومناة علىٰ أنها أحجار مجردة، وإنما كانوا يعتقدون فيها البركة من العزىٰ التي كانت امرأة يزعمون أنها ولية ودفنت عند هذه الشجيرات. وكذلك مناة. ولذلك سموا الأشجار العزىٰ والحجر مناة، كما يسمي الناس اليوم النحاس الذي يقام علىٰ القبر حسينًا وزينبًا وغيرهما من الصالحين، فهم يتبركون بها علىٰ هذه العقيدة الجاهلية. [الفقي].

إلىٰ حُنين، ونحن حُدَثاءُ عهد بكفر، وللمشركين سِدْرةٌ يعكفُون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذاتُ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨] **لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[1] رواه الترمذي وصححه.**

ش: أبو واقد: اسمه الحارث بن عوف، وفي الباب: عن أبي سعيد وأبي هريرة قاله: الترمذي.

وقد رواه أحمدُ وأبو يعلىٰ وابنُ أبي شيبة والنسائي وابنُ جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بنحوه.

قوله: (عن أبي واقد) تقدم اسمُه في قول الترمذي، وهو صحابيٌّ مشهور مات سنة ثمانٍ وستين وله خمسٌ وثمانون سنة.

قوله: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حُنين) وفي حديث عمرو بن عوف وهو عند ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني قال: غزونا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح، ونحن ألفٌ ونيِّف حتىٰ إذا كنا بين حُنين والطائف الحديث.

قوله: (ونحن حدثاء عهد بكفر) أي: قريبٌ عهدُنا بالكفر.

ففيه: دليلٌ علىٰ أنَّ غيرهم ممن تقدم إسلامُه من الصحابة لا يجهل هذا، وأنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبُه لا يأمن أنْ يكون في قلبه بقيةٌ من تلك العادة. ذكره المصنف.

---

(١) **إسناده صحيح:** رواه الترمذي (٢١٨٠)، والحميدي (٨٤٨)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٧٠٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٤/ ١٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٤٤، ٢٤٥)، وأبو يعلىٰ (١٤٤١)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٠١)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٨٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٦)، وغيرهم من طريق محمد بن شهاب الزهري عن سنان بن أبي سنان أنه سمع أبا واقد الليثي ﵁ يقول فذكره. وفي الإسناد سنان بن أبي سنان روىٰ عن الزهري وزيد بن أسلم وأبو طوالة. وروىٰ له البخاري ومسلم ووثقه العجيلي فقال: (تابعي ثقة) وذكره ابن حبان في ثقاته كما في «التهذيبين»، وفي هامش «تهذيب الكمال» ووثقه ابن خلفون والذهبي وابن حجر.

قوله: **(وللمشركين سدرة يعكفون عندها)**. العكوف: هو الإقامة على الشيء في المكان، ومنه قولُ الخليل - عليه السلام -: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[الأنبياء: ٥٢]، وكان عكوفُ المشركين عند تلك السدرة تَبرُّكًا بها وتعظيمًا لها[1].

وفي حديث عمرو: كان يُناط بها السلاح فسمّيت ذاتُ أنواط وكانت تُعبد من دون الله.

قوله: **(وينوطون بها أسلحتهم)** أي: يعلِّقونها عليها للبركة.

قلت: ففي هذا بيانُ أنَّ عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك، وبهذه الأمور الثلاثة عُبدت الأشجار ونحوها.

قوله: **(فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط)** قال أبو السعادات: سألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك. وأنواط: جمع نَوْط، وهو مصدرٌ سُمِّي به المَنُوط. ظنوا أنَّ هذا محبوبٌ عند الله وقصدوا التقرب به، وإلا فهم أجلُّ قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ.

قوله: **(فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ»)** وفي رواية: «سُبْحَانَ اللهِ». والمراد تعظيم الله تعالىٰ، وتنزيهه عن هذا الشرك بأي نوعٍ كان، مما لا يجوز أن يُطلب أو يُقصد به غير الله.

وكان النبي ﷺ يستعملُ التكبير والتسبيح في حال التعجُّب تعظيمًا لله وتنزيهًا له إذا سمع من أحد ما لا يليق بالله، مما فيه هَضْمٌ للربوبية والإلهية.

قوله: «**إِنَّهَا السُّنَنُ**» بضم السين أي: الطرق.

قوله: «**قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ**: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾»، شبَّه مقالتهم هذه بمقالة بني إسرائيل، بجامع أنَّ كلًّا طلب أن يُجعل له ما يألهه ويعبُده من دون الله، وإن اختلف اللفظان فالمعنىٰ واحد، فتغيير الاسم لا يُغير الحقيقة.

ففيه: الخوفُ من الشرك، وأنَّ الإنسان قد يستحسن شيئًا يظنه يقربه إلىٰ الله، وهو أبعدُ ما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه.

ولا يعرف هذا علىٰ الحقيقة إلَّا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعبَّاد مع أرباب القبور، من الغلوِّ فيها وصرف جل العبادة لها، ويحسبون أنهم علىٰ شيء

---

(١) كما يعكف اليوم عباد القبور عندها ويجاورون، معتقدين أن لهم بذلك الزلفىٰ والقربىٰ، ويعتقد الجاهلون لهم ذلك فيعاونونهم بالنذور لتلك القبور والصدقات قربة لأولئك الموتىٰ. وكل ذلك من الشرك الأكبر. [الفقي].

وهو الذنبُ الذي لا يغفره الله.

قال الحافظُ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي، المعروف بأبي شامة في كتاب «البدع والحوادث»: ومن هذا القسم أيضًا ما قد عَمَّ الابتلاءُ به من تزيين الشيطان للعامة: تخليقُ الحيطان والعُمد وسرجُ مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاكٍ أنه رأىٰ في منامه بها أحدًا ممن شُهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائِضَ الله تعالىٰ وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلىٰ أن يَعظُم وقعُ تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من عيون وشجر وحائط وحجر.

وفي مدينة دِمَشق من ذلك مواضعُ متعددةٌ كعوينة الحمَّىٰ خارج باب تُوما، والعمود المخلَّق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق سَهَّل الله قطعها واجتثاثَها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط، الواردة في الحديث[1] انتهىٰ.

وذكر ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: فما أسرع أهل الشرك إلىٰ اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إنَّ هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر، أي: تقبل العبادة من دون الله، فإنَّ النذر عبادةٌ وقربة يتقرب بها الناذرُ إلىٰ المنذور له، وسيأتي ما يتعلَّق بهذا الباب، عند قوله: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[2].

وفي الجملة من الفوائد: أنَّ ما يفعلُه من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد

---

(١) وفي مصر كذلك من هذه القبور المنامية ونحوها كقبر الحسين وزينب رضي الله عنهما، وكثير مما يسمىٰ بالأربعين، بناء علىٰ عقيدة أخبث من عقيدة أهل الجاهلية الأولىٰ، وهي عقيدة أن الولي يتشكل في أربعين جسمًا. وزعم الدباغ مبالغة في الوقاحة والضلال أنه يكون للولي ثلاثمائة وستون جسمًا، وكم في غير مصر من هذه المواضع الشركية من قبور وأشجار وأحجار، عجل الله بتطهير البلاد منها كما طهر الحجاز بيد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، ووفق أبناءه للقيام بمثل عمله الصالح وأعلىٰ بهم منار الإِسلام. [الفقي].

(٢) سيأتي الكلام عليه في الباب العشرين: باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله.

كون الشرك بالله يقع في هذه الأمة.

فإذا كان بعضُ الصحابة ظنوا ذلك حسنًا، وطلبوه من النبي ﷺ حتىٰ بيَّن لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] فكيف لا يخفىٰ علىٰ من هو دونهم في العلم والفضل بأضعافٍ مضاعفة مع غلبة الجهل وبُعد العهد بآثار النبوة؟! بل خفي عليهم عظائمُ الشرك في الإلهية والربوبية، فأكثروا فعله واتخذوه قُربة.

ومنها: أنَّ الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبيُّ ﷺ طلبهم كطلب بني إسرائيل، ولم يلتفت إلىٰ كونهم سمَّوها ذاتَ أنواط.

فالمشركُ مشركٌ وإن سمَّىٰ شركه ما سماه، كمن يُسمي دعاء الأموات والذبح لهم والنذر ونحو ذلك تعظيمًا ومحبة، فإنَّ ذلك هو الشرك وإن سمّاه ما سماه. وقس علىٰ ذلك.

قوله: «**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[١] بضم الموحَّدة وضم السين أي: طرقهم ومناهجهم، وقد يجوز فتحُ السين علىٰ الإفراد أي: طريقهم. وهذا خبرٌ صحيح. والواقع من كثيرٍ من هذه الأمة يشهدُ له.

وفيه: علمٌ من أعلام النبوة من حيثُ إنه وقع كما أخبر ﷺ.

وفي الحديث: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه، إلَّا ما دلَّ الدليل علىٰ أنه من شريعة محمد ﷺ.

* **قال المُصَنِّفُ: وفيه التنبيهُ علىٰ مسائل القبر، أمَّا: مَن رَبُّك؟ فواضح، وأمَّا: مَن نبيك؟ فمن إخباره بأنباء الغيب، وأمَّا: ما دينُك؟ فمن قولهم ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ إلىٰ آخره.**

وفيه: أنَّ الشرك لا بُدَّ أن يقع في هذه الأمة خلافًا لمن ادعىٰ خلاف ذلك.

وفيه: الغضبُ عند التعليم، وأنَّ ما ذم الله به اليهود والنصارىٰ فإنه قاله لنا لنحذره قاله المصنف.

---

(١) أي: اليهود والنصارىٰ، وقد وقع كما أخبر به ﷺ في هذه الأمة فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا كما هو في الأحاديث الصحيحة، كحديث: «**لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فَمَنْ؟**» وهو في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وفي رواية: «**وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟**». [الفقي].

وأمّا ما ادعاه بعضُ المتأخرين: من أنه يجوز التبركُ بآثار الصالحين، فممنوع من وجوه:

منها: أنّ السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ، لا في حياته ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

وأفضلُ الصحابة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. وقد شهد لهم النبي ﷺ فيمن شهد له بالجنة، وما فعله أحدٌ من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين وأهل الأسوة.

فلا يجوز أن يُقاس علىٰ رسول الله ﷺ أحدٌ من الأمة، وللنبي ﷺ في حال الحياة خصائصُ كثيرة لا يصلح أنْ يُشاركه فيها غيره.

ومنها: أنَّ في المنع عن ذلك سدًّا لذريعة الشرك كما لا يخفىٰ.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا[1].

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلىٰ الله بذلك؛ لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولىٰ بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم في الأمر، بل رد عليهم بقوله: «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» فغلَّظَ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طَلَبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف: ١٣٨].

---

(١) يعني: أنهم لم يطلبوا منه أن يجعل لهم إلهًا يعبدونه من دون الله؛ لأنهم كانوا أجل وأعقل من ذلك، وإنما طلبوا شجرة يأذن لهم النبي فيها فيتبركون بها ويعلقون عليها أسلحتهم دون أن يصلوا أو يتصدقوا لها، فبين لهم أن ما طلبوا من التبرك ولو لم يكن صلاة ولا صيامًا ولا صدقة هو الشرك بعينه. وفيه إبطال لشبهة مشركي هذا الزمان وزعمهم أن ما يفعلونه تبرك وتعظيم لا بأس به. [الفقي].

التاسعة: أن نفي هذا من معنىٰ: «لا إله إِلَّا الله»، مع دِقته وخفائه علىٰ أُولئك.

العاشرة: أنه حلف علىٰ الفُتيا، وهو لا يحلف إِلَّا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا[١].

الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «**إِنَّهَا السُّنَنُ**».

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوَّة؛ لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن ما ذمَّ الله به اليهود والنصارىٰ في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرَّرٌ عندهم أن العبادات مبناها علىٰ الأمر، فصار فيه التنبيه علىٰ مسائل القبر، أما: «مَن ربك؟» فواضح. وأما: «مَن نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب. وأما: «ما دينك؟» فمن قولهم: اجعل لنا. إلىٰ آخره.

الحادية والعشرون: أن سُنة أهل الكتاب مذمومة كسنَّة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

❊ ❊ ❊

---

(١) ليس ما طلبوه من الشرك الأصغر، ولو كان منه لما جعله النبي ﷺ نظير قول نبي إسرائيل ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] وأقسم علىٰ ذلك، بل هو من الشرك الأكبر كما أن ما طلبه بنو إسرائيل من الأكبر. وإنما لم يكفروا بطلبهم؛ لأنهم حدثاء عهد بالإِسلام، ولأنهم لم يفعلوا ما طلبوه ولم يقدموا عليه بل سألوا النبي ﷺ فتأمل. [الفقي].

(٩)
بَابٌ: ما جاء في الذبح لغير الله

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** بابُ ما جاء في الذَّبح لغير الله.

ش: أي: من الوعيد، وأنه شرك بالله.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** وقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي[1] وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ش: قال ابن كثير: يأمُرُه تعالىٰ أن يُخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه: بأنه أخلص لله صلاته وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالىٰ بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم علىٰ الإخلاص لله تعالىٰ.

قال مجاهد: النسك: الذبح في الحج والعمرة[2].

وقال الثوري عن السُّدي عن سعيد بن جُبير: ﴿وَنُسُكِي﴾ ذبحي[3]. وكذا قال الضحاك[4].

---

(١) في قرة العيون: يشمل الفرائض والنوافل، والصلوات كلها عبادة، وقد اشتملت علىٰ نوعي الدعاء: دعاء المسألة ودعاء العبادة، فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة، وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة، وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة؛ لأنها اشتملت علىٰ نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعًا (*) قرره شيخ الإسلام وابن القيم - رحمهما الله -. [الفقي].

(*) وهي مأخوذة من «الصلة»؛ لأنها الصلة والمنحة التي وصل الله بها حبيبه محمدًا ﷺ ومنحه إياها في ليلة الوصل الأعظم: ليلة المعراج. وهي أقوىٰ صلة بين العبد وبين ربه؛ لأنه فيها يناجي ربه كما في الأحاديث، ومن ثم كانت قرة عين رسول الله ﷺ وكانت مفزعه عند كل أمر يهمه. وكانت الفارق بين المسلم والكافر. فمن تركها فلا حظ له في الإيمان بالله وحبه، ولا صلة بينه وبين ربه مهما حاول. [ابن باز].

(٢) رواه الطبري (٨/ ١١٢) من طريق القاسم بن أبي بزة وابن أبي نجيح عن مجاهد به.

(٣) رواه الطبري (٨/ ١١٢) من طريق الثوري عن إسماعيل عن سعيد بن جبير به.

(٤) رواه الطبري (٨/ ١١٢) من طريق جويبر عن الضحاك به وجويبر ضعيف.

وقال غيره: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: وما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالصًا لوجهه ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من هذه الأمة لأن إسلام كل نبي متقدمٌ إسلام أمته.

قال قتادة: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من هذه الأمة.

قال ابنُ كثير: وهو كما قال: فإنَّ جميع الأنبياء قبله كانت دعوتهم إلىٰ الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وذكر آيات في هذا المعنىٰ.

ووجه مُطابقة الآية للترجمة: أنَّ الله تعالىٰ تعبَّد عباده بأن يتقربوا إليه بالنّسك، كما تعبَّدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادة؛ فإنَّ الله تعالىٰ أمرهم أن يُخلصوا جميع أنواع العبادة له دون كلِّ ما سواه، فإذا تقرَّب إلىٰ غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة، فقد جعل لله شريكًا في عبادته.

وهو ظاهرٌ في قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ نفىٰ أن يكون لله تعالىٰ شريك في هذه العبادات، وهو بحمد الله واضح[1].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

ش: قال شيخُ الإسلام – رحمه الله تعالىٰ –: أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنسك، الدالتان علىٰ القُرب والتواضع والافتقار وحُسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلىٰ الله وإلىٰ عِدَته.

عكسَ حال أهل الكِبر والنُّفرة، وأهل الغنىٰ عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلىٰ ربهم، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الآية.

---

(١) في قرة العيون: والمقصود أن هذه الآية دلت علىٰ أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله كائنًا من كان، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فقد وقع فيما نفاه تعالىٰ من الشرك بقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد في عبادته وبيانه ونفي الشرك والبراءة منه. [الفقي].

والنُّسك: الذبيحة لله تعالىٰ، ابتغاء وجهه؛ فإنهما أجلُّ ما يُتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ، فإنه أتىٰ فيهما بالفاء الدالة علىٰ السبب، لأن فعل ذلك سببٌ للقيام بشكر ما أعطاه الله تعالىٰ من الكوثر.

وأجلُّ العبادات البدنية: الصلاة، وأجلُّ العبادات المالية: النحر. وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها، كما عرفه أربابُ القلوب الحية، وما يجتمع له في النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص، من قوة اليقين وحُسن الظن: أمرٌ عجيب، وكان ﷺ كثير الصلاة، كثير النحر. انتهىٰ.

قلتُ: وقد تضمَّنت الصلاةُ من أنواع العبادات كثيرًا، فمن ذلك الدعاءُ والتكبير، والتسبيح والقراءة، والتسميع والثناء، والقيام والركوع، والسجودُ والاعتدال، وإقامة الوجه لله تعالىٰ، والإقبالُ عليه بالقلب، وغيرُ ذلك مما هو مشروع في الصلاة، وكل هذه الأمور من أنواع العبادة التي لا يجوز أنْ يُصرف منها شيء لغير الله، وكذلك النسك: يتضمن أمورًا من العبادة كما تقدم في كلام شيخ الإسلام.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى**: عن علي بن أبي طالب، قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»(١).

ش: رواه مُسلم من طُرق، وفيه قصة.

ورواه الإمام أحمد كذلك، عن أبي طفيل، قال: قُلنا لعلي: أخبرنا بشيء أسرَّه إليك رسولُ الله ﷺ فقال: ما أسرَّ إليَّ شيئًا كتمه الناس، ولكن سمعتُه يقول: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ»**، يعنىٰ: المنار(٢).

وعليُّ بن أبي طالب: هو الإمام، أمير المؤمنين، أبو الحسن الهاشمي ابنُ عم النبي ﷺ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ١٠٨، ١١٨، ١٥٢)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٩٩)، وغيرهما.

وزوج ابنته فاطمة الزهراء.

كان من أسبق السابقين الأولين، ومن أهل بدر وبيعة الرضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ورابع الخُلفاء الراشدين، ومناقبُه مشهورة - رضي الله تعالىٰ عنه -، قتله ابنُ مُلْجم الخارجي، في رمضان سنة أربعين.

قوله:«لَعَنَ اللهُ» اللعنة: البُعد عن مظان الرحمة ومواطنها. قيل: واللعين والملعون: من حقَّت عليه اللعنة، أو دُعي عليه بها. قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق: السب والدعاء.

قال شيخُ الإسلام - ما معناه -: إن الله تعالىٰ يلعن من استحق اللعنة بالقول، كما يصلي سبحانه علىٰ من استحق الصلاة من عباده. قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣ - ٤٤]وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤]وقال: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦١].

والقرآن كلامه تعالىٰ، أوحاه إلىٰ جبرائيل - عليه السلام - وبلّغه رسوله محمدًا ﷺ وجبرائيل سمعه منه كما سيأتي في الصلاة إن شاء الله تعالىٰ.

فالصلاةُ ثناءُ الله تعالىٰ، كما تقدَّم. فالله تعالىٰ هو المصلِّي وهو المثيب، كما دل علىٰ ذلك الكتابُ والسنة، وعليه سلف الأمة. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء.

قوله:«مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله» قال شيخُ الإسلام - رحمه الله تعالىٰ - في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣][1]ظاهرُه: أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يُقال: هذا ذبيحةٌ لكذا.

---

(١) وفي سورة المائدة الآية الثالثة. وسورة الأنعام الآية (١٤٥)، وسورة النحل الآية (١١٥) ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ وأصل الإهلال: رفع الصوت والإعلام. فالمقصود بما أهل به لغير الله: ما أعلن عنه أنه منذور به لغير الله. سواء كان هذا الإهلال والإعلام قبل الذبح كأن يقال: هذه شاة السيدة فلانة والسيد فلان، فيعرف الناس ذلك، وأنها مهل بها لغير الله ولو سمىٰ الذابح باسم الله، فإن هذه التسمية اللفظية لاغية، والعبرة بالإهلال الحقيقي بما انطوىٰ عليه من قصد التقرب به لغير الله. (وكذلك أيضًا ما سمي من الطعام أو الشراب أو غيره نذرًا وقربة لغير الله. فكل طعام يصنع ليوزع علىٰ العاكفين عند هذه القبور والطواغيت) (*)باسمها وعلىٰ بركتها هو مما أهل به لغير الله. [الفقي]

=

وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريمُ هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح أو نحوه. كما أنَّ ما ذبحناه متقرِّبين به إلىٰ الله كان أزكىٰ وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: بسم الله. فإذا حرُم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزُّهرة، فَلأن يحرم ما قيل فيه: لأجل المسيح أو الزُّهرة أو قصد به ذلك أولىٰ؛ فإن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله.

وعلىٰ هذا: فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لَحَرُم[1] وإن قال فيه: باسم الله، كما قد يفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة الذين قد يتقرَّبون إلىٰ الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك[2].

=

(*) قوله: (وكذلك أيضًا ما سمي من الطعام أو الشراب أو غيره نذرًا وقربة لغير الله، فكل طعام يصنع ليوزع علىٰ العاكفين عند هذه القبور والطواغيت)... إلخ. أقول: هذا المقام فيه تفصيل: فإن كان المراد من ذلك من أن هذا الشرك لكونه عبادة لغير الله وتقربًا إليه فهذا صحيح؛ لأنه لا يجوز لأحد أن يعبد غير الله بشيء من العبادات لا نبيًّا ولا غيره، ولا ريب أن تقديم الطعام والشراب والنقود وغير ذلك للأموات من الأنبياء والأولياء أو غيرهم أو للأصنام ونحوها رغبة ورهبة، داخل في عبادة غير الله؛ لأن العبادة لله هي ما أمر الله به ورسوله، أما إن كان مراد الشيخ حامد أن النقود والطعام والشراب والحيوانات الحية التي قدمها ملاكها للأنبياء والأولياء وغيرهم يحرم أخذها والانتفاع بها، فذلك غير صحيح؛ لأنها أموال ينتفع بها قد رغب عنها أهلها، وليست في حكم الميتة فوجب أن تكون مباحة لمن أخذها، كسائر الأموال التي تركها أهلها لمن أرادها، كالذي يتركه الزراع وجذاذ النخل من السنابل والتمر للفقراء، ويدل علىٰ ذلك أن النبي ﷺ أخذ الأموال التي في خزائن اللات، وقضىٰ منها دين عروة بن مسعود الثقفي، ولم ير تقديمها للات مانعًا من أخذها عند القدرة عليها. ولكن يجب علىٰ من رأىٰ من يفعل ذلك من الجهلة والمشركين أن ينكر عليه، ويبين له أن ذلك من الشرك حتىٰ لا يظن أن سكوته عن الإنكار أو أخذه لها إن أخذ منها شيئًا دليل علىٰ جوازها وإباحة التقرب بها إلىٰ غير الله سبحانه، ولأن الشرك أعظم المنكرات فوجب إنكاره علىٰ من فعله، لكن إذا كان الطعام مصنوعًا من لحوم ذبائح المشركين أو شحمها أو مرقها فإنه حرام؛ لأن ذبيحتهم في حكم الميتة فتحرم، وينجس بها ما خالطته من الطعام، بخلاف الخبز ونحوه ما لم يخالطه شيء من ذبائح المشركين فإنه مُحَلٌّ لمن أخذه، وهكذا النقود ونحوها كما تقدم والله أعلم. [ابن باز].

(١) بل يكون هذا الذبح شركًا أكبر. و﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]. [الفقي].

(٢) وهم الذين يكتبون الحجب والتمائم والتعاويذ ونحوها، فإنهم يتحرون بها يوم السبت في ساعة كذا أو غيره من الأيام والساعات، ويذبحون ويبخرون عند نزول الكوكب الفلاني في منزلة كذا ونحو كذا، وهم في البلاد

=

وإن كان هؤلاء مرتدين لا تُباح ذبيحتهم بحال. لكن يجتمع في الذبيحة مانعان:

الأول: أنه مما أُهلَّ به لغير الله.

والثاني: أنها ذبيحة مرتد.

قلتُ: هذا لا اختلاف فيه بين العلماء. وأمّا إذا ذُبح للحم وذُكر علىٰ الذبيحة اسمُ المسيح أو الزهرة ونحو ذلك، فهذا الذي فيه خلافُ العلماء. وكلامُ شيخ الإسلام هذا: يدلُّ علىٰ أنَّه يقول بتحريمه، ووافقه علىٰ ذلك بعضُ العلماء.

وذكر القرطبيُّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ثم استثنىٰ قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥]. يعني: ذبيحة اليهودي والنصراني وإن كان النصراني يقول عند الذبح: باسم المسيح واليهودي يقول: باسم عزير. وذكر قول عطاء: كُلْ من ذبيحة النصراني وإن قال: باسم المسيح؛ لأن الله تعالىٰ قد أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون. وذكر مثله عن القاسم بن مُخيمَرة، وهو قول الزهري، وربيعة، والشعبي، ومكحول. وروي عن عُبادة بن الصَّامت، وأبي الدرداء من الصحابة. انتهىٰ مُلخصًا.

ثم قال: ومن هذا الباب: ما يفعلُه الجاهلون بمكة من الذبح للجن[١]، ولهذا رُوي عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن ذبائح الجن[٢]. انتهىٰ.

= الإسلامية كثير - لا كثرهم الله -، ويعتقد العامة فيهم الصلاح والتقوىٰ، مع أنهم مشركون مرتدون مفسدون للعقول بدجلهم بهذه التمائم والحجب، ومتخذون آيات الله هزوًا، ومتقربون بهذه المناسك لغير الله. فيا لله ما أشد غربة الإسلام! وإنا لله وإنا إليه راجعون. [الفقي].

(١) وفي غير مكة باسم الزار وإخراج الجن المتلبس بالإنس. ويدقون لذلك الطبول. [الفقي].

(٢) **ضعيف جدًا**: رواه البيهقي في «السنن» (٩/ ٣١٤) من طريق الزهري مرسلًا، وفي إسناده عمر بن هارون كذبه ابن معين وغيره. ورواه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٠٢) من طريق عبد الله بن أذينه عن ثور بن يزيد عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعًا. وفي الإسناد ابن أذينه وهو متروك يروي عن ثور ما ليس من حديثه.

قال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١/ ٢٧٢) حديث رقم (٢٤٠): لقد علمت أن الحديث غير صحيح فالعمدة في =

قال الزمخشري: كانوا إذا اشتروا دارًا أو بنوها أو استخرجوا عينًا ذبحوا ذبيحة خوفًا أنْ تُصيبهم الجن، فأضيفت إليهم الذبائح لذلك.

وذكر إبراهيم المروزي: أنَّ ما ذُبح عند استقبال السُّلطان تقربًا إليه، أفتىٰ أهلُ بُخارىٰ بتحريمه، لأنه مما أُهلَّ به لغير الله.

قوله: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ» يعني: أباه وأمَّه وإن علَيَا. وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجلُ والديه؟ قال: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»(١).

قوله: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا» هو بفتح الهمزة ممدودة: أي ضمَّه إليه وحماه أن يُؤخذ منه الحق الذي وجب عليه.

قال أبو السعادات: أَوَيتُ إلىٰ المنزل، وأويت غيري، وآويته. وأنكر بعضهم المقصور المتعدي. وقال الأزهري: هي لغةٌ صحيحة.

وأما مُحْدِثًا: فقال أبو السعادات: يُروىٰ بكسر الدال وفتحها علىٰ الفاعل والمفعول، فمعنىٰ الكسر: من نصر جانيًا وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يُقتصَّ منه. والفتح: هو الأمر المُبتدَع نفسه، ويكون معنىٰ الإيواء فيه: الرضىٰ به والصبر عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقرَّ فاعلها ولم يُنكر عليه فقد آواه.

قال ابنُ القيم - رحمه الله تعالىٰ -: هذه الكبيرة تختلف مراتبُها باختلاف مراتب الحَدَث في نفسه، فكلما كان الحدثُ في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم.

قوله: «وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ» بفتح الميم: علاماتُ حدودها. قال في «النهاية» - في مادة تخم -: «مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ» أي: معالمها وحدودها، واحدُها تَخْم. قيل: أراد حدود الحرم خاصة. وقيل: هو عامٌّ في جميع الأرض، وأراد: المعالم التي يُهتدىٰ بها في الطريق. وقيل: هو أن يدخل الرجلُ في مُلك غيره فيقتطعه ظُلمًا. قال: وروي

=

النهي عن هذه الذبائح الأحاديث الصحيحة في النهي عن الطيرة والله أعلم. اهـ.

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٣١٠)، ومسلم (٩٠).

تَخوم، بفتح التاء على الإفراد، وجمعه تُخُم بضم التاء والخاء. انتهى.

وتغييرُها: أنْ يُقدِّمها أو يؤخرها، فيكون هذا من ظُلم الأرض الذي قال فيه النبي ﷺ: «**مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»[1].

ففيه: جوازُ لعن أهل الظلم من غير تعيين.

وأمَّا لعنُ الفاسق المعيَّن، ففيه قولان:

أحدُهما: أنه جائز. اختاره ابنُ الجوزي وغيره.

والثاني: لا يجوز. اختاره أبو بكر عبدُ العزيز وشيخُ الإسلام.

وقال النووي رحمه الله تعالى: واتَّفق العلماء على تحريم اللَّعن؛ فإنَّه في اللُّغة: الإبعاد والطَّرد، وفي الشَّرع: الإبعادُ من رحمة الله.

فلا يجوز أنْ يُبعد من رحمة الله من لا يُعرف حاله وخاتمة أمره معرفةً قطعيَّة. فلهذا قالوا: لا يجوز لعن أحدٍ بعينه مسلمًا كان أو كافرًا أو دابَّة إلَّا من علمنا بنصٍّ شرعيٍّ أنَّه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل، وإبليس.

وأمَّا اللَّعن بالوصف فليس بحرام، كلعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، وآكل الرِّبا وموكله، والمصوِّرين، والظَّالمين، والفاسقين والكافرين، ولعن من غيَّر منار الأرض، ومن تولَّى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدث في الإسلام حدثًا أو آوى محدثًا، وغير ذلك ممَّا جاءت به النُّصوص الشَّرعيَّة بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان. والله أعلم.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن طارق بن شهاب[2] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ». قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

(٢) الحديث في كتاب الزهد (صـ١٥ س١٨)، وفي الحلية (جـ١ صـ٢٠٣) موقوفًا فيهما كليهما على سليمان في الزهد وعلى سلمان في الحلية. وهو خطأ في الحلية؛ لأن الحافظ ابن حجر قال في «تعجيل المنفعة»: سليمان بن ميسرة الأحمسي عن طارق بن شهاب، وعنه الأعمش وحبيب بن أبي ثابت، وثقه ابن معين. وقال ابن حبان في «ثقات التابعين»: روى عن طارق بن شهاب وله صحبة، وقال ابن خلفون في الثقات: وثقه العجلي ويحيى والنسائي. اهـ [الفقي].

قال: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يُجَاوِزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا. قَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا. فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ. وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عز وجل فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ»(١) رواه أحمد.

ش: قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: قال الإمام أحمد حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمش عن سُليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ...» الحديث.

وطارق بنُ شهاب: هو البجلي الأحْمُسي، أبو عبد الله. رأىٰ النبيَّ ﷺ وهو رجل. قال البغوي: ونزل الكوفة. وقال أبو داود: رأىٰ النبيﷺ ولم يسمع منه شيئًا. قال الحافظ: إذا ثبت أنه رأىٰ النبيﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايتُه عنه مُرسل صحابي، وهو مقبولٌ علىٰ الراجح، وكانت وفاته - علىٰ ما جزم به ابنُ حبان - سنة ثلاث وثمانين.

قوله: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» أي: من أجله لأن «في» تأتي للتعليل.

قوله: (قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟) كأنهم تقالّوا ذلك، وتعجبوا منه. فبين لهم النبيُّﷺ ما صَيَّر لهم هذا الأمر الحقير عندهم عظيمًا يستحق هذا عليه الجنة، ويستوجب الآخر عليه النار.

قوله: (فقال: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ») الصنم: ما كان منحوتًا علىٰ صورة،

---

(١) صحيح موقوفًا: علىٰ سلمان - ولم أقف عليه مرفوعًا - رواه أحمد في «الزهد» (صـ٢٢)، وابن أبي شيبة (١٣٠٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) من طريق طارق بن شهاب عن سلمان به موقوفًا، وله طرق أخرىٰ عن سلمان ذكرها أبو نعيم في «الحلية» وربما أخذه سلمان من أهل الكتاب. أما المرفوع فقد ذكره ابن القيم كما ذكره المصنف في الشرح، قال ابن القيم: قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ».

قلت: وهذا إسناد أحمد في «الزهد» ولكن فوق ابن شهاب سلمان وذكره موقوفًا عليه. فلعل ابن القيم كتبه من حفظه فوهم أو وقع في نسخته غلطًا. وانظر «الدر النضيد في تخريج أحاديث كتاب التوحيد».

وقال الحافظ سليمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد» (١٩٤): ذكره المصنف معزوًّا لأحمد وأظنه تبع ابن القيم في عزوه لأحمد وقد طالعت المسند فما رأيته فيه.

ويطلق عليه الوثن كما مر[١].

قوله: «**لَا يُجَاوِزُهُ**» أي: لا يمرُّ به ولا يتعداه أحدٌ حتىٰ يقرِّب له شيئًا وإن قلّ.

قوله: «**قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ**» وفي هذا بيانُ عظمة الشرك، ولو في شيءٍ قليل، وأنه يوجب النار[٢]. كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وفي هذا الحديث: الحذرُ من الوقوع في الشرك، وأنَّ الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدري أنه من الشرك الذي يوجبُ النار.

وفيه: أنه دخل النار بسببٍ لم يقصده ابتداءً، وإنما فعله تخلُّصًا من شر أهل الصنم.

وفيه: أنَّ ذلك الرجل كان مسلمًا قبل ذلك، وإلا فلو لم يكن مسلمًا لم يقل «**دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ**».

وفيه: أنَّ عمل القلب هو المقصودُ الأعظم، حتىٰ عند عَبَدَة الأوثان، ذكره المصنفُ بمعناه.

قوله: «**وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ. قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عز وجل**» ففيه: بيانُ فضيلة التوحيد والإخلاص والصلابة في الدين[٣].

---

(١) قال في النهاية: كل ما عبد من دون الله بل كل ما يشغل عن الله يقال له: صنم. [الفقي].

(٢) في قرة العيون: لأنه قصد غير الله بقلبه أو انقاد بعمله فوجبت له النار، ففيه معنىٰ حديث مسلم الذي تقدم في باب الخوف من الشرك عن جابر مرفوعًا: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ». فإذا كان هذا فيمن قرب للصنم ذبابًا فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله، من ميت أو غائب، أو طاغوت أو مشهد أو شجر، أو حجر أو غير ذلك؟ وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يعدون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شرعت فيه، وربما اكتفىٰ بعضهم بذلك عن أن يضحي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله، وقد عمت البلوىٰ بهذا وما هو أعظم منه. [الفقي].

(٣) في قرة العيون: ففيه معرفة قدر الشرك في قلوب أهل الإيمان ونفرتهم عنه وصلابتهم في الإخلاص، كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي - إن شاء الله تعالىٰ -: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»، وفيه: «وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وفيه: تفاوت الناس في الإيمان؛ لأن هذا الرجل الذي قرب الذباب لم يكن له عمل يستحق به دخول النار قبل ما فعله
=

وفيه: معنى قوله في الحديث: «وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

قال المُصَنِّفُ: وفيه: معرفةُ قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر على القتل ولم يوافقهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلَّا العمل الظاهر.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢].

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوىٰ محدثًا، وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق لله، فيلتجئ إلىٰ من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غيَّر منار الأرض، وهي المراسم التي تفرِّق بين حقك وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيّن ولعن أهل المعاصي علىٰ سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم(٢).

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك علىٰ القتل ولم يوافقهم علىٰ طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلَّا العمل الظاهر؟.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ».

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ».

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتىٰ عند عبدة الأوثان.

مع هذا الصنم، كما هو ظاهر الحديث والله أعلم. [الفقي].

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) الظاهر أنه لم يكن متخلصًا وإلا لم يدخل النار. ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. [الفقي].

(١٠)
بَابٌ: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ: لا يُذبح لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله**[(١)].

ش: لا نافية، ويحتمل أنها للنهي، وهو أظهر.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ**: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨]

ش: قال المفسِّرون: إنَّ الله تعالىٰ نهىٰ رسوله ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار، والأمةُ تبعٌ له في ذلك.

ثم إنه تعالىٰ حَثَّه علىٰ الصلاة في مسجد قُباء الذي أُسِّس من أوَّل يوم بُني علىٰ التقوىٰ، وهي طاعةُ الله ورسوله ﷺ وجمعًا لكلمة المؤمنين، ومعقلًا ومنزلًا للإسلام وأهله، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ**»[(٢)].

---

(١) **في قرة العيون**: أشار - رحمه الله تعالىٰ - إلىٰ ما كان الناس يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم إلىٰ التوحيد من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم، ويتخذون للذبح لهم مكانًا مخصوصًا في دورهم. فنفىٰ الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الإسلامية. فلله الحمد علىٰ زوال الشرك والبدع والفساد بطلعة الداعي إلىٰ توحيد رب العالمين. [الفقي].

(٢) **حسن بشواهده**: رواه الترمذي (٣٢٤)، وابن ماجه (١٤١١)، والحاكم (١/ ٤٨٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣)، والبيهقي (٥/ ٢٤٨)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٨٩)، والبغوي (٢/ ٣٤٤) عن أبي الأبرد عن أسيد بن ظهير به مرفوعًا. وأبو الأبرد مجهول. وله شاهد عن سهيل بن حنيف.

رواه النسائي (٢/ ٣٧)، وأحمد (٣/ ٤٨٧)، وابن ماجه (١٤١٢)، والطبراني (٥٥٥٨، ٥٥٥٩، ٥٥٦١، ٥٥٦٢)، وغيرهم من طريق محمد بن سليمان الكرماني، سمعت أبا أمامة ابن سهل بن حنيف يقول: قال أبي... فذكره مرفوعًا.

ومحمد بن سليمان ذكره ابن حبان في «ثقاته» وروىٰ عنه غير واحد، وله طريق آخر عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣)، وعبد بن حميد (٤٦٨)، والطبراني (٥٥٦٠)، وفيه زيادة أربع ركعات وفي إسناده موسىٰ بن عبيدة الربذي ضعيف

=

وفي الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ كان يزور قُباء راكبًا وماشيًا[١].

وقد صرَّح أنَّ المسجد المذكور في الآية هو مسجدُ قُباء جماعةٌ من السلف، منهم: ابنُ عباس، وعُروة، والشَّعبي، والحسن وغيرهم.

قلتُ: ويؤيدُه، قولُه: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ الآية، وقيل: هو مسجدُ رسول الله ﷺ؛ لحديث أبي سعيد قال: تمارىٰ رجلان في المسجد الذي أُسِّس علىٰ التقوىٰ من أوَّل يوم، فقال رجل: هو مسجد قُباء. وقال الآخر: هو مسجدُ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**هُوَ مَسْجِدِي هَذَا**»[٢] رواه مسلم.

وهو قولُ عمر وابنه، وزيد بن ثابت وغيرهم.

وقال ابنُ كثير: وهذا صحيح. ولا منافاة بين الآية والحديث؛ لأنه إذا كان مسجدُ قباء قد أُسِّس علىٰ التقوىٰ من أوَّل يوم، فمسجدُ رسول الله ﷺ بطريق الأولىٰ، وهذا بخلاف مسجد الضِّرار الذي أُسس علىٰ معصية الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[التوبة: ١٠٧].

فلهذه الأمور نهىٰ الله نبيَّه ﷺ عن القيام فيه للصلاة. وكان الذين بنوه جاءوا إلىٰ النبي ﷺ قبل خروجه إلىٰ غزوة تبوك، فسألوه أنْ يُصلي فيه، وأنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية، فقال: «**إِنَّا عَلَىٰ سَفَرٍ، وَلَكِنْ إِذَا رَجِعْنَا - إِنْ شَاءَ اللهُ -**»[٣]

=

وله شاهد ثان عن ابن عمر رواه ابن حبان (١٦٢٧) كما في «الإحسان» من طريق داود بن إسماعيل عن ابن عمر فذكره مرفوعًا، وداود بن إسماعيل مجهول. ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣) من طريق سليط بن سعد عن ابن عمر به موقوفًا وسليط مجهول، وله شاهد ثالث عن كعب بن عجرة.

كما عند الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٤٦)، وفي إسناده يزيد بن عبد الملك النوفلي ضعيف، وشاهد رابع عن أبي سعيد الخدري رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٨٨).

(١) صحيح: رواه البخاري (١١٩٣)، ومسلم (١٣٩٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٣٩٨).

(٣) مرسل: رواه ابن إسحاق كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٨٨)، ورواه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٥٩)،
=

فلما قفل - عليه السلام - راجعًا إلىٰ المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلَّا يومٌ أو بعضه نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه فهدمه قبل قدومه إلىٰ المدينة[١].

ووجهُ مناسبة الآية للترجمة: أنَّ المواضع المعدَّة للذبح لغير الله يجب اجتنابُ الذبح فيها لله؛ كما أنَّ هذا المسجد لَمَّا أُعد للمعصية صار محلَّ غضبٍ لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاة فيه لله. وهذا قياسٌ صحيح، ويؤيده حديث ثابت بن الضحاك الآتي.

قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ روىٰ الإمام أحمد وابن خزيمة وغيرُهما عن عُويم بن ساعدة الأنصاري: أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قُباء، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمُ الثَّنَاءَ بِالطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطَّهَّرُونَ بِهِ؟**» فقالوا: يا رسول الله ما نعلم شيئًا إِلَّا أنه كان لنا جيران من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا[٢] وفي رواية عن جابر وأنس: «**هُوَ ذَاكَ**

=

والطبري (١١/ ٢٣) من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري، ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم مرسلًا. ورواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٦).

(١) كان أبو عامر الفاسق الخزرجي قد ذهب إلىٰ هرقل بعد غزوة أحد، يستعديه علىٰ رسول الله ﷺ فوعده هرقل ومناه، فأرسل جماعة من قومه من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ، ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم، فبنوا هذا المسجد، والذي هدمه بأمر النبي ﷺ وحرقه: مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخوه عامر بن عدي. [الفقي].

(٢) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٤٢٢)، وابن خزيمة (٨٣)، والحاكم (١/ ١٥٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٠)، و«الصغير» (٢/ ٢٣) من طريق أبي أويس عن شرحبيل بن سعد عن عويم بن ساعدة به، وفي الإسناد أبو أويس عبد الله بن عبد الله بن أويس وهو مختلف فيه، وشرحبيل بن سعد ضعيف واهٍ. وقال الحافظ في «التهذيب» (٤/ ٣٢٢): وفي سماعه من عويم بن ساعدة نظر، لأن عويمًا مات في حياة رسول الله، ويقال: في خلافة عمر. وله شاهد من حديث محمد بن عبد الله بن سلام.

رواه أحمد (٦/ ٦) رقم (٢٣٨٣٣) ط. الرسالة، وابن أبي شيبة (١/ ١٥٣)، ووقع عنده محمد بن يوسف عن عبد الله بن سلام، والفسوي (١/ ٣٧، ٣٨) والطبري في «التفسير» (١٧٢٤٢، ١٧٢٤٤)، والبخاري في «التاريخ» (١/ ١٨)، وغيرهم من طريق شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام مرفوعًا. وشهر ضعيف. ورواه

=

فَعَلَيْكُمُوهُ»[١] رواه ابنُ ماجه وابن أبي حاتم والدارقطني والحاكم.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝﴾ قال أبو العالية: إنَّ الطهور بالماء لحسن، ولكنَّهم المتطهرون من الذنوب.

وفيه: إثباتُ صفة المحبة، خلافًا للأشاعرة ونحوهم.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: عن ثابت بن الضحاك، قال: نذر رجلٌ[٢] أن ينحر إبلًا ببُوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قالوا: لا. قال: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابنُ آدَمَ»[٣] رواه أبو داود**

=

شهر عن أبي أمامة مرفوعًا نحوه كما عند الطبراني (٧٥٥٥)، ولكن من طريق ليث عنه وإسناده ضعيف واهٍ. وله شاهد آخر عن أبي هريرة رواه أبو داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧)، وغيرهم من طريق يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا. ويونس ضعيف وإبراهيم مجهول. وله طرق أخرىٰ ضعيفة مرسلة ومعضلة انظر ابن أبي شيبة (١/ ١٥٣)، والطبري (١٧٢٣٩، ١٧٢٤١)، وله طريق آخر عن أنس وجابر وهو الآتي بعده.

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن ماجه (٣٥٥)، وابن الجارود (٤٠)، والدارقطني (١/ ٦٢)، والحاكم (١/ ١٠٥، ٢/ ٣٣٤)، والبيهقي (١/ ١٠٥) من طريق عتبة بن أبي حكيم عن طلحة بن نافع حدثني أبو أيوب وجابر وأنس به مرفوعًا، وعتبة بن أبي حكيم ضعيف، وطلحة بن نافع لم يسمع أبا أيوب كما قال أبو حاتم، وقيل: لم يسمع من جابر إلَّا أربعة أحاديث.

(٢) روىٰ أبو داود بعد هذا الحديث عن سارة بنت مقسم الثقفي أنها قالت: سمعت ميمونة بنت كردم قالت: خرجت مع أبي في حجه فرأيت رسول الله ﷺ وسمعت الناس يقولون: رسول الله ﷺ، فجعلت أبده بصري، فدنا إليه أبي وهو علىٰ ناقة، ومعه درة كدرة الكتاب، فسمعت الأعراب والناس يقولون الطبطبية الطبطبية. فدنا إليه أبي فأخذ بقدمه، قالت: فقرأ له ووقف فاستمع منه، فقال: يا رسول الله، إني نذرت إن ولد لي ولد ذكر أن أنحر علىٰ رأس بوانة في عقبة من الثنايا عدة من الغنم - قال: لا أعلم إلَّا أنها قالت: خمسين - فقال رسول الله: «هَلْ بِهَا مِنَ الأَوْثَانِ شَيْءٌ؟» قال: لا. قال: «فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَ لله...» الحديث. [الفقي].

(٣) **إسناده صحيح:** رواه أبو داود (٣٣١٣)، ومن طريقه البيهقي (١٠/ ٨٣)، والطبراني (١٣٤١) من طريق داود بن رشيد حدثنا شعيب بن إسحاق عن الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير، قال: حدثني أبو قلابة، قال: حدثني ثابت بن الضحاك به. وهذا إسناد صحيح وله شاهد من حديث كَرْدَم بن سفيان الثقفي بمعناه رواه أبو داود (٣٣١٤، ٣٣١٥)، وابن ماجه (٢١٣١)، وغيرهما.

وإسناده علىٰ شرطهما.

ش: قوله: (**عن ثابت بن الضحاك**) أي: ابن خليفة الأشهَلي، صحابيٌّ مشهور، روىٰ عنه أبو قلابة وغيره. مات سنة أربع وستين.

قوله: (**ببوانة**) بضم الباء وقيل: بفتحها. قال البغوي: موضعٌ في أسفل مكة دونَ يَلَمْلَم. قال أبو السعادات: هضبةٌ من وراء يَنْبُع.

قوله: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**».

فيه: المنعُ من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله. قاله المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: «**فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**».

قال شيخ الإسلام(١): العيد: اسمٌ لما يعود من الاجتماع العامِّ علىٰ وجهٍ مُعتاد، عائدٌ، إما بعود السنة أو بعود الأسبوع والشهر ونحو ذلك(٢).

(١) في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم. [الفقي]

(٢) وهي التي يسميها الناس اليوم الموالد والذكريات التي ملأت البلاد باسم الأولياء، وهي نوع من العبادة لهم(*) وتعظيمهم. ولذلك لا يذكر الناس ويعرفون إِلَّا من أقيمت له هذه الذكريات ولو كان أجهل خلق الله وأفسقهم. فكلما كسدت سوق طاغوت من هؤلاء قام السدنة بهذا العيد لتحيا في نفوس العامة عبادته وتكثر الهدايا والقرابين باسمه. وقد امتلأت البلاد الإِسلامية بهذه الذكر يات، وعمت بها المصيبة وعادت بها الجاهلية إلىٰ بلاد الإِسلام، ولا حول ولا قوة إِلَّا بالله. ولم ينج منها إِلَّا نجد والحجاز فيما نعلم بفضل الله ثم بفضل آل سعود الذين قاموا بحماية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. [الفقي]

(*) **قوله:**(وهي نوع من العبادة لهم...) إلخ. أقول: هذا فيه إجمال، والصواب التفصيل، بأن يقال: من أقام المولد لقصد التقرب إلىٰ صاحبه ورجاء نفعه وبركته، أو لكي يدفع عن مقيم الموالد بعض الضرر ونحو ذلك، فهذا تعتبر إقامته المولد عبادة لصاحبه، فإن دعاه مع ذلك أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو فعل معه شيئًا من بقية أنواع العبادة، صار ذلك شركًا إلىٰ شرك، وهذا هو الذي يفعله الكثيرون ممن يقيم الموالد للنبي ﷺ أو للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو للبدوي أو غيرهم. أما من أقام المولد لقصد التقرب إلىٰ الله سبحانه ظنًّا منه أن ذلك من العبادات التي يحبها الله، فهذا لا يكون عابدًا لصاحب المولد إذا لم يقع منه شيء من الشرك في احتفال المولد، ولكنه قد أتىٰ بدعة لم يشرعها الله سبحانه ولا رسول الله ﷺ ولا فعلها السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولو كان قصده حسنًا؛ لأن العبادات توقيفية لا يجوز الإِتيان بشيء منها إِلَّا بتشريع من الله ورسوله ﷺ ولقد عظمت المصيبة بهذه الموالد وحصل بها من الشرك والفساد ما لا يحصيه إِلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ويمنحهم الفقه في الدين ويوفقهم لاتباع السنة وترك البدعة إنه سميع قريب. [ابن باز]

والمراد به هنا: الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية. فالعيدُ يجمع أمورًا:

منها: يومٌ عائد، كيوم الفطر ويوم الجمعة.

ومنها: اجتماع فيه.

ومنها: أعمالٌ تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختصُّ العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكلٌّ من هذه الأمور يُسمَّىٰ عيدًا. فالزمان، كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «**إِنَّ هَذَا يَوْمٌ قَدْ جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيدًا**»[1]. والاجتماعُ والأعمال كقول ابن عباس: شهدتُ العيد مع رسول الله ﷺ[2].

والمكان كقوله ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا**»[3]. وقد يكون لفظُ العيد اسمًا لمجموع

---

(١) إسناده ضعيف والصواب فيه الإرسال: رواه ابن ماجه (١٠٩٨)، وبحشل في «تاريخ واسط» (صـ٢٥٦) من طريق علي بن غراب عن صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن عبيد بن السباق عن ابن عباس مرفوعًا، وعلي بن غراب فيه كلام ومدلس وقد عنعن وصالح ضعيف. ورواه مالك عن الزهري عن عبيد بن السباق مرسلًا كما في الموطأ (١/ ٦٥، ٦٦)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ٩٦). ورواه الطبراني في «الصغير» (١/ ١٢٩)، والبيهقي (٣/ ٢٤٣) من طريق يزيد بن سعيد الإسكندراني عن مالك عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، ويزيد بن سعيد محله الصدق كما في الجرح والتعديل، والصواب عن مالك الإرسال كما سبق في الرواية السابقة، ورجح المرسل أبو حاتم كما في «العلل» (١/ ٢٠٥)، والبيهقي في «السنن» وغيرها، وله طريق آخر عن أبي هريرة.

رواه أحمد (٢/ ٣٠٣، ٥٣٢) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٣)، والحاكم (١/ ٤٣٧)، وابن خزيمة (٢١٦١)، والبزار (١٠٦٩)، وفي إسناده سقط، ينظر له «الإصابة» ترجمة عامر بن لدين - من طريق أبي بشر مؤذن مسجد دمشق عن عامر بن لدين عن أبي هريرة مرفوعًا. وأبو بشر مقبول أي: إذا توبع وإلا فلين. وعامر بن لدين وثقه ابن حبان والعجلي روىٰ عنه جماعة وترجمته في «التعجيل».

(٢) رواه البخاري (٩٧٧، ٥٤٩٩).

(٣) حسن لغيره: رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وأبو يعلىٰ (٢٦٩)، والبخاري في «التاريخ» (٢/ ١٨٦)، والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» (٢٠)، والضياء في «المختارة» (٤٢٨) من طريق جعفر بن إبراهيم، قال: حدثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين عن أبيه عن جده.

وفي الإسناد علي بن عمر بن علي بن الحسين وهو مستور، وجعفر بن إبراهيم الجعفري لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلًا، وقال ابن حبان: يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه كما في «اللسان»، وللحديث شواهد من حديث =

اليوم والعمل فيه، وهو الغالب، كقول النبي ﷺ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا» انتهى[(١)(٢)].

قال المُصَنِّفُ: وفيه استفصالُ المفتي والمنعُ من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية، ولو بعد زواله.

قلتُ: وفيه سدُّ الذريعة وتركُ مشابهة المشركين، والمنعُ مما هو وسيلة إلىٰ ذلك.

قوله: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ» هذا يدلُّ علىٰ أنَّ الذبح لله في المكان الذي يَذبح فيه المشركون لغيره، أو في محل أعيادهم، معصية؛ لأن قوله: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ» تعقيب للوصف بالحكم بالوفاء، وذلك يدل علىٰ أنَّ الوصف سببُ الحكم. فيكون سببُ الأمر بالوفاء خلوَّه عن هذين الوصفين.

فلما قالوا: لا. قال: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ» وهذا يقتضي أنَّ كون البقعة مكانًا لعيدهم، أو بها وثنٌ من أوثانهم: مانعٌ من الذبح بها، ولو نذره. قاله شيخُ الإِسلام.

وقوله: «فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ» دليلٌ علىٰ أنَّ هذا نذرُ معصية، لو قد وجد

=

أبي هريرة، ومن حديث الحسن بن علي وغيرهما يحسن بهما، انظر الكلام عليهما في تحقيقي لكتاب العلامة ابن باز «شرح كتاب التوحيد» رقم (١٠٩).

(١) صحيح: رواه البخاري (٩٥٢)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) في قرة العيون: وقد أحدث هؤلاء المشركون أعيادًا عند القبور التي تعبد من دون الله ويسمونها عيدًا كمولد البدوي بمصر وغيره، بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة. قال المصنف - رحمه الله تعالىٰ -: وفيه استفصال المفتي والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله.

قلت: وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلًّا للعبادة؛ لكونها صارت محلًّا لما حرم الله من الشرك والمعاصي، والحديث وإن كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة لله فلا نفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلًّا لما يسخط الله تعالىٰ، فبهذا صار الحديث شاهدًا للترجمة والمصنف - رحمه الله تعالىٰ - لم يرد التخصيص بالذبح وإنما ذكر الذبح كالمثال.

وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجدًا.

والجواب والله أعلم: أنه لو ترك هذا المحل في هذه البلدة لكان يخشىٰ أن تفتتن به قلوب الجهال فيرجع إلىٰ جعله وثنًا، كما كان يفعل فيه أولًا فجعله مسجدًا والحالة هذه ينسي فيها ما كان يفعل فيه ويذهب به أثر الشرك بالكلية، فاختص هذا المحل لهذه العلة وهي قوة المعارض والله أعلم. [الفقي].

في المكان بعضُ الموانع. وما كان من نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به بإجماع العلماء.

واختلفوا: هل تجب كفارةُ يمين؟ علىٰ قولين: هما روايتان عن أحمد.

أحدهما: تجبُ وهو المذهب. ورُوي عن ابن مسعود وابن عباس. وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، لحديث عائشة مرفوعًا: «**لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**»[1] رواه أحمد

---

(١) **إسناده مُعل:** رواه أبو داود (٣٢٩٠، ٣٢٩١)، والترمذي (١٥٢٤)، والنسائي (٧/ ٢٦، ٢٧)، وابن ماجه (٢١٢٥)، والبغوي (١٠/ ٣٣، ٣٤)، وأبو يعلىٰ (٤٧٨٣)، والبيهقي (١٠/ ٦٩) والفسوي (٣/ ٣)، وغيرهم من طريق الزهري عن أبي سلمة عن عائشة مرفوعًا. قال الحافظ في «التلخيص» (٤/ ١٧٥) إسناده صحيح إلَّا أنه معلول. وقد أعله الإمام البخاري والترمذي والدارقطني وغيرهم. قال أبو عيسىٰ: هذا حديث لا يصح لأن الزهري لم يسمع هذا الحديث من أبي سلمة. قال: سمعت محمدًا يقول: رُوي عن غير واحد، منهم: موسىٰ بن عقبة وابن أبي عتيق عن الزهري عن سليمان بن أرقم عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي ﷺ. قال محمدُ - يعني البخاري -: والحديث هو هذا.

وقال النسائي: وقد قيل أن الزهري لم يسمع هذا من أبي سلمة.

وقد قال أبو داود: سمعت أحمد بن شبوية يقول: قال ابن المبارك - يعني في هذا الحديث -: حدَّث أبو سلمة، فدل ذلك علىٰ أن الزهري لم يسمعه من أبي سلمة.

وقد ذكر الدارقطني الخلاف في «العلل» (٥/ ق٧١أ) ثم قال: والصحيح حديث ابن أبي عتيق وموسىٰ بن عقبة عن الزهري.

قلت: ورواية ابن أبي عتيق وموسىٰ بن عقبة عن الزهري عن سليمان بن أرقم عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة رواه أبو داود (٣٢٩٢)، والترمذي (١٥٢٥)، والنسائي (٧/ ٢٧)، والبخاري في «التاريخ» (٤/ ٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٠١)، والبغوي (٢٤٤٧).

وسليمان بن أرقم متروك. ولكن تابعه حرب بن شداد عن يحيىٰ به كما عند الطيالسي (١٤٨٤)، وفي الإسناد يحيىٰ بن أبي كثير وهو مدلس وقد عنعن، وجمع السندي في حاشية النسائي أن الزهري سمعه من سليمان بن أرقم عن يحيىٰ عن أبي سلمة عن عائشة مرة وسمعه عن أبي سلمة مرة أخرىٰ لا سيما وقد جاء في بعض الطرق تصريح سماع الزهري من أبي سلمة، لهذا الحديث كما في النسائي (٧/ ٢٧)، والفسوي (٣/ ٤)، وقوي الخبر بحديث عقبة عند مسلم (١٦٤٥): «**كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**»، وحديث عمران وهو الآتي ذكره. وقد أُعلت كذلك رواية يحيىٰ بن أبي كثير، قال أحمد بن محمد المروزي: إنما الحديث حديث علي بن المبارك عن يحيىٰ بن أبي كثير عن محمد بن الزبير عن أبيه عن عمران بن حصين عن النبي... قال أبو داود: روىٰ بقية عن الأوزاعي عن يحيىٰ عن محمد بن الزبير بإسناد علي بن المبارك مثله. السنن علىٰ إثر حديث (٣٢٩٢).

قلت: حديث عمران رواه النسائي (٧/ ٢٨، ٢٩)، وأحمد (٤/ ٤٣٣، ٤٤٠)، والحاكم (٤/ ٣٠٥)، والطيالسي (٨٣٩)، والبيهقي (١٠/ ٧٠)، وغيرهم وفي الإسناد محمد بن الزبير الحنظلي وهو متروك وقد اضطرب في إسناده.
=

وأهل السنن[1] واحتج به أحمدُ وإسحاق.

والثاني: لا كفارة عليه. ورُوِيَ ذلك عن مسروق والشعبي والشافعي؛ لحديث الباب. ولم يذكر فيه كفارة. وجوابُه: أنه ذكر الكفارةَ في الحديث المتقدم. والمطلقُ يُحمل علىٰ المقيَّد.

قوله: «**وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابنُ آدَمَ**» قال في «شرح المصابيح»: يعني: إذا أضاف النذر إلىٰ معيَّن لا يملكه بأن قال: إن شفىٰ الله مريضي فلله عليَّ أن أُعتق عبدَ فلانٍ ونحو ذلك. فأمَّا إذا التزم في الذمة شيئًا، بأن قال: إن شفىٰ الله مريضي فلله علي أن أُعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإذا شفىٰ الله مريضه ثبت ذلك في ذمته.

قوله: (**رواه أبو داود وإسنادُه علىٰ شرطهما**) أي: البخاري ومسلم.

وأبو داود: اسمهُ سُليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد الأزدي السجستاني، صاحبُ الإمام أحمد، ومصنف «السنن» و«المراسيل» وغيرهما، ثقةٌ إمام حافظ، من كبار العلماء، مات سنة خمسٍ وسبعين ومائتين.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾[التوبة: ١٠٨].

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض. وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلىٰ المسألة البينة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلىٰ ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

= وللحديث شاهد من حديث ابن عباس رواه ابن الجارود (٩٣٥)، والبيهقي (١٠/ ٧٢)، وفي الإسناد خطاب بن القاسم وهو مختلف فيه، وله شاهد نحوه من حديث ابن عباس أيضًا رواه أبو داود (٣٣٤٢)، والدارقطني (٤/ ١٥٨، ١٥٩)، وفي الإسناد مقال وأعل بالوقف، وأشار أبو داود إلىٰ الرواية الموقوفة، ورجح الوقف أبو حاتم وأبو زرعة كما في «العلل» (١/ ٤٤١)، وله شاهد آخر من حديث عدي بن حاتم عند الدارقطني (٤/ ١٥٨)، وفي إسناده محمد بن الفضل بن عطية كذبه غير واحد من أهل العلم.

(١) قال الترمذي: هذا حديث لا يصح؛ لأن الزهري لم يسمع هذا الحديث من أبي سلمة، وقال غيره: لم يسمعه الزهري من أبي سلمة، وإنما سمعه من سليمان بن أرقم وسليمان متروك. وقال مثل هذا أبو داود بعد إخراجه إياه.[الفقي].

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

❊ ❊ ❊

(١١)
بَابٌ: من الشرك النذر لغير الله

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب: من الشرك النذر لغير الله.

ش: أي: لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره لله فيكون النذر لغير الله شركًا في العبادة.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** وقول الله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

ش: فالآية دلَّت علىٰ وجوب الوفاء بالنذر، ومدح من فعل ذلك طاعةً لله، ووفاءً بما تقرب به إليه.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

ش: قال ابنُ كثير: يخبر تعالىٰ: بأنه عالمٌ بجميع ما يعمله العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضمَّن ذلك مجازاتُه علىٰ ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه.

إذا علمت ذلك: فهذه النذورُ الواقعة من عُبَّاد القبور، تقرُّبًا بها إليهم، ليقضوا لهم حوائجهم أو ليشفعوا لهم، هذا شرك في العبادة بلا ريب. كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قال شُيخ الإسلام: وأمَّا ما نُذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك، فهو بمنزلة أنْ يحلف بغير الله من المخلوقات. والحالفُ بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفَّارة، وكذلك الناذر للمخلوقات. فإنَّ كلاهما شرك، ليس له حُرمة، بل عليه أنْ يستغفر الله من هذا، ويقول ما قال النبي ﷺ: **«مَنْ حَلفَ باللَّاتِ والعُزَّىٰ، فَلْيَقُلْ:**

لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ»(١).

وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دُهْنًا لتُنَوَّر به - ويقول: إنها تقبل النذر كما يقوله بعضُ الضالين -: وهذا النذر معصيةٌ باتفاق المسلمين، لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالًا للسَّدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البُقعة. فإنَّ فيهم شبهًا من السدنة التي كانت عند اللات والعزىٰ ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدُّون عن سبيل الله.

والمجاورون هناك فيهم شبهٌ من الذين قال فيهم الخليلُ عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] والذين اجتاز بهم موسىٰ وقومه، قال تعالىٰ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. فالنذرُ لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذرُ معصية. وفيه شبهٌ من النذر لسدنة الصُّلبان والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد التي في الهند(٢) والمجاورين عندها.

وقال الأذرُعي في «شرح المنهاج»:

وأمَّا النذر للمشاهد التي علىٰ قبر ولي أو شيخ أو علىٰ اسم من حَلَّها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين: فإنْ قصد الناذر بذلك - وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة - تعظيم البقعة والمشهد، أو الزاوية، أو تعظيمَ من دُفن بها، أو نُسبت إليه، أو بنيت علىٰ اسمه فهذا النذر باطلٌ غيرُ منعقد؛ فإنَّ معتقدهم أنَّ لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يُدفع به البلاء، ويُستجلب به النعماء، ويُستشفىٰ بالنذر لها من الأدواء. حتىٰ إنهم ينذرون لبعض الأحجار لَمَّا قيل: إنه استند إليها عبدٌ صالح، وينذرون لبعض القبور: السُّرُجَ والشموع والزيت، ويقولون: القبرُ الفلاني أو المكان الفلاني يقبلُ النذر، يعنون بذلك: أنه يحصل به الغرض المأمول: من شفاء مريض، أو قدوم غائب أو سلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النذر علىٰ هذا الوجه باطل لا شك فيه، بل نذرُ الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطلٌ مطلقًا.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٥٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٢) في القاموس: البُد - بضم الباء - الصنم، معرب، بد والجمع بددة - كقردة - وأبداد كخرج وأخراج. وهو اسم لصنم من أصنام الهنود. [الفقي].

ومن ذلك: نذرُ الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء؛ فإنَّ الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبرُّكًا وتعظيمًا، ظانًّا أنَّ ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بُطلانه، والإيقادُ المذكور محرَّم، سواء انتفع به هناك منتفعٌ أم لا[(١)].

وقال الشيخ قاسم الحنفي في «شرح درر البحار»: النذرُ الذي ينذره أكثرُ العوام على ما هو مشاهدٌ: كأن يكون لإنسانٍ غائبٌ أو مريضٌ أو له حاجة، فيأتي إلى قبر بعض الصُّلحاء ويجعل على رأسه سترة، ويقول: يا سيدي فلان! إن ردَّ الله غائبي أو عُوفي مريضي، أو قُضيت حاجتي، فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت كذا.

فهذا النذرُ باطلٌ بالإجماع لوجوه:

منها: أنه نذرٌ لمخلوق، والنذرُ للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أنَّ المنذور له ميتٌ، والميت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أنَّ الميت يتصرفُ في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر.

إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يُؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، ويُنقل إلى ضرائح الأولياء تقربًا إليهم: فحرامٌ بإجماع المسلمين.

نقله عنه ابنُ نُجيم في «البحر الرائق»، ونقله المرشديُّ في «تذكرته» وغيرهما عنه، وزاد: وقد ابتلي الناس بهذا، لا سيَّما في مولد البدوي[(٢)].

---

(١) **في قرة العيون**: وذلك لأن الناذر لله وحده علق رغبته به وحده لعلمه بأنه تعالىٰ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطىٰ ولا معطي لما منع، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركًا بالله لالتفاته إلىٰ غيره تعالىٰ فيما يرغب فيه أو يرهب، فقد جعله شريكًا لله في العبادة، فيكون قد أثبت ما نفته ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من إلهية غير الله، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف - رحمه الله تعالىٰ - تدل علىٰ أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفىٰ ما أثبتته من التوحيد، وهذا معنىٰ قول شيخنا. وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب. فكل شرك وقع أو قد يقع فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تضمنته من التوحيد. [الفقي]

(٢) أحمد البدوي بطنطا لا يُعرف له تاريخ صحيح، واضطربت الأقوال فيه، والمشهور أنه كان جاسوسًا لدولة =

وقال الشيخ صُنع الله الحلبي الحنفي في الرّد علىٰ من أجاز الذبح والنذر للأولياء: فهذا الذبح والنذر إن كان علىٰ اسم فلانٍ فهو لغير الله، فيكون باطلًا. وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] والنذرُ لغير الله إشراكٌ مع الله، كالذبح لغيره.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»**[1].

ش: قوله: (في «الصحيح») أي: «صحيحُ البخاري».

قوله: (عن عائشة) هي أم المؤمنين، زوجُ النبي ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنهما تزوَّجها النبي ﷺ وهي ابنةُ سبع سنين، ودخل بها وهي ابنةُ تسع[2] وهي أفقهُ النساء مطلقًا، وهي أفضل أزواج النبي ﷺ إلَّا خديجة ففيها خلاف[3] ماتت سنة سبع وخمسين علىٰ الصحيح.

قوله: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ» أي: فليفعل ما نذره من طاعة الله. وقد أجمع العلماءُ علىٰ أنَّ من نذر طاعةً بشرط يرجوه، كإنْ شفىٰ الله مريضي: فعلي أن أتصدَّق بكذا، ونحو ذلك: وجب عليه، إن حصل علىٰ ما علق نذره علىٰ حصوله.

وحُكي عن أبي حنيفة: أنَّه لا يلزمه الوفاء إلَّا بما جنسه واجبٌ بأصل الشرع كالصوم،

الملثمين. وكان داهيةً في المكر والخديعة. وقبره أكبر الأصنام في الديار المصرية؛ مثل هُبل الأكبر أو اللات في الجاهلية. يؤتىٰ عنده من أنواع الشرك الأكبر، وتقدم له النذور ويجعل له الفلاحون النصف والربع في أنعامهم وزروعهم، بل وأولادهم، فيأتي الرجل بنصف مهر ابنته ويضعه في الصندوق قائلا: هذا نصيبك يا بدوي، ويقام له كل عام ثلاثة موالد، يشد الرحال إليها الناس من أقصىٰ القطر المصري، ويجتمع في المولد أكثر من ثلاثمائة ألف حاج إلىٰ هذا الصنم الأكبر. عجل الله بهدمه وحرقه هو وغيره من كل صنم في مصر وغيرها. [الفقي].

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠).

(٢) عقد عليها قبل الهجرة بسنة، وبنىٰ بها بعد الهجرة بسبعة أشهر تقريبًا. [الفقي].

(٣) **في قرة العيون:** بل لا يقال: خديجة أفضل ولا عائشة أفضل. والتحقيق أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها إلىٰ الإيمان بالنبي ﷺ، وتأييده في تلك الحال التي بدئ بالوحي فيها كما في صحيح البخاري وغيره، فما زالت كذلك حتىٰ توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة، ولعائشة من العلم والأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة لعلمها بأحوال النبي ﷺ ونزول القرآن وبيان الحلال والحرام، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته ﷺ يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي ﷺ وحديثه - صلوات الله وسلامه عليه - ورضي الله عن أصحابه وأزواجه. [الفقي].

وأمَّا ما ليس كذلك كالاعتكاف فلا يجب عليه الوفاء به.

قوله: «**وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**» زاد الطحاوي: «**وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ**»(١) وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية.

قال الحافظ: اتفقوا على تحريم النذر في المعصية، وتنازعوا: هل ينعقدُ موجبًا للكفارة أم لا؟ وتقدم.

وقد يُستدل بالحديث على صحة النذر في المباح، كما هو مذهب أحمد وغيره، يؤيده ما رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأحمد والترمذي عن بُريدة: أنَّ امرأة قالت: يا رسول الله، إني نذرتُ أن أضرب على رأسك بالدُّف. فقال: «**أَوْفِي بِنَذْرِكِ**»(٢).

وأمَّا نذرُ اللِّجاج والغضب فهو يمينٌ عند أحمد، فيخيَّرُ بين فعله وكفارة يمين؛ لحديث عمران بن حُصين مرفوعًا: «**لَا نَذْرَ فِي غَضَبٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**»(٣) رواه سعيد بن منصور وأحمد والنسائي، فإن نذر مكروهًا كالطلاق استحب أنْ يكفّر ولا يفعله.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرْفُه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

---

(١) هذه الزيادة رواها الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢١٤٤)، وإسنادها ظاهره الصحة لكن نقل الحافظ ابن حجر عن ابن القطان أنه قال: عندي شك في رفع هذه الزيادة كما في «التخليص الحبير» (٤/ ١٧٥) ثم إن البخاري وغيره رووه بدون الزيادة. وانظر «فقه النذور» صـ٦٣ وما بعدها لأخي في الله الشيخ عصام جاد – حفظه الله –.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٦٩٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٦)، والبيهقي (١٠/ ٧٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٨٩٢)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩) من طريق حسين بن واقد حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة فذكره مرفوعًا، وهذا إسناد قوي، وله شاهد من طريق عبد الله بن عمرو. رواه أبو داود (٣٣١٢) (١٠/ ٧٧)، وفي إسناده الحارث بن عبيد أبو قدامة، وهو ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف جدًّا: رواه النسائي (٧/ ٢٨، ٢٩)، وأحمد (٤/ ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤٣)، والحاكم (٤/ ٣٠٥)، والطيالسي (٨٣٩)، والبيهقي (١٠/ ٧٠)، والخطيب (١٣/ ٥٦)، وغيرهم من طريق محمد بن الزبير الحنظلي – وهو متروك – وقد اضُطرب فيه فمرة يرويه عن أبيه عن عمران، ومرة يرويه عن أبيه عن رجل عن عمران، ومرة يرويه عن رجل صحب عمران عن عمران، ومرة يرويه عن الحسن عن عمران.

(١٢)

بَابٌ: من الشرك الاستعاذة بغير الله

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ: من الشرك الاستعاذة بغير الله.**

ش: الاستعاذة الالتجاءُ والاعتصام، ولهذا يُسمَّىٰ المستعاذُ به: مَعاذًا وملجأ. فالعائذُ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يُهلكه إلىٰ ربه ومالكه، واعتصم به واستجار، والتجأ إليه، وهذا تمثيل، وإلا فما يقومُ بالقلب من الالتجاء إلىٰ الله، والاعتصام به، والإطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه والتذلل له، أمرٌ لا تحيط به العبارة. قاله ابنُ القيم رحمه الله.

وقال ابنُ كثير: الاستعاذة: هي الالتجاء إلىٰ الله والالتصاقُ بجنابه من شرِّ كلِّ ذي شر. والعياذُ يكون لدفع الشر. واللياذ لطلب الخير. انتهىٰ.

قلتُ: وهي من العبادات التي أمر الله تعالىٰ عباده بها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[فصلت: ٣٦]. وأمثالُ ذلك في القرآن كثير، كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. فما كان عبادة لله فصرْفُه لغير الله شرك.

فمن صرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله فقد جعله لله شريكًا في عبادته، ونازع الرب في إلهيته، كما أنَّ من صلَّىٰ لله وصلىٰ لغيره يكون عابدًا لغير الله ولا فرق، كما سيأتي تقريره قريبًا إن شاء الله.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦][1].

---

(١) في قرة العيون: قال أبو جعفر بن جرير – رحمه الله تعالىٰ – في تفسيره هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية، فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي فزادهم ذلك إثمًا. وقال بعضهم: فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بعزيزهم جراءة عليهم وازدادوا هم بذلك إثمًا. وقال مجاهد: فازداد الكفار طغيانًا، وقال ابن زيد: وزادهم الجن خوفًا.[الفقي] .

ش: قال ابن كثير: أي: كنا نرىٰ أنَّ لنا فضلًا علىٰ الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا مُوحشًا من البراري وغيرها كما كانت عادةُ العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أنْ يصيبهم بشيء يسوءهم.

كما كان أحدهم يدخل علىٰ بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتىٰ يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم - إلىٰ أن قال -: قال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم: ﴿رَهَقًا﴾ أي: خوفًا[1].

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثمًا[2]، وكذا قال قتادة[3]. اهـ.

وذلك أنَّ الرجل من العرب كان إذا أمسىٰ بواد قفر. وخاف علىٰ نفسه، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سُفهاء قومه، يريدُ كبير الجن!!

قال مجاهد: كانوا إذا هبطوا واديًا يقولون: نعوذ بعظيم هذا الوادي. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. قال: زادوا الكفار طغيانًا. رواه عبدُ بن حميد وابنُ المنذر.

كما قال السُّدي: كان الرجلُ يخرج بأهله، فيأتي الأرض فينزلها، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن، أن أُضرَّ فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي. قال: فإن عاذ بهم من دون الله، رهَقَتهم الجنُّ الأذىٰ عند ذلك.

وذكر عن ابن أبي حاتم بسندٍ إلىٰ عكرمة نحو ذلك. انتهىٰ.

وقد أجمع العلماءُ: علىٰ أنَّه لا يجوز الاستعاذة بغير الله.

وقال مُلَّا علي قاري الحنفي: لا تجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذمَّ الله الكافرين علىٰ ذلك وذكر الآية وقال: قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

---

(١) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» (٢٩/ ١٠٨، ١٠٩).

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (٢٩/ ١٠٨، ١٠٩) بإسناد العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) **رجاله ثقات:** رواه الطبري (٢٩/ ١٠٨) من طريق سعيد عن قتادة.

فاستمتاعُ الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه وامتثال أوامره، وإخباره بشيءٍ من المغيَّبات، واستمتاع الجنيِّ بالإنسي: تعظيمُه إياه، واستعاذته به وخضوعه له. انتهىٰ ملخصًا.

قال المُصَنِّفُ: وفيه أنَّ كون الشيء يحصل به منفعةٌ دنيوية لا يدلُّ علىٰ أنه ليس من الشرك.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ: وعن خولةَ بنت حكيم قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ: لَمْ يَضُرُّهُ شَيءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[1] رواه مسلم.**

ش: هي خولةُ بنتُ حكيم بن أمية السُّلمية، يقال لها: أم شَريك، ويقال: إنها هي الواهبة[2] وكانت قبلُ تحت عثمان بن مَظْعون.

قال ابنُ عبد البر: وكانت صالحةً فاضلة.

قوله: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ» شرع الله لأهل الإسلام أنْ يستعيذوا به بدلًا عما يفعلُه أهلُ الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يتعوَّذوا بأسمائه وصفاته.

قال القُرطبي: قيل: معناه: الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب، كما يلحق كلام البشر.

وقيل: معناه الشافيةُ الكافية.

وقيل: الكلمات هنا هي القرآن؛ فإنَّ الله أخبر عنه بأنه: ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[فصلت: ٤٤]. وهذا الأمر علىٰ جهة الإرشاد إلىٰ ما يدفع به الأذىٰ.

ولَمَّا كان ذلك استعاذةٌ بصفات الله تعالىٰ، كان من باب المندوب إليه المرغَّب فيه، وعلىٰ هذا فحقُّ المستعيذ بالله تعالىٰ وبأسمائه وصفاته: أن يَصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويُحضر ذلك في قلبه، فمتىٰ فعل ذلك وصل إلىٰ منتهىٰ طلبه ومغفرة ذنبه.

قال شيخُ الإسلام: وقد نصَّ الأئمةُ كأحمد وغيره علىٰ أنَّه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلوا به علىٰ أن كلام الله غيرُ مخلوق. قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهىٰ العلماءُ عن التعازيم والتعاويذ التي لا يُعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. [الفقي].

وقال ابنُ القيم: ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به، وتقرّب إليه بما يُحب فقد عبده، وإن لم يسمِّ ذلك عبادة ويسميه استخدامًا، وصَدَقَ، هو استخدام من الشيطان له، فيصيرُ من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة، فإنَّ الشيطان لا يخضعُ له ولا يعبده كما يفعل هو به.

قوله: «**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**» قال ابنُ القيم: أي: من كلِّ شرٍ في أيِّ مخلوق قام به الشر: من حيوان أو غيره، إنسيًّا أو جنيًّا، أو هامَّة[1] أو دابة، أو ريحًا أو صاعقة، أو أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة.

و«ما» هاهنا موصولة، ليس إلا. وليس المرادُ بها العموم الإطلاقي، بل المراد التقييدي الوصفي. والمعنىٰ: من شر كلِّ مخلوقٍ فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله؛ فإنَّ الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر، والشرُّ يقال علىٰ شيئين: علىٰ الألم، وعلىٰ ما يُفضي إليه.

قوله: «**لَمْ يَضُرُّهُ شَيءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» قال القرطبي: هذا خبرٌ صحيح وقول صادق، علمنا صدقه؛ دليلًا وتجربة.

فإني منذُ سمعتُ هذا الخبر عملت عليه فلم يضرُّني شيءٌ إلىٰ أنْ تركته، فلدغتني عقربٌ بالمهدية ليلًا، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيتُ أنْ أتعوَّذ بتلك الكلمات.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال علىٰ ذلك بالحديث؛ لأن العلماء يستدلون به علىٰ أن كلمات الله غير مخلوقة. قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع، لا يدل علىٰ أنه ليس من الشرك.

---

(١) الهامة: ما كان أهل الجاهلية يتوهمونه طائرًا أو شبهه تتصور فيه روح المقتول لا تزال تنادي علىٰ قبره بالأخذ بثأره. وهي خرافة من خرافاتهم أبطلها الإسلام، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ**». [النقي].

(١٣)

بَابٌ: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ: من الشرك أنْ يَستغيث بغير الله أو يدعو غيره.**

ش: قال شيخُ الإسلام: الاستغاثة: هي طلبُ الغَوث، وهو إزالة الشِّدة كالاستنصار: طلبُ النصر، والاستعانة: طلب العون.

وقال غيره: الفرقُ بين الاستغاثة والدعاء: أنَّ الاستغاثة لا تكون إلَّا من المكروب، والدعاءُ أعمُّ من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره. فعطفُ الدعاء علىٰ الاستغاثة، من عطف العامِّ علىٰ الخاص.

فبينهما عمومٌ وخصوص مُطلق، يجتمعان في مادةٍ، وينفردُ الدعاء عنها في مادة، فكلُّ استغاثةٍ دُعاء، وليس كلُّ دعاءٍ استغاثة.

وقوله: (**أو يدعو غيره**) اعلم أنَّ الدعاء نوعان: دعاءُ عبادة، ودعاءُ مسألة، ويُراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويُراد به مجموعهما.

فدعاءُ المسألة: هو طلبُ ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، ولهذا أنكر الله علىٰ من يدعو أحدًا من دونه ممن لا يملك ضرًّا ولا نفعًا، كقوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٦]، وقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١] وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

قال شيخ الإسلام: فكلُّ دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكلُّ دعاء مسألة متضمنٌ لدعاء العبادة، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥] وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[الأنعام: ٤٠ - ٤١].

وقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]. وقال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].

وأمثالُ هذا في القرآن في دعاء المسألة أكثر من أنْ يُحصر، وهو يتضمَّن دعـاء العبـادة؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفـضل العبـادات، وكـذلك الـذاكر لله، والتـالي لكتابه ونحوه، طالبٌ من الله في المعنىٰ، فيكون داعيًا عابدًا.

فتبيَّن بهذا قول شيخ الإسلام: أنَّ دعاء العبادة مـستلزمٌ لـدعاء المـسألة، كـما أنَّ دعـاء المسألة متضمنٌ لدعاء العبادة.

وقد قال تعالىٰ عن خليله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٨ - ٤٩] فصار الدعاءُ من أنواع العبادة، فإنَّ قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤٨] كقول زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [مريم: ٤].

وقد أمر الله تعالىٰ به في مواضع من كتابه، كقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦]. وهذا هو دعاءُ المسألة المتضمن للعبادة، فإنَّ الداعي يرغبُ إلىٰ المدعو، ويخضع له ويتذلل، وغير ذلك.

وضابطُ هذا: أنَّ كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعلُه لله عبادة، فإذا صَرَفَ مـن تلك العبادة شيئًا لغير الله فهو مشركٌ مصادم لما بعث الله به رسوله مـن قولـه: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾[الزمر: ١٤]. وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالىٰ.

قال شيخُ الإسلام في «الرسالة السَّنية»: فإذا كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ ممـن انتـسب إلىٰ الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فلـيُعلم أنَّ المنتـسب إلىٰ الإسـلام والـسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام لأسباب:

منها: الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح عليه السلام.

فكلُّ من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أنْ يقول: يا سيدي فلان انصُرني، أو أغثني، أو ارزقني، وأنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال. فكلُّ هذا شركٌ وضلال يُستتاب صاحبه، فإنْ تاب وإلا قُتل.

فإن الله - سبحانه وتعالىٰ - إنما أرسل الرسل، وأنزل الكُتب؛ ليُعبد وحده لا شريك له، ولا يُدعَىٰ معه إلهٌ آخر. والذين يدعون مع الله آلهةً أُخرىٰ، مثل المسيح والملائكة والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تُنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس: ١٨] فبعث الله سبحانه رسله تنهىٰ عن أنْ يُدْعىٰ أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. انتهىٰ.

وقال أيضًا: من جعل بينه وبين الله وسائط، يتوكَّلُ عليهم ويدعوهم ويسألهم، كفرَ إجماعًا.

نقله عنه صاحبُ «الفروع» وصاحبُ «الإنصاف» وصاحب «الإقناع» وغيرهم. وذكره في «مسألة الوسائط» ونقلته عنه في «الرد علىٰ ابن جرْجيس».

وقال ابنُ القيم رحمه الله: ومن أنواعه - أي: الشرك - طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثةُ بهم والتوجه إليهم. وهذا أصلُ شرك العالم، فإنَّ الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا لمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلىٰ الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، وسيأتي تتمةُ كلامه في باب الشفاعة إن شاء الله تعالىٰ.

وقال الحافظُ محمد بن عبد الهادي في «ردِّه علىٰ السبكي» في قوله: إن المبالغة في تعظيمه - أي: الرسولﷺ - واجبة:

إنْ أُريدَ بها المبالغة بحسب ما يراه كلُّ أحد تعظيمًا - حتىٰ الحج إلىٰ قبره، والسجود له، والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء - فدعوىٰ وجوب المبالغة في هذا التعظيم: مبالغةٌ في

الشرك، وانسلاخٌ من جملة الدين.

وفي «الفتاوي البزازية» من كُتب الحنفية: قال عُلماؤنا: من قال أرواحُ المشايخ حاضرةٌ تعلم: يكفر.

وقال الشيخ صُنع الله الحلبي الحنفي في كتابه في الرد على من ادَّعى أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد المات على سبيل الكرامة: هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يَدَّعون أن للأولياء تصرُّفات بحياتهم وبعد مماتهم، ويُستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهمَمِهم تُكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أنَّ ذلك منهم كرامات وقالوا: منهم أبدالٌ ونُقباء، وأوتادٌ ونُجباء، وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطبُ: هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوَّزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

قال: وهذا كلامٌ فيه تفريطٌ وإفراط، بل فيه الهلاكُ الأبدي والعذاب السَّرمدي؛ لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومُصادمة الكتاب العزيز المصدَّق، ومخالفة لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه الأمة. وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ثم قال: وأمَّا قولهم: إنَّ للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد المات، فيردُّه قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦١] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٤٩] ونحوه من الآيات الدالة على أنه المتفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء ما بوجهٍ من الوجوه، فالكلُّ تحت مُلكه وقهره تصرُّفًا وملكًا، وإحياءً وإماتةً وخلقًا.

وتمدَّح الرب - تبارك وتعالى - بانفراده بملكه في آيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤] وذكر آيات في هذا المعنى.

ثم قال: فقولُه في الآيات كلها ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من غيره. فإنه عامٌّ يدخل فيه من

اعتقدته، من وَلي وشيطان تستمدُّه، فإنَّ من لم يقدر علىٰ نصر نفسه كيف يمدُّ غيره؟

إلىٰ أنْ قال: إنَّ هذا القول وخيمٌ، وشرك عظيم، إلىٰ أن قال: وأمَّا القول بالتصرُّف بعد المات فهو أشنعُ وأبدع من القول بالتصرف في الحياة. قال جل ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] وفي الحديث: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ**»[(١)] [(٢)] الحديث.

فجميعُ ذلك وما هو نحوه: دالٌّ علىٰ انقطاع الحس والحركة من الميت، وأنَّ أرواحهم مُمْسَكة وأنَّ أعمالهم منقطعةٌ عن زيادة أو نقصان، فدلَّ ذلك علىٰ أن ليس للميت تصرفٌ في ذاته فضلًا عن غيره. فإذا عجز عن حركة نفسه، فكيف يتصرَّف في غيره؟ فالله سبحانه يُخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إنَّ الأرواح مطلقة متصرِّفة ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

قال: وأمَّا اعتقادُهم أنَّ هذه التصرفات لهم من الكرامات، فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيءٌ من عند الله يكرم بها أولياءه، لا قصد لهم فيه ولا تحدِّي، ولا قدرة ولا علم، كما في قصة مريم ابنة عمران، وأُسيد بن حضير، وأبي مُسلم الخولاني.

قال: وأما قولهم: فيستغاثُ بهم في الشدائد، فهذا أقبحُ مما قبله وأبدع، لمصادمته قوله جل ذكره: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٤] وذكر آياتٍ في هذا المعنىٰ.

ثم قال: فإنه - جل ذكره - قرَّر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كلِّه، وأنه القادر علىٰ دفع الضر، القادر علىٰ إيصال الخير.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة. [الفقي].

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١).

فهو المنفردُ بذلك، فإذا تعين هو - جل ذكره - خرج غيره من ملك ونبي وولي.

قال: والاستغاثَة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال، أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه، كقولهم: يا لَزَيد، يا لَلمسلمين، بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل.

وأمَّا الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد: كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه: فمن خصائص الله لا يُطلب فيها غيره.

قال: وأمَّا كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهليةُ العرب والصوفية الجهال، وينادونهم ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات. فمن اعتقد أنَّ لغير الله من نبيٍّ أو وليٍّ أو روحٍ أو غير ذلك في كشف كُربةٍ أو قضاء حاجة تأثيرًا: فقد وقع في وادي جهلٍ خطير، فهو علىٰ شفا حُفرة من السعير.

وأمَّا كونهم مستدلين علىٰ أنَّ ذلك منهم كرامات، فحاشا لله أنْ تكون أولياءُ الله بهذه المثابة؛ فهذا ظنُّ أهل الأوثان، كذا أخبر الرحمن: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٣]

فإنَّ ذكرَ ما ليس من شأنه النفعُ ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره علىٰ وجه الإمداد منه: إشراكٌ مع الله، إذ لا قادر علىٰ الدفع غيره، ولا خير إلَّا خيره.

قال: وأمَّا ما قالوه: إنَّ منهم أبدالًا ونقباء وأوتادًا ونجباء وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس: فهذا من موضوعات إفكهم. كما ذكره القاضي المحدِّث أبو بكر ابن العربي في «سراج المريدين»، وابنُ الجوزي وابن تيمية. انتهىٰ باختصار.

والمقصود: أنَّ أهل العلم ما زالوا يُنكرون هذه الأمور الشركية، التي عمَّت بها البلوىٰ واعتقدها أهلُ الأهواء، فلو تتبعنا كلامَ العُلماء المنكرين لهذه الأمور الشركية، لطال الكتاب.

والبصيرُ النبيل يُدرك الحق من أول دليل، ومن قال قولًا بلا بُرهان فقولُه ظاهرُ البُطلان، مخالفٌ ما عليه أهل الحق والإيمان، المتمسكون بمُحكم القرآن، المستجيبون لداعي الحق والإيمان. والله المستعان وعليه التكلان.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ

وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

ش: قال ابنُ عطية: معناه: قيل لي: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ فهو معطوفٌ على ﴿أَقِمْ﴾ وهـذا الأمـرُ والمخاطبة للنبي ﷺ إذا كانت هكذا، فأحرىٰ أنْ يتحرَّز من ذلك غـيرُه. والخطـابُ خـرج مخرج الخصوص، وهو عامٌّ للأمَّة.

قال أبو جعفر ابن جرير في هذه الآية: يقول - تعالىٰ ذكره -: ولا تدْعُ يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعُك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرُّك في ديـن ولا دنيـا، يعنـي بذلك: الآلهة والأصنام، يقول: لا تعبدها راجيًا نفعها أو خائفًا ضرَّها فإنها لا تنفـعُ ولا تـضر. فإنْ فَعلت ذلك فدعوتها من دون الله ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: من المشركين بالله(١).

قلتُ: وهـذه الآيـة لهـا نظـائرُ، كقولـه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣]. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[القصص: ٨٨].

ففي هذه الآيات: بيانُ أنَّ كلَّ مدعوٍّ يكون إلهًا، والإلهية حـقٌّ لله لا يـصلح منهـا شيء لغيره. ولهذا قال: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما قـال تعـالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾[الحج: ٦٢].

وهذا هو التوحيدُ الذي بعث الله به رُسلَه، وأنزل به كتبه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: ٥]. والـدِّين: كـلُّ مـا يُـدان الله بـه، مـن العبـادات الباطنـة والظاهرة. وفسَّره ابنُ جرير في «تفسيره»: بالدعاء، وهو فردٌ من أفراد العبـادة، عـلىٰ عـادة السَّلف في التفسير: يفسرون الآية ببعض أفراد معناها.

فمن صرف منها شيئًا لقبر أو صنم أو وثن أو غير ذلك: فقـد اتخـذه معبـودًا وجعلـه شريكًا لله في الإلهية التي لا يستحقُّها إلَّا هو، كـما قـال تعـالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا

(١) فالظلم في هذه الآية هو الشرك كما قال تعالىٰ على لسان لقمان وهـو يعـظ ابنـه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان: ١٣] بل هو أظلم الظلم كـما في الحـديث عـن ابـن مـسعود: «أَظْلَمُ الظُّلْمِ أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»؛ لأنه اغتصاب حـق الربوبيـة مـن العبـادة والـدعاء والنـذر ونحـوه، وصرفـه للعبـد الـذي لا يستحقه. [الفقي].

بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[المؤمنون: ١١٧]. فتبيَّن بهذه الآية ونحوها: أنَّ دعوة غير الله شركٌ وكفرٌ وضلال.

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾[يونس: ١٠٧][1].

فإنَّه المتفرِّدُ بالمُلك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كل ما سواه.

فيلزمُ من ذلك أنْ يكون هو المدعوُّ وحده، المعبودُ وحده، فإنَّ العبادة لا تصلح إلَّا لمالك الضر والنفع. ولا يملك ذلك ولا شيئًا منه غيره، فهو المستحقُّ للعبادة وحده، دون من لا ينفع ولا يضر.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الزمر: ٣٨]. وَقَالَ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فاطر: ٢]. فهذا ما أخبر به في كتابه من تفرُّده بالإلهية والربوبية، ونصب الأدلة علىٰ ذلك.

فاعتقد عُبّادُ القبور والمشاهد، نقيضَ ما أخبر به الله، واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره، بسؤالهم والالتجاء إليهم بالرغبة والرهبة والتضرع، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا يستحقها إلَّا الله، واتخذوهم شُركاء الله في ربوبيته وإلهيته.

وهذا فوقَ شركِ كُفار العرب القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) في قرة العيون: هذا في حق المستغيث أخبر الله تعالىٰ أنه هو الذي يتفضل علىٰ من سأله، ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئًا من فضل الله عليه. فهو المعطي والمانع، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع. وفي هذا المعنىٰ ما في حديث ابن عباس. وفيه: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ». فمن تدبر هذه الآية وما في معناها: علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم، والشرك الذي لا يغفر، وأنهم قد أثبتوا ما نفته ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من الشرك في الإلهية، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾[الزمر: ٢ - ٣]. والدين هو طاعة الله فيما أمر به وشرعه، ونهىٰ عنه وحرمه. وأعظم ما أمر به: التوحيد والإخلاص، وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوىٰ الله تعالىٰ الذي خلقه لعبادته، وأرسل بذلك رسله، وأنزل به كتبه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾[النساء: ١٥٦] وأعظم ما نهىٰ عنه: الشرك به في ربوبيته وإلهيته.[الفقي].

شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإنَّ أولئك يدعونهم ليشفعوا لهم، ويقربوهم إلىٰ الله، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك، لا شريك لك، إلَّا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك!

وأمَّا هؤلاء المشركون: فاعتقدوا في أهل القبور وفي المشاهد ما هو أعظمُ من ذلك، فجعلوا لهم نصيبًا من التصرف والتدبير، وجعلوهم معاذًا لهم وملاذًا في الرغبات والرَّهبات ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: لمن تاب إليه.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

ش: يأمرُ عبادَه بابتغاء الرزق عنده وحده، دون ما سواه ممن لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا، فتقديمُ الظرف يُفيد الاختصاص.

وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ من عطف العام علىٰ الخاص؛ فإنَّ ابتغاء الرزق عنده من العبادة التي أمر بها.

قال العمادُ ابن كثير: ﴿فَٱبْتَغُوا۟﴾ أي: فاطلبوا ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ أي: لا عند غيره. لأنه المالكُ له، وغيره لا يملك شيئًا من ذلك: ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ أي: علىٰ ما أنعم عليكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة فيُجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُه:** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦].

ش: نفىٰ سبحانه أنْ يكون أحدٌ أضل ممن يدعو غيره. وأخبر أنه لا يستجيبُ له ما طلب منه إلىٰ يوم القيامة.

والآيةُ تعمُّ كلَّ من يُدعىٰ من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].

وفي هذه الآية: أخبر أنه لا يستجيب وأنه غافلٌ عن داعيه ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً

﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ فتناولت الآيةُ كلَّ داعٍ وكلَّ مدعوٍّ من دون الله[1].

قال أبو جعفر ابن جرير في قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ يقول - تعالىٰ ذكره -: وإذا جُمع الناسُ ليوم القيامة في موقف الحساب، كانت هذه الآلهةُ التي يدعونها في الدنيا لهم أعداءً؛ لأنهم يتبرؤون منهم ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يقول - تعالىٰ ذكره -: وكانت آلهتُهم التي يعبدونها في الدنيا، لعبادتهم جاحدين؛ لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرنا بعبادتنا ولا شعرنا بعبادتهم إيانا. تبرأنا إليك منهم يا ربنا.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٧ - ١٨].

---

(١) في قرة العيون: وأخبر أن المدعو لا يستجيب لما طلب منه من ميت أو غائب، أو ممن لا يقدر علىٰ الاستجابة مطلقًا من طاغوت ووثن، فليس لمن دعا غير الله إلَّا الخيبة والخسران. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥] كما قال في آية يونس ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨ - ٢٩] وقال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٦]. فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلَّا نقيض قصده، فيتبرأ منه ومن عبادته وينكر ذلك عليه أشد الإنكار، وقد صار المدعو للداعي عدوًّا، ثم أخبر تعالىٰ أن ذلك الدعاء عبادة بقوله: ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ فدلت أيضًا علىٰ أن دعاء غير الله عبادة له وأن الداعي له في غاية الضلال.

وقد وقع من هذا الشرك في هذه الأمة ما عم وطم، حتىٰ أظهر الله من يبينه بعد أن كان مجهولًا عند الخاصة والعامة إلَّا من شاء الله تعالىٰ، وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان، لكن القلوب انصرفت إلىٰ ما زين لها الشيطان، كما جرىٰ للأمم مع الأنبياء والمرسلين لما دعوهم إلىٰ توحيد الله جرىٰ لهم من شدة العداوة ما ذكره الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٥٣]. ويشبه هذه الآية في المعنىٰ ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] أخبر تعالىٰ أن ذلك الدعاء شرك بالله وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فتدبر هذه الآيات وما في معناها؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠] وهو في القرآن أكثر من أن يستقصىٰ. [الفقي].

قال ابن جرير: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة والإنس والجن[١] وساق بسنده عن مجاهد قال: عيسىٰ وعزيرٌ والملائكة.

ثم قال: يقول تعالىٰ ذكره[٢]: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسىٰ: تنزيهًا لك يا ربنا وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ نواليهم ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١] انتهىٰ.

قلتُ: وأكثرُ ما يُستعمل الدعاء في الكتاب والسنة ولسان الصحابة ومَن بعدهم من العلماء: في السؤال والطلب، كما قال العُلماء من أهل اللغة وغيرهم: الصلاة لغةً: الدُّعاء، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣- ١٤] وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣]، وَقَالَ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢]، وَقَالَ: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٥١] وَقَالَ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: ٤٩]. وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وفي حديث أنس، مرفوعًا: «**الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ**»[٣].

وفي الحديث الصحيح: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ**»[٤].

---

(١) سياق ابن جرير هكذا، يقول تعالىٰ ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن. [الفقي].

(٢) أي عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٨]. [الفقي].

(٣) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٣٣٧١)، وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال مشهور، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن، وصح الحديث بلفظ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**» وسبق الكلام عليه تحت باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا الله.

(٤) إسـ ـده ضعيف: رواه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، والطبراني في «الدعاء» (٦٢)، والخطيب (٤/ ٣٥٦)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٧٢)، وابن عدي (٤/ ٦٢) من طريق صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا.

=

وفي آخر: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[١].

وحديث: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»[٢] رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه.

=

وصالح المري ضعيف واهٍ، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (٢/ ١٧٧)، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف مختلط، وشاهد آخر عن ابن عمر، رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٨) قال الهيثمي: فيه بشر بن ميمون الواسطي وهو مجمع علىٰ ضعفه، ومعنىٰ الحديث صحيح، إذ لا بد مع الدعاء من حضور القلب والإيمان بالإجابة، قال فخر الدين الرازي - فيما نقله المناوي في «فيض القدير» (١/ ٢٩) -: أجمعت الأمة علىٰ أن الدعاء اللساني الخالي من الطلب النفساني قليل النفع عديم الأثر، عزاه إليه محقق مسند أحمد (١١/ ٢٣٦) ط: الرسالة.

(١) حسن لشواهده: رواه الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، وأحمد (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، والحاكم (١/ ٤٩١)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٠٩٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٥٢)، وفي «الدعاء» (٢٣)، وابن عدي (٧/ ٢٩٥) من طرق عن أبي المليح عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة، وأبو صالح الخوزي مختلف فيه ضعفه ابن معين وقواه أبو زرعة، قال فيه: لا بأس به. وأبو صالح معروف بهذا الحديث كما في ترجمته عند ابن عدي وفي «التهذيب وغيرهما، ولكن للحديث شواهد منها ما رواه الطبراني في «الدعاء» (٢٤) من طريق هشام بن عمار عن حماد بن عبد الرحمن الكلبي عن المبارك بن أبي حمزة عن الحسن عن أنس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ سَأَلْتَنِي أَعْطَيْتُكَ وَإِنْ لَمْ تَسْأَلْنِي أَغْضَبْ عَلَيْكَ» وهذا إسناد ضعيف جدًّا، فيه هشام بن عمار مختلف فيه، وفيه حماد والمبارك وهما ضعيفان، ومنها ما رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، وابن المبارك في «الزهد» (١٢٩٨)، وغيرهم من طريق ذر عن يسيع عن النعمان بن بشير مرفوعًا: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] وإسناده صحيح، فاستكبارهم عن العبادة - وهي الدعاء - كان سببًا في دخولهم جهنم وهذا يستلزم غضب الله عز وجل قاله الألباني، والحديث صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٦٥٤)، وانظر «الفتح» (١١/ ٩٧).

(٢) في إسناده ضعف: رواه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، وابن حبان (٨٧٠) «إحسان» والحاكم (١/ ٤٩٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، والبغوي (٥/ ١٨٧، ١٨٨)، والطيالسي (٢٥٨٥)، والطبراني في «الدعاء» (٢٨)، وفي «الأوسط» (٢٥٤٤)، وابن عدي (٥/ ٨٨)، والعقيلي (٣/ ٣٠١)، وقال: لا يتابع عليه لا يعرف بهذا إلَّا عن عمران - من طريق عمران بن داود القطان عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا - وعمران القطان فيه ضعف.

وقوله: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَعِمَادُ الدِّينِ وَنُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» [١] رواه الحاكم وصححه.

وقوله: «سَلُوا اللهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الشِّسْعَ إِذَا انْقَطَعَ» [٢] الحديث. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أفضلُ العبادة الدعاء، وقرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٣] [غافر: ٦٠]. رواه ابنُ المنذر والحاكم وصححه.

وحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ» [٤] الحديث.

---

(١) موضوع: رواه الحاكم (١/ ٤٩٢)، وأبو يعلىٰ (٤٣٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٣)، وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب، وفي الإسناد محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو متروك، وأخرج الجملة الأولىٰ أبو يعلىٰ (١٨١٢) من حديث جابر، وفي الإسناد محمد بن أبي حميد وهو ضعيف.

(٢) ضعيف والصواب فيه الإرسال: رواه الترمذي (٣٦٢٣) ط. دار الفكر، وسقط من ط. إبراهيم عطوة وانظر «التحفة» حـ (٣٦٨٢)، وابن حبان (٨٦٦، ٨٩٤، ٨٩٥) «إحسان» والطبراني في «الدعاء» (٢٥)، وفي «الأوسط» (٥٥٩١)، وابن عدي (٦/ ٥٣) من طريق قطن بن نسير وهو ضعيف واهٍ. والبزار (٣١٣٥) من طريق سيار بن حاتم وفيه ضعف، كلاهما «قطن وسيار» عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس مرفوعًا، وخالفهما القواريري كما عند ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٥٣)، ونقله الحافظ في «التهذيب» ترجمة قطن بن نسير (٨/ ٣٨٢، ٣٨٣)، وصالح بن عبد الله كما عند الترمذي (٣٦٢٤) ط. دار الفكر، كلاهما «القواريري وصالح بن عبد الله» عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلًا. وقال الترمذي: وهذا أصح من حديث قطن.

تنبيه: وقع في مطبوعة ابن عدي (٦/ ٥٣) ط. دار الفكر ذكر أنس في الإسناد وهو خطأ. وقد جاء عن عائشة موقوفًا كما عند ابن السني (٣٥٧)، وأبي يعلىٰ (٤٥٦٠).

(٣) حسن بطريقيه: رواه الحاكم (١/ ٤٩١) من طريقين: أحدها من طريق حبيب بن ثابت عن ابن عباس فذكره، وحبيب بن ثابت مدلس وقد عنعن. والثاني: من طريق أبي يحيىٰ القتات عن ابن عباس وأبو يحيىٰ القتات لين الحديث. وقد حسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٩)، وله شاهد آخر عن أبي هريرة عند ابن عدي (٨٨١٥)، وفي الإسناد عمران القطان وفيه ضعف.

(٤) صحيح بطرقه: رواه أحمد (٣/ ٢٦٥)، والبخاري في «التاريخ» (٦/ ٢٧)، والطحاوي في شرح «مشكل الآثار» (١٧٤)، والحاكم (١/ ٥٠٤) من طريق إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عن أنس، ورواه الترمذي (٣٥٤٤) من طريق سعيد بن زَرْبِي عن عاصم وثابت عن أنس به وسعيد ضعيف، ورواه أبو داود (١٤٩٥)، وأحمد (٣/ ١٥٨، ٢٤٥)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وابن حبان (٨٩٣) «إحسان» من طريق خلف بن خليفة عن حفص بن عمر عن أنس به. وخليفة اختلط بآخره. ورواه ابن ماجه (٣٨٥٨)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٧٢)، وأحمد (٣/ ١٢٠) من طريق أبي =

وحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»(١).

وأمثالُ هذا في الكتاب والسنة أكثرُ من أنْ يُحصىٰ، في الدعاء الذي هو السؤال والطلب.

فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة: فقد صادم النصوص، وخالف اللغة واستعمال الأمة سلفًا وخلفًا.

وأمَّا ما تقدمَّ من كلام شيخ الإسلام، وتبعه العلَّامة ابن القيم: من أنَّ الدعاء نوعان: دعاءُ مسألة ودعاء عبادة. وما ذكر بينهما من التلازم وتضمُّن أحدهما للآخر. فذلك باعتبار كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك وغيره طالبًا في المعنىٰ. فيدخُل في مسمَّىٰ الدعاء بهذا الاعتبار، وقد شرع الله تعالىٰ في الصلاة الشرعية من دعاء المسألة ما لا تصح الصلاة إلَّا به، كما في الفاتحة وبين السجدتين وفي التشهد، وذلك عبادةٌ كالركوع والسجود. فتدبَّر هذا المقام يتبيَّن لك جهلُ الجاهلين بالتوحيد.

ومما يُبيِّن هذا المقام، ويزيدُه إيضاحًا قولُ العلَّامة ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ - في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]: وهذا الدعاءُ المشهورُ أنه دعاء المسألة. قالوا: كان النبيُّ ﷺ يدعو ربه مرة يقول: «يَا اللهُ»، ومرة: «يَا رَحْمَنُ»، فظن المشركون أنه يدعو إلهين، فأنزل الله هذه الآية. ذُكر هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما(٢).

وقيل: إنَّ الدعاء هُنا بمعنىٰ التسمية، والمعنىٰ: أيُّ اسم سمَّيتموه به من أسماء الله تعالىٰ،

= خزيمة عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك به. وأبو خزيمة هو نضر بن مرداس وهو صدوق، وإن كان يوسف بن ميمون فهو ضعيف.

وللحديث طرق أخرىٰ ضعيفة واهية انظر «مسند» أحمد حـ(١٢٢٠٥) ط. الرسالة.

(١) إسناده صحيح: وهو جزء من حديث طويل. رواه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وأحمد (٥/ ٣٤٩، ٣٦٠)، والحاكم (١/ ٥٠٤) من طريق مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا. والسند فيه نوع اختلاف لا يضر، انظر تحقيقه مسند أحمد (٢٢٩٥١) ط. الرسالة.

(٢) رواه الطبراني (١٢٨٠١) عن القاسم عن الحسين عن محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس فذكره.

إمَّا الله وإما الرحمن فله الأسماء الحسنىٰ.

وهذا هو من لوازم المعنىٰ في الآية. وليس هو عـينُ المـراد. بـل المـراد بالـدعاء معنـاه المعهود المطَّردُ في القرآن. وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء.

ثم قال: إذا عرفُ هذا، فقوله تعـالىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥] يتنـاول نوعي الدعاء لكنه ظاهرٌ في دعاء المسألة، متضمنٌ لدعاء العبادة؛ ولهذا أُمـر بإخفائـه. قـال الحسن: بين دعاء السر ودعاء العلانية سبعون ضعفًا. ولقـد كـان المسلمون يجتهـدون في الدعاء ولم يُسمع لهم صوت إنْ كان إلَّا همسًا بينهم وبين ربهم[١].

وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦] يتنـاول نوعي الدعاء، وبكل منهما فُسِّرت الآية. قيل: أُعطيه إذا سألني، وقيل: أُثيبه إذا عبدني.

وليس هذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته الواحـدة المتضمنة للأمرين جميعًا. وهذا يأتي في مسألة الصلاة وأنها هل نُقلت عن مسمَّاها في اللغـة وصارت حقيقة شرعية، أو استعملت في هذه العبادة مجازًا للعلاقـة بيـنهما وبـين المُسمَّىٰ اللغوي، أو هي باقيةٌ علىٰ الوضع اللغوي، وضُمَّ إليها أركانٌ وشرائط.

وعلىٰ ما قررناه: لا حاجة إلىٰ شيء من ذلك؛ فإنَّ المصلي من أول صلاته إلىٰ آخرهـا لا ينفكُّ عن دعاء: إما دعاء عبادة وثناء، أو دعاء طلب ومسألة، وهو في الحـالين داع. انتهـىٰ ملخصًا من «البدائع».

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].

ش: بيَّن تعالىٰ أنَّ المشركين مـن العـرب ونحـوهم قـد علمـوا أنـه لا يُجيـب المـضطر ويكشف السوء إلَّا الله وحده[٢]، فذكر ذلك سبحانه محتجًّا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من

---

(١) روىٰ نحوه الطبري (١٤٧٨٥) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن فذكره نحوه، والمبارك ضعيف مدلس وقد عنعن.

(٢) في قرة العيون: وهذا مما أقر به مشركو العرب وغيرهم في جاهليتهم كما قـال تعـالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العنكبوت: ٦٥] أخبر تعالىٰ أنهم يخلصون الدعاء له إذا وقعـوا في شدة.[الفقي].

دونه، ولهذا قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعني: يفعل ذلك.

فإذا كانت آلهتُهم لا تُجيبهم في حال الاضطرار، فلا يصلح أنْ يجعلوها شركاء لله الذي يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وحده. وهذا أصح ما فُسرت به الآية، كسابقتها من قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٦٠ - ٦١]. ولاحقتها إلىٰ قوله: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

[النمل: ٦٣ - ٦٤]

فتأمّل هذه الآيات يتبيَّنُ لك: أنَّ الله تعالىٰ احتج علىٰ المشركين بما أقروا به علىٰ ما جحدوه مِن قَصْر العبادة جميعها عليه، كما في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]. قال أبو جعفر ابن جرير: قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢] يقول - تعالىٰ ذكره -: أم ما تُشركون بالله خير، أم الذي يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه؟

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: يستخلف بعد أمواتكم في الأرض منكم خُلفاء أحياء يخلفونهم.

وقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يقول: أإلهٌ سواه يفعل هذه الأشياء بكم، ويُنعم عليكم هذه النعم؟

وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: تذكُّرًا قليلًا من عظمة الله وأياديه عندكم، تذكرون وتعتبرون حُجج الله عليكم يسيرًا. فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** وروىٰ الطبرانيُّ بإسناده: أنَّه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين. فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله من هذا المنافق، فقال

النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»[1].

ش. الطبراني: هو الإمام الحافظ، سُليمان بن أحمد بن أيوب اللَّخْمي الطبراني، صاحبُ المعاجم الثلاثة وغيرها. روىٰ عن النسائي وإسحاق بن إبراهيم الدَّبْري وخلق كثير. مات سنة ستين وثلاثمائة. روىٰ هذا الحديث عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قوله: **(أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يُؤذي المؤمنين)** لم أقف علىٰ اسم هذا المنافق.

قلتُ: هو عبد الله بن أُبَيّ، كما صرَّح به ابنُ أبي حاتم في روايته.

قوله: **(فقال بعضهم)** أي: الصحابة رضي الله عنهم: هو أبو بكر رضي الله عنه.

قوله: **(قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق)**؛ لأنه ﷺ كان يقدرُ علىٰ كف أذاه[2].

قوله: **«إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»** فيه: النصُّ علىٰ أنَّه لا يُستغاث بالنبي ﷺ ولا مَن دونه.

كره ﷺ أنْ يُستعمل هذا اللفظ في حقه، وإنْ كان فيما يقدر عليه في حياته؛ حمايةً لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، وأدبًا وتواضعًا لربه، وتحذيرًا للأمة من وسائل

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩)، وفي إسناده ابن لهيعة كما قال الهيثمي، وابن لهيعة فيه مقال مشهور، وانظر «جامع المسانيد» (٤/ ٥٦٨) لابن كثير، ورواه أحمد (٥/ ٣١٧)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٩٥) من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح أن رجلًا سمع عبادة بن الصامت يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: **«لَا يُقَامُ لِي إِنَّمَا يُقَامُ للهِ»**. إسناده ضعيف: ففيه ابن لهيعة، والرجل الراوي عن عُبادةَ مبهم.

(٢) في قرة العيون: فلعله أراد أن النبي ﷺ كان يترك المنافقين أن يَفعل بهم ما يستحقونه مخافة أن يَفتتن بعضُ المؤمنين من قبيلة المنافقين، وفي السنة ما يدل علىٰ ذلك، كما فعل مع ابن أبي وغيره. وقيل: إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق فيكون نهيه ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعًا مخافة أن يقع من أمته استغاثة بمن لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يستجيب من الأموات والغائبين، والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك. وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوىٰ كما تقدم ذكره حتىٰ أنهم أشركوهم مع الله في ربوبيته وتدبير أمر خلقه كما أشركوهم معه في ألوهيته وعبوديته؛ والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها، والله أعلم. [الفقي].

الشرك في الأقوال والأفعال.

فإذا كان فيما يقدر عليه ﷺ في حياته، فكيف يجوز أنْ يستغاث به بعد وفاته ويُطلب منه أمورٌ لا يقدر عليها إِلَّا الله؟! كما جرىٰ علىٰ ألسنة كثير من الشعراء كالبُوصيري[(١)] والبُرَعي، وغيرهم، من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

ويُعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر علىٰ كل شيء الذي له الخلق والأمر وحده، وله الملك وحده، لا إله غيره ولا رب سواه. قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨] في مواضع من القرآن[(٢)] ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا

---

(١) مثل قوله في البردة:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

ويزعمون أن البوصيري أعظم من مدح النبي ﷺ ويذكرونه أكثر مما يذكرون حسان بن ثابت وغيره من الصحابة ﷺ، لأنهم في زعمهم لم يبلغوا من الغلو والإطراء ما بلغ البوصيري. وهذا هو الغلو الذي جر إلىٰ الشرك والكفر برسول الله ﷺ كما كفرت النصارىٰ بعيسىٰ ابن مريم عليه السلام من طريق هذا الغلو.

وقد حذرنا الله منه في كتابه الكريم بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]. وحذرنا النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَأَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ». وإنما تعظيمه ﷺ وحبه باتباع سنته وإقامة ملته ودفع كل ما يلصقه الجاهلون بها من الخرافات.

فقد ترك أكثر الناس هذا وشغلوا بهذا الغلو والإطراء الذي أوقعهم في هذا الشرك العظيم.

ونحمد الله أن عافانا بفضله وجعلنا مؤمنين برسول الله ﷺ معظمين له ومحبين بما يحبه الله ورسوله لنا علىٰ مثل ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان. وقد عظمت المصيبة بهذا الشرك حتىٰ اتخذ أعداء الرسول ﷺ - الزاعمون جهلًا وكذبًا حبه - هذه البردة وردًا كالقرآن وأعظم من القرآن، وكتبوها بجودة بماء الذهب كما كتبوا القرآن، وربما اشتدت عنايتهم بها أكثر من القرآن. فلا حول ولا قوة إِلَّا بالله. [الفقي].

(٢) يعني: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] فبالجمع بين الآيتين يظهر أنه لا يقدر أحد من المدعوين أن يجيب الداعي إِلَّا الله.

رَشَدًا ﴿٢١﴾ [الجن: ٢١] .

فأعرض هؤلاء عن القرآن واعتقدوا نقيض ما دلَّت عليه هذه الآيات المحكمات، وتبعهم علىٰ ذلك الضلال الخلقُ الكثير، والجمُّ الغفير، فاعتقدوا الشرك بالله دينًا، والهدىٰ ضلالًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فما أعظمها من مصيبة عمت بها البلوىٰ فعاندوا أهل التوحيد وبدَّعوا أهل التجريد، فالله المستعان.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: أن عطف الدعاء علىٰ الاستغاثة من عطف العام علىٰ الخاص.

الثانية: تفسير: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦] .

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة[١] .

الثامنة: أن طَلَبَ الرزق لا ينبغي إلَّا من الله، كما أن الجنة لا تُطلب إلَّا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه[٢] .

---

(١) يعني ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧] .[الفقي] .

(٢) يعني أن المدعو غافل عن دعاء الداعي بما هو مشغول به في قبره من نعيم، إن كان من المؤمنين الصالحين، كالحسين وأبيه رضي الله عنهما ، أو من عذاب أليم، كالتيجاني المشرك الخبيث، وابن عربي الحاتمي أكبر الدعاة إلىٰ وحدة الوجود، وابن الفارض وأشباههم ممن اتخذه الناس وليًّا معبودًا لعظم ما بني عليه من القبة، أو بالظنون واتباع الأهواء، وهم كثير جدًّا، بل أكثر أولئك الطواغيت منهم، ومن أرباب الطرق الدجالين.[الفقي] .

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة[1].

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عَبَدة الأوثان: أنه لا يجيب المضطر إلَّا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفىٰ ﷺ حِمىٰ التوحيد والتأدب مع الله.

* * *

---

(١) يعني ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [يونس: ٤٩]. [الفقي].

(١٤)

بَابُ: قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالىٰ:** ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٢][(١)].

ش: قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ أي في العبادة.

قال المفسرون في هذه الآية: هذا توبيخٌ وتعنيفٌ للمشركين في عبادتهم مع الله تعالىٰ ما لا يخلُقُ شيئًا وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبيّن أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نَصْر عابديه ولا نصر نفسه؟

وهذا برهانٌ ظاهرٌ علىٰ بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا وصف كل مخلوق، حتىٰ الملائكة والأنبياء والصالحين.

وأشرفُ الخلق محمد ﷺ قد كان يستنصرُ ربه علىٰ المشركين ويقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»[(٢)].

---

(١) **في قرة العيون:** وهذا مما احتج به تعالىٰ على المشركين لما وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة؛ لأنهم مخلوقون فلا يصلح أن يكونوا شركاء لمن هم خلقه وعبيده. وأخبر أنهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصرًا، أي لمن سألهم النصرة ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فإذا كان المدعو لا يقدر علىٰ أن ينصر نفسه فلأن لا ينصر غيره من باب الأولىٰ.
فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين، وهو كونهم عبيدًا لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون معبودًا.
الدليل الثاني: أنه لا قدرة لهم علىٰ نفع أنفسهم فكيف يرجىٰ منهم أن ينفعوا غيرهم. فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم. [الفقي].

(٢) **إسناده صحيح:** رواه الترمذي (٣٥٨٤)، وأبو داود (٢٦٣٢)، وأحمد (٣/ ١٨٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠٤) من طريق المثنىٰ بن سعيد عن قتادة عن أنس.

وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾[الفرقان: ٣]. وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾[الأعراف: ١٨٨]. وقوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ﴾[الجن: ٢١ - ٢٣].

فكفىٰ بهذه الآيات برهانًا علىٰ بُطلان دعوة غير الله كائنًا من كان. فإنْ كان نبيًّا أو صالحًا فقد شرَّفه الله تعالىٰ بإخلاص العبادة له، والرضىٰ به ربًّا ومعبودًا، فكيف يجوز أن يجعل العابد معبودًا مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك؟ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾[القصص: ٨٨]. وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾[يوسف: ٤٠].

قد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده، ونهاهم أنْ يعبدوا معه غيره، وهذا هو دينُهُ الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لعباده، وهو الإسلام، كما روىٰ البخاريُّ، عن أبي هريرة في سؤال جبرائيل عليه السلام قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**»[1].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾[2] [فاطر: ١٣ - ١٤].

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٢) في قرة العيون: يخبر الخبير أن الملك له وحده، والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾[فاطر: ١٣] فإن من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلىٰ أحد سواه تعالىٰ وتقدس، بل يجب إخلاص الدعاء له، الذي هو من أعظم أنواع العبادة، وأخبر تعالىٰ أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئًا وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم. ولو فرض أنهم يسمعون =

ش: يخبرُ تعالىٰ عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدلُّ علىٰ عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي: المُلك، وسماع الدعاء، والقدرة علىٰ استجابته، فمتىٰ لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوتُه فكيف إذا عُدمت بالكلية؟

فنفىٰ عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ قال ابنُ عباس[1] ومجاهد وعكرمة، وعطاء والحسن، وقتادة: القطمير: اللفافة التي تكون علىٰ نواة التمر.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل: ٧٣]. وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

ونفىٰ عنهم سماع الدعاء، بقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾؛ لأنهم ما بين ميت وغائب عنهم، مشتغلٍ بما خُلق له، مسخَّرٍ بما أُمر به كالملائكة.

ثم قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾؛ لأن ذلك ليس إليهم، فإن الله تعالىٰ لم يأذن لأحد من عباده في دُعاء أحدٍ منهم، لا استقلالًا ولا واسطة، كما تقدَّم بعضُ أدلة ذلك.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ فتبيَّن بهذا أنَّ دعوة غير الله شرك[2]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١ - ٨٢] وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾. قال ابنُ كثير: يتبرأون منكم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن

فلا يستجيبون لداعيهم وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، أي ينكرونه ويتبرأون ممن فعله معهم، ذلك الدعاء شرك به، وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع، بل قالوا: إن الميت يسمع، ومع سماعه ينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأسًا كما ترىٰ عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة.[الفقي].

(١) انظر بعضًا منه في تفسير الطبري (٢٨٩٦٠، ٢٨٩٦٦)، وأسانيد ابن عباس رضي الله عنهما فيها مقال.

(٢) وتبين أنهم كانوا يدعون عبادًا صالحين يتبرأون من الشرك الذي هو دعاء غير الله، ويتبرأون من أولئك المشركين الزاعمين حب أولئك الصالحين وأنهم محسوبون عليهم.[الفقي].

دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦].

قال: وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالىٰ. فإنه أخبرُ بالواقع لا محالة.

قلتُ: والمشركون لم يُسلِّموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم، فقالوا: تملك وتسمع وتستجيب وتشفع لمن دعاها[1]، ولم يلتفتوا إلىٰ ما أخبر به الخبيرُ: من أنَّ كلَّ معبودٍ يعادي عابده يوم القيامة ويتبرأ منه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ۝٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ۝٢٩ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝٣٠﴾ [يونس: ٢٨ - ٣٠].

أخرج ابنُ جرير عن ابن جُريج قال: قال مجاهد: ﴿إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾. قال: يقول ذلك كلُّ شيء كان يُعبد من دون الله[2].

فالكيِّسُ يستقبلُ هذه الآيات التي هي الحجةُ والنور والبرهان بالإيمان والقبول والعمل، فيجرِّد أعماله لله وحده دون كلِّ ما سواه، ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا دفعًا، فضلًا عن غيره.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح عن أنس، قال: شُجَّ النبيُّ ﷺ يوم**

---

(١) يعني قالوا ذلك بلسان حالهم؛ لأنهم أصروا علىٰ دعائهم والاستغاثة بهم بعد أن وبخهم الله بأن الذي يستغاث به ويدعىٰ لا بد أن يكون سميعًا بصيرًا بيده الخير. والذي يدل علىٰ أنهم لم يكونوا يقولون ذلك بصريح القول: ما حكىٰ الله من جواب قوم إبراهيم وأبيه لما سألهم: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾ [الشعراء: ٧٢، ٧٣] فإنهم أعرضوا عن الجواب الصريح عن السؤال. وقالوا: ﴿بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٧٤﴾ [الشعراء: ٧٤] فجوابهم هذا حيدة عن الجواب المطابق للسؤال. [الفقي].

(٢) رواه الطبري (١٧٦٦٦، ١٧٦٦٧) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقد عنعن بل طعن القطان في سماعه عن مجاهد التفسير، وفي الإسناد إليه المثنىٰ وهو الأملي ولا يعرف توثيقه، وله طريق عند الطبري (١٧٦٦٨) من طريق ابن جريج عن مجاهد وابن جريج مدلس وقد عنعن، وراجع روايتهما عن مجاهد في تحقيقي لـ«حادي الأرواح» صـ٢٦٦ وقد أطلت النفس في ذلك.

أُحد وكسرت رباعيته. فقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟» فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (١) [آل عمران: ١٢٨].

ش: قوله: (في **«الصحيح»**) أي: «الصحيحين». علَّقه البخاري. عن حُميد وعن ثابت: عن أنس، ووصله أحمد والترمذي والنسائي عن حُميد عن أنس به. ووصله مسلمٌ عن ثابت عن أنس.

وقال ابنُ إسحاق في «المغازي»: حدثنا حُميد الطويل، عن أنس قال: كُسِرت رَباعيَّةُ النبي ﷺ يوم أُحد وشُج وجهه، فجعل الدمُ يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم، وهو يقول: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُم إِلَىٰ رَبِّهِمْ؟**» فأنزل الله الآية (٢).

قوله: (**شُجَّ النبي ﷺ**) قال أبو السعادات: الشجُّ في الرأس خاصة في الأصل، وهو أنْ يضربه بشيء فيجرَحه فيه ويشقه، ثم استُعمِل في غيره من الأعضاء.

وذكر ابنُ هشام من حديث أبي سعيد الخدري: أنَّ عُتْبة ابن أبي وَقَّاص هو الذي كسر رَباعية النبي ﷺ السفلىٰ وجرح شفته السفلىٰ (٣). وأنَّ عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قَمِئَة جرحه في وَجْنته، فدخلت حلقتان من حِلَق المِغْفَر في وجنته (٤) وأنَّ مالك بن سنان مصَّ الدم من وجه رسول الله ﷺ وازدرده. فقال له: «**لَنْ تَمَسَّكَ النَّارُ**» (٥).

---

(١) صحيح: رواه البخاري معلقًا في المغازي (٧/ ٣٦٥)، ووصله مسلم (١٧٩١).

(٢) إسناده صحيح: وانظر ابن هشام في «السيرة» (٣/ ٢٨).

(٣) روىٰ ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: «فما حرصت علىٰ قتل رجل قط حرصي علىٰ قتل أخي عتبة لما صنع برسول الله ﷺ يوم أحد». [الفقي]

(٤) في الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمىٰ عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد فشج وجهه وكسرت رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة. فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: «**مَالَكَ أَقْمَأَكَ اللهُ**». فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتىٰ قطعه قطعة قطعة. [الفقي]

(٥) إسناده ضعيف: رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٠٩٤) من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده أن أباه مالك بن سنان... فذكره. وربيح مجهول متكلم فيه، ووقع عنده رمح وهو خطأ، قال السيوطي في «المناهل» (صـ٤٣): وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقي من وجه آخر عن عمر بن السائب أنه بلغه أن مالكًا =

قال القرطبي: والرَّباعية بفتح الراء وتخفيف الياء، وهي: كلُّ سن بعد ثنية.

قال النووي: وللإنسان أربعُ رَباعيات.

قال الحافظ: والمراد أنها كُسرت، فذهب منها فلقة ولم تُقلع من أصلها.

قال النووي: وفي هذا وقوعُ الأسقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب. ولتعرف أُممُهم ما أصابهم ويأتسوا بهم.

قال القاضي: لُيعلم أنهم من البشر، تُصيبهم محنُ الدنيا، ويطرأ علىٰ أجسامهم ما يطرأ علىٰ أجسام البشر، ليُتيقَّن أنهم مخلوقون مربوبون. ولا يفتتن بما ظهر علىٰ أيديهم من المعجزات ويُلبِّس الشيطانُ من أمرهم ما لبَّسه علىٰ النصارىٰ وغيرهم. انتهىٰ.

قلتُ: يعني: من الغلو والعبادة.

قوله: (**يوم أُحد**) هو شرقي المدينة. قال ﷺ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[1].

وهو جبلٌ معروف، كانت عنده الوقعة المشهورة. فأُضيفت إليه.

قوله: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ**» زاد مسلم: «**وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَأَدْمَوا وَجْهَهُ**».

قوله: (**فأنزل الله**: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾) قال ابنُ عطية: كأنَّ النبي ﷺ لَحِقَه في تلك الحال يأسٌ من فلاح كفار قريش، فقيل له بسبب ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ أي: عواقبُ الأمور بيد الله، فَامْضِ أنت لشأنك، ودُمْ علىٰ الدعاء لربك.

وقال ابنُ إسحاق: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[2] في عبادي، إلَّا ما أمرتُك به

=

والد أبي سعيد الخدري...فذكره. وهذا الأخير حكم عليه الحافظ بالإرسال كما في «تلخيص الحبير» (١/ ٣١)، وله شواهد أخرىٰ واهية انظر «العلل المتناهية» (٢٨٥، ٢٨٦)، وانظر كلام ابن هشام في سيرته (٣/ ٢٨) ونحوه في البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٦٦)، والإصابة (٣/ ٣٤٦ - ٣٤٧)، وانظر تحقيقي «الشفا» للقاضي عياض رقم (٩٦).

(١) صحيح: رواه البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢).

(٢) في قرة العيون: وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئًا من العبادة، ولهذا المعنىٰ قال لنبيه ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦] فالذي ليس له من الأمر شيء وهو خيرة الله من خلقه ما زال يدعو الناس أن

=

فيهم[(١)].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه: عن ابن عمر، أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر -: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلانًا» بعد ما يقول: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ». فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾**[(٢)].

وفي رواية: يدعو على صَفوان بن أمية، وسُهَيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[(٣)].

ش: قوله: (**وفيه**) أي في «صحيح البخاري»، ورواه النسائي.

قوله: (**عن ابن عمر**) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابيٌّ جليل: شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح، مات سنة ثلاثٍ وسبعين في آخرها أو في أوَّل التي تليها.

قوله: (**أنه سمع رسول الله ﷺ**) هذا القنوتُ على هؤلاء بعد ما شُجَّ وكُسرت رَباعيته يوم أُحد.

قوله: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلانًا**» قال أبو السعادات: أصلُ اللعن: الطردُ والإبعاد، من الله. ومن الخَلْقِ: السبُّ والدعاء. وتقدم كلامُ شيخ الإسلام.

قوله: «**فُلَانًا وَفُلانًا**» يعني: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، كما بيَّنه في الرواية الآتية.

يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله وهو الله تعالى، فهذا دينه ﷺ الذي بعث به، وأُمر أن يبلغَه أُمَّتَهُ ويدعوهم إليه كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله، فإياك أن تتبع سبيلًا غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به. [الفقي].

(١) السيرة لابن هشام (٣/ ٤٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٦٩).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه البخاري مرسلًا (٤٠٧٠) من طريق سالم بن عبد الله بن عمر مرسلًا ووصله الترمذي (٣٠٠٤)، والطبري في «التفسير» (٧٨١٨)، وأحمد (٢/ ٩٣) من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه مرفوعًا. وفيه عمر بن حمزة وهو ضعيف، وقد صح عن النبي ﷺ أنه سمى في دعائه قبائل يلعنهم، انظر البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥)، واللفظ له، وذكر الحديث، وفيه: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ لِحْيَانَ وَرِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ**».

وفيه: جوازُ الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأنَّ ذلك لا يضرُّ الصلاة.

قوله: (بعد ما يقول: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)، قال أبو السعادات: أي أجاب حمدَه وتقبَّله. وقال السُّهيلي: مفعولُ سمع محذوف؛ لأن السمع متعلقٌ بالأقوال والأصوات دون غيرها، فاللام تُؤذِن بمعنى زائد، وهو الاستجابة للسمع، فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على الزائد، وهو الاستجابة لمن حمده.

وقال ابنُ القيم ما معناه: عُدِّيَ سمع الله لمن حمده باللام المتضمنة معنى: استجاب له. ولا حَذْف هناك، وإنما هو مضمَّن.

قوله: (وربنا لك الحمد) في بعض روايات البخاري بإسقاط الواو. قال ابنُ دقيق العيد: كأنَّ إثباتها دالٌّ على معنى زائد، لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد. فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر.

قال شيخ الإسلام: والحمد ضدُّ الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له. كما أنَّ الذم يكون على مساوئه مع البغض له.

وكذا قال ابنُ القيم: وفرَّق بينه وبين المدح: بأن الإخبار عن محاسن الغير: إمَّا أنْ يكون إخبارًا مجردًا عن حُبٍّ وإرادة، أو يكون مقرونًا بحبه وإرادته.

فإن كان الأول، فهو المدح، وإنْ كان الثاني، فهو الحمد. فالحمدُ: إخبارٌ عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه. ولهذا كان خبرًا يتضمَّن الإنشاء بخلاف المدح، فإنه خبرٌ مجرد.

فالقائل إذا قال: الحمدُ لله أو قال: ربنا ولك الحمد، تضمّن كلامُه الخبرَ عن كلِّ ما يُحمد عليه تعالى باسم محيط جامع متضمِّن لكلِّ فردٍ من أفراد الجملة المحقَّقة والمقدَّرة، وذلك يستلزم إثبات كلِّ كمال يُحمد عليه الرب تعالى، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلَّا لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد.

وفيه: التصريحُ بأنَّ الإمام يجمعُ بين التسميع والتحميد، وهو قول الشافعي وأحمد، وخالف في ذلك مالكٌ وأبو حنيفة، وقالا: يقتصرُ على سمع الله لمن حمده.

قوله: (وفي رواية: يدعو على صفوان بن أُميَّة، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام).

وذلك لأنهم رؤوسُ المشركين يوم أحد، هم وأبو سفيان بن حرب، فما اسْتجيب لهﷺ فيهم، بل أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾[آل عمران: ١٢٨] فتاب عليهم، فأسلموا وحسُن إسلامهم.

وفي هذا كله: معنىٰ شهادة أنْ لا إله إلَّا الله، الذي له الأمر كلُّه، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضلُّ من يشاء بعدله وحكمته، فهو المستحق أنْ يُعبد وحده.

وفي هذا من الحجج والبراهين: ما يُبيِّن بُطلان ما يعتقده عبَّادُ القبور في الأولياء والصالحين، بل في الطواغيت من أنهم ينفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم.

فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب. وذلك عدلُه سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحولُ والقوة.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه: عن أبي هريرة، قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل الله عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُم؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ الله، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شيئًا. يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا»**(١).

ش: قوله: **(وفيه)**، أي: «صحيح البخاري».

قوله: (عن أبي هريرة) اختُلف في اسمه.

وصحَّح النوويُّ أنَّ اسمه: عبد الرحمن بن صخر، كما رواه الحاكم(٢) في «المستدرك» عن أبي هريرة، قال: كان اسمي في الجاهلية: عبد شمس بن صخر، فسُمِّيتُ في الإسلام عبد الرحمن.

ورویٰ الدُّولابي بإسناده، عن أبي هريرة، أنَّ النبيﷺ سماه عبد الله(٣).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٥٠٧) من طريق ابن إسحاق حدثني بعض أصحابي عن أبي هريرة فذكره. وأصحاب ابن إسحاق مبهمون.

(٣) الدولابي في «الكنىٰ والأسماء» (١/ ١٠٧)، وانظر ترجمته في «الإصابة» (١٢/ ٦٣)، و«أسد الغابة» (٦/ ٣١٨)، و«السير» (٢/ ٥٧٨).

وهو دَوْسِيٌّ من فُضلاء الصحابة وحفَّاظهم، حفظ عن النبيﷺ أكثر مما حفظه غيره[١] مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين، وهو ابنُ ثمانٍ وسبعين سنة.

قوله: (قام رسولُ اللهﷺ): «في الصحيح» من رواية ابن عباس: صعد رسولُ اللهﷺ علىٰ الصفا[٢].

قوله: (حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾) عشيرةُ الرجل: هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته؛ لأنهم أحق الناس ببرِّك وإحسانك الديني والدنيوي، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦].

وقد أمره الله تعالىٰ أيضًا بالنِّذارة العامة، كما قال تعالىٰ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾[يس: ٦]. ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾[إبراهيم: ٤٤].

قوله: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ» المعشر: الجماعة.

قوله: (أو كلمةً نحوها) هو بنصب كلمة عطفًا علىٰ ما قبله.

قوله: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُم» أي: بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وطاعته فيما أمر به، والانتهاء عما نهىٰ عنه. فإنَّ ذلك هو الذي يُنجي من عذاب الله؛ لا الاعتماد علىٰ الأنساب والأحساب؛ فإنَّ ذلك غيرُ نافع عند رب الأرباب.

قوله: «لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا»[٣] فيه: حجةٌ علىٰ من تعلَّق علىٰ الأنبياء

---

(١) روىٰ البخاري في أول البيوع عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرةﷺ قال: «إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول اللهﷺ، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول اللهﷺ بمثل حديث أبي هريرة؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله علىٰ ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخواني من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرءًا مسكينًا من مساكين الصفة أعي حين ينسون. وقد قال رسول اللهﷺ في حديث يحدثه: **«إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّىٰ أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إِلَّا وَعَىٰ مَا أَقُولُ»**. فبسطت نمرة عليَّ حتىٰ إذا قضىٰ رسول الله مقالته جمعتها إلىٰ صدري، فما نسيت من مقالة رسول اللهﷺ تلك من شيء».[الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٣) **في قرة العيون:** هذا هو معنىٰ ما تقدم من أنه تعالىٰ هو المتصرف في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم، والعبد لا يعلم إِلَّا ما علمه الله، ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إِلَّا بإخلاص العبادة له وحده والبراءة من =

والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه.

فإن ذلك هو الشركُ الذي حرَّمه الله تعالىٰ، وأقام نبيه ﷺ بالإنذار عنه؛ كما أخبر تعالىٰ عن المشركين في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فأبطل الله ذلك، ونزّه نفسه عن هذا الشرك، وسيأتي تقريرُ هذا المقام إن شاء الله تعالىٰ.

وفي «صحيح البخاري»: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا».

قوله: «يَا عَبَّاسَ بنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» بنصب ابن، ويجوز في عباس الرفعُ والنصب، وكذا في قوله: **«يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ»، و«يَا فَاطِمَةُ بِنْت مُحَمَّدٍ».**

قوله: «سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ»[1]. بيّن ﷺ أنه لا يُنجي من عذاب الله إلَّا الإيمان والعمل الصالح.

وفيه: أنه لا يجوزُ أنْ يُسأل العبدُ إلَّا ما يقدر عليه من أمور الدنيا. وأمَّا الرحمة

=

عبادة ما سواه. كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]. والنبي ﷺ في هذا الحديث أنذر الأقربين نذارة خاصة، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا، وبلغهم وأعذر إليهم. فأنذر قريشًا ببطونها وقبائل العرب في مواسمها، وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس إليه، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به، وسائر شرائع الإسلام وعباداته. [الفقي].

(١) **في قرة العيون:** لأن هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ، وما كان أمره إلىٰ الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه كما في هذا الحديث، ولما مات أبو طالب وكان يحوط رسول الله ﷺ ويحميه ولم ينكر ملة عبد المطلب من الشرك بالله، وقال ﷺ: **«لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»**، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات علىٰ غير شهادة أن لا إله إلَّا الله، فلم ينفعه حمايته النبي ﷺ من أن يكون من المشركين، ولا الاعتراف بأن النبي ﷺ علىٰ الحق بدون البراءة من الشرك؛ لأنه لم يبرأ من ملة أبيه، فكل تعلق علىٰ غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالًا في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلَّا لأهل الإخلاص خاصة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وكذلك الأحاديث، والله أعلم. وسيأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالىٰ. [الفقي].

والمغفرة، والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كلِّ ما لا يقدر عليه إِلَّا الله، فلا يجوز أنْ يُطلب إِلَّا منه.

فإنَّ ما عند الله لا يُنال إِلَّا بتجريد التوحيد، والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أنْ يتقربوا إليه به.

فإذا كان لا ينفع ابنته وعمه وعمَّته وقرابته إِلَّا ذلك، فغيرُهم أولىٰ وأحرىٰ. وفي قصة عمه أبي طالب مُعتبر.

فانظر إلىٰ الواقع الآن من كثير من الناس: من الالتجاء إلىٰ الأموات، والتوجُّه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عن غيرهم يتبينُ لك أنهم ليسوا علىٰ شيء ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٣٠].

أظهر لهم الشيطانُ الشرك في قالب محبة الصالحين، وكلُّ صالحٍ يبرأُ إلىٰ الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أنَّ محبة الصالحين: إنما تحصلُ بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم أندادًا من دون الله، يُحبونهم كحب الله، إشراكًا بالله، وعبادة لغير الله، وعداوةً لله ورسله والصالحين من عباده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

قال العلَّامة ابن القيم في هذه الآية - بعد كلام سبق -: ثم نفىٰ أنْ يكون قال لهم غير ما أُمر به، وهو محضُ التوحيد، فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾. ثم أخبر عن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم، وأنَّ الله عز وجل المنفردُ بعد الوفاة بالاطلاع عليهم، فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ وصَفَه سبحانه: بأن شهادته فوق كلِّ شهادة وأعم

انتهىٰ ملخصًا.

قلت: ففي هذا بيانُ أنَّ المشركين خالفوا ما أمر الله به رسله: من توحيده الذي هو دينهم، الذي اتفقوا عليه، ودعوا الناس إليه، وفارقوهم فيه إلَّا من آمن.

فكيف يُقال لمن دان بدينهم، وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده: إنه قد تنقّصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه، واتبع فيه رسله عليهم السلام، ونـزَّه به ربَّه عن الشرك الذي هو هضمٌ للربوبية، وتنقّصٌ للإلهية وسوءُ ظن برب العالمين؟

والمشركون هم أعداءُ الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة، وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرأوا من كلِّ مشرك ويكفروا به، ويبغضوه ويعادوه في ربهم ومعبودهم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩].

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير الآيتين [(١)].

الثانية: قصة أُحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمّنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجّهم نبيهم وحرصهم علىٰ قتله. ومنها: التمثيل بالقتلىٰ مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعيّن في القنوت.

---

(١) يعني قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩٢] وقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣]؛ لأنه إذا كان النبي ﷺ وهو سيد ولد آدم لا يغني عن قرابته شيئًا. فغيره أولىٰ أن يعجز عن ضر أو نفع لنفسه أو لغيره. [الفقي].

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤].

الثانية عشرة: جده ﷺ بحيث فعل ما نُسب بسببه إلىٰ الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «**لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» حتىٰ قال: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**». فإذا صرح - وهو سيد المرسلين - بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلَّا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين.

❋ ❋ ❋

(١٥)

بَابُ: قول الله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالىٰ:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٢٣)﴾ [سبأ: ٢٣][1].

ش: قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال الفزع عنها. قاله ابنُ عباس، وابن عمر،

---

(١) في قرة العيون: وهذه الآيات تقطع عروق الشرك بأمور أربعة:

(الأول): أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله، والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لا ينفع ولا يضر، فالله تعالىٰ هو الذي يملكهم ويدبرهم ويتصرف فيهم وحده.

(الثاني): قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سبأ: ٢٢] أي في السموات والأرض، أي وما لهم شرك مثقال ذرة من السموات والأرض.

(الثالث): قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)﴾ [سبأ: ٢٢] والظهير: المعِين، فليس لله مُعِينٌ من خلقه، بل هو الذي يعينهم علىٰ ما ينفعهم لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلىٰ ربهم فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم.

(الرابع): قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] فلا يشفع عنده أحد إلَّا بإذنه. وأخبر تعالىٰ أن من اتخذ شفيعًا من دونه حرم شفاعة الشفعاء، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾ [يونس: ١٨]؛ لأن اتخاذ الشفعاء: شرك؛ لقوله تعالىٰ في حقهم: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. والمشرك منفية الشفاعة في حقه كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨)﴾ [المدثر: ٤٨] وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)﴾ [الأنعام: ٩٤]، وذلك أن متخذ الشفيع لا بد أن يرغب إليه ويدعوه ويرجوه ويخافه ويحبه لما يؤمله منه وهذه من أنواع العبادة التي لا يصرف منها شيء لغير الله، وذلك هو الشرك الذي ينافي الإخلاص. [الفقي].

وأبو عبد الرحمن السُّلمي والشعبي والحسن وغيرهم[(١)(٢)].

وقال ابنُ جرير: قال بعضهم: الذين فُزِّعَ عن قلوبهم: الملائكة. قالوا: وإنما فـزِّع عـن قلوبهم من غَشْية تصيبهم عند سماعهم كلام الله بالوحي.

وقال ابنُ عطية: في الكلام حذفٌ يدلُّ عليه الظاهر. كأنـه قـال: ولا هـم شـفعاءُ كـما تزعمون أنتم، بل هم عَبَدَةٌ مسلمون أبـدًا، يعنـي منقـادون، حتـىٰ إذا فُـزِّع عـن قلـوبهم. والمراد: الملائكة، علىٰ ما اختاره ابنُ جرير، وغيره.

قال ابنُ كثير: وهو الحق الذي لا مِرْية فيه؛ لصحة الأحاديث فيهِ والآثار.

وقال أبو حيَّان: تظـاهرت الأحاديـثُ عـن رسـول الله ﷺ أنَّ قولـه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الـوحيَ إلىٰ جبريـل يـأمره الله بـه، سـمعت كَجـرِّ سلسلة الحديد علىٰ الصَّفوانِ، فتفزع عند ذلك تعظيمًا وهيبة.

قال: وبهذا المعنىٰ - مِنْ ذكر الملائكة في صدر الآية - تتَّسق هذه الآية علىٰ الأولىٰ، ومـن لم يشعر أنَّ الملائكة مشارٌ إليهم من أوَّل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها[(٣)].

قوله: ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ولم يقولوا: ماذا خلق ربنـا؟ ولـو كـان كـلامُ الله مخلوقًـا، لقالوا: ماذا خلق؟. انتهىٰ من «شرح سنن ابن ماجه».

ومثله الحديث: «مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟». وأمثالُ هذا في الكتاب والسنة كثير.

وقوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ أي: قالوا قال الله الحق. وذلك لأنهم إذا سمعوا كـلام الله صُـعقوا ثم إذا أفاقوا أخذوا يسألون، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق.

---

(١) ذكره عن ابن مسعود من عدة طرق، وساق بسنده حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري الآتي بعد صفحة. وقد قال البخاري في تفسير سورة «الحجر» عن علي بن عبد الله. قلت لسفيان: إن إنسانًا روىٰ عنك عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة أنه قرأ (فُرِّغ) بضم الفاء والراء المثقلة المهملة وبالغين المعجمة فقال سفيان: هكـذا قـرأ عمـرو - ويعني ابن دينار -، فلا أدري سمعه هكذا أم لا؟ قال الحافظ: وهذه القراءة رويت عـن الحـسن وقتـادة ومجاهـد، والقراءة المشهورة بالزين والعين المهملة. وقرأها ابن عامر مبنيًّا للفاعل. ومعناه بـالزاي والعـين المهملـة: أدهـش الفزع عنهم. ومعنىٰ التي بالراء والغين المعجمة ذهب عن قلوبهم ما حل فيها.[الفقي].

(٢) انظر بعضها عند الطبري (٢٨٨٣٨، ٢٨٨٥٤).

(٣) قال أبو حيان: ولهذا اضطرب المفسرون في تفسيرها.[الفقي].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ علوُّ القدر وعلوُّ القهر وعلو الذات، فله العلوُّ الكامل من جميع الوجوه، كما قال عبدُ الله بن المبارك لما قيل له: بماذا نعرفُ ربَّنا؟ قال: بأنه على عرشه بائن من خلقه. تمسكًا منه بالقرآن، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ...﴾ [الفرقان: ٥٩] في سبعة مواضع من القرآن.

قوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي لا أكبر منه ولا أعظم، تبارك وتعالىٰ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في «الصحيح» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:** **«إِذَا قَضَىٰ اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ -، فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّىٰ يُلْقِيَهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ. فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»**(١)(٢).

ش: قوله: (**في «الصحيح»**) أي: «صحيح البخاري»(٣).

قوله: «إِذَا قَضَىٰ اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ» أي: إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلىٰ جبرائيل بما أراده، كما صرَّح به في الحديث الآتي.

وكما روىٰ سعيدُ بن منصور وأبو داود وابنُ جرير عن ابن مسعود: **«إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٧٠١).

(٢) يعني أن قول الكاهن والساحر والعراف قد يصادف بعض الواقع؛ فيغتر الجاهلون المخرفون بذلك، ويحتجون بهذه المصادفة علىٰ تصديق كذبه الذي لا يعد، وهو مبني علىٰ افتراء الكذب علىٰ الله ودعوىٰ معرفة الغيب الذي لا يعلمه إِلَّا الله. وسيأتي بيانه في باب الكهان. [الفقي].

(٣) رواه في تفسير قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الحجر: ١٨] من سورة الحجر، وفي تفسير سورة سبأ وغير هذين الموضعين. حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه مسلم وأبو داود نحو هذا. [الفقي].

بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفْوَانِ»[١].

ورویٰ ابنُ أبي حاتم وابن مردويه، عن ابن عباس، قال: لما أوحىٰ الجبارُ إلىٰ محمد ﷺ دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي، فَسَمِعت الملائكةُ صوت الجبار يتكلم بالوحي. فلما كشف عن قلوبهم، سألوا عما قال الله. فقالوا: الحق، وعلموا أنَّ الله لا يقول إلَّا حقًّا[٢].

قوله: «**ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ**» أي: لقول الله تعالىٰ.

قال الحافظ: «**خُضْعَانًا**» بفتحتين: من الخضوع. وفي رواية: بضمِّ أوله وسكون ثانيه. وهو مصدرٌ بمعنىٰ خاضعين.

قوله: «**كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ**» أي: كأن الصوت المسموع سلسلةٌ علىٰ صفوان، وهو الحجرُ الأملس.

قوله: «**يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**» هو: بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة: «ذلك» أي: القول، والضمير في: ينفُذُهم: للملائكة، أي: ينفذُ ذلك القولُ الملائكة: أي: يخلص ذلك القول، ويمضي فيهم حتىٰ يفزعوا منه.

وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس: «**فَلَا يَنْزِلُ عَلَىٰ أَهْلِ سَمَاءٍ إِلَّا صُعِقُوا**»[٣].

وعند أبي داود وغيره مرفوعًا: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهِمْ جِبْرِيلُ**»[٤] الحديث.

---

(١) صحيح موقوفًا: وقد اختلف في رفعه ووقفه، فقد رواه أصحاب الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله موقوفًا، منهم: شعبة ووكيع والثوري وجرير بن عبد الحميد وعبد الله بن نمير وعبد الله المحاربي وغيرهم، كما عند ابن خزيمة في «التوحيد» (صـ٢٠٣، ٢٠٤)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٠٨)، واللالكائي (٥٤٩)، ومحمد بن نصر المروزي (١/ ٢٣٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٣٦، ٥٣٧)، ورواه أبو معاوية عن الأعمش واختلف عليه، فرواه بعضهم عنه موقوفًا ورواه آخرون عنه مرفوعًا، كما عند أبي داود (٤٧٣٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٣٢، ٤٣٤) وثم طرق أخرىٰ ضعيفة انظرها في البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٠٦ – ٥٠٨) تحقيق الحاشدي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٧).

(٣) ابن مردويه كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٣٨).

(٤) سبق تخريجه.

قوله: «حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» تقدم معناه.

قوله: «قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الحَقَّ» أي: قالوا: قال الله الحق، علموا أنه لا يقول إلَّا الحق.

قوله: «فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ» أي: يسمع الكلمة التي قضاها الله، وهم الشياطين يركب بعضهم بعضًا.

وفي «صحيح البخاري» عن عائشة مرفوعًا: «إِنَّ المَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ - وهو السحاب - فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ، فَتُوحِيهِ إِلَى الكُهَّانِ»[1].

قوله: «وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا - وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ -» أي: وصف ركوب بعضهم فوق بعض.

وسفيان: هو ابنُ عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، ثقةٌ حافظ، فقيه إمامٌ حجة، مات سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، وله إحدىٰ وتسعون سنة.

قوله: **(فحرّفها)** بحاءٍ مهملة، وراء مشدَّدة وفاء.

قوله: **(وبدَّد)** أي: فرَّق بين أصابعه.

قوله: «فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ» أي: يسمع الفوقانيُّ الكلمة، فيُلقيها إلىٰ آخر تحته، ثم يلقيها إلىٰ من تحته حتىٰ يُلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن.

قوله: «فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا» الشهاب: هو النجم الذي يُرمىٰ، أي: ربما أدرك الشهابُ المسترِقَ.

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الرمي بالشُّهب كان قبل المبعث. لما روىٰ أحمدُ وغيره - والسياق له - في «المسند» من طريق معمر: أنبأنا الزهري، عن علي بن حسين، عن ابن عباس، قال: كان رسولُ الله ﷺ جالسًا في نفر من أصحابه - قال عبدُ الرزاق: من الأنصار - قال: فرُمي بنجمٍ عظيمٍ، فاستنار، قال: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَـٰذَا فِي الجَاهِلِيَّةِ؟» قال: كنا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٢١٠).

نقول: لعلَّه يولد عظيم أو يموت عظيم- قلتُ للزهري: أكان يُرمىٰ بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكن غلظت حين بُعث النبي ﷺ - قال: «فَإِنَّه لَا يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ: إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثم الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ، وَيُخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ سَمَاءً، حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَىٰ هَذِهِ السَّمَاءِ، وَتَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فيُرْمَونَ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ»[1] قال عبد الله: قال أبي: قال عبد الرزاق: «وَيَخْطِفُ الْجِنُّ وَيُرْمَوْنَ» وفي رواية له: «لَكِنَّهُم يَزِيدُونَ فِيهِ، وَيَقْرِفُونَ وَيَنْقُصُونَ»[2].

قوله: «فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ» أي: الكاهن أو الساحر.

وكَذْبة: بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة.

قوله: «فَيُقَالُ: أَلَيْس قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟» هكذا في نسخةٍ بخط المصنف رحمه الله، كالذي في «صحيح البخاري» سواء.

قال المُصَنِّفُ: وفيه: قبولُ النفوس للباطل، يتعلَّقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة؟.

وفيه: أنَّ الشيء إذا كان فيه شيءٌ من الحق، فلا يدلُّ علىٰ أنه حقٌّ كلُّه، فكثيرًا ما يلبس أهلُ الضلال الحقَّ بالباطل، ليكون أقبل لباطلهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها: إثباتُ علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالىٰ لم يزل متكلمًا إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة، وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفًا وخلفًا. خلافًا للأشاعرة والجهمية، ونُفاة المعتزلة. فإياك أنْ تلتفت

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعقل بن عبد الله، أربعتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن رجل من الأنصار. [الفقي].

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢١٨)، والحديث رواه مسلم (٢٢٢٩)، والترمذي (٣٢٢٤).

إلىٰ ما زخرفه أهلُ التعطيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** وعن النوّاس بن سمعان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ: تَكَلَّمَ بِالوَحِي، أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ - أو قال: رَعْدَةٌ - شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[1][2].

---

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٥)، وابن الأعرابي في «المعجم» (٨٨٤)، والآجري في «الشريعة» (٦٦٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (صـ١٤٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٢٨٨٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٥)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٤٥٨) كما في «تفسير ابن كثير» من طريق نعيم بن حماد حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن زكريا عن جابر عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان الكلابي به. وفي الإسناد نعيم بن حماد وفيه ضعف، والوليد بن مسلم يدلس تدليس تسوية وقد عنعن الإسناد، ونقل ابن كثير بعد ذكره للحديث من طريق ابن أبي حاتم أن ابن أبي حاتم، قال: سمعت أبي يقول: ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله ونقل الحاشدي في «تحقيقه للأسماء والصفات» هذه العبارة «ليس الحديث بالتام» عن الوليد بن مسلم وكأنه الصواب. وقد قال أبو زرعة الدمشقي: وعرضت علىٰ عبد الرحمن بن إبراهيم - يعني دحيمًا - هذا الحديث الذي حدثنا نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم ثم ذكر هذا الحديث، فقال: لا أصل له، كما في «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (صـ٣١٨) (ط. دار الكتب العلمية).

ونقله الذهبي في «الميزان» ترجمة نعيم بن حماد. ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (١٦٢) من طريق عمرو بن مالك الراسبي حدثنا الوليد بن مسلم به، وعمرو بن مالك الراسبي ضعيف اتهم بسرقة الحديث، فلعل هذا الحديث من سرقته ووهم فيه نعيم بن حماد.

(٢) في قرة العيون: قوله: «**أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ**» فيه بيان معنىٰ ما تقدم في الحديث قبله من قوله: «**إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ**».

قوله: «**تَكَلَّمَ بِالوَحْيِ**» فيه التصريح بأنه يتكلم بالوحي فيوحيه إلىٰ جبريل - عليه السلام -، ففيه الرد علىٰ الأشاعرة في قولهم أن القرآن عبارة عن كلام الله.

قوله: «**أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ - أو قال: رَعْدَةٌ - شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»، في هذه معرفة عظمة الله، ويوجب للعبد شدة الخوف منه تعالىٰ، وفيه إثبات العلو. قوله: «**فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا**»
=

ش: هذا الحديث رواه ابنُ أبي حاتم بسنده، كما ذكره العمادُ ابن كثير في «تفسيره».

النَّواس بن سِمْعان - بكسر السين - بن خالد الكلابي، ويقال: الأنصاري، صحابي. ويقال: إنَّ أباه صحابيٌّ أيضًا.

قوله: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ**» إلىٰ آخره. فيه: النصُّ علىٰ أن الله تعالىٰ يتكلّم بالوحي، وهذا من حجة أهل السنة علىٰ النفاة؛ لقولهم: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء.

قوله: «**أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ**» السموات مفعول مقدَّم، والفاعل رجفة، أي: أصاب السموات من كلامه تعالىٰ رجفة، أي: ارتجفت.

وهو صريحٌ في أنها تسمع كلامه تعالىٰ، كما روىٰ ابنُ أبي حاتم، عن عكرمة. قال: إذا قضىٰ الله أمرًا تكلم تبارك وتعالىٰ رجفت السموات والأرض والجبال، وخرَّت الملائكة كلُّهم سجدًا[1].

قوله: (**أو قال: «رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ»**) شكٌّ من الراوي. هل قال النبي ﷺ: رجفة، أو قال: رعدة. والراء مفتوحة فيهما.

قوله: «**خَوْفًا مِنَ اللهِ** عز وجل» وهذا ظاهرٌ في أنَّ السموات تخاف الله، بما يجعل الله تعالىٰ فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها.

وقد أخبر تعالىٰ: أنَّ هذه المخلوقات العظيمة تُسبِحهُ، كما قال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

=

هيبة وتعظيمًا لربهم وخشية لما سمعوا من كلامه تعالىٰ وتقدس. قوله: «**فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ**» لأنه ملك الوحي عليه السلام. قوله: «**فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ**» فيه التصريح بأنه تعالىٰ يوحي إلىٰ جبريل بما أراده من أمره كما تقدم في أول الحديث. قوله: «**ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا**». وهذا أيضًا من أدلة علو الرب تعالىٰ وتقدس. قوله: «**مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ** عز وجل» وهذا دليل بأنه تعالىٰ قال ويقول، وأهل البدع من الجهمية ومن تلقىٰ عنهم كالأشاعرة جحدوا ما أثبته الله تعالىٰ في كتبه وأثبته رسوله ﷺ في سنته من علوه وكلامه وغير ذلك من صفات كماله التي أثبتها له رسوله، والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته. [الفقي].

(١) لا يصح مرفوعًا: فعكرمة تابعي، وقد عزاه صاحب «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٠) إلىٰ ابن أبي حاتم كما ذكره محقق فتح المجيد د/ الوليد آل فريان.

ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٩٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقد قرَّر العلَّامة ابن القيم رحمه الله: أن هذه المخلوقات تسبح الله وتخشاه حقيقة، واحتج بهذه الآيات ونحوها.

وفي البخاري: عن ابن مسعود، قال: كنا نسمعُ تسبيحَ الطعام وهو يُؤكل[(١)].

وفي حديث أبي ذر: أنَّ النبي ﷺ أخذ في يده حصيات، فسُمع لهن تسبيح - الحديث[(٢)].

وفي الصحيح: قصةُ حنين الجِذْع، الذي كان يخطبُ عليه النبيُّ ﷺ قبل اتخاذ المنبر[(٣)]. ومثلُ هذا كثير.

وقوله: «**صُعِقُوا وَخَرُّوا لله سُجَّدًا**» الصَّعق: هو الغشي، ومعه السجود.

وقوله: «**فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ**» بفتح أول؛ خبر «يكون» تقدم علىٰ اسمها، ويجوز العكس.

ومعنىٰ جبريل: عبد الله، كما روىٰ ابنُ جرير وغيره عن علي بن الحسين، قال: كان اسم جبريل: عبد الله، واسم ميكائيل عُبيد الله، وإسرافيل عبد الرحمن. وكلُّ شيءٍ رجع إلىٰ إيل فهو مُعبّدٌ لله عز وجل[(٤)].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٣٥٧٩).

(٢) **ضعيف:** رواه البزار (٢٤١٣ كشف) وأبو نعيم في «الدلائل» (٣٣٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٦٤ - ٦٥) من طريق قريش بن أنس، عن صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن سويد بن يزيد، عن أبي ذر مرفوعًا، وصالح ضعيف، قال الحافظ (٦/ ٥٩٢): وأما تسبيح الحصىٰ فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها.

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٣٥٨٣).

(٤) **حسن بشواهده:** رواه الطبري (١٦٢٩، ١٦٣٠)، وأبو الشيخ (٣٨٢) من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن علي بن حسين فذكره، وتابع ابنَ إسحاق سفيانُ كما عند الطبري (١٦٢٨، ١٦٢٩)، وله شاهد عن ابن عباس عند الطبري (١٦٢٤)، ونحوه (١٦٢٣)، وشاهد آخر عن عكرمة عند البخاري معلقًا (٨/ ١٦٥)، ووصله الطبري (١٦٢٦، ١٦٣١)، ونحوه عن عبد الله بن الحارث قال: إيل: الله بالعبرانية كما عند الطبري (١٦٢٦).

وفيه: فضيلةُ جبريل عليه السلام. كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه لتبليغُ رسولٍ كريم.

وقال أبو صالح في الآية[١] **قال:** جبريلُ يدخلُ في سبعين حجابًا من نور، بغير إذن[٢].

ولأحمد بإسنادٍ صحيح عن ابن مسعود، قال: رأىٰ رسولُ الله ﷺ جبريـل في صـورته وله ستمائة جناح، كلُّ جناح قد سدَّ الأفق، يسقطُ من جناحه من التهاويـل والـدر واليـاقوت ما الله به عليم[٣].

فإذا كان هذا عِظم هذه المخلوقات، فخالقها أعظمُ وأجلُّ وأكبر. فكيف يسوّىٰ به غيره في العبادة: دعاءً وخوفًا ورجاءً وتوكلًا، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره؟ فانظر إلىٰ حال الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالىٰ، وقد قال تعالىٰ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

قوله: «فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» وهذا تمامُ الحديث. والآياتُ المذكورة في هذا الباب والأحاديث تُقرِّرُ التوحيـدَ، الـذي هـو مـدلولُ شهادة أنْ لا إله إلَّا الله.

فإنَّ الملك العظيم، الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفًا منه ومهابـة، وترجُـف منـه المخلوقات، الكامل في ذاته وصفاته، وعلمه وقدرته وملكه وعِزِّه، وغناه عن جميع خلقـه،

---

(١) **أي في قوله:** ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: ٢٠] كما ساق ذلك الحافظ ابن كثير، وقد نقلها الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ مختصرة. [الفقي].

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (٣٠/ ٨٠) من طريق عمر بن شبيب المسلي عـن إسماعيل بـن أبي خالـد عـن أبي صالح فذكره، وعمر بن شبيب ضعيف.

(٣) إسناده حسن: رواه أحمد (١/ ٣٩٥، ٤١٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٤٢)، وأبو يعلىٰ (٣٩٩٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٧٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٢)، وأول الحديث في البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (١٧٤).

وافتقارهم جميعهم إليه، ونفوذ قَدَره وتصرفه فيهم لعلمه وحكمته: لا يجوز شرعًا ولا عقلًا، أنْ يُجعل له شريكٌ من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم.

فكيف يُجعل المربوب ربًّا، والعبد معبودًا؟ أين ذهبت عقولُ المشركين؟ سبحان الله عما يشركون.

وقال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣- ٩٥]

فإذا كان الجميع عبيدًا: فَلِمَ يَعبدُ بعضهم بعضًا بلا دليل ولا برهان، بل بمجرَّد الرأي والاختراع والابتداع؟! ثم قد أرسل رسله من أولهم إلىٰ آخرهم تزجرهم عن ذلك الشرك، وتنهاهم عن عبادة ما سوىٰ الله. (انتهىٰ من شرح سُنن ابن ماجه).

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة علىٰ إبطال الشرك، خصوصًا ما تعلَّق علىٰ الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: **«قَالَ: كذا وكذا»**.

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبرائيل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغَشْي يعم أهل السموات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السموات بكلام الله.

العاشرة: أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلىٰ حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهاب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أُذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدُق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يُصَدَّقْ كذبه إلَّا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟

التاسعة عشرة: كونهم يتلقىٰ بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: أن تلك الرجفة والغشي خوفًا من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدًا.

* * *

(١٦)
بَابُ: الشفاعة

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ الشفاعة.**

ش: أي: بيانُ ما أثبته القرآن منها وما نفاه، وحقيقةُ ما دلَّ القرآنُ علىٰ إثباته.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله عَزَّوَجَلَّ:** ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾[1] [الأنعام: ٥١].

ش: الإنذار: هو الإعلامُ بأسباب المخافة، والتحذيرُ منها.

قوله: ﴿بِهِۦ﴾ قال ابنُ عباس: القرآن، ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهم المؤمنون.

---

(١) في قرة العيون: الشفاعة نوعان:

(النوع الأول): شفاعة منفية في القرآن، وهي الشفاعة للكافر والمشرك. قال تعالىٰ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]. وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨] ونحو هذه الآيات كقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]: يخبر تعالىٰ أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك، وما لا يعلمه لا وجود له، فنفىٰ وقوع الشفاعة وأخبر أنها شرك بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣] فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعًا بزعم أنه يقربه إلىٰ الله، وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته؛ لأنه جعل الله شريكًا يرغب إليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبه كما يحب الله تعالىٰ أو أعظم.

(النوع الثاني): الشفاعة التي أثبتها القرآن وهي خالصة لأهل الإخلاص، وقيدها تعالىٰ بأمرين:

الأمر الأول: إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإذنه تعالىٰ لا يصدر إلَّا إذا رحم عبده الموحد المذنب، فإذا رحمه الله تعالىٰ أذن للشافع أن يشفع له.

الأمر الثاني: رضاه عمن أذن لشافع أن يشفع فيه. كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فالإذن بالشفاعة له بعد الرضاء، كما في هذه الآية، وهو سبحانه لا يرضىٰ إلَّا التوحيد. [الفقي].

وعن الفُضَيل بن عياض: ليس كلّ خلْقه عَاتَبَ، إنما عاتب الذين يعقلون، فقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: وهم المؤمنون، أصحاب القلوب الواعية.

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ قال الزَّجّاج: موضع ليس: نُصب علىٰ الحال، كأنه قال: متخلِّين من ولي وشفيع. والعاملُ فيه: يخافون.

قوله: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة[1].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله**: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

ش: وقبلها ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الزمر: ٤٣]. وهذه الآية، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]. فبيَّن تعالىٰ في هذه الآيات وأمثالها: أنَّ وقوع الشفاعة علىٰ هذا الوجه منتفٍ وممتنع.

وأنَّ اتخاذهم شفعاء شركٌ، يتنزّه الرب تعالىٰ عنه. وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف: ٢٨]. فبيَّن تعالىٰ: أنَّ دعواهم أنهم يشفعون لهم بتألُّهِهم، أنَّ ذلك منهم إفكٌ وافتراء.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[2] أي: هو مالكها، وليس لمن تُطلب منه شيءٌ منها، وإنما تُطلب ممن يملكُها دون كلِّ من سواه؛ لأن ذلك عبادةٌ وتألُّه لا يصلُح إلَّا لله.

قال البيضاوي: لعله ردٌّ لما عسىٰ أنْ يُجيبوا به، وهو أنَّ الشفعاء أشخاصٌ مقربون.

وقوله: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقريرٌ لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه؛ لأنه مالكُ الملك، فاندرج في ذلك ملكُ الشفاعة، فإذا كان هو مالكها، بطل أنْ تُطلب ممن لا

---

(١) في قرة العيون: وتركوا التعلق علىٰ الشفعاء وغيرهم؛ لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملًا بدونه. [الفقي].

(٢) في قرة العيون: دلت الآية علىٰ أن الشفاعة له سبحانه؛ لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه سبحانه وتعالىٰ، كما قال تعالىٰ في الآية السابقة، وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [يونس: ٣]. فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه، ولا تقع إلا ممن أذن له فيها. فتدبر هذه الآيات العظيمة في اتخاذ الشفعاء. [الفقي].

يملكها[١] ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال ابن جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبدُ أوثاننا[٢] هذه إِلَّا ليقربونا إِلَىٰ الله زُلفىٰ. قال الله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الزمر: ٤٤].

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ش: قد تبيّن مما تقدم من الآيات: أنَّ الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله.

وفي هذه الآية: بيانُ أنَّ الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

فبيَّن أنها لا تقع لأحدٍ إِلَّا بشرطين: إذنُ الرب تعالىٰ للشافع أنْ يشفع، ورضاهُ عن المأذون بالشفاعة فيه، وهو تعالىٰ لا يرضىٰ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إِلَّا ما أُريد به وجهه، ولقي العبدُ به ربه مخلصًا غير شاكٍّ في ذلك، كما دلَّ علىٰ ذلك الحديثُ الصحيحُ[٣]. وسيأتي ذلك مقررًا في كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) **في قرة العيون:** فليس لأحد في ملكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده، والإسلام هو أن تسلم قلبك وجوارحك لله بالإخلاص كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله ﷺ: فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال: «**الْإِسْلَامُ**». قال: وما الإسلام؟ قال: «**أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ، وَأَنْ تُوَجِّهَ وَجْهَكَ إِلَىٰ الله، وَأَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَأَنْ تُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ**» والآيات في بيان الإخلاص كثيرة، وهو أن لا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الأعمال كلها إِلَّا لله وحده. كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[غافر: ١٤]، فأمر تعالىٰ بإخلاص الدعاء له وحده، وأخبر أنه الدين الذي تصح معه الأعمال وتقبل. قال شيخ الإسلام: «الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه». [الفقي].

(٢) **الأولىٰ:** (ما نعبد أولياءنا) ولم أجد هذه الجملة كلها في تفسير ابن جرير. [الفقي].

(٣) ومن ذلك حديث أبي أمامة مرفوعًا وفيه: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**» رواه النسائي (٦/ ٢٥) بإسناد حسن، وثبت هذا المعنىٰ في أحايث كثيرة انظر مسلم (١٩٠٥) حديث أبي هريرة: «**أَوَّلُ مَنْ يُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ...**». وعن أبي موسىٰ الأشعري (١٩٠٤) عند مسلم: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله أَعْلَىٰ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**».

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

ش: قال ابنُ كثير: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾. كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]. إذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها، بل قد نهىٰ عنها علىٰ ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[1] [سبأ: ٢٢- ٢٣].

ش: قال ابنُ القيم - رحمه الله تعالىٰ - في الكلام علىٰ هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها. فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلَّا ممن فيه خصلةٌ من هذه الأربع: إمَّا مالكٌ لما يريدهُ عابدُه منه، فإنْ لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإنْ لم يكن شريكًا له كان مُعينًا له وظهيرًا، فإنْ لم يكن مُعينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده.

فنفىٰ سبحانه المراتب الأربع نفيًا مُرتبًا، منتقلًا من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، فنفىٰ الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلُبها المشرك، وأثبت شفاعةً لا نصيب فيها لمشرك،

---

(١) في **قرة العيون**: فإذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ .... كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩] الآيات. فظهر من هذه الآيات المحكمات ما يبين حقيقة الشفاعة المثبتة في القرآن التي هي ملك لله لا يملكها غيره. وقيد حصولها بقيدين كما في هذه الآية وغيرها كما تقدم قريبًا: إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والثاني: رضاء عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين. فاختصت الشفاعة بأهل الإخلاص خاصة، وإن اتخاذ الشفعاء بلا إذن من دين المشركين قد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات. [الفقي].

وهي الشفاعةُ بإذنه.

فكفىٰ بهذه الآية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها.

والقرآنُ مملوءٌ من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوعٍ وقومٍ قد خَلوا من قبلُ، ولم يُعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحولُ بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله، إنْ كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلُهم أو شرٌّ منهم أو دونهم، وتناولُ القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ثم قال: ومن أنواعه – أي: الشرك – طلبُ الحوائج من الموتىٰ والاستغاثةُ بهم.

وهذا أصلُ شرك العالم. فإنَّ الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا لمن استغاث به وسأله أنْ يشفع له إلىٰ الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده؛ فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلَّا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب كمالُ التوحيد، فجاء هذا المشركُ بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها، وهذه حالةُ كلِّ مشرك.

فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلىٰ التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداءُ الرسل في كلِّ زمانٍ ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم.

وما نجا مِن شَرَك هذا الشرك الأكبر إلَّا من جَرّد توحيده لله، وعادىٰ المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلىٰ الله، واتخذ اللهَ وحده وليه وإلهه ومعبوده.

فجرَّد حُبَّه لله وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكُّله علىٰ الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلىٰ الله، واستغاثته بالله، وقصده لله، متبعًا لأمره، مُتطلِّبًا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله. فهو لله وبالله ومع الله. انتهىٰ كلامه رحمه الله.

وهذا الذي ذكره هذا الإمام: هو حقيقةُ دينِ الإسلام، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ: قال أبو العباس: نفىٰ الله عمَّا سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفىٰ أنْ يكون لغيره ملْكٌ أو قسطٌ منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبقَ إلَّا الشفاعة. فبيّن أنها لا تنفعُ إلَّا لمن أذن له الرب، كما قال:** ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعةُ التي يظنها المشركون: هي مُنتفيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبيُّ ﷺ: أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمَدُه لا يبدأ بالشفاعة أولًا. ثم يقال له: «**ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسمَعْ وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[(١)].

وقال له أبو هريرة: من أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[(٢)] فتلك الشفاعةُ لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقتهُ: أن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي يتفضَّل علىٰ أهل الإخلاص، فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أذن له أنْ يشفع، ليُكرمَه وينال المقام المحمود. فالشفاعةُ التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعةَ بإذنه في مواضع. وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنها لا تكون إلَّا لأهل التوحيد والإخلاص.

ش: قوله: **(قال أبو العباس)**: هذه كُنيةُ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني إمام المسلمين رحمه الله.

قوله: (وقال له أبو هريرة) إلىٰ آخره. هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة.

ورواه أحمدُ وصححه ابنُ حبان، وفيه: «**وَشَفَاعَتِي لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ**»[(٣)].

---

(١) **صحيح:** وهو جزء من حديث الشفاعة الطويل رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) **صحيح:** وهو الآتي تخريجه.

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٩٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» كما في «تحفة الأشراف» (٩/ ٤٨٣)، وأحمد (٣/ ٣٠٧، ٥١٨)، وابن حبان (٢٥٩٤ - موارد).

وشاهدُه في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا**»(١).

وقد ساق المُصنِّفُ رحمه الله كلام شيخ الإسلام هنا، فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا الباب من الآيات، وهو كافٍ وافٍ بتحقيق مع الإيجاز. والله أعلم.

وقد عرّف الإخلاص بتعريفٍ حسن، فقال: الإخلاصُ: محبّةُ الله وحده، وإرادةُ وجهه.

وقال ابنُ القيم رحمه الله في معنىٰ حديث أبي هريرة: تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته: تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أنَّ الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلَب النبيُّ ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أنَّ سبب الشفاعة تجريدُ التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومن جهْل المشرك اعتقادُه أنَّ من اتخذه وليًّا أو شفيعًا، أنه يشفعُ له وينفعه عند الله، كما يكون خواصُّ الملوك والولاة تنفع مَن والاهم.

ولم يعلموا أنه لا يشفعُ عنده أحدٌ إلَّا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلَّا لمن رضي قوله وعمله، كما قال في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وبقي فصلٌ ثالث، وهو أنه لا يرضىٰ من القول والعمل إلَّا توحيده واتباع رسوله ﷺ. فهذه ثلاثةُ فصول تقطع شجرة الشرك من قلب مَن وعاها وعقلها. انتهىٰ.

وذكر أيضًا رحمه الله أنَّ الشفاعة ستةُ أنواع:

الأول: الشفاعةُ الكبرىٰ التي يتأخَّرُ عنها أُولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتىٰ تنتهي إليه ﷺ، فيقول: «أَنَا لَهَا»(٢)، وذلك حين يرغبُ الخلائقُ إلىٰ الأنبياء، ليشفعوا لهم إلىٰ ربهم حتىٰ يُريحهم من مقامهم في الموقف. وهذه شفاعةٌ يختصُّ بها لا يشركه فيها أحد.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٩).

(٢) **صحيح:** وهو جزء من الحديث الطويل في «الشفاعة العظمىٰ». رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

الثاني: شفاعتُه لأهل الجنة في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه(١).

الثالث: شفاعتُه لقومٍ من العُصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفعُ لهم أن لا يدخلوها.

الرابع: شفاعتُه في العُصاة من أهل التوحيد، الذين يدخلون النار بذنوبهم.

والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ. وقد أجمع عليها الصحابةُ وأهلُ السنة قاطبة، وبدّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كلِّ جانب ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعتُه لقومٍ من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم يُنازِع فيها أحد.

وكلها مختصةٌ بأهل الإخلاص، الذين لم يتخذوا من دون الله وليًّا ولا شفيعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[الأنعام: ٥١].

السادس: شفاعتُه في بعض الكُفَّار من أهل النار حتىٰ يُخفَّف عذابه، وهذه خاصةٌ بأبي طالب وحده(٢).

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرىٰ، وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد فإذا أُذن له شَفَع.

السادسة: مَنْ أَسعدُ الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشركَ بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

---

(١) صحيح: وتقدم تخريجه قريبًا.

(٢) صحيح: ذلك عند مسلم (٢٠٩) من حديث العباس بن عبد المطلب.

(١٧)

بَابُ: قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالىٰ:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

ش: سبب نزول هذه الآية: موتُ أبي طالب علىٰ ملَّة عبد المطلب، كما سيأتي بيانُ ذلك في حديث الباب.

قال ابنُ كثير: يقول تعالىٰ لرسوله: إنك يا محمد ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء. وله الحكمةُ البالغة، والحجة الدامغة، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

قلتُ: والمنفيُّ هنا هدايةُ التوفيق والقبول، فإنَّ أمر ذلك إلىٰ الله، وهو القادرُ عليه. وأمَّا الهداية المذكورة في قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورىٰ: ٥٢] فإنها هدايةُ الدلالة والبيان، فهو المبيِّنُ عن الله، والدالُّ علىٰ دينه وشرعه.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في «الصحيح» عن ابن المسيَّب عن أبيه، قال: لما حضرَتْ أبا طالب الوفاة، جاءه رسولُ الله ﷺ وعنده عبدُ الله بن أبي أُميَّة وأبو جهل، فقال له: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ». فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا. فكان آخِرُ ما قال: هو علىٰ مِلَّة عبد المطلب، وأبىٰ أنْ يقول: لا إله إلَّا الله. فقال النبيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فأنزل الله عز وجل:** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]. **وأنزل الله في أبي طالب:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[1].

ش: قوله: (في **«الصحيح»**) أي: في «الصحيحين».

وابن المسيب: هو سعيدُ بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القُرشي المخزومي، أحدُ العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين. اتفق أهلُ الحديث على أنَّ مراسيله أصحُّ المراسيل. وقال ابنُ المديني: لا أعلمُ في التابعين أوسع علمًا منه. مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين.

وأبوه المسيب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه وكذا جدُّه حَزْن، صحابيٌّ استُشْهِدَ باليمامة.

قوله: (لَمَّا حضرت أبا طالب الوفاة) أي: علاماتُها ومقدماتها.

قوله: (جاءهُ رسول الله ﷺ) يُحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين. فإنهما من بني مخزوم، وهو أيضًا مخزومي، وكان الثلاثةُ إذ ذاك كفارًا، فقُتل أبو جهل على كفره، وأسلم الآخران.

قوله: «يَا عَمِّ» منادى مُضاف يجوز فيه إثباتُ الياء وحذفها، حُذفت الياءُ هُنا، وبقيت الكسرة دليلًا عليها.

قوله: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أمره أنْ يقولها، لِعلم أبي طالب بما دلَّت عليه: من نفي الشرك بالله، وإخلاص العبادة له وحده.

فإنَّ من قالها بعلمٍ ويقين فقد برئ من الشرك والمشركين ودخل في الإسلام؛ لأنهم يعلمون ما دلَّت عليه، وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة إلَّا مسلمٌ أو كافر. فلا يقولها إلَّا من ترك الشرك وبرئ منه.

ولما هاجر النبيُّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة: كان فيها المسلمون الموحدون، والمنافقون الذين يقولونها بألسنتهم وهم يعرفون معناها، لكن لا يعتقدونه، لما في قلوبهم من العداوة والشك والريب، فهم مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن.

وفيها اليهود؛ وقد أقرَّهم رسولُ الله ﷺ لَمَّا هاجر، ووادعهم بأن لا يخونوه ولا

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

يُظاهروا عليه عدوًّا كما هو مذكورٌ في كُتب الحديث والسِّير.

قوله: «كَلِمَةً» قال القرطبي: بالنصب علىٰ أنه بدلٌ من: لا إله إلَّا الله، ويجوز الرفع علىٰ أنه خبرُ مبتدأ محذوف.

قوله: «أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله» هو بتشديد الجيم من المحاجة، والمراد بها بيان الحجة بها، لو قالها في تلك الحال.

وفيه: دليلٌ علىٰ أنَّ الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها في تلك الحال معتقدًا ما دلَّت عليه مطابقة من النفي والإثبات لنفعته.

قوله: (فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟) ذكَّراه الحجَّةَ الملعونة، التي يحتج بها المشركون علىٰ المرسلين، كقول فرعون لموسىٰ: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝﴾ [طه: ٥١]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٢٣].

قوله: (فأعاد عليه النبيُّ ﷺ فأعادا)[1] فيه: معرفتُهما معنىٰ: لا إله إلَّا الله؛ لأنهما عرفا أنَّ أبا طالب لو قالها لتبرأ من ملَّة عبد المطلب. فإنَّ ملَّة عبد المطلب هي الشرك بالله في إلهيته. وأمَّا الربوبيةُ فقد أقروا بها كما تقدم. وقد قال عبدُ المطلب لأَبْرهَة: أنا ربُّ الإبل، والبيتُ له ربٌّ يمنعه منك.

وهذه المقالة منهما عند قول النبي ﷺ لعمه «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» استكبارًا عن العمل بمدلولها. كما قال الله تعالىٰ عنهما، وعن أمثالهما من أولئك المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦] فردَّ عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [الصافات: ٣٧].

فبيَّن تعالىٰ أنَّ استكبارهم عن قول: لا إله إلَّا الله؛ لدلالتها علىٰ نفي عبادتهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله؛ فإنَّ دلالة هذه الكلمة علىٰ نفي ذلك دلالةُ تضمُّن،

---

(١) في قرة العيون: فيه مضرة أصحاب السوء والحذر من قربهم والاستماع لهم. ففيه معنىٰ قول الناظم:

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ... ولا تصحب الأردىٰ فتردىٰ مع الردىٰ

[الفقي]

ودلالتها عليه وعلىٰ الإخلاص دلالةُ مطابقة.

ومن حكمة الرب تعالىٰ في عدم هداية أبي طالب إلىٰ الإسلام ليبيِّن لعباده أنَّ ذلك إليه، وهو القادرُ عليه دون من سواه.

فلو كان عند النبي ﷺ - الذي هو أفضلُ خلقه - من هداية القلوب وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيءٌ: لكان أحقَّ الناس بذلك وأولاهم به عمُّه الذي كان يحوطُه ويحميه وينصره ويؤويه، فسبحان من بَهَرَتْ حكمتُه العقول! وأرشد العباد إلىٰ ما يدلهم علىٰ معرفته وتوحيده، وإخلاص العمل له وتجريده.

قوله: (فكان آخرُ ما قال) الأحسن فيه الرفعُ علىٰ أنَّه اسمُ كان. وجملةُ هو وما بعدها الخبر.

قوله: (هو علىٰ ملة عبد المطلب) الظاهرُ أنَّ أبا طالب قال: أنا، فغيَّره الراوي استقباحًا للفظ المذكور، وهي من التصرفات الحسنة، قاله الحافظ.

قوله: (وأبىٰ أن يقول: لا إله إلَّا الله) قال الحافظ: هذا تأكيدٌ من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

قال المُصَنِّفُ: وفيه الردُّ علىٰ من زعم إسلامَ عبد المطلب وأسلافِه، ومضرَّةُ أصحاب السوء علىٰ الإنسان، ومضرَّةُ تعظيم الأسلاف.

أي: إذا زاد علىٰ المشروع بحيثُ تُجعلُ أقوالهم حجة يُرجع إليها عند التنازع.

قوله: (فقال النبي ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ») قال النووي: وفيه جوازُ الحَلِف من غير استحلاف. وكأنَّ الحلف هنا لتأكيد العزم علىٰ الاستغفار تطييبًا لنفس أبي طالب. وكانت وفاةُ أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل.

قال ابنُ فارس: مات أبو طالب، ولرسول الله ﷺ تسعٌ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا.

وتوفيت خديجةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام.

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ما ينبغي لهم ذلك. وهو خبرٌ بمعنىٰ النهي، والظاهرُ أنَّ هذه الآية نزلت في أبي طالب. فإنَّ الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: **(فأنزل الله)** بعد قوله: **«لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»** يفيد ذلك.

وقد ذكر العلماءُ لنزول هذه الآيةِ أسبابًا أُخر، فلا منافاة؛ لأن أسباب النزول قد تتعدد.

قال الحافظ: أمَّا نزولُ الآية الثانية، فواضحٌ في قصة أبي طالب. وأمَّا نزول الآيـة التـي قبلها ففيه نظر.

ويظهر أنَّ المراد: أنَّ الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالبٍ بمدة، وهي عامةٌ في حقه وحق غيره.

ويوضِّحُ ذلك ما يأتي في التفسير[1]: فأنزل الله بعد ذلك ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة: ١١٣] الآية. ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2].

كلُّه ظاهر في أنه مات علىٰ غير الإسلام. ويُضَعِّفُ ما ذكره السُّهَيلي: أنه رأىٰ في بعض كُتب المسعودي أنه أسلم؛ لأن مثل ذلك لا يُعارِضُ ما في الصحيح. انتهىٰ.

وفيه: تحريمُ الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم، لأنه إذا حـرُم الاسـتغفارُ لهـم فموالاتهم ومحبتهم أولىٰ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[القصص: ٥٦].

---

(١) ساق البخاري قصة موت أبي طالب في كتاب الجنائز في الباب الحادي والثمانين. ولم يتكلم عليه الحافظ في الفتح، بل حوله إلىٰ التفسير. وساقه في تفسير سورة براءة فحول الحافظ تفصيل القول فيه إلىٰ سورة القصص.[الفقي].

(٢) الهداية تطلق علىٰ خلق الهدىٰ في القلب وتحويله مـن الـضلال والكفـر والفـسوق إلىٰ الهـدىٰ والإيـمان والطاعـة، وتسديده علىٰ صراط الله المستقيم وتثبيته عليه، وهذه مختصة بالله تعالىٰ؛ لأنه هو الذي يقلـب القلـوب ويـصرفها، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء. ومن يهد الله فما له من مضل، ومن يضلل فما له من هاد. وهي المنفية في الآية عن النبيﷺ وعن غيره من باب أولىٰ. فمن ادعاها من مشايخ الطرق الصوفية ونحوهم، وزعم أنـه يـدخل قلـوب مريديـه وتلاميذه ويعلم ما فيها ويصرفها علىٰ ما يريد، فهو كاذب ضال مضل. ومن صدق ذلك فهو ضال مكذب لله ولرسوله.

وتطلق علىٰ العلم والدلالة والإرشاد بالقرآن ونحوه علىٰ طريق النجاة والسعادة، وهـذه يقـدر عليهـا المخلـوق وهـي المثبتة للنبيﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾[الشورىٰ: ٥٢].

وقد أوجب الله علىٰ أهل العلم أن يقوموا بها فيرشدوا الناس ويهـدوهم بـالأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر إلىٰ صراط الله المستقيم. وأكثر الناس لا يميز الفرق بين الهدايتين. فبعضهم يعتدي علىٰ الحدود وبعضهم يترك الأمـر بـالمعروف والنهـي عن المنكر، محتجًّا بالآيـة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝﴾[القصص: ٥٦] الآية. وهذا وذاك جهل وضلال.[الفقي].

الثانيــة: تفسير قولـه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التوبة: ١١٣].

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة، تفسير قوله: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» بخلاف ما عليه مَنْ يَدَّعي العلم[1].

الرابعة: أن أبا جَهْل وَمَنْ معه يعرفون مراد النبيِّ ﷺ إذ قال للرجل: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» فَقَبَّحَ الله مَن أبو جَهْل أعلمُ منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جِدُّه ﷺ ومُبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الردُّ علىٰ منْ زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغْفَر له، بل نُهِيَ عن ذلك.

الثامنة: مَضَرَّةُ أصحاب السوء علىٰ الإنسان.

التاسعة: مَضَرَّةُ تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: استدلال الجاهلية بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأملُ في كبَر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأنَّ في القصة أنهم لم يجادلوه إلَّا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

---

(١) كثير من أدعياء العلم يجهلون ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فيحكمون علىٰ كل من تلفظ بها بالإسلام ولو كان مجاهرًا بالكفر الصراح، كعبادة القبور والموتىٰ والأوثان، واستحلال المحرمات المعلوم تحريمها من الدين ضرورة، والحكم بغير ما أنزل الله واتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، ولو كانت لهؤلاء الجهلة قلوب يفقهون بها لعلموا أن معنىٰ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: البراءة من عبادة غير الله، وإعطاء العهد والميثاق بالقيام بأداء حق الله في العبادة، يدل علىٰ ذلك قول الله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقد شهد النبي ﷺ للخوارج بكثرة الصلاة والصيام وقراءة القرآن المشحون بـ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. ومع ذلك فقد حكم عليهم بالكفر وبأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وقال: «**لَوْ أَدْرَكْتُهُمْ لَقَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ**» كما في الصحيحين. ولو كان مجرد التلفظ بـ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ كافيًا، ما وقعت الحرب والعداء بين الرسول ﷺ وبين المشركين الذين كانوا يفهمون ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أكثر مما يفهمها أدعياء العلم في هذا الزمن. ولكن طبع الله علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون. [الفقي].

(١٨)

باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب ما جاء أنَّ سبب كُفرِ بني آدم وتركِهم دينَهم هو الغلوُّ في الصالحين.

ش: قوله: (**تركهم**) بالجر عطفًا علىٰ المضاف إليه. وأراد المصنفُ - رحمه الله تعالىٰ -: بيانَ ما يؤول إليه الغلو في الصالحين، من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظمُ ذنب عُصي الله به، وهو ينافي التوحيد الذي دلَّت عليه كلمةُ الإخلاص: شهادة أنْ لا إله إلَّا الله.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله** عز وجل: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

ش: الغلو: هو الإفراطُ في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوقَ عن منزلته التي أنزله الله، فتنزّلوه المنزلةَ التي لا تنبغي إلَّا لله.

والخطابُ: وإنْ كان لأهل الكتاب، فإنَّه عامٌّ يتناول جميعَ الأمة، تحذيرًا لهم أنْ يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام، واليهود في العُزير[1]، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦] ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي**

---

(١) **في قرة العيون:** وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذه الأمة نظمًا ونثرًا كما في كلام البوصيري والبرعي وغيرهما، وفيما فعلوه من الغلو والشرك محادة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ، فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة من قول من قال للنبي ﷺ: أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فكره ذلك ﷺ أشد الكراهة؟ كما سيأتي في الكلام علىٰ هذا الحديث - إن شاء الله تعالىٰ -، وقول القائل: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».[الفقي] .

كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ»[(١)] ويأتي.

فكلُّ من دعا نبيًّا أو وليًّا من دون الله، فقد اتخذه إلهًا، وضاهىٰ النصارىٰ في شركهم، وضاهىٰ اليهود في تفريطهم.

فإنَّ النصارىٰ غلوْا في عيسىٰ عليه السلام، واليهود عادَوه وسبُّوه وتنقَّصوه. فالنصارىٰ أفرطوا، واليهودُ فرَّطوا. وقد قال تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[المائدة: ٧٥] الآية. ففي هذه الآية وأمثالها: الردُّ علىٰ اليهود والنصارىٰ.

قال شيخ الإسلام: ومن تشبَّه من هذه الأمة باليهود والنصارىٰ، وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم.

قال: وعليٌّ رضي الله عنه حرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كِندة[(٢)] فقذفهم فيها. واتفق الصحابةُ علىٰ قتلهم. لكنَّ ابن عباس مذهبه أن يُقتلوا بالسيف من غير تحريق. وهو قولُ أكثر العلماء.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في «الصحيح» عن ابن عباس في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] قال: هذه أسماءُ رجال صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبدْ، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت[(٣)].**

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٣٤٤٥)، وسيأتي.

(٢) باب من أبواب الكوفة. الغلاة المحرَّقون: هم عبد الله بن سبأ اليهودي وأتباعه. قالوا: إن عليًّا إلههم، فنهاهم فلم ينتهوا فحرقهم. وإنما أراد ابن سبأ بذلك إحداث فتنة، وخلق شيع، وفتح ثغرة في صفوف المسلمين. وقد حدث ما أراد هذا اليهودي الملعون. ووجد في الناس كثيرًا ممن أطاعه وأله عليًّا وأبناءه وكفر بالله ورسوله وعادىٰ عليًّا والمؤمنين. ولا حول ولا قوة إلَّا بالله. [الفقي].

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٠)، وعن عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٤٣)، وعزاه صاحب «الدر المنثور» إلىٰ ابن مردويه وابن المنذر، وهذا الأثر قد تكلم فيه، وانظر تحرير ذلك في «فتح الباري» (٨/ ٦٦٧ - ٦٦٨).

ش: قوله: (**في «الصحيح»**) أي: «صحيح البخاري».

وهذا الأثرُ اختصره المُصنِّفُ ﵀. ولفظ ما في البخاري عن ابن عباس: صارت الأوثانُ التي في قوم نوح في العرب بعدُ. أمَّا وَدٌّ: فكانت لكلْب بَدوْمَةِ الجندَل. وأمَّا سُواعٌ: فكانت لهُذيل. وأمَّا يَغوثُ: فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجُرف عند سبأ. وأمَّا يعوق: فكانت لهَمدان. وأمَّا نسرٌ: فكانت لِحميرَ لآل ذي الكَلاع، أسماءُ رجالٍ صالحين في قوم نوح. إلىٰ آخره.

وروي عن عكرمة والضَّحاك وابن إسحاق نحو هذا.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسىٰ، عن محمد بن قيس: أنَّ يغوث ويعوق ونسرًا كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم. فلـمَّا ماتوا قال أصحابهم: لو صوَّرناهم كان أشوقَ لنا إلىٰ العبادة؛ فصوَّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر. فعبدوهم[(١)].

قوله: (**أنِ انصِبوا**) هو بكسر الصاد المُهملة.

قوله: (**أنصابًا**) جمع نُصب، والمراد به هنا: الأصنامُ المصوَّرة علىٰ صور أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم، وسمَّوها بأسمائهم.

وفي سياق حديث ابن عباس: ما يدلُّ علىٰ أنَّ الأصنام تُسمَّىٰ أوثانًا. فاسمُ الوثن، يتناول كلَّ معبودٍ من دون الله، سواء كان ذلك المعبودُ قبرًا أو مَشهدًا أو صورةً أو غير ذلك[(٢)].

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٢٩/ ٩٨، ٩٩)، وفي إسناده ابن حميد وهو ضعيف.

(٢) **في قرة العيون**: فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير علىٰ صور الصالحين سلمًا إلىٰ عبادتها. وكل ما عبد من دون الله، من قبر أو مشهد، أو صنم، أو طاغوت، فالأصل في عبادته هو الغلو. كما لا يخفىٰ علىٰ ذوي الأبصار. كما جرىٰ لأهل مصر وغيرهم؛ فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي، وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة. ومع هذا فصار أعظم آلهتهم مع أنه لا يعرف إلَّا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل. ذكره السخاوي عن أبي حيان. فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون، ويطفئ الحريق وينجي الغريق، وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب، وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة.
=

قوله: (حتىٰ إذا هلك **أُوْلَئِكَ**) أي: الذين صوَّروا تلك الأصنام.

قوله: (**ونُسي العلم**). ورواية البخاري: وتَنَسَّخَ. وللكُشْمِيْهَنِيّ: ونُسخ العلم. أي: درست آثارهُ بذهاب العلماء، وعمَّ الجهلُ حتىٰ صاروا لَا يُميِّزون بين التوحيد والشرك، فوقعوا في الشرك ظنًّا منهم أنه ينفعهم عند الله.

قوله: (**عُبدت**) لما قال لهم إبليس: إنَّ من كان قبلكم كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر.

فهو الذي زَيَّن لهم عبادة الأصنام، وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة. كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ - ٦٢].

وهذا يفيد الحذرَ من الغلُّو ووسائل الشرك، وإنْ كان القصد بها حسنًا. فإنَّ الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والإِفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة: أظهر لهم البدع والغلو في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم؛ ليوقعهم

=

وفيهم من يسجد علىٰ عتبة حضرته. وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني، كما يعتقد أهل مصر في البدوي. وعبد القادر من متأخري الحنابلة وله كتاب «الغنية»، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة أفضل منه في العلم والزهد، لكن فيه زهد وعبادة، وفتنوا به أعظم فتنة. كما جرىٰ من الرافضة مع أهل البيت.

وسبب ذلك الغلو دعوىٰ أن له كرامات، وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين، وهكذا حال أهل الشرك مع من فتنوا به.

وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي، وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيره، وجرىٰ في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا. وفي الحجاز واليمن وغيرهما، من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوىٰ، كعبادتهم للجن وطلبهم للشفاعة منهم. والأصل في ذلك الغلو تزيين الشيطان.

وذكر أهل السير أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك)، حتىٰ كان عمرو بن لحي الخزاعي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال: (لبيك لا شريك لك)، فقال الشيخ: (إلا شريكًا هو لك). فأنكر ذلك عمرو وقال: ما هذا؟ فقال الشيخ: (تملكه وما ملك). فإنه لا بأس بهذا. فقالها عمرو. فدانت بها العرب. [الفقي].

فيما هو أعظم من ذلك، من عبادتهم لهم من دون الله[(١)].

وفي رواية أنهم قالوا: ما عَظَّم أوّلُنا هؤلاء إلَّا وهم يرجون شفاعتهم عند الله. أي: يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوَّروا تلك الأصنام على صورهم وسمَّوها بأسمائهم.

ومن هُنا يُعلم أنَّ اتخاذ الشفعاء، ورجاءَ شفاعتهم بطلبها منهم: شركٌ بالله، كما تقدمَ بيانُه في الآيات المحكمات.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابنُ القيم: قال غيرُ واحد من السَّلف: لَمَّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال علَيهم الأمدُ فعبدوهم.**

ش: قوله: (**وقال ابن القيم**) هو الإمامُ العلَّامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الدِّمشقي، المعروف بابن قيِّم الجوزية.

قال الحافظُ السَّخاوي: العلَّامةُ الحجة، المتقدِّمُ في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان، المجمعُ عليه بين الموافق والمخالف، صاحبُ التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة. مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

قوله: (وقال غيرُ واحد من السلف) هو بمعنى ما ذكره البخاريُّ وابنُ جرير إلَّا أنه

---

(١) وما جر إلى هذا الغلو الذي أدى إلى عبادتهم من دون الله إلَّا تعظيم قبورهم؛ وبناء القباب عليها، وسترها بالأستار، وإيقاد السرج، وقيام السدنة وشياطين الإنس عندها لدعوة الناس إلى عبادتها بأنواع النذور فيعود عليهم من تلك الأموال. وإلا فكم من عباد صالحين من الصحابة وأفاضل العلماء الذين كان لهم قدم صدق في الإسلام مدفونون في مقابر مصر والشام وغيرهما، هم أفضل آلاف المرات من أمثال البدوي والدسوقي، بل نعالهم أشرف وأكرم من هذا البدوي وأضرابه - لا يعرفهم هؤلاء المشركون؛ لأنهم لم ينصب على قبورهم تلك الأنصاب ولم تتخذ عليها تلك الأوثان. ولذلك كان الذي يزعم أنه - يزور للموعظة وتذكر الدار الآخرة -، تلك القبور التي نصبت عليها هذه الأنصاب والمقاصير من أجهل الناس وأبعدهم عن هدي الإسلام الذي لا يعرف تلك القباب، وإنما يعرف القبور التي لا يبنى عليها ولا يكتب عليها ولا تستر بالأستار الحرير وغيرها؛ فإنه من أمحل المحال الاتعاظ بهذه الأوثان والأنصاب، ومن أعظم الجهل أن تسمى هذه قبورًا تسن زيارتها كما تسن زيارة القبور التي وصفها رسول الله ﷺ وأمر بها. فنسألك اللهم أن تعجل بهدم هذه الأوثان وتطهير الأرض منها كلها تحقيقًا لما أمر به نبيك ﷺ وبعث به علي بن أبي طالب إلى اليمن صيانة للتوحيد من قذر الشرك الذي أعظم أسبابه هذه القبور. [الفقي]

ذكر عكوفَهم علىٰ قبورهم قبل تصويرهم تماثيلهم.

وذلك من وسائل الشرك، بل هو شرك؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة. فإذا عكفوا علىٰ القبور صار عكوفهم تعظيمًا ومحبة: عبادةً لها.

قوله: (ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوهم). أي: طال عليهم الزمان. وسبب تلك العبادة والموصل إليها: هو ما جرىٰ من الأولين، من التعظيم في العكوف علىٰ قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك أوثانًا تعبدُ من دون الله، كما ترجم به المصنفُ رحمه الله تعالىٰ.

فإنهم تركوا بذلك دينَ الإسلام، الذي كان أولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا الشرك.

فكفروا بعبادة تلك الصور، واتخاذهم شفعاء. وهذا أوَّلُ شرك حدث في الأرض.

قال القرطبي: وإنما صوّر أوائلُهم الصور ليتأسوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم. ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها انتهىٰ.

قال ابنُ القيم: وما زال الشيطانُ يُوحي إلىٰ عُبَّاد القبور ويُلقي إليهم أنَّ البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأنَّ الدعاء عندها مُستجاب، ثم ينقلُهم من هذه المرتبة إلىٰ الدعاء به، والإقسام علىٰ الله به، فإن شأن الله أعظمُ من أنْ يُقْسم عليه أو يُسأل بأحدٍ من خلقه.

فإذا تقرَّر ذلك عندهم: نقلهم منه إلىٰ دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تُعلَّقُ عليه القناديلُ والستور، ويُطاف به ويُستلم ويُقبَّل، ويُحج إليه ويذبح عنده!

فإذا تقرَّر ذلك عندهم: نقلهم منه إلىٰ دعاء الناس إلىٰ عبادته، واتخاذِه عيدًا ومنسكًا، ورأوا أنَّ ذلك أنفعُ لهم في دنياهم وأُخراهم.

وكلُّ هذا مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، أنه مضادٌّ لما بعث الله به رسوله ﷺ: من تجريد التوحيد، وأنْ لا يُعبد إلَّا الله.

فإذا تقرَّر ذلك عندهم: نقلهم منه إلىٰ أنَّ من نهىٰ عن ذلك فقد تنقَّص أهلَ الرتب

العالية وحطَّهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حُرمة لهم ولا قدر.

وغضب المشركون واشمأزَّت قلوبهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ [الزمر: ٤٥] وسرىٰ ذلك في نفوس كثيرٍ من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلىٰ العلم والدين، حتىٰ عادَوْا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفَّروا الناس عنهم، ووالَوْا أهلَ الشرك وعظَّموهم، وزعموا أنهم أولياءُ الله، وأنصار دينه ورسوله، ويأبىٰ الله ذلك ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]انتهىٰ كلامُ ابن القيم رحمه الله تعالىٰ.

وفي القصة فوائدُ ذكرها المصنفُ رحمه الله[1]:

منها:أنَّ من فهم هذا الباب وما بعده، تبيَّن له غربةُ الإسلام، ورأىٰ من قُدرة الله وتقليبه القلوب العجب.

ومنها:أنَّ أوَّلَ شرك حدث في الأرض، سببهُ محبةُ الصالحين. أي: المحبة التي فيها غُلوّ.

ومنها:معرفةُ أوَّل شيءٍ غُيِّر به دينُ الأنبياء.

ومنها:معرفةُ سبب قبول البدع، مع كون الشرائع والفِطر تُنكرها، وأنَّ سبب ذلك كلّه مَزْجُ الحق بالباطل، بأمرين:

الأول:محبةُ الصالحين.

والثاني:فِعلُ أُناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظنَّ من بعدهم أنهم أرادوا غيره.

ومنها:معرفة جبلّة الإنسان، في كون الحق ينقصُ في قلبه والباطل يزيد. أي: في الغالب.

ومنها:أنَّ فيها شاهدًا لما نُقل عن بعض السلف: أنَّ البدعة سبب الكفر، وأنها أحبُّ إلىٰ إبليس من المعصية؛ لأن المعصية قد يُتابُ منها، والبدعة لا يُتاب منها.

ومنها:معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسُن قصد الفاعل.

ومنها:معرفة القاعدة الكلية، وهي: النهي عن الغلو، ومعرفةُ ما يؤول إليه: أي:

---

(١) كان الشارح رحمه الله قد ذكرها بنقص السادسة والحادية عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة. فاكتفينا بنص المصنف رحمه الله لعدم التكرار. [الفقي]

من الشرك.

ومنها: النهيُ عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

ومنها: معرفةُ عظم شأن هذه القصة، وشدةِ الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

ومنها: وهي أعجب: قراءتُهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتُهم لمعنىٰ الكلام، وكون الله تعالىٰ حال بين قلوبهم، حتىٰ اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح هو أفضلُ العبادة، واعتقدوا أنَّ نهي الله ورسوله هو الكفر المُبيح للدم والمال.

يعني: لو نهاهم ناهٍ بنهي الله لهم عن الشرك، لكفَّروه واستحلوا دمه وماله بذلك.

ومنها: التصريحُ بأنهم لم يُريدوا إلا الشفاعة.

ومنها: ظنهم أنَّ الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك.

ومنها: التصريحُ بأنها لم تُعبد، حتىٰ نُسي العلم. **ففيها**: معرفةُ قدر وجوده ومضرّة فقده.

ومنها: أن سبب فقد العلم موت العلماء. انتهىٰ.

ومنها: ردُّ الشبه التي يُسمِّيها أهلُ الكلام عقليات، ويدفعون بها ما جاء به الكتابُ والسنة، من توحيد الصفات، وإثباتها علىٰ ما يليقُ بجلال الله وعظمته وكبريائه.

ومنها: مضرَّةُ التقليد.

ومنها: ضرورة الأمة إلىٰ ما جاء به الرسول ﷺ علمًا وعملًا بما يدلُّ عليه الكتاب والسنة، فإنَّ ضرورة العبد إلىٰ ذلك فوق كلِّ ضرورة.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ. إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»(١)(٢) أخرجاه.**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥)، ولم أقف عليه عند مسلم، ولم يعزه المزي في «تحفة الأشراف» إلىٰ مسلم واقتصر الشيخ سليمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد» علىٰ عزوه للبخاري.

(٢) حيث أن النبي ﷺ أخبر - وهو الصادق - أن بعض هذه الأمة يتبع سنن أهل الكتاب في اتباع الهوىٰ والقول علىٰ الله بلا علم، وابتداع دين لم يشرعه الله. فقد وقع ما نهىٰ عنه النبي ﷺ؛ فإن كثيرًا ممن ينتسب إلىٰ الإسلام يطري النبي غاية الإطراء، فيعتقد فيه أنه يعلم الغيب وأنه لا يخفىٰ عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء. وقد نفىٰ الله عنه ذلك فى القرآن، فقال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿قُل مَا =

ش: قوله: **(عن عمر)** هو ابنُ الخطاب بن نُفيل - بنون وفاء مصغَّرًا - العَدوي، أميرُ المؤمنين، وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنهما ولِيَ الخلافة عشر سنين ونصفًا، فامتلأت الدنيا عدلًا، وفُتحت في أيامه ممالكُ كسرىٰ وقيصر. واستُشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين.

قوله: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ» [1] الإطراء: مجاوزةُ الحدّ في المدح والكذب فيه. قاله أبو السعادات. وقال غيرهُ: أي: لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا

= كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] فكفروا به واعتقدوا ما أوحته إليهم الشياطين. وكثير منهم يعتقدون أنه يتصرف في الدنيا بعد موته ويزور من شاء في المشارق والمغارب. وقد بلغت الوقاحة بالدجال أحمد التيجاني أن زعم أن النبي ﷺ يحضر مجلس مكانه وتصديته ومجالس كل من اتبعه في طريقه الضال، فصار هؤلاء الزائفون إذا جلسوا للغط واللغو الذي يسمونه صلاة الفاتح، ويزعمون بوقاحتهم وفجورهم أن المرة الواحدة منها أفضل من القرآن ستة آلاف مرة. وينشرون ثوبًا أبيض في وسط حلقتهم ليجلس عليه النبي والخلفاء، وإنما زعم الدجال التيجاني هذا تمويهًا علىٰ أشباه الأنعام العامة ليتبعوه علىٰ دجله وباطله، ويريهم أنه أتىٰ بما لم يسبق إليه. وصدق فإنه لم يسبق إلىٰ هذه الوقاحة في الكفر فنعوذ بالله من عمىٰ القلوب، وشرع ما لم يأذن به الله. بل تكاد السموات يتفطرن منه. وبعضهم يعتقد أن النبي ﷺ يزوره ويشرع له من الدين ما يخالف شرعه الذي أتمه الله وأكمله وارتضاه دينًا قبل موته ﷺ ادعىٰ ذلك الشعراني في كتاب «العهود المحمدية». وزعم أن شيخه الخواص كان لا يفارق النبي ﷺ طرفة عين، وهذا كله كذب وبهتان. فكم وقع بين الصحابة من الخلافات ما كان أولىٰ أن يجيئهم فيها النبي ﷺ ليرجعهم فيها إلىٰ الصواب الذي يطفئ الفتنة، لو أمكن ظهوره. ولكنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور. وبعضهم يعتقد أن السموات والأرض وما بينهما مملوءة بالنبي، ولو كشفَ عنا الحجاب لرأيناه عيانًا، فإذا سمع أهل الغرور هذه الخرافة أفنوا أعمارهم في الخلوات يهمهمون ويزمزمون، وأنفقوا أموالهم كلها علىٰ الدجالين المشعوذين الذين أغووهم، كل ذلك طمعًا في المحال أن يروا النبي ﷺ عيانًا مالئًا السماء والأرض وما بينهما، وقد انجر بنا الكلام إلىٰ ذكر شيء من باطلهم تحذيرًا لمن لم يقع في حبائلهم وإنذارًا لمن وقع، وهذا نزر يسير مما نعرفه عنهم، وهو مسطور في كتبهم وأساطيرهم المطبوعة المنشورة، وليعلم الناظر في هذا أني كنت علىٰ عقيدتهم الخبيثة سنين فأنقذني الله منها علىٰ يد بعض المصلحين، فاستيقظت من نوع البدعة الذميمة فلاحت لي أنوار شمس السنة، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. [الفقي]

(١) في قرة العيون: كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] قوله: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**» أمرهم ﷺ أن لا يتجاوزوا هذا القول. وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه؛ لأن أشرف مقامات الأنبياء: العبودية الخاصة والرسالة. [الفقي]

الحدَّ في مدحي.

قوله:«**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**» أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي، كما غلت النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام فادّعَوْا فيه الإلهية. وإنما أنا عبدُ الله ورسوله، فَصِفُوني بذلك كما وَصَفَني ربِّي، فقولوا: عبدُ الله ورسوله.

فأبىٰ المشركون إِلَّا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، فعظَّموه بما نهاهم عنه وحذَّرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارىٰ في غُلُوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرىٰ منهم من الغلو والشرك شعرًا ونثرًا ما يطولُ عدُّه، وصنَّفوا فيه مصنفات.

وقد ذكر شيخُ الإسلام، عن بعض أهل زمانه [1]: أنه جوّز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنَّف في ذلك مصنفًا رده شيخُ الإسلام، وردُّه موجودٌ بحمد الله.

ويقول: إنه يعلمُ مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إِلَّا الله. وذكر عنهم أشياءَ من هذا النمط. نعوذُ بالله من عمىٰ البصيرة.

وقد اشتهر في نظم البُوصيري قوله:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ!!

وما بعده من الأبيات، التي مضمونُها: إخلاصُ الدعاء، واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات، وأعظم الاضطرار لغير الله.

فناقضوا الرسول ﷺ في ارتكاب ما نهىٰ عنه أعظم مناقضة، وشاقُّوا الله ورسوله أعظمَ مشاقة.

وذلك أنَّ الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم، في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه، وأظهر لهم التوحيدَ والإِخلاص، الذي بعثه الله به في قالب تنقُّصه.

---

(١) هو علي بن يعقوب بن جبريل البكري المتوفي يوم الاثنين سابع ربيع الآخر سنة ٧٢٤ هـ والرد عليه اسمه «تلخيص كتاب الاستغاثة» طبع بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٦هـ علىٰ نفقة جلالة إمام الموحدين ناصر السنة وقامع البدعة، الملك الصالح الموفق عبد العزيز آل سعود، أيده الله بنصره وأطال حياته المباركة في خدمة الإِسلام. ووفق ولي عهده المعظم صاحب السمو الملكي الأمير الأجل سعود إلىٰ مثل ما يقوم به والده العظيم من نشر راية الإِسلام وإعلاء كلمته، بطبع الكتب النافعة، وإقامة حدود الله. [الفقي]

وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشدَّ النهي، وفرَّطوا في متابعته، فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه ولا سلَّموا له، وإنما يحصلُ تعظيمُ الرسول ﷺ بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنَّته، والدعوة إلىٰ دينه الذي دعا إليه ونُصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه.

فعكس أولئك المشركون ما أراده الله ورسوله علمًا وعملًا، وارتكبوا ما نهىٰ الله عنه ورسوله. فالله المستعان.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ»**[1].

ش: هذا الحديث ذكره المصنفُ بدون ذكر راويه. وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس.

وهذا لفظُ أحمد[2]: عن ابن عباس، قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جَمْعٍ: «**هَلُمَّ الْقُطْ**». فلقطتُ له حصيات، هُنَّ حَصَىٰ الخَذْف. فلما وضعهن في يده، قال: «**نَعَمْ، بِأَمْثَالِ**

---

(١) **إسناده حسن:** رواه النسائي (٥/ ٢٦٨ - ٢٦٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١/ ٢١٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٨)، وسقط من إسناده زياد بن حصين، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٨٧١)، وابن الجارود في «المنتقىٰ» (٤٧٣)، وأبو يعلىٰ الموصلي (٢٤٢٧، ٢٤٧٢)، والطبراني (١٢٧٤٧)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، والبيهقي (٥/ ١٢٧)، وابن خزيمة (٢٨٦٧) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زياد بن الحصين ثنا أبو العالية الرياحي عن ابن عباس به، وفي الإسناد زياد بن الحصين روىٰ له مسلم حديثًا واحدًا وروىٰ عنه جماعة من الثقات، ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٨٣)، ورواه البيهقي (٥/ ١٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨)/ رقم (٧٤٢) من نفس الطريق إلَّا أنه جعله من طريق عبد الله ابن عباس عن أخيه الفضل بن عباس، وعند أحمد (١/ ٣٤٧)، وابن خزيمة (٢٨٦٨)، وذكر فيه شك عوف إذ قال: لا أدري الفضل أو عبد الله بن عباس، قال: فذكر الحديث، قال الشيخ أحمد شاكر: وشك عوف هنا في أن ابن عباس هو عبد الله أو أخوه الفضل لا يؤثر لأن أبا العالية تابعي قديم أدرك الجاهلية ورُوىٰ عمن هو أقدم من الفضل من الصحابة.

(٢) ورواه أيضًا الإمام أحمد وأبو داود، وإنما اقتصر المصنف علىٰ ما هو أرجح وأقوىٰ. [الفقي].

هَؤُلَاءِ فَارْمُوا. وَإِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالغُلُوِّ فِي الدِّينِ»[١].

قال شيخُ الإسلام: هذا عامٌّ في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال.

وسببُ هذا اللفظ العام: رمْيُ الجمار، وهو داخلٌ فيه، مثل الرمي بالحجارة الكبار؛ بناءً على أنه أبلغُ من الصغار.

ثم علله بما يقتضي مجانبةَ هَدْيِ من كان قبلنا؛ إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به. وأن المشارك لهم في بعض هديهم يُخاف عليه من الهلاك.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم، عن ابن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثًا**[٢].

ش: قال الخطَّابي: المتنطِّع: المتعمِّق في الشيء، المتكلِّف البحث عنه، على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولُهم.

ومن التنطع: الامتناع من المباح مُطلقًا، كالذي يمتنعُ من أكل اللحم والخبز، ومن لبْس الكتان والقطن، ولا يلبس إلَّا الصوف، ويمتنعُ من نكاح النساء، ويظنُّ أنَّ هذا من الزهد المستحب.

قال الشيخ تقيُّ الدين: فهذا جاهلٌ ضالٌّ. انتهى.

وقال ابنُ القيم رحمه الله: قال الغزالي: والمتنطعون في البحث والاستقصاء.

وقال أبو السعادات: هم المتعمقون، الغالون في الكلام، المتكلمون بأقاصي حلوقهم. مأخوذ من النطع، وهو الغارُ الأعلى من الفم، ثم استُعمل في كلِّ متعمِّق قولًا وفعلًا.

وقال النووي: فيه: كراهةُ التقعُّر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

قوله: (قالها ثلاثًا) أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغةً في التعليم والإبلاغ، فقد بلَّغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر رواية أحمد في التخريج السابق.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٧٠).

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: أن مَنْ فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأىٰ من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غُيِّرَ به دين الأنبياء، وما سبب ذلك، مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفِطَر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مَزْج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فِعْل أُناس من أهل العلم شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن مَن بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جِبِلَّة الآدمي[1] في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حَسُن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما تؤول إليه.

الحادية عشرة: مَضَرَّة العكوف علىٰ القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنىٰ الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتىٰ اعتقدوا أن فِعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهىٰ الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلَّا الشفاعة.

---

(١) الجبلة بكسرتين فلام مشددة وكخشبة أيضًا: الخلقة والطبيعة، والمعنىٰ أن الإنسان مجبول علىٰ نقصان الحق في قلبه وزيادة الباطل إلَّا من رحم الله، وأنزل في قلوبهم السكينة؛ فإن إيمانهم لا يزال يزيد ولا ينقص.[الفقي].

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ» فصلوات الله وسلامه علىٰ من بلّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتىٰ نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

❊ ❊ ❊

(١٩)
بَابُ: ما جاء من التغليظ فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** بابُ ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجلٍ صالحٍ، فكيف إذا عبده.

ش: أي: الرجلَ الصالحَ؛ فإنَّ عبادته هي الشركُ الأكبر. وعبادةُ الله عنده وسيلةٌ إلىٰ عبادته، ووسائلُ الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إلىٰ الشرك الأكبر، وهو أعظمُ الذنوب.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** في «الصحيح»: عن عائشة: أنَّ أمَّ سَلَمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة[1] وما فيها من الصُّور، فقال: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ - أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ -، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّروا فِيهِ تِلْكَ الصُّورِ، أُولئكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله»[2]. فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنةِ التماثيل.

ش: قوله: (في «الصحيح») أي «الصحيحين».

قوله: (أنَّ أمَّ سلمة) هي هندُ بنتُ أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم القُرشية المخزومية، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع. وقيل: ثلاث، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلىٰ الحبشة[3]، ماتت سنة اثنتين وستين.

قوله: (ذكرت لرسول الله ﷺ) وفي «الصحيحين»: أنَّ أمَّ حبيبة وأمَّ سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ. والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون: معبدُ النصارىٰ.

---

(١) لأن دين الحبشة: النصرانية. وقد أسلم النجاشي وجماعة من أهلها لما هاجر إليها جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين: الهجرة الأولىٰ. [الفقي].

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٣) ثم عادت مع زوجها أبي سلمة إلىٰ مكة، وهاجر أبو سلمة إلىٰ المدينة، وحبسها بنو المغيرة بمكة سنة، ثم لحقت بزوجها في المدينة، وتوفي أبو سلمة ﷺ سنة أربع من الهجرة. [الفقي].

قوله: «أُولَئِك» بكسر الكاف، خطابًا للمرأة.

قوله: «إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ - أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ -» هذا - والله أعلم - شك من بعض رواة الحديث: هل قال النبيُّ ﷺ هذا أو هذا؟ ففيه: التحرِّي في الرواية. وجوازُ الرواية بالمعنىٰ.

قوله: «وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ» الإشارةُ إلىٰ ما ذكرت أمُّ سلمة وأمُّ حبيبة من التصاوير التي في الكنيسة.

قوله: «أُولئكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله» وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد علىٰ القبور، وقد لُعن من فعل ذلك كما سيأتي.

قال البيضاوي: لَمَّا كانت اليهود والنصارىٰ يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم، ويجعلونها قبلةً يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثانًا لعنهم النبيُّ ﷺ.

قال القرطبي: وإنما صوَّر أوائلُهم الصُّور ليتأسَّوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. فحذَّر النبيُّ ﷺ عن مثل ذلك، سدًّا للذريعة المؤدية إلىٰ ذلك[1].

قوله: (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل). هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ذكره المصنفُ رحمه الله تنبيهًا علىٰ ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل؛ فإنَّ الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد.

قال شيخُ الإسلام: وهذه العلَّةُ التي لأجلها نهىٰ الشارعُ ﷺ عن اتخاذ المساجد علىٰ القبور؛ هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم: إمَّا في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك.

---

(١) في قرة العيون: ولم يذكر غير بناء المساجد والتصوير؛ لكونه ذريعة إلىٰ عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته، فبذلك صاروا شرار الخلق. فانظر إلىٰ ما وقع في هذه الأمة من ذرائع الشرك والوقوع فيه مما هو أعظم من هذا، كالبناء علىٰ القبور وتعظيمها وعبادتها ومع ذلك يعتقدونه دينًا وهو الشرك الذي حرمه الله، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب بالنهي عنه. [الفقي].

فإنَّ النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك؛ فإنَّ الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه أقربُ إلىٰ النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا تجدُ أهلَ الشرك يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السَّحَر، ومنهم من يسجدُ لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجون في المساجد.

فلأجل هذه المفسدة حسم النبيُّ ﷺ مادَّتها، حتىٰ نهىٰ عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإنْ لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقاتٌ يقصد المشركون فيها الصلاة للشمس، فنهىٰ أُمته عن الصلاة حينئذٍ وإن لم يقصد ما قصده المشركون، سدًّا للذريعة. وأمَّا إذا قصد الرجلُ الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عينُ المُحادّة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله.

فإنَّ المسلمين قد أجمعوا علىٰ ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ: أنَّ الصلاة عند القبور منهيٌّ عنها، وأنه ﷺ لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاةُ عندها واتخاذها مساجد، وبناءُ المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه. وقد صرَّح عامةُ الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها، متابعةً منهم للسُّنة الصحيحة الصريحة.

وصرَّح أصحابُ أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك. وطائفةٌ أطلقت الكراهة، والذي ينبغي: أن تُحمل علىٰ كراهة التحريم، إحسانًا للظن بالعلماء، وأنْ لا يُظن بهم أن يجوِّزوا فعلَ ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه، انتهىٰ كلامه رحمه الله.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما عنها** - أي: عن عائشة - قالت: لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِق يطرحُ خميصةً له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفَهَا فقال - وهو كذلكَ -: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحذِّر ما صنعوا. ولولا ذلك

أُبرز قبرُه، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا[1][2] أخرجاه.

ش: قوله: (ولهما) أي: البخاري ومسلم. وهو يغني عن قوله في آخره: أخرجاه.

قوله: (لما نُزِلَ) هو بضم النون وكسر الزاي. أي: نزل به مَلكُ الموت والملائكةُ الكرام عليهم السلام.

قوله: (طَفِق) بكسر الفاء وفتحها، والكسرُ أفصح. وبه جاء القرآن، ومعناه: جعل.

قوله: (خميصة) بفتح المعجمة والصاد المهملة. كساءٌ له أعلام.

قوله: (فإذا اغتمَّ بها كشفها) أي: عن وجهه.

قوله: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يبين أنَّ من فعل مثل ذلك حلَّ عليه من اللعنة ما حل علىٰ اليهود والنصارىٰ.

قوله: (يُحَذِّرُ ما صنعوا) الظاهر: أنَّ هذا من كلام عائشة ﵂؛ لأنها فهمت من قول النبي ﷺ ذلك تحذير أُمَّته من هذا الصنيع، الذي كانت تفعله اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم؛ فإنه من الغلو في الأنبياء، ومن أعظم الوسائل إلىٰ الشرك. ومن غُربة الإسلام: أنَّ هذا الذي لعن رسولُ الله ﷺ فاعليه - تحذيرًا لأمته أنْ يفعلوه معه ﷺ ومع الصالحين من أُمَّته - قد فعله الخلقُ الكثير من متأخري هذه الأمة، واعتقدوه قربةً من القُربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أنَّ ذلك محادَّةٌ لله ورسوله.

قال القُرطبي في معنىٰ هذا الحديث: وكلُّ ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلىٰ عبادة من فيها؛ كما كان السبب في عبادة الأصنام. انتهىٰ.

إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم، وتأمَّل قولَ الله تعالىٰ عن نبيه يوسف بن يعقوب، حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [يوسف: ٣٨] نكرة في سياق النفي تعمُّ كلَّ شرك.

قوله: (ولولا ذلك) أي: ما كان يُحْذَرُ من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدًا (لأُبرز قبرُه): مع

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٢) نُزِل: بضم النون وكسر الزاي، أي: نزل به علامات الوفاة، وخاف علىٰ أمته أن يتخذوا قبره مسجدًا، ويغلوا فيه فيشركون بالله كما فعل الذين لعنهم، فحذرهم من ذلك، جزاه الله خير الجزاء. [الفقي]

قبور أصحابه الذين كانت قبورهم في البقيع.

قوله: (غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا)[١] رُوي بفتح الخاء وضمها، فعلىٰ الفتح يكون هو الذي خَشىٰ ذلك ﷺ، وأمرهم أنْ يدفنوه في المكان الذي قُبض فيه. وعلىٰ رواية الضَّم: يحتمل أنْ يكون الصحابةُ هم الذين خافوا أنْ يقع ذلك من بعض الأمَّة غُلوًّا وتعظيمًا بما أبدىٰ وأعاد من النهي والتحذير منه ولعن فاعله.

قال القُرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تُربته وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقةً بقبره ﷺ.

ثم خافوا أنْ يُتَّخذ موضعُ قبره قبلةً إذ كان مستقبل المصلين، فتتصوَّر الصلاةُ إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من رُكني القبر الشماليّين وحرفوهما حتىٰ التقيا علىٰ زاوية مثلثة من ناحية الشمال؛ حتىٰ لا يتمكن أحد من استقبال قبره[٢]. انتهىٰ.

قال المُصَنِّفُ: وفيه من المسائل: ما ذكر الرسولُ ﷺ فيمن بنىٰ مسجدًا يُعبد الله فيه علىٰ قبر رجل صالح، ولو صحَّت نيةُ الفاعل.

---

(١) هذا هو الشاهد للترجمة؛ لأن النبي ﷺ لعنهم علىٰ تحري الصلاة عندها، وإن كان المصلي إنما يصلي لله. فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون؛ لأنه ذريعة إلىٰ عبادتها، فكيف إذا عبد المقبور فيها بأنواع العبادة، وسؤاله ما لا قدرة له عليه. وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها. وليست اللعنة خاصة باليهود والنصارىٰ لأشخاصهم أو أزمانهم أو أسمائهم، وإنما هي لأعمالهم، وكذلك من فعل فعلهم، فمن فعل ما هو أعظم من فعلهم أولىٰ باللعن، وإنما أراد ﷺ تحذير أمته أن يتعرضوا لما تعرض له اليهود والنصارىٰ من اللعنة؛ ولذلك قالت عائشة: «يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره». [الفقي].

(٢) وكان هذا الوضع قد جعل القبر لاصقًا بالجدار الذي فيه باب جبريل، ولكن قد أزيل هذا الوضع وأخلي حول القبر من جهاته الأربع، وأصبح كثير من المصلين يستقبلونه ممن يكون في الموضع الخاص بالأموات، وفي المكان الخاص بالنساء، وأصبح عرضة لأن يطاف به. وقد رأيت كثيرًا من العامة يطوفون به، ويحاولون التمسح به لولا منع الجند الذين خصصتهم الحكومة السعودية لذلك المنع، ومهما حرص الجند علىٰ أداء وظيفتهم، فلن يمكنهم ولا أي قوة أن تمنع هذا منعًا باتًّا، اللهم إِلَّا العلم الذي ينير قلوب الجمهور الإِسلامي ويعرفهم حقيقة محبة النبي ﷺ، وأنها إنما تكون باتباع دينه كما كان أصحابه ﷺ يفعلون، وهم أشد الناس حبًّا لله ولرسوله. وأن يعود الناس إلىٰ الأمر الأول الذي كان عليه السلف الصالح في كل شئونهم، فعند ذلك لا حاجة لجند ولا قوة. والله يهدي الناس إلىٰ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم. [الفقي].

ومنها: النهي عن التماثيل، بتغليظ الأمر.

ومنها: نهيه عن فعله عند قبره، قبل أنْ يُوجد القبر.

ومنها: أنه من سُنن اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم.

ومنها: لعنه إيَّاهم علىٰ ذلك.

ومنها: أنَّ مُراده بذلك تحذيره إيانا عن قبره.

ومنها: أنها هي العلة في عدم إبرازه. انتهىٰ

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم عن جُنْدُب بن عبد الله، قال: سمعتُ النبي ﷺ قبل أنْ يموت بخمسٍ وهو يقول: «إِنِّي أَبْـرَأُ إِلَىٰ الله أَنْ يَكُـونَ لِي مِـنْكُمْ خَلِيـلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[1]. فقد نهىٰ عنه في آخر حياته.**

ثم إنه لعن، وهو في السِّياق مَنْ فَعله. والصلاةُ عندها من ذلك، وإنْ لم يُبن مَسْجد.

وهو معنىٰ قولها: خشي أن يتخذ مسجدًا، فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا. وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا، بل كلُّ موضع يُصلَّىٰ فيه يُسمَّىٰ مسجدًا؛ كما قال ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»

ش: قوله: (عن جُندب بن عبد الله) أي: ابن سُفيان البجلي، وينسبُ إلىٰ جده، صحابيٌّ مشهور، مات بعد الستين.

قوله: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ الله أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ» أي: أمتنع عمَّا لا يجوز لي أنْ أفعله. والخُلَّة فوق المحبة. والخليل: هو المحبوب غاية الحب، مشتقٌّ من الخَلَّة - بفتح الخاء - وهي تَخلُّل المودة في القلب، كما قال الشاعر:

قَـدْ تَخَلَّلْـتَ مَسْلَكَ الـرُّوحِ مِـنِّي ... وَبِـذَا سُـمِّيَ الخَلِيـلُ خَلِيـلًا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٢)، وذكر الحديث، وفيه: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

هذا هو الصحيح في معناه. كما ذكره شيخُ الإسلام وابن القيم وابنُ كثير وغيرهم.

قال القُرطبي: وإنَّما كان ذلك؛ لأنَّ قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته، فلا يسعُ خُلَّة غيره.

قوله: «**فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا**» فيه: بيانُ أنَّ الخُلَّة فوق المحبة.

قال ابنُ القيم رحمه الله: وأمَّا ما يظنُّه بعض الغالطين من أن المحبة أكملُ من الخُلَّة، وأنَّ إبراهيم خليل الله، ومحمدًا حبيبُ الله، فمن جهلهم.

فإنَّ المحبة عامَّة، والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة. وقد أخبر النبي ﷺ: أن الله قد اتخذه خليلًا، ونفىٰ أنْ يكون له خليلٌ غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها، ولعمر بن الخطاب، وغيرهم. وأيضًا: فإنَّ الله يحبُّ التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين، وخُلَّته خاصةٌ بالخليلين.

قوله: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**» **فيه**: بيانُ أنَّ الصِّديق أفضلُ الصحابة.

وفيه: الردُّ علىٰ الرافضة وعلىٰ الجهمية وهما شرُّ أهل البدع، وأخرَجَهم بعضُ السلف من الثنتين والسبعين فرقة. وبسبب الرافضة حدث الشركُ وعبادة القبور، وهم أوَّل من بنىٰ عليها المساجد. قاله المصنف، وهو كما قال بلا ريب[1].

وفيه: إشارةٌ إلىٰ خلافة أبي بكر؛ لأن من كانت محبتهُ لشخص أشد كان أولىٰ به من

---

(١) فإن أول من فعل ذلك العبيديون الذين زعموا كذبًا أنهم فاطميون. شيدوا للحسين رضي الله عنه وبرأه الله منهم ومن شيعتهم ومحبيهم - قبرًا بالقاهرة، ورفعوا عليه قبة عظيمة وبنوا له المسجد المشهور الذي بالقاهرة، يقام فيه من الأعمال الشركية ما يغضب الله ورسوله وآل بيته وكل من في قلبه حب الله ورسوله والإيمان الصحيح. وقد صنف كثير من العلماء السالفين في بيان كذب أولئك العبيديين وبيان نحلتهم الكافرة الفاجرة، وأنهم كانوا يظهرون الرفض ويبطنون الكفر. وممن كتب في ذلك الإمام أبو بكر الباقلاني في كتاب نفيس سماه «كشف الأسرار وهتك الأستار»، والإمام ابن الجوزي وغيرهم. انظر في ذلك البداية والنهاية للعماد ابن كثير في حوادث سنة ٤٠٢ (جـ ١١ صـ ٢٤٩). [الفقي].

غيره. وقد استخلفه علىٰ الصلاة بالناس، وغضب ﷺ لما قيل: يصلي بهم عمر[(١)(٢)]، وذلك في مرضه الذي توفي فيه صلوات الله وسلامه عليه.

واسمُ أبي بكر: عبد الله بن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة الصّديقُ الأكبر، خليفةُ رسول الله ﷺ وأفضلُ الصحابة بإجماع من يُعتَدُّ بقوله من أهل العلم. مات في جُمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث عشرة، وله ثلاثٌ وستون سنة رضي الله عنه.

قوله: «**أَلَا**» حرفُ استفتاح «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» الحديث.

قال الخلخالي: وإنكارُ النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرّجُ علىٰ وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء، تعظيمًا لهم.

الثاني: أنهم يجوِّزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة، نظرًا منهم بذلك إلىٰ عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء. والأول: هو الشرك الجلي. والثاني: الخفيّ. فلذلك استحقُّوا اللعن.

قوله: (**فقد نهىٰ عنه في آخر حياته**). أي: كما في حديث جُنْدُب. وهذا من كلام شيخ الإسلام. وكذا ما بعده.

قوله: (**ثم إنه لعن، وهو في السياق**[(٣)] **مَن فعله**) كما في حديث عائشة.

قلتُ: فكيف يسوغُ بعد هذا التغليظ من سيد المرسلين أنْ تُعظَّم القبور ويُبنىٰ عليها، ويُصلىٰ عندها وإليها؟ هذا أعظم مشاقّة ومحادّة لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ لو كانوا يعقلون.

قوله: (**والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبن مسجد**). أي: من اتخاذها مساجد، الملعون

---

(١) الذي قال ذلك وعرضه: عائشة رضي الله عنها كما في صحيح البخاري: قالت: إن أبا بكر رجل أسيف، لا يملك نفسه إذا صلىٰ. فمر عمر يصلي بالناس. فقال النبي ﷺ «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». [الفقي]

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (طرف حديث ٤١٨).

(٣) أي: في سياق الموت، أصله (سوق) قلبت الواو ياء لكسر السين، كأن روحه تساق لتخرج من البدن، وسياق وسواق مصدران من ساق يسوق. [الفقي]

فاعله. وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور وإليها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **مرفوعًا: «الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا المَقْبَرَةَ وَالحَمَّامَ»**[1] رواه أحمد وأهل السنن وصححه ابنُ حبان والحاكم.

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ: وبالجملة: فمن له معرفةٌ بالشرك وأسبابه وذرائعه وفَهِمَ عن رسول الله ﷺ مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أنَّ هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه - صيغة **«لَا تَفْعَلُوا»**، وصيغة **«إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»** - ليس لأجل النجاسة، بل هي لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش

---

(١) **إسناده صحيح:** وقد اختلف في وصل هذا الحديث وإرساله، فقد رواه موصولًا حماد بن سلمة عن عمرو بن يحيىٰ عن أبيه عن أبي سعيد الخدري كما عند أبي داود (٤٩٢)، وابن ماجه (٧٤٥)، وأحمد (٣/ ٨٣)، والبيهقي (٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥)، وابن حزم في «المحلىٰ» (٤/ ٢٧)، وتَابَعَ حمادَ بن سلمة عبدُ الواحد بن زياد كما عند أبي داود (٤٩٢)، وأحمد (٣/ ٩٦)، وابن خزيمة (٧٩١)، وابن حبان (٦٩٩ إحسان) والحاكم (١/ ٢٥١)، والبيهقي (٢/ ٤٣٥)، وابن حزم (٤/ ٢٧)، وتابعهما ابن إسحاق كما عند أحمد (٣/ ٨٣)، وتابعهم عبد العزيز الدراوردي كما عند الترمذي (٣١٧)، والدارمي (١/ ٣٢٣)، وابن خزيمة (٧٩١)، والحاكم (١/ ٢٥١)، والبغوي (٥٠٦)، والبيهقي (١/ ٤٥٣)، وتابعهم سفيان - وكأنه ابن حسين كما يعرف ذلك من المشايخ والتلاميذ، ولرواية ابن ماجه له كما في «تهذيب الكمال» - كما عند ابن ماجه (٧٤٥)، وتابعهم عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري نقله ابن حزم في «المحلىٰ» (٤/ ٢٨) عن البزار وخالفهم سفيان الثوري فرواه عن عمرو بن يحيىٰ عن أبيه مرسلًا كما عند عبد الرزاق (١/ ٤٠٥)، وأحمد (٣/ ٨٣)، والبيهقي (٢/ ٤٣٤، ٤٣٥)، وتابع الثوري سفيان بن عيينة كما عند الشافعي في «مسنده» (١/ ١٨٢ شفاء العي).

وقال الشافعي: وجدت هذا الحديث في كتابي في موضعين أحدهما منقطع والآخر عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

وقد صحح المرسل الترمذي علىٰ أثر حديث (٣١٧) قال: وكأن رواية الثوري عن عمرو بن يحيىٰ عن أبيه عن النبي ﷺ أثبت وأصح مرسلًا. وقال الدارقطني في «العلل» (ق٤/ ورقة ٣) - بعد أن ساق الخلاف: والمرسل المحفوظ. اهـ. وقد ترجح الرواية المسندة لأن الذين وصلوا الحديث عدد وأكثرهم ثقات. ثم إنه قد رواه ابن خزيمة (٧٩٢)، والحاكم (١/ ٢٥١)، والبيهقي (٢/ ٤٣٥) من طريق بشر بن المفضل ثنا عمارة بن غزية عن يحيىٰ بن عمارة الأنصاري عن أبي سعيد الخدري فذكره مرفوعًا.

وقد جاءت بعض الأحاديث تدل علىٰ النهي عن الصلاة في المقبرة والحمام من حديث ابن عمرو.

وابن عمر وعلي وفيها ضعف، لكن تشهد للحديث السابق وانظرها في تحقيق مسند أحمد (١١٧٨٤) ط. الرسالة.

ربَّه ومولاه، وقلَّ نصيبُه أو عُدم من لا إله إلَّا الله.

فإنَّ هذا وأمثاله من النبي ﷺ: صيانةٌ لحمىٰ التوحيد أن يلحقه الشركُ ويغشاه، وتجريدٌ له وغضبٌ لربه أنْ يعدل به سواه، فأبىٰ المشركون إلَّا معصيةً لأمره وارتكابًا لنهيه، وغرّهم الشيطانُ بأنَّ هذا تعظيمٌ لقبور المشايخ والصالحين. وكلَّما كنتم لها أشد تعظيمًا وأشد فيهم غلوًّا كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله، من هذا الباب دخل الشيطان علىٰ عُبَّاد يغوث ويعوق ونسر، ودخل علىٰ عُبَّاد الأصنام منذ كانوا إلىٰ يوم القيامة.

فجمع المشركون بين الغلو فيهم، والطعن في طريقتهم، فهدىٰ الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم.

قال الشارح[1]: وممن علَّل بخوف الفتنة بالشرك: الإمامُ الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخُ الإسلام وغيرهم. وهو الحقُّ الذي لا ريب فيه.

قوله: (فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا)، أي: لما علموا من تشديده في ذلك وتغليظه النهي عنه، ولعن من فعله.

قوله: (وكلُّ موضع قُصدت الصلاةُ فيه فقد اتُّخذ مسجدًا). أي: وإنْ لم يُبن مسجد، بل كلُّ موضع يُصلَّىٰ فيه يسمىٰ مسجدًا.

يعني: وإن لم يُقصد بذلك، كما إذا عرض لمن أراد أن يُصلي، فأوقع الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده من غير أنْ يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجدًا.

قوله: (كما قال ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»[2][3]) أي: فسمىٰ الأرض مسجدًا، تجوزُ الصلاةُ في كلِّ بقعة منها، إلَّا ما استثنىٰ من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها، كالمقبرة ونحوها.

قال البغوي في «شرح السنة»: أراد أن أهل الكتاب لم تُبح لهم الصلاة إلَّا في بِيَعِهِم

---

(١) يقصد بالشارح: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب صاحب «تيسير العزيز الحميد».

(٢) رواه البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه، وفيه زيادة: «**فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ**». [الفقي].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١ - ٥٢٣).

وكنائسهم، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفًا عليهم وتيسيرًا، ثم خص من جميع المواضع: الحَمَّامَ والمقبرة والمكان النجس. انتهىٰ.

* **قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأحمد بسند جيِّد عن ابن مسعود مرفوعًا: «إنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، والَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ»[1][2]. ورواه أبو حاتم ابن حبان في «صحيحه».**

ش: قوله: «**إنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ**» بكسر الشين، جمعُ شرِّير.

قوله: «**مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ**» أي: مقدماتها، كخروج الدَّابة، وطلوع الشمس من مغربها. وبعد ذلك يُنفخُ في الصُّور نفخة الفَزَع.

قوله: «**والَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ**» معطوفٌ علىٰ خبر إنَّ في محل نصب علىٰ نية تكرار العامل.

أي: ومن شرار الناس، الذين يتخذون القبور مساجد. أي: بالصلاة عندها وإليها،

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (١/ ٤٠٥)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٧٨٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤١٣)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٨٤٧)، وأبو يعلىٰ (٥٣١٦)، والبزار (٣٤٢٠)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٤٢) من طريق عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن ابن مسعود به. وعاصم حسن الحديث، ورواه أحمد (١/ ٤٥٤) بزيادة. والبزار (٣٤٢) من طريق أبي داود عن قيس أخبرنا الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود به. وفي الإسناد قيس بن الربيع وهو ضعيف. وعلق البخاري في «صحيحه» الجزء الأول من الحديث (١٣/ ١٤) الفتح.

(٢) في قرة العيون: (قلت): وقد وقع هذا في الأمة كثيرًا كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ كما لا يخفىٰ علىٰ ذوي البصائر. وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة علىٰ ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور: (منها): أنهم يخلصون عند الاضطرار لغير الله وينسون الله. (ومنها): أنهم يعتقدون أن آلهتهم من الأموات يتصرفون في الكون دون الله. وجمعوا بين نوعي الشرك في الإلهية والربوبية، وقد سمعت ذلك منهم مشافهة، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عمان وأمثاله: إن عبد القادر الجيلاني يسمع من دعاه ومع سماعه ينفع، فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت، فلقد ذهب عقل هذا وضل، فكفر بما أنزله الله في كتابه كقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤]. فما صدقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ولا آمنوا بما أنزل الله في كتابه، بل بالغوا وعاندوا في رده وكذبوا وألحدوا، وكابروا المعقول والمنقول، فالله المستعان. [الفقي].

وبناء المساجد عليها.

وتقدَّم في الأحاديث الصحيحة أنَّ هذا من عمل اليهود والنصارىٰ، وأنَّ النبي ﷺ لعنهم علىٰ ذلك، تحذيرًا للأمة أنْ يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم فعل اليهود والنصارىٰ. فما رفع أكثرُهم بذلك رأسًا، بل اعتقدوا أنَّ هذا الأمر قربةٌ إلىٰ الله، وهو مما يُبعدهم عن الله ويطردهم عن رحمته ومغفرته.

والعجب أنَّ أكثر من يدَّعي العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك، بل ربما استحسنوه ورغَّبوا في فعله، فلقد اشتدت غربةُ الإسلام وعاد المعروفُ منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ علىٰ هذا الصغير وهرم عليه الكبير.

قال شيخُ الإسلام رحمه الله: أمَّا بناءُ المساجد علىٰ القبور: فقد صرَّح عامةُ الطوائف بالنهي عنه، متابعةً للأحاديث الصحيحة. وصرَّح أصحابُنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه. قال: ولا ريب في القطع بتحريمه.

ثم ذكر الأحاديث في ذلك إلىٰ أنْ قال: وهذه المساجدُ المبنيةُ علىٰ قبور الأنبياء والصالحين، أو الملوك وغيرهم تتعيَّنُ إزالتها بهدم أو بغيره. هذا مما لا أعلمُ فيه خلافًا بين العلماء المعروفين.

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ: يجبُ هدمُ القباب التي بُنيت علىٰ القبور؛ لأنها أُسِّست علىٰ معصية الرسول ﷺ.

وقد أفتىٰ جماعةٌ من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية، منهم ابنُ الجُمَّيزي والظَّهير التَّزْميني وغيرهما.

وقال القاضي ابن كَجّ: ولا يجوز أنْ تُجصَّص القبور، ولا أنْ يُبنىٰ عليها قباب، ولا غير قباب، والوصيةُ بها باطلة

وقال الأذرُعي: وأمَّا بُطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية، وإنفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه.

وقال القرطبي في حديث جابر ﷺ: «نهىٰ أنْ يُجصص القبر أو يُبنىٰ عليه»[(١)] وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناء والجص علىٰ القبور. وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجةٌ عليه.

وقال ابنُ رُشْد: كره مالكُ البناء علىٰ القبر وجَعْلَ البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطَّول، أحدثوه إرادةَ الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف فيه.

وقال الزَّيْلعي في «شرح الكنز»: ويُكره أنْ يُبنىٰ علىٰ القبر. وذكر قاضي خان: أنَّه لا يُجصص القبر ولا يُبنىٰ عليه؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن التجصيص والبناء فوق القبر. والمرادُ بالكراهة – عند الحنفية كراهة التحريم. وقد ذكر ذلك ابنُ نُجيم في «شرح الكنز».

وقال الشافعيُّ ﷺ: أكرهُ أن يُعظَّم مخلوق، حتىٰ يجعل قبره مسجدًا مخافة الفتنة عليه وعلىٰ من بعده من الناس. وكلامُ الشافعي ﷺ يبين أنَّ مراده بالكراهة: كراهة التحريم.

قال الشارح: وجزم النوويُّ ﷺ في «شرح المُهذَّب» بتحريم البناء مطلقًا، وذكر في «شرح مسلم» نحوه أيضًا.

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قُدامة إمامُ الحنابلة صاحبُ المصنفات الكبار كـ«المغني»، و«الكافي»: ولا يجوز اتخاذُ المساجد علىٰ القبور؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ**»[(٢)] الحديث.

وقد روِّينا أنَّ ابتداء عبادة الأصنام: تعظيمُ الأموات واتخاذُ صورهم، والتمسُّحُ بها والصلاة عندها. انتهىٰ[(٣)].

وقال شيخُ الإسلام ﷺ: وأمَّا المقبرة، فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة، ومن انقلبت تربتُها أو لم تنقلب. ولا فرق بين أنْ يكون بينه وبين الأرض حائل أو لا، لعموم

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٣) وقد صرح ابن حجر الهيثمي المكي في كتابه «الكبائر»: «إن بناء القباب علىٰ القبور من الكبائر المحرمة بالنص الصريح. وأن الواجب علىٰ ملوك المسلمين وأمرائهم وولاتهم أن يهدموا هذه القباب ويبدأوا بقبة الإمام الشافعي».[الفقي].

الاسم وعموم العلة؛ ولأن النبيَّ ﷺ لعن الذين اتخذوا قبور الأنبياء مساجد، ومعلومٌ أنَّ قبور الأنبياء لا تنجس.

وبالجملة: فمن علَّل النهي عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة فهو بعيدٌ عن مقصود النبي ﷺ، ثم لا يخلو أن يكون القبرُ قد بُني عليه مسجد، فلا يُصلَّىٰ في هذا المسجد، سواء كان خلف القبر أو أمامه بغير خلاف في المذهب؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُون قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**». وخصَّ قبور الأنبياء والصالحين؛ لأن عكوف الناس علىٰ قبورهم أعظم، واتخاذها مساجد أشد.

وكذلك إنْ لم يكن بُني عليه مسجد، فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التي كان النهيُ عن الصلاة عند القبور من أجلها، فإنَّ كُلَّ مكان صُلِّي فيه يُسمىٰ مسجدًا، كما قال ﷺ: «**جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[1]. وإنْ كان موضع قبرٍ أو قبرين.

وقال بعضُ أصحابنا: لا يُمنع الصلاة فيها؛ لأنه لا يتناولها اسمُ المقبرة، وليس في كلام أحمد ولا بعض أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر.

وقد تقدَّم عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: لا أصلي في حمَّام ولا عند قبر[2].

فعلىٰ هذا: يكونُ النهي متناولًا لحريم القبر وبنائه، ولا تجوزُ الصلاة في مسجد بُني في مقبرة، سواءٌ كان له حيطان تحجزُ بينه وبين القبور أو كان مكشوفًا.

قال في رواية الأثرم: إذا كان المسجدُ بين القبور لا يُصلَّىٰ فيه الفريضة، وإنْ كان بينها وبين المسجد حاجز فرخَّص أنْ يُصلَّىٰ فيه علىٰ الجنائز، ولا يُصلىٰ فيه علىٰ غير الجنائز.

وذكر حديث أبي مَرْثَد عن النبي ﷺ: «**لَا تُصَلُّوا إِلَىٰ القُبُورِ**»[3][4]. وقال: إسنادُه جيد. انتهىٰ.

---

(١) صحيح: وسبق تخريجه قريبًا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي [الفقي].

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي مرفوعًا.

ولـو تتبَّعنـا كـلام العلـماء في ذلـك لاحتمـل عِـدَّة أوراق. فتبـيَّن بهـذا أنَّ العلـماء - رحمهم الله - بيَّنوا أنَّ علة النهي مـا يـؤدِّي إليـه ذلـكَ: مـن الغلـوِّ فيهـا وعبادتهـا مـن دون الله، كما هو الواقع والله المستعان.

وقد حَدَث بعد الأئمة، ومن يُعتدُّ بقولهم: أناسٌ كثُر في أبواب العلم بالله اضـطرابُهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدىٰ والعلم حجابُهم.

فقيَّدوا نصوصَ الكتاب والسنة بقيودٍ أوهنت الانقياد، وغيّروا بها ما قصده الرسـولُ ﷺ بالنهي وأراد.

فقال بعضهم: النهيُ عن البناء علىٰ القبور يختصُّ بالمقبرة المسبَّلة، والنهي عن الـصلاة فيها لتنجُّسها بصديد الأموات، وهذا كلّه باطل من لوجوه:

منها: أنه من القول علىٰ الله بلا علم. وهو حرامٌ بنصِّ الكتاب.

ومنها: أنَّ ما قالوه لا يقتضي لعنَ فاعله والتغليظ، وما المانع له من أنْ يقول: من صلَّىٰ في بقعة نجسة فعليه لعنة الله. ويلزم علىٰ ما قاله هؤلاء أنَّ النبي ﷺلم يُبيِّن العلـة، وأحـالَ الأمة في بيانها علىٰ من يجيءُ بعده ﷺوبعد القرون المُفضَّلة والأئمة.

وهذا باطلٌ قطعًا وعقلًا وشرعًا؛ لما يلزمُ عليه من أنَّ الرسول ﷺعجز عن البيان، أو قصَّر في البلاغ، وهذا من أبطل الباطل؛ فإنَّ النبي ﷺبلَّغ البلاغ المبين، وقدرتُـه في البيـان فوقَ قدرة كلِّ أحد، فإذا بطل اللَّازمُ بطل الملزوم.

ويُقال أيضًا:هذا اللعنُ والتغليظ الشديد إنَّما هو فيمن اتخـذ قبـورَ الأنبيـاء مـساجد، وجاء في بعض النصوص ما يَعمَّ الأنبياء وغيرهم، فلو كانت هذه هي العلة لكانت منتفيـةً في قبور الأنبياء، لكون أجسادهم طريَّة لا يكون لها صديدٌ يمنع من الصلاة عند قبـورهم، فإذا كان النهيُ عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناولُ قبور الأنبياء بالنص، عُلم أنَّ العلة مـا ذكره هؤلاء العلماء الذين قد نَقلتُ أقوالهم.

والحمدُ لله علىٰ ظهور الحجة وبيان المحجَّة. والحمـدُ لله الـذي هـدانا لهـذا، ومـا كُنَّـا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

❊ **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: ما ذكر الرسول فيمن بنىٰ مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل وغِلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك. كيف بيّن لهم هذا أوّلًا، ثم قبل موته بخمس، قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم علىٰ ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنىٰ اتخاذها مسجدًا.

العاشرة: أنه قَرَنَ بينَ من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلىٰ الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد علىٰ الطائفتين اللتين هما أشرّ أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنىٰ عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلي به ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلىٰ من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلىٰ خلافته.

❊ ❊ ❊

(٢٠)

بَابُ: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** بابُ ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله.

روىٰ مالك في «الموطأ» أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١)(٢).

ش: هذا الحديثُ رواه مالكٌ مرْسلًا، عن زيد بن أسْلم، عن عطاء بن يسار: أنَّ

---

(١) **صحيح لشواهده:** رواه مالك في «الموطأ» رقم (٨٥) (١/ ١٧٢)، ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» (٢ / ١٨٥) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا. ورواه عبد الرزاق (١٥٨٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥) من طريق معمر، وابن عجلان عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ معضلًا لم يذكر عطاء. ورواه البزار (٤٤٠)، ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٤٣) من طريق عمر بن صهبان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

وعمر بن محمد بن صهبان ضعيف، فرفعه من هذا الطريق لا يصح، لكن للحديث شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن، رواه أحمد (٢/ ٢٤٦)، والحميدي (١٠٢٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٨٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٤٣، ٤٤) من طريق حمزة بن المغيرة الكوفي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، وفي إسناده حمزة بن المغيرة، قال فيه ابن معين: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في «الثقات».

(٢) **في قرة العيون:** وذلك أنه ﷺ خاف أن يقع في أمته في حقه، كما وقع من اليهود والنصارىٰ في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون الله، وسبب ذلك: الغلو فيها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١]. وكذلك رغب ﷺ إلىٰ ربه أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد، وقد عبدت القبور بأنواع العبادة كما لا يخفىٰ، وتقدم في حديث عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا». وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ وصان قبره، وأحاطه بثلاثة جدران. [الفقي].

رسول الله ﷺ قال. الحديث.

ورواه ابنُ أبي شيبة في «مُصنَّفه» عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم بـه، ولم يـذكر عطـاء. ورواه البزَّارُ عن زيد، عن عطاء، عن أبي سعيد الخُدري، مرفوعًا.

وله شاهدٌ عند الإمام أحمد بسنده، عن سُهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعـه: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[1].

قوله: (روىٰ مالك في «الموطأ»). هو الإمامُ مالكُ بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمـرو الأصبحي، أبو عبد الله المدني، إمامُ دار الهجرة وأحدُ الأئمة الأربعة، وأحد المتقنين للحـديث، حتىٰ قال البخاري: أصحُّ الأسانيد: مالكٌ عن نافع عن ابن عمـر. مـات سـنة تـسع وسـبعين ومائة. وكان مولده سنة ثلاثٍ وتسعين. وقيل: أربع وتسعين. قال الواقدي: بلغ تسعين سنة.

قوله: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ» قد استجاب الله دعاءه كما قال ابنُ القيم رحمه الله:

فَأَجَـــابَ رَبُّ العَـــالَمِينَ دُعَـــاءَهُ ... وَأَحَاطَـــهُ بِثَلَاثَـــةِ الجُـــدْرَانِ

حَتَّـــىٰ غَـــدَتْ أَرْجَـــاؤُه بِدُعَائِـــهِ ... فِي عِـــزَّةٍ وَحِمَايَـــةٍ وَصِـــيَانِ

ودلَّ الحديثُ: علىٰ أنَّ قبر النبي ﷺ لو عُبد لكان وثنًا، لكن حماه الله تعالىٰ بما حال بينه وبين الناس فلا يُوصلُ إليه.

ودلَّ الحديثُ: علىٰ أنَّ الوثن هو ما يباشر العابدُ من القبور، والتَّوابيت التـي عليهـا. وقـد عظُمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا لبستكم فتنةٌ يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري عـلىٰ النـاس يتخـذونها سـنَّة، إذا غُيِّرت قيل: غُيِّرت السنة[2] انتهىٰ.

ولخوف الفتنة نهىٰ عمر رضي الله عنه عن تتبُّع آثار النبي ﷺ.

قال ابنُ وضَّاح: سمعتُ عيسىٰ بن يُونس يقول: أمر عمرُ بـن الخطـاب بقطـع الـشجرة

---

(١) **صحيح لشواهده**: وانظر الكلام علىٰ شاهد أحمد في الكلام علىٰ الحديث السابق.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه الدارمي (٦٤٨)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٢٤)، والحاكم (٤/ ٥١٤) من طريق الأعمـش عـن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود به، وله طريق آخر في إسناده ضعف عند الـدارمي (١/ ٦٤)، وابـن عبـد الـبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٣٥).

التي بُويع تحتها النبي ﷺ[(١)(٢)] فقطعها؛ لأن النَّاس كانوا يذهبون فيصلُّون تحتها، فخاف عليهم الفتنة.

وقال المعرور بن سُويد: صلَّيتُ مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح. ثم رأىٰ الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهبُ هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجدٌ صلَّىٰ فيه النبيُّ ﷺ فهم يُصلُّون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتَّبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعًا، فمن أدركته الصلاةُ في هذه المساجد فليصلّ، ومن لا فليمض ولا يتعمَّدها[(٣)].

وفي «مغازي ابن إسحاق» من زيادات يُونس بن بُكير عن أبي خَلْدة خالد بن دينار. حدَّثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا تُسْتَر وجدنا في بيت مال الهُرمزان سريرًا عليه رجلٌ ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلىٰ عمر، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أوَّلُ رجلٍ قرأه من العرب، قرأته مثل ما أقرأ القرآن. فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتُكم وأمورُكم ولحون كلامكم وما هو كائنٌ بعدُ. قلت: فماذا صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة. فلما كان الليل دفناه وسوَّينا القبور كلها

---

(١) «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (صـ٤٩، ٥٠) ثم رُوي عن عيسىٰ بن يونس عن نافع أن عمر بلغه أن قومًا يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها كما عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وابن سعد (٢/ ١٠٠)، وهذا منقطع بين نافع وعمر.

وقد يكون الواسطة عبد الله بن عمر انظر «تحذير الساجد» (صـ٩٣)، وقد روىٰ البخاري (٢٩٥٨) من حديث نافع عن ابن عمر قال: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان علىٰ الشجرة التي بايعت تحتها كانت رحمة من الله.

(٢) كان ذلك في صلح الحديبية. وهي الشجرة التي ذكرها الله تعالىٰ في سورة الفتح: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]، وذلك حين أشاع الناس أن عثمان بن عفان قتلته قريش حين بعثه النبي ﷺ سفيرًا بينه وبين قريش، فقال: لا نبرح حتىٰ نناجز القوم، ودعا رسول الله إلىٰ البيعة، فكانت بيعة الرضوان علىٰ الموت، وكان المبايعون ألفًا وأربعمائة، ثم أتىٰ رسول الله أن الذي كان من أمر عثمان باطل. والقصة رواها البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السير والمغازي.[الفقي].

(٣) **رجاله ثقات**: رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٦) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد، قال: خرجنا مع عمر فذكره، وفي الإسناد الأعمش، وهو مدلس وقد عنعن، وانظر «تحذير الساجد» للشيخ الألباني (صـ٩٣).

لتُعميّه على الناس لا ينبشونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجلٌ يقال له: دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة.

قلت: ما كان تغيّر منه شيء؟ قال: لا، إلَّا شُعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرض[1][2].

قال ابنُ القيم: ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تَعْمية قبره لئلَّا يُفتتن به، ولم يُبرزُوه للدعاء عنده والتبركِ به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيف ولعبدوه من دون الله.

قال شيخُ الإسلام: وهو إنكارٌ منهم لذلك، فمن قصد بقعةً يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارعُ قصدها، فهو من المنكرات، وبعضه أشدّ من بعض، سواءٌ قصدها ليصلِّي عندها أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله عندها، أو لينسُك عندها، بحيثُ يخصُّ

---

(١) ذكرها الطبري (جـ ٤ صـ ٢٢٠) في حوادث سنة ١٧ قال: قيل لأبي سبرة هذا جسد دانيال في هذه المدينة. قال: وما لنا بذلك؟ فأقره بأيديهم، ثم ذكر خبر دانيال وسبي بختنصر له من بيت المقدس وموته بالسوس؛ فكان هنالك يستسقىٰ بجسده، فلما فتحها المسلمون أتوا به فأقروه في أيديهم؛ حتىٰ إذا ولىٰ أبو سبرة عنهم إلىٰ جندي سابور أقام أبو موسىٰ بالسوس، وكتب إلىٰ عمر فيه. إلخ القصة. وقد ذكرها أبو عبيد في الأموال (صـ ٣٤٣ رقم ٨٧٦) عن قتادة قال: «لما فتحت السوس وعليهم أبو موسىٰ الأشعري وجدوا دانيال في أبرن، وإذا إلىٰ جانبه مال موضوع وكتاب فيه: من شاء أتىٰ فاستقرض منه إلىٰ أجل، فإن أتىٰ به إلىٰ ذلك الأجل وإلا برص. فكتب إليه عمر: كفنه وحنطه وصل عليه ثم ادفنه كما دفنت الأنبياء صلوات الله عليهم. وانظر ماله فاجعله في بيت مال المسلمين. قال: فكفنه في قباطي بيض وصلىٰ عليه ودفنه». وقال البلاذري: (صـ ٣٧١) «ورأىٰ أبو موسىٰ في قبلتهم بيتًا وعليه ستر فسأل عنه، فقيل: إن فيه جثة دانيال النبي، فإنهم كانوا أقحطوا، فسألوا أهل بابل دفعه إليهم ليستسقوا به ففعلوا. وكان بختنصر سبىٰ دانيال وأتىٰ به إلىٰ بابل فقبض بها. فكتب أبو موسىٰ بذلك إلىٰ عمر، فكتب إليه عمر أن كفنه وادفنه. فسكر أبو موسىٰ نهرًا حتىٰ إذا انقطع دفنه ثم أجرىٰ الماء عليه».[الفقي] .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧): وهذا إسناد صحيح إلىٰ أبي العالية وذكر له طرقًا أخرىٰ والقصة في الأموال لأبي عبيد (صـ٨٧٧)، وقد قال ابن تيمية في «الإغاثة» (صـ٢٨): وهذا من فعل أهل الكتاب لا من فعل المسلمين فليس فيه حجة، فلا يحتج به محتج كما في هامش «فتح المجيد» (١/ ٤٠٨ ط. الصميعي).

تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يُشرع تخصيصُها به، لا نوعًا ولا عينًا.

إلَّا أنَّ ذلك قد يجوزُ بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها، كمن يزورها ويسلِّمُ عليها، ويسألُ الله العافية له وللموتىٰ، كما جاءت السنة به.

وأمَّا تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أنَّ الدعاء هناك أجْوَبُ منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه. انتهىٰ مُلخصًا.

قوله: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» ففيه تحريمُ البناء علىٰ القبور، وتحريمُ الصلاة عندها، وأنَّ ذلك من الكبائر.

وفي «القِرَىٰ» للطبري[١] من أصحاب مالك، عن مالك، أنَّه كره أنْ يقول: زرتُ قبرَ النبي ﷺ، وعَلَّل ذلك بقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[٢] الحديث. كره إضافة هذا اللفظ إلىٰ القبر؛ لئلا يقع التَّشبُّه بفعل أولئك، سدًّا للذريعة.

قال شيخُ الإسلام: ومالكُ قد أدرك التابعين، وهم أعلمُ الناس بهذه المسألة، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّه لم يكن معروفًا عندهم ألفاظُ زيارة قبر النبي ﷺ.

إلىٰ أنْ قال: وقد ذكروا في أسباب كراهته لأن يقول: زرتُ قبر النبي ﷺ؛ لأنَّ هذا اللفظ قد صار كثيرٌ من الناس يريد به الزيارة البدعية، وهي قصدُ الميت لسؤاله ودعائه، والرغبة إليه في قضاء الحوائج، ونحو ذلك مما يفعله كثيرٌ من الناس.

فهم يعنون بلفظ الزيارة: مثل هذا، وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة. فكره مالكُ أنْ يتكلَّم بلفظٍ مجمل يدلُّ علىٰ معنىٰ فاسد، بخلاف الصلاة عليه والسلام؛ فإنَّ ذلك مما أمر الله به.

أمَّا لفظُ الزيارة في عموم القبور فلا يُفهم منها مثل هذا المعنىٰ. ألا ترىٰ إلىٰ قوله: «**فَزُورُوا القُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»[٣] مع زيارته لقبر أمه[٤]؛ فإنَّ هذا يتناول قبور الكفار.

---

(١) كتاب «القِرىٰ لقاصد أم القُرىٰ» تأليف المحب الطبري. [الفقي].

(٢) **صحيح لشواهده**: وسبق الكلام عليه تحت حديث أول هذا الباب.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم من حديث أبي هريرة طرف حديث (٩٧٦) بلفظ: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ**» وانظر الترمذي (١٠٥٤) من حديث بريدة وابن ماجه (١٥٧١) من حديث ابن مسعود.

(٤) **صحيح**: وهي فقرة من الحديث السابق.

فلا يُفهم من ذلك: زيارة الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهلُ الشرك والبدع، بخلاف ما إذا كان المزورُ معظَّمًا في الدين كالأنبياء والصالحين؛ فإنه كثيرًا ما يُعنىٰ بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية، فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا، وإن لم يكره ذلك في موضع آخر، ليس فيه هذه المفسدة. انتهىٰ.

وفيه: أنَّ النبي ﷺ لم يستعذ إلَّا مما يُخاف وقوعه. ذكره المصنِّف رحمه الله تعالىٰ.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: ولابن جرير بسنده، عن سُفيان، عن منصور، عن مجاهد:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾ [النجم: ١٩] **قال: كان يَلُتُّ لهم السَّويق**[1]**، فمات، فعكفوا علىٰ قبره**[2].

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: كان يلُتُّ السويق للحاج[3].

ش: قوله: (ولابن جرير) هو الإمام الحافظُ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحبُ «التفسير» و«التاريخ» وغيرهما.

قال ابنُ خزيمة: لا أعلمُ علىٰ وجه الأرض أعلمَ من محمد بن جرير، وكان من المجتهدين لا يقلِّد أحدًا. وله أصحابٌ يتفقهون علىٰ مذهبه، يأخذون بأقواله. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشرٍ وثلاثمائة.

قوله: (عن سُفيان) الظاهر: أنَّه سفيان بن سعيد بن مسرُوق الثوري أبو عبد الله الكوفي، ثقةٌ حافظٌ فقيه إمامٌ عابد، كان مجتهدًا، وله أتباعٌ يتفقهون علىٰ مذهبه. مات سنة إحدىٰ وستين ومائة، وله أربعٌ وستون سنة.

قوله: (عن منصور) هو ابن المعتمر بن عبد الله السُّلمي، ثقةٌ ثبت فقيه. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قوله: (عن مُجاهد) هو ابنُ جَبْر - بالجيم والموحَّدة - أبو الحجاج المخزُومي مولاهم المكي، ثقةٌ إمامٌ في التفسير، أخذه عن ابن عباس وغيره، مات سنة أربعٍ ومائة. قاله يحيىٰ القطَّان.

---

(١) **السويق:** دقيق الحنطة أو الشعير. ولته: بله بالماء أو السمن، والحاج بمعنىٰ الحجاج. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٢٥٣٥، ٣٢٥٣٨) من طريق منصور عن مجاهد فذكره.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٨٥٩).

وقال ابنُ حبان: مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد، ولد سنة إحدىٰ وعشرين في خلافة عمر.

قوله: (كان يَلُتُّ لهم السَّويق، فمات فعكفوا علىٰ قبره) في رواية: فيُطعمُ من يمرُّ من الناس. فلما مات عبدوه، وقالوا: هو اللَّات. رواه سعيدُ بنُ منصور. ومناسبتُه للترجمة: أنَّهم غلوا فيه لصلاحه حتىٰ عبدوه وصار قبره وثنًا من أوثان المشركين.

قوله: (وكذا قال أبو الجوزاء) هو أوسُ بن عبد الله الرَّبعَي، بفتح الراء والباء، مات سنة ثلاثٍ وثمانين.

قال البخاري: حدَّثنا مسلم - وهو ابنُ إبراهيم - حدَّثنا أبو الأشهب[1] حدَّثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: كان اللَّاتُ رجلًا يَلُتُّ سويق الحاج[2].

قال ابنُ خُزيمة: وكذا العُزَّىٰ، وكانت شجرةً عليها بناءٌ وأستار بنخلة، بين مكة والطائف، كانت قريش يعظِّمونها، كما قال أبو سفيان يوم أُحد: لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم[3].

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ، وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رواه أهلُ السنن**[4].

---

(١) أبو الأشهب هو جعفر بن حيان التيمي السعدي العطاردي الحذاء الأعمىٰ. مات سنة ١٦٥هـ. [الفقي].

(٢) صحيح: وهو السابق ذكره.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ضعيف واهٍ: رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٤/ ٩٥)، وأحمد (١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٤)، والطيالسي (٢٨٥٦ ط. هجر) والبيهقي (٤/ ٧٨)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣١٧٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٧٤١)، والحاكم (١/ ٣٧٤)، والطبراني (٢٢٧٢٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٦٣٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٥١٠)، والخطيب في «التاريخ» (٨/ ٧٠، ٧١) من طريق أبي صالح عن ابن عباس به، وفي الإسناد أبو صالح وهو باذام مولىٰ أم هانئ كما ذكره الترمذي والحاكم، وغيرهما خلافًا لابن حبان وباذام ضعيف.

ثم إن أبا صالح باذام لم يسمع ابن عباس كما قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٨٥)، وانظر «التهذيب» قال الإمام مسلم في «كتاب التفصيل»: هذا الحديث ليس بثابت وأبو صالح باذام قد اتقىٰ الناس حديثه ولا يثبت له سماع من ابن عباس [«فتح الباري» لابن رجب الحنبلي (٣/ ٢٠١)].

ش: قلتُ: وفي الباب حديثُ أبي هريرة وحديثُ حسَّان بن ثابت. فأمَّا حديثُ أبي هُريرة: فرواه أحمد والترمذي وصححه[١]. وحديثُ حسَّان أخرجه ابنُ ماجه، من رواية عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت، عن أبيه، قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زَوَّارَاتِ القُبُورِ»[٢].

وحديثُ ابن عباس هذا: في إسناده أبو صالح مولىٰ أُم هانئ، وقد ضعَّفه بعضُهم ووثقه بعضهم[٣]. قال علي بن المديني عن يحيىٰ القطان: لم أر أحدًا من أصحابنا ترك أبا

---

(١) أخرجه الترمذي من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور». وقال: هذا حسن صحيح. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. قال الترمذي: وفي الباب عن عائشة وحسان بن ثابت. وحديث حسان بن ثابت رواه الإمام أحمد في مسنده أيضًا، وروىٰ ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو وحديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ في عزائها أهل ميت في ميتهم، فقال لها: «لَعَلَّكِ بَلَغْتِ مَعَهُم الْكُدَىٰ؟ قالت: معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر. قال: لَوْ بَلَغْتِ الْكُدَىٰ مَعَهُمْ مَا رَأَيْتِ الجَنَّةَ حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكِ». [الفقي].

(٢) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (١٠٤٦)، وابن ماجه (١٥٧٦)، وأحمد (٢/ ٣٣٧، ٣٦٥)، والبيهقي (٤/ ٧٨)، والطيالسي (٤٧٨ ط. هجر)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣١٧٨)، وعنده بلفظ: «زَائِرَاتِ»، وأبو يعلىٰ (٥٩٠٨)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٤٠) من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله زَوَّارَاتِ القُبُورِ» وعمر بن أبي سلمة ضعيف فيما يتفرد به، وبعد أن ذكر الذهبي في «الميزان» هذا الحديث وغيره من الأحاديث قال: ولعمر عن أبيه مناكير. وله شاهد عند ابن ماجه (١٥٧٤)، وأحمد (٣/ ٤٤٣، ٤٤٤)، والبيهقي والحاكم (١/ ٣٧٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٧١)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٤٥)، والطبراني (٣٥٩١، ٣٥٩٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٦٥) من طريق عبد الرحمن بن بهمان عن عبد الرحمن بن حسان عن أبيه أن النبي ﷺ «لعن زوارات القبور».

وفي الإسناد عبد الرحمن بن بهمان وهو مجهول وعبد الرحمن بن حسان؛ يقال: ولد في عهد رسول الله ﷺ. وذكره ابن حبان في «الثقات» كما قال ابن حجر في «التقريب» وروىٰ عبد الرزاق (٦٧٠٤) عن معمر عن أيوب عن عكرمة مولىٰ ابن عباس أن الرسول ﷺ «لعن زوارات القبور» وهذا الإسناد ضعيف مرسل. رواية معمر عن أيوب ضعيفة لأن أيوب بصري. ثم إن الحديث مرسل من مراسيل عكرمة.

تنبيه: قال الحافظ الذهبي في «تلخيص المستدرك» (١/ ٣٧٤) أحاديث النهي عندنا منسوخة بحديث بريدة: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا».

(٣) وأبو صالح اسمه باذام، أو باذان. وقد صرح في هذا الحديث بالتحديث عن ابن عباس فانتفت تهمة التدليس، ثم قد حسن الترمذي هذا الحديث، وإن كان الحافظ المنذري قد تعقبه عليه. وقال الحافظ ابن القيم في «تهذيب سنن أبي داود» في باب كراهية اتخاذ القبور مساجد: وفي صحيح أبي حاتم عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: «لعن =

صالح مولىٰ أم هانئ. وما سمعتُ أحدًا من الناس يقول فيه شيئًا، ولم يتركه شُعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان.

قال ابنُ معين: ليس به بأس، ولهذا أخرجه ابن السَّكَن في «صحاحه». انتهىٰ من «الذهب الإبريز» عن الحافظ المِزِّي.

قال شيخُ الإسلام: وقد جاء عن النبي ﷺ من طريقين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**أنَّ رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور**» وذكر حديثَ ابن عباس. ثم قال: ورجالُ هذا ليس رجال هذا، فلم يأخذه أحدُهما عن الآخر. وليس في الإسنادين من يُتَّهم بالكذب. ومثلُ هذا حجةٌ بلا ريب. وهذا من أجود الحسن الذي شرطه الترمذي؛ فإنه جعل الحسن: ما تعدَّدت طرقُه ولم يكن فيه مُتَّهم، ولم يكن شاذًّا، أي: مُخالفًا لما ثبت بنقل الثقات، وهذا الحديث تعددت طرقُه وليس فيها مُتهم ولا خالفه أحدٌ من الثقات.

هذا لو كان عن صاحب واحد، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب، وذاك عن آخر؟ فهذا كلُّه يُبيِّنُ أنَّ الحديث في الأصل معروف.

والذين رخَّصوا في الزيارة اعتمدوا علىٰ ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن، وقالت: لو شهدتُك ما زُرتُك[1]. وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الزيارة ليست مُستحبةً للنساء كما تُستحب للرجال؛ إذ لو كان كذلك لاستَحبَّت زيارته سواء شهدته أم لا.

قلتُ: فعلىٰ هذا، فلا حُجَّةَ فيه لمن قال بالرُّخصة.

وهذا السِّياقُ لحديث عائشة: رواه الترمذيُّ، من رواية عبد الله بن أبي مُلَيْكة عنها، وهو يُخالف سياق الأثرم له، عن عبد الله بن أبي مُليكة أيضًا: أنَّ عائشة رضي الله عنها أقبلت ذاتَ

=

رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». قال أبو حاتم: أبو صالح هذا اسمه مهران ثقة. وليس بصاحب الكلبي، ذاك اسمه باذام. وقال الأشبيلي: هو باذام صاحب الكلبي، وهو عندهم ضعيف جدًّا، وكان شيخنا أبو الحجاج المزي يرجح هذا أيضًا. [الفقي].

(١) رواه الترمذي (١٠٥٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٣) عن عائشة وفي الإسناد ابن جريج وهو مدلس وقد عنعن، ورواه عبد الرزاق (٣/ ٥١٧) بسند صحيح عن ابن جريج قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قالت عائشة: لو حضرت عبد الرحمن. تعني أخاها. ما دفن إلَّا حيث مات.

يوم من المقابر، فقلتُ لها: يا أُمَّ المؤمنين، أليس نهىٰ رسولُ الله ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت: نعم! نهىٰ عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها[1].

فأجاب شيخُ الإسلام عن هذا فقال: ولا حُجّة في حديث عائشة؛ فإن المُحتجَّ عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأنَّ النهي منسوخ، ولم يَذكُر لها المُحتجُّ النهيَ الخاص بالنساء الذي فيه لعنهن علىٰ الزيارة.

يُبيِّنُ ذلك قولها: قد أمر بزيارتها، فهذا يُبيِّنُ أنه أمرَ بها أمرًا يقتضي الاستحبابَ، والاستحباب إنما هو ثابتٌ للرجال خاصة. ولو كانت تعتقدُ أنَّ النساء مأمورات بزيارة القبور، لكانت تفعلُ ذلك كما يفعلُه الرجال، ولم تقل لأخيها: لما زرتك.

واللَّعنُ صريحٌ في التحريم، والخطابُ بالإذن في قوله: «**فَزُورُوهَا**»[2] لم يتناول النساء، فلم يدخلن في الحكم الناسخ، والعامُّ إذا عُرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخًا له عند جمهور العلماء، وهو مذهبُ الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروفُ عند أصحابه، فكيف إذا لم يُعلم أنَّ هذا العام بعد الخاص؟

إذ قد يكون قوله: «**لَعَنَ اللهُ زَوَّارَاتِ القُبُورِ**» بعد إذنه للرجال في الزيارة؛ يدلُّ علىٰ ذلك: أنَّه قرنه بالمتَّخذين عليها المساجد والسُّرُج.

ومعلومٌ أنَّ اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنه مُحكم، كما دلَّت عليه الأحاديثُ الصحيحة وكذلك الآخر.

والصحيح: أنَّ النساء لم يدخُلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه:

أحدُها: أنَّ قوله ﷺ: «**فَزُورُوهَا**» صيغةُ تذكير، وإنما يتناول النساء أيضًا علىٰ سبيل التغليب. لكن هذا فيه قولان، قيل: إنَّه يحتاجُ إلىٰ دليل مُنفصل، وحينئذٍ فيحتاج تناول ذلك النساء إلىٰ دليلٍ منفصل. وقيل: إنَّه يُحمل علىٰ ذلك عند الإطلاق.

وعلىٰ هذا: فيكونُ دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعامُّ لا يُعارضُ الأدلة

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ٣٧٦)، والبيهقي (٤/ ٧٨) من طريق عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة. وأصل هذا الحديث عند ابن ماجه مختصرًا (١٥٦٩) عن عائشة أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٩٧٧).

الخاصة ولا ينسخها عند جمهور العلماء، ولو كان النساءُ داخلات في هذا الخطاب لاستُحبَّ لهن زيارة القبور، وما علمنا أحدًا من الأئمة استحبَّ لهن زيارة القبور، ولا كان النساء علىٰ عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرُجن إلىٰ زيارة القبور.

ومنها: أنَّ النبي ﷺ علَّل الإذن للرجال بأنَّ ذلك: «**يُذَكِّرُ المَوْتَ، وَيُرَقِّقُ القَلْبَ، وَتَدْمَعُ العَيْنُ**»(١) هكذا في «مُسند أحمد». ومعلومٌ أنَّ المرأة إذا فُتح لها هذا الباب أخرجها إلىٰ الجزع والندب والنياحة؛ لما فيها من الضعف وقلة الصبر. وإذا كانت زيارة النساء مَظِنَّةً وسببًا للأمور المحرَّمة؛ فإنه لا يُمكن أنْ يُحدَّد المقدار الذي لا يُفضي إلىٰ ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع.

ومن أصول الشريعة: أنَّ الحكمة إذا كانت خفيَّةً أو مُنتشرة عُلِّق الحكمُ بمظنتها. فيحرمُ هذا الباب سدًّا للذريعة، كما حُرِّم النظرُ إلىٰ الزينة الباطنة، وكما حُرِّم الخلوة بالأجنبية وغير ذلك. وليس في ذلك من المصلحة ما يُعارض هذه المفسدة؛ فإنَّه ليس في ذلك إلَّا دعاؤها للميت، وذلك ممكنٌ في بيتها.

ومن العُلماء من يقول: التَّشْييعُ كذلك، ويحتجُّ بقوله ﷺ: «**ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ، فَإِنَّكُنَّ تَفْتِنَّ الحَيَّ وَتُؤْذِينَ المَيِّتَ**»(٢) وقوله لفاطمة: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ بَلَغْتِ مَعَهُم**

---

(١) حسن لشواهده: رواه أحمد (٣/ ٢٣٧، ٢٥٠)، وأبو يعلىٰ (٣٧٠٥، ٣٧٠٦، ٣٧٠٧)، والحاكم (١/ ٣٧٦) من طريق يحيىٰ بن الحارث الجابر عن عبد الوارث مولىٰ أنس، وعمرو بن عامر عن أنس به مرفوعًا ويحيىٰ بن عبد الله بن الحارث الجابر لين الحديث، وعبد الوارث مجهول، ولكن تابعه عمرو بن عامر، وله طريق آخر عند البزار (١٢١١) «كشف» من طريق الحارث بن نبهان عن حنظلة السدوسي عن أنس. والحارث بن نبهان ضعيف، ورواه البيهقي (٤/ ٧٧) من طريق إبراهيم بن طهمان عن عامر بن عمرو وعبد الوارث عن أنس. وثم شواهد وطرق أخرىٰ انظرها في تحقيق مسند أحمد للشيخ شعيب الأرنؤوط برقم (٣٤٨٧)، وحسنه الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز» (صـ١٨٠).

(٢) ضعيف واهٍ: رواه الخطيب في «التاريخ» (٦/ ٢٠١)، وابن الجوزي في «الواهيات» رقم (١٥٠٦) من طريق أبي هدبة عن أنس، وقال: فيه أبو هدبة، وقد أجمعوا علىٰ أنه كذاب.

وقد روىٰ الجملة الأولىٰ ابن ماجه (١٥٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٧٧)، وابن شاهين في «ناسخ الحديث» (صـ٢٣١)، وابن الجوزي في «الواهيات» (١٥٠٧). من طريق إسماعيل بن سلمان عن دينار بن عمر عن ابن =

الكُدَىٰ لَمْ تَدْخُلِي الجَنَّةَ»[1].

ويؤيِّده: ما ثبت في «الصحيحين» من أنَّه نهىٰ النساء عن اتباع الجنائز[2] ومعلومٌ أنَّ قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَىٰ جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّىٰ تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ»[3] هو أدلُّ علىٰ العموم من صيغة التذكير؛ فإن لفظ (من) يتناولُ الرجالَ والنساء باتفاق الناس، وقد عُلم بالأحاديث الصحيحة أنَّ هذا العموم لم يتناول النساء لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباع الجنائز، فإذا لم يدخُلن في هذا العموم، فكذلك في ذلك بطريق الأولىٰ. انتهىٰ ملخصًا.

قلتُ: وعما استدلَّ به القائلون بالنسخ أجوبةٌ أيضًا:

منها: أنَّ ما ذكروه عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما معارَضٌ بما ورد عنهما في هذا الباب، فلا يثبتُ به نسخ.

ومنها: أنَّ قول الصحابي وفعله ليس حجةً علىٰ الحديث بلا نزاع. وأمَّا تعليمهُ عائشة كيف تقول إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدلُّ علىٰ نسخ ما دلَّت عليه الأحاديثُ الثلاثة من لعن زائرات القبور، لاحتمال أنْ يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد والوعيد الشديد، والله أعلم.

= الحنفية عن علي مرفوعًا، وإسماعيل بن سليمان ضعيف، ودينار بن عمر أبو عمر وثقه وكيع، وقال أبو حاتم: ليس بالمشهور، وكذبه الخليلي والأزدي.

ورواه أبو يعلىٰ (٤٠٥٦)، وابن شاهين (صـ٢٣١)، وفيه الحارث بن زياد وهو ضعيف وله طريق آخر عند الخطيب (٩/ ١٠٢)، وفيه متروك.

(١) ضعيف منكر: رواه أبو داود (٣١٢٣)، والنسائي (٤/ ٢٧، ٢٨)، والحاكم (١/ ٣٧٣)، والبيهقي (٤/ ٦٠)، وأحمد (٢/ ١٦٨، ١٦٩، ٢٢٣)، وابن الجوزي في الواهيات (١٥٠٨، ١٥٠٩) من طريق ربيعة بن سيف المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص فذكره مرفوعًا، وربيعة المعافري عنده مناكير كما قال البخاري وضعفه النسائي، وعبد الحق الأزدي. لكن ورد عن النسائي قول آخر وهو: ليس به بأس. فالراجح فيه الضعف وانظر ترجمته في «التهذيب» و«الميزان». والحديث ضعفه النووي في «المجموع» (٥/ ٢٢٤)، وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٤٤٤): ربيعة صاحب مناكير وعجائب. وذلك بعد إيراده هذا الخبر المنكر.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٦) من حديث ثوبان وعند مسلم (٩٤٥) من حديث أبي هريرة واللفظ له.

قال محمدُ بن إسماعيل في كتاب «تطهير الاعتقاد»: فإن هـذه القبـاب والمشاهد التـي صارت أعظم ذريعة إلىٰ الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلىٰ هدم الإسـلام وخـراب بنيانـه: غالبُ - بل كل - من يعمُرها هم الملوكُ والسلاطين: إمـا علىٰ قريـبٍ لهـم أو علىٰ مـن يُحسنون الظنَّ فيه من فاضلٍ أو عالمٍ: أو صوفي أو فقير أو شيخ كبير.

ويزوره الناسُ الذين يعرفونه زيارةَ الأموات من دون توسلٍ به ولا هتفٍ باسمه، بـل يدعون له ويستغفرون، حتىٰ ينقرض من يعرفُه أو أكثرهم، فيأتي مَن بعدهم مَن يرىٰ قبـرًا قد شُيِّد عليه البناء، وسُرجت عليه الشموع، وفُرش بـالفراش الفـاخر، وأرخيـت عليـه الستور، وألقيت عليه الأوراد والزهور، فيعتقد أنَّ ذلك لنفع أو دفع ضر، وتأتيـه السـدنةُ يكذبون علىٰ الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلانٍ الـضر وبفـلان النفـع، حتـىٰ يغرسـوا في جبلَّته كلَّ باطل، والأمرُ ما ثبت في الأحاديث النبوية من لعن[1] من أسرج القبـور وكتـب عليها وبنىٰ عليها. وأحاديثُ ذلك واسعةٌ معروفة؛ فإنَّ ذلك في نفسه منهيٌّ عنـه، ثـم هـو ذريعةٌ إلىٰ مفسدةٍ عظيمة. انتهىٰ.

ومنه تعلم مطابقة الحديث للترجمة، والله أعلم.

قوله: (**والمتَّخذين عليها المساجد**) تقدَّم شرحُه في الباب قبله.

قوله: (**والسُّرُج**) قال أبو محمد المقدسي: لو أبيح اتخاذُ السرج عليها لم يُلعن من فعلـه؛ لأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام.

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ: اتخاذها مساجد وإيقادُ السرج عليها من الكبائر[2].

قوله: (**رواه أهلُ السُّنن**) يعني أبا داود والترمذي وابن ماجه فقط، ولم يروه النسائي[3].

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

---

(١) يعني أنه لما قرن بذلك الدعاء اتخاذ القبور مساجد علم أن اتخاذها مساجد ذريعة إلىٰ اتخاذها أوثانًا.[الفقي].

(٢) وقد عده ابن حجر الهيثمي في الكبائر أيضًا.[الفقي].

(٣) قلت رواه النسائي (٤/ ٩٥) كما سبق في تخريج الحديث.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلَّا مما يُخاف وقوعه.

الرابعة: قَرْنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد[١].

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهي من أهمها: صفة معرفة عبادة اللات التي هي أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنىٰ التسمية.

التاسعة: لعنه زوّارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

* * *

---

(١) في تطهير الاعتقاد: ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللعن علىٰ من أسرج القبور...إلخ.[الفقي].

(٢١)

باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.

ش: الجناب: هو الجانب. والمراد حمايته عما يقرب إليه أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩].

ش: قال ابن كثير: يقول الله تعالى ممتنًا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولًا من أنفسهم، أي: من جنسهم وعلى لغتهم، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي: منكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي[١]، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولًا منا نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته[٢] وذكر الحديث.

وقال سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (١/ ٢٠١)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٩)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١٩٤)، و«الحلية» (١/ ١١٥) من طريق محمد بن إسحاق حدثني محمد بن مسلم بن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة به. وأصل الحديث في البخاري رقم (٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣١٥٩)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٧٦).

رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية[١][٢].

وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته، ويشق عليها[٣]، ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه، أنه قال: «**بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»[٤]. وفي الصحيح: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ**»[٥]. وشريعته كلها سمحة سهلة كاملة، يسيرة علىٰ من يسرها الله عليه.

---

(١) إسناده حسن: رواه البيهقي في «السنن» (٧/ ١٩٠)، والطبري في «التفسير» (١٧٥١٨) من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن محمد فذكره. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٤٧)، ومن طريقه الطبري (١٧٥١٩) عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد لم يجاوزه.

(٢) ثم ذكر ابن كثير الحديث: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ». وقد وصل هذا من وجه آخر. كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في كتابه: «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي»: وقد استدل بعض الجاهلين بهذا الحديث علىٰ إيمان آباء النبي ﷺ وهذا من عظيم جهلهم، فليس فيه أي دليل؛ لأن في البخاري من حديث عائشة أنهم كانوا في الجاهلية لهم نكاح هو نكاح الناس اليوم. [الفقي]

(٣) في قرة العيون: ووجه الدلالة بالآية أنه ﷺ يعز عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره، ووسائله وما يقرب منه من كبائر الذنوب، وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفىٰ، وقد كانت هذه حالة أصحابه رضي الله عنهم في قطعهم الخيوط التي يرقىٰ للمريض فيها، ونحو ذلك من تعليق التمائم. [الفقي]

(٤) حسن بشواهده: رواه أحمد (٦/ ١١٦، ٢٣٣) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي عروة: إن عائشة قالت:... فذكرته مرفوعًا. وعبد الرحمن بن أبي الزناد مختلف فيه وحديثه إلىٰ الحسن أقرب. وله شاهد ثان رواه أحمد (٥/ ٢٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٦٨)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٠٤) من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا. وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف. وقد تكلم في هذه السلسلة ابن حبان في «المجروحين» وله طريق آخر عن أبي أمامة رواه الطبراني (٧٧١٥)، وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف وله شاهد ثالث، رواه الخطيب في «تاريخه» (٧/ ٢٠٩) من حديث جابر والإسناد فيه مسلم بن عبد ربه. ضعفه الأزدي، وقال الذهبي: لا أدري من ذا. وأبو الزبير مدلس وقد عنعن.

وله شاهد رابع. رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٥١) من طريق برد الحريري عن حبيب بن أبي ثابت مرسلًا، وبرد الحريري لم يذكر بتوثيق ولا تجريح وترجمته عند ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٢٢).

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٩، ٥٦٧٣، ٦٤٦٣، ٧٢٣٥)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٧/ ١٢١)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٦٩) من حديث أبي هريرة.

قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: علىٰ هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم.

وعن أبي ذر[١] قال: تركنا رسول الله ﷺ، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلَّا وهو يذكر لنا منه علمًا[٢] أخرجه الطبراني. قال[٣]: قال رسول الله ﷺ: **«مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ»**[٤].

قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[الشعراء: ٢١٥ – ٢١٦]. وهكذا أمره تعالىٰ في هذه الآية الكريمة.

وهي قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي عما جئتم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[التوبة: ١٢٩].

قلت: فاقتضت هذه الأوصاف التي وصف الله بها رسوله ﷺ في حق أمته: أن

---

(١) ساق ابن كثير سند الطبراني إلىٰ أبي ذر. [الفقي].

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٥٤، ١٦٢)، والطيالسي (٤٧٩) من طريق ابن نمير وشعبة عن الأعمش عن منذر عن أشياخ لهم عن أبي ذر به، وأشياخ منذر الثوري مبهمون. ورواه فطر بن خليفة واختلف عليه. فرواه أحمد (٥/ ١٦٢) من طريق حجاج عن فطر عن منذر عن أبي ذر. وهذا منقطع بين فطر ومنذر الثوري وتابع حجاجًا وكيع كما في «الزهد» له (٢٥٢٢). ورواه ابن حبان (٦٥) «إحسان» والبزار (٣٨٩٧) (١٤٧) «كشف»، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٧) من طريق سفيان بن عيينة عن فطر عن أبي ذر به، وإسناده صحيح، ورواه أبو يعلىٰ (٥١٠٩) من طريق يحيىٰ القطان عن فطر عن عطاء بن أبي رباح عن أبي الدرداء به وبين عطاء وأبو الدرداء انقطاع.

فلو رمت الجمع لقلت: ما سقط بين منذر الثوري وأبي ذر قد جاء ذكره بإبهام ثم ذكر هذا المبهم وهو أبو الطفيل. ولو رمت الترجيح لقلت إن الذين رووه بإبهام الواسطة أوثق فهو الراجح والله تعالىٰ أعلم.

وللحديث شاهد عند الحاكم (٢/ ٤) من طريق يونس بن بكير عن ابن مسعود مرفوعًا، وفي الإسناد إليه سعيد بن أبي أمية وهو مجهول. وقال الشيخ مقبل الوادعي في تعليقه علىٰ «مستدرك الحاكم» (٢/ ٦) في يونس بن بكير: الظاهر أنه تصحيف لم نهتد لترجمته.

(٣) أي **قال أبو ذر:** وهو من رواية الطبراني أيضًا. وقد ذكر الحافظ ابن كثير بعد هذا الحديث من طريق الإمام أحمد عن ابن عباس حديث الملكين اللذين أتيا رسول الله ﷺ في المنام، وقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه. ثم ضربا له ولأمته المثل. وروىٰ عدة أحاديث في هذا المعنىٰ في رحمة النبي ﷺ. [الفقي].

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٦٤٧) وإسناده صحيح، ولكن في الحديث علة، وسبق الكلام عليه في الحديث الذي فوقه.

أنذرهم وحذرهم الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وبيّن لهم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها، ومن ذلك تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلىٰ عبادتها كما تقدم، وكما سيأتي في أحاديث الباب.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» رواه أبو داود بإسناد حسن. ورواته ثقات[1][2].**

ش: قوله: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**» قال شيخ الإسلام: أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهىٰ عن

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٢٦)، والبيهقي في «حياة الأنبياء» رقم (١٤)، وابن فيل في «جزئه»، كما في «القول البديع» (صـ١٥٤)، و«جلاء الأفهام» (صـ١٠٧)، من طريق عبد الله بن نافع عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة به، في الإسناد عبد الله بن نافع، مختلف فيه، قال الحافظ: ثقة، صحيح الكتاب، في حفظه لين، وحسن الحديث ابن عبد الهادي، كما في «فتح المجيد» (١/ ٤٢٩)، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٥٤)، و«فتح المجيد» وصححه النووي في «الأذكار» (صـ٩٣)، و«المجموع» (٨/ ٣٧٥)، وحسنه ابن حجر في «الفتوحات الربانية» (٣/ ١١٣)، والشيخ الألباني كما في «تحذير الساجد» (صـ٩٧)، وللحديث شواهد منها حديث علي رضي الله عنه، وهو الآتي ذكره في هذا الباب، ومنها شاهد عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ مرسلًا، رواه سعيد بن منصور في «السنن»، كما في «فتح المجيد»، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، وعبد الرزاق (١٧٢٦) من طريق سهيل بن أبي سهيل، عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. فذكره عن النبي ﷺ مرسلًا، وسهيل ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في «ثقاته»، وشاهد آخر رواه سعيد بن منصور كما في «فتح المجيد» قال: حدثنا حبان بن علي، حدثنا محمد بن عجلان، عن أبي سعيد مولىٰ المهدي، عن النبي ﷺ وهذا إسناد ضعيف مرسل، حبان بن علي أبو علي ضعيف، وأبو سعيد مولىٰ المهدي مجهول، ولفقرات الحديث شواهد.

منها ما أخرجه البخاري (٤٣٢، ١١٨٧)، ومسلم (٧٧٧) من حديث ابن عمر مرفوعًا «**اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**» وعند مسلم (٧٨٠) «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ...**» الحديث.

(٢) في قرة العيون: قال الحافظ محمد بن عبد الهادي: هو حديث حسن، جيد الإسناد، وله شواهد يرتقي بها إلىٰ درجة الصحة. نهاهم ﷺ أن يهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها، كما تهجر القبور عن الصلاة إليها، مخافة الفتنة بها، وما يفضي إلىٰ عبادتها من دون الله؛ لأن النهي عن ذلك قد تقرر عندهم، فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك. [الفقي].

تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارىٰ ومن تشبه بهم من هذه الأمة.

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر مرفوعًا: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر، مرفوعًا: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يَسْمَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ فِيهِ**»(٢).

قوله: «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**».

قال شيخ الإسلام: العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام علىٰ وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر ونحو ذلك.

وقال ابن القيم: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد.

فإذا كان اسمًا للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنىٰ ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدًا للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام التعبد فيها عيدًا.

وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية. فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منىٰ، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية: الكعبة ومنىٰ ومزدلفة وعرفة والمشاعر.

قوله: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**».

قال شيخ الإسلام: يشير بذلك إلىٰ أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبُعدكم، فلا حاجة بكم إلىٰ اتخاذه عيدًا. انتهىٰ.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** وعن علي بن الحسين أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة.

من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ»(1). رواه في المختارة.

ش: هذا الحديث والذي قبله جيدان، حسنا الإسنادين.

أما الأول: فرواه أبو داود وغيره، من حديث عبد الله بن نافع الصائغ، قال: أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، فذكره.

ورواته ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع قال فيه أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، تعرف وتنكر. وقال ابن معين: هو ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به.

قال شيخ الإسلام: ومثل هذا إذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة. وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي: هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلىٰ درجة الصحة.

وأما الحديث الثاني: فرواه أبو يعلىٰ والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في المختارة.

قال شيخ الإسلام: فانظر هذه السنة، كيف مخرجها من أهل المدينة، وأهل البيت، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلىٰ ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط. انتهىٰ.

وقال سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا عبد العزيز بن محمد، أخبرني سهيل ابن أبي سهيل، قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشىٰ، فقال: هلم إلىٰ العشاء. فقلت: لا أريده. فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟

---

(1) حسن لغيره: رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وأبو يعلىٰ (٢٦٩)، والبخاري في «التاريخ» (٢/ ١٨٦)، والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» رقم (٢٠)، والضياء في «المختارة» (٤٢٨) من طريق جعفر بن إبراهيم قال: حدثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين عن أبيه عن جده، وفي الإسناد علي بن عمر بن علي بن الحسين وهو مستور وجعفر بن إبراهيم الجعفري لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلًا، وقال ابن حبان: يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه كما في «اللسان»، وأخرج المتن ابن أبي عاصم في كتاب «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» كما في «اللسان» ترجمة جعفر بن إبراهيم الجعفري، وإسناده ضعيف، ويشهد لهذا الحديث: الحديث السابق من حديث أبي هريرة.

فقلت: سلمت على النبي ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ، لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، ما أنتم ومن بالأندلس إلَّا سواء[1][2].

وقال سعيد أيضًا: حدثنا حبان بن علي، حدثنا محمد بن عجلان، عن أبي سعيد مولى المهري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**»[3].

قال شيخ الإسلام: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين، يدلان على ثبوت الحديث، لا سيما وقد احتج به من أرسله. وذلك يقتضي ثبوته عنده، هذا لو لم يُرْوَ من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا؟

قوله: (عن علي بن الحسين) أي: ابن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين رضي الله عنهما أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم. قال الزهري: ما رأيت قرشيًّا أفضل منه. مات سنة ثلاث

(١) ضعيف مرسل: رواه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، وعبد الرزاق (٦٧٢٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» كما هنا من طريق سهيل بن أبي سهل عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ مرسلًا وسهيل ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. وذكره ابن حبان في ثقاته.

(٢) قال في قرة العيون: وهذا أيضًا له قرب النسب وقرب الدار، فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنده. فالمجيء إلى القبر للسلام عليه وتحري إجابة الدعاء ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الأمة. ولو كان مشروعًا لما تركه الخلفاء والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين، ولما أنكروا على من فعله، وقولهم هو الحجة، وهو الذي دلت عليه الأحاديث، كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما، لعلم السلف بما أراده النبي ﷺ بنهيه عن الغلو، وخوفه مما وقع ممن غلا في الدين، واتبع غير سبيل المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]. ولما حدث الشرك بأرباب القبور في هذه الأمة وتعظيمها وعبادتها صارت تشد الرحال إليها لقصد دعائها؛ والاستغاثة بها، وبذل نفيس المال تقربًا إليها وتعظيم سدنتها. فيا لها من مصيبة ما أعظمها! نسأل الله السلامة من هذا الشرك وما يقرب منه أو يوصل إليه. [الفقي].

(٣) ضعيف مرسل: رواه سعيد بن منصور في «سننه» كما هنا. وفي الإسناد حبان بن علي أبو علي ضعيف وأبو سعيد مولى المهري مجهول.

وتسعين على الصحيح. وأبوه الحسين سِبْط رسول الله ﷺ وريحانته، حفظ عن النبي ﷺ، واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله ست وخمسون سنة.

قوله: **(أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة)** بضم الفاء وسكون الراء، وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما.

قوله: **(فيدخل فيها فيدعو، فنهاه)** هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسلام: ما علمت أحدًا رخص فيه؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا، ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه؛ لأن ذلك لم يشرع، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلَّا ما أصلح أولها[1].

وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل.

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو الصلاة أو الدعاء، فلم يشرعه لهم، بل نهاهم عنه، في قوله: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**». فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد، وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد.

وكانت الحجرة في زمانهم يُدخَل إليها من الباب، إذ كانت عائشة فيها، وبعد ذلك إلى أن بُني الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه، لا لسلام ولا لصلاة، ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم - حتى يسمعهم كلامًا أو سلامًا، فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج - كما

---

(١) نقله القاضي عياض في «الشفا» بتحقيقي في فصل حكم زيارة قبره عليه السلام ونسبه لمالك في «المبسوط» لمحمد بن الحسن الشيباني.

طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره[١] وقبر غيره، حتىٰ ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتىٰ خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها، كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج.

والمقصود: أن الصحابة لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره، كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفره، كما كان ابن عمر يفعله.

قال عبيد الله بن عمر، عن نافع: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتىٰ قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا أبا بكر. السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف[٢]»، قال عبيد الله: ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلَّا ابن عمر، وهذا يدل علىٰ أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم، كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام: لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة، فكان بدعة محضة. وفي «المبسوط»: قال مالك: لا أرىٰ أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يسلم ويمضي. ونص أحمد أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره؛ لئلا يستدبره.

وبالجملة: قد اتفق الأئمة علىٰ أنه إذا دعا لا يستقبل القبر. وتنازعوا: هل يستقبله عند السلام عليه أم لا؟

وفي الحديث: دليل علىٰ منع شد الرحال إلىٰ قبره ﷺ وإلىٰ غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا. بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها.

---

(١) ومن ذلك الحكاية المفتراة المنسوبة إلىٰ الشيخ أحمد الرفاعي، وأنه طلب من النبي ﷺ مد يده ليقبلها ففعل، وخرجت اليد فقبلها. فانظر بالله كيف استطاعت شياطين الجن والإنس أن تلعب بعقول أولئك المخبولين، المحرومين من كل علم وعقل ودين! ولا حول ولا قوة إلَّا بالله. [الفقي]

(٢) نحو هذا الأثر رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١٦٦)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٤٥) عن عبد الله بن دينار، قال: رأيت ابن عمر فذكره بإسناد صحيح. ونحو ذلك رواه البيهقي في «الشعب» (٤١٦١) إسناده صحيح، وابن بطة بإسناد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٦٨، ٦٦٩).

وهذه هي المسألة التي أفتىٰ بها شيخ الإسلام - أعني من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين - ونقل فيها اختلاف العلماء، فمن مبيح لذلك، كالغزالي وأبي محمد المقدسي. ومن مانع لذلك، كابن بطة، وابن عقيل، وأبي محمد الجويني، والقاضي عياض.

وهو قول الجمهور، نص عليه مالك، ولم يخالفه أحد من الأئمة، وهو الصواب؛ لما في «الصحيحين» عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: **«لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ»**(١). فدخل في النهي: شدها لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيًا، وإما أن يكون نفيًا. وجاء في رواية بصيغة النهي، فتعين أن يكون للنهي.

ولهذا فهم منه الصحابة المنع - كما في «الموطأ» و«المسند» و«السنن»، عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري، أنه قال لأبي هريرة - وقد أقبل من الطور -: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لَا تُعْمَلُ المَطِيُّ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ»**(٢).

وروىٰ الإمام أحمد، وعمر بن شبّة في «أخبار المدينة» بإسناد جيد، عن قزعة، قال: أتيت ابن عمر، فقلت: إني أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصىٰ. فدع عنك الطور ولا تأته(٣).

فابن عمر وبصرة بن أبي بصرة جعلا الطور مما نهي عن شد الرحال إليه؛ لأن اللفظ الذي ذكراه فيه النهي عن شدها إلىٰ غير الثلاثة، مما يقصد به القربة، فعلم أن المستثنىٰ منه عامٌّ في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصًّا بالمساجد، ولهذا نهيا عن شدها إلىٰ الطور مستدلين بهذا الحديث.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٨٢٧).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه النسائي (٣/ ١١٣، ١١٤)، وأحمد (٦/ ٧)، والحميدي (٩٤٤)، ومالك (١/ ١٠٨، ١٠٩)، وابن حبان (٢٧٧٢) كما في «الإحسان» من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به.

(٣) **إسناده ضعيف والحديث صحيح لما سبق**: رواه أحمد (٣/ ٦٤، ٩٣)، وأبو يعلىٰ (١٣٢٦) من طريق شهر عن أبي سعيد الخدري قال «شهر»: وذكره عنده صلاة في الطور فذكر الحديث. وشهر ضعيف.

والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة. فإن الله سماه الوادي المقدس، والبقعة المباركة. وكلّم كليمه موسىٰ هناك، وهذا هو الذي عليه الأئمة الأربعة وجمهور العلماء.

ومن أراد بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه، فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيبًا لابن الأخنائي[1] فيما اعترض به علىٰ ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وأخذ به العلماء، وفي «الجواب الباهر» الذي نقل عنه ابن عبد الهادي - رحمه الله تعالىٰ -، وقياس الأولىٰ، لأن المفسدة في ذلك ظاهرة.

وأما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة، فغاية ما فيها: أنها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال، ولا مزية تدعو إليه.

وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب «الصارم المنكي» في رده علىٰ السبكي، وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ وذكر هو وشيخ الإسلام رحمه الله: أنه لا يصح منها حديث عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، مع أنها لا تدل علىٰ محل النزاع؛ إذ ليس فيها إلَّا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شد الرحال، فيحمل علىٰ الزيارة الشرعية التي ليس فيها شرك ولا بدعة.

قوله: (رواه في المختارة) المختارة: كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة علىٰ «الصحيحين».

ومؤلفه: هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد المقدسي، الحافظ ضياء الدين الحنبلي، أحد الأعلام. قال الذهبي: أفنىٰ عمره في هذا الشأن مع الدين المتين، والورع والفضيلة التامة والإتقان. فالله يرحمه ويرضىٰ عنه.

وقال شيخ الإسلام: تصحيحه في «مختارته» خير من تصحيح الحاكم بلا ريب. مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

---

(١) قاضي المالكية في عصره، والرد عليه مطبوع بهامش الرد علىٰ البكري، علىٰ نفقة جلالة الملك الصالح المصلح: الملك عبد العزيز آل سعود. أدام الله تأييده ونصره. [الفقي].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية «براءة».

الثانية: إبعاده أُمته عن هذه الحِمىٰ غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره علىٰ وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه علىٰ النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلىٰ في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعُد، فلا حاجة إلىٰ ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تُعرَض أعمال أُمته في الصلاة والسلام عليه[1].

* * *

(١) يريد المصنف رحمه الله أن النبي ﷺ لا يعرض عليه من أعمالنا إلَّا الصلاة والسلام عليه فقط، لا كما يظنه المبتدعون أن كل الأعمال تعرض عليه، فإن وجد خيرًا حمد الله، وإن وجد غير ذلك استغفر، مستدلين علىٰ ذلك بحديث أوهن من بيوت العنكبوت، ومعرضين عن صحاح النصوص من الكتاب والسنة التي رواها البخاري ومسلم. [الفقي].

(٢٢)
باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

* قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

وقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]

ش: الوثن: يطلق علىٰ ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله، من القبور والمشاهد وغيرها؛ لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]. مع قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٧١]. وقوله: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات: ٩٥]. فبذلك يعلم أن الوثن يطلق علىٰ الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله كما تقدم في الحديث.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ روىٰ ابن أبي حاتم، عن عكرمة، قال: جاء حُيَيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف إلىٰ أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد؟ فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء علىٰ اللبن، ونَفُك العُناة، ونسقي الحجيج. ومحمد صُنبور، قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج من غفار. فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدىٰ سبيلًا. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[1][2].

---

(١) **صحيح مرسلًا**: رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٥١٣) من طريق سفيان عن عمرو وعن عكرمة فذكره.

(٢) **قال الحافظ ابن كثير**: وقد رُوي هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف. وقال الإمام أحمد عن عكرمة عن ابن عباس، قال: (لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش: ألا ترىٰ هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية. قال: أنتم خير. قال: فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ =

وفي «مسند أحمد» عن ابن عباس نحوه[١].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[٢]. وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم.

وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: الجبت: الشيطان - زاد ابن عباس: بالحبشية -. وعن ابن عباس أيضًا: الجبت: الشرك. وعنه: الجبت: الأصنام. وعنه: الجبت: حيي بن أخطب. وعن الشعبي: الجبت: الكاهن. وعن مجاهد: الجبت: كعب بن الأشرف[٣].

= شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣]. ونزل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ [النساء: ٥١] الآية. و(الكوماء) الناقة العظيمة السنام لسمنها. و(العناة) جمع (عان) وهو الأسير. و(الصنبور) الأبتر الذي لا عقب له. وأصله سعفة تنبت في جذع النخلة لا في الأرض، وقيل: هي النخلة المنفردة التي دق أسفلها. أرادوا أنه إذا بلغ انقطع ذكره كما يذهب الصنبور لأنه لا عقب له. [الفقي].

(١) إسناده صحيح: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢٤٠)، والطبري (٨/ ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨)، وأحمد كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٥١٣)، والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٩) من طريق ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس فذكره. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٤١) من طريق عمرو عن عكرمة مرسلًا.

وقد قال شيخنا مصطفىٰ بن العدوي - حفظه الله - في «التسهيل سورة النساء» (٢/ ٨٠) لهذه الآية سبب نزول مختلف في وصله وإرساله. ثم ساق الحديث. ثم قال: وقد صوب شيخنا مقبل - حفظه الله تعالىٰ - الإرسال في تعليقه علىٰ ابن كثير، والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف: رواه البخاري معلقًا كما في «الفتح» (٨/ ٢٥١)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٨٣٥، ٥٨٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦١٨، ٥٤٤٣، ٥٤٤٩)، وأبو القاسم البغوي كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٩)، وعبد بن حميد في «تفسيره» ومسدد في «مسنده» وعبد الرحمن بن رسته في كتاب «الإيمان» كما في «الفتح» (٨/ ٥٠٢) كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر فذكره. وقال الحافظ: وإسناده قوي وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق من حسان بن فائد وسماع حسان من عمر في رواية رسته. اهـ.

قلت: ورواه شعبة عن أبي إسحاق به في رواية الطبري وبعض روايات ابن أبي حاتم وفي رواية مسدد وذكر الأخير الحافظ في «التهذيب» في ترجمة حسان بن فائد، وفي الإسناد حسان بن فائد، قال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وروىٰ عنه أبو إسحاق السبيعي، فالأثر لا يرتقي للحسن لهذا الرجل، فالأقرب فيه الجهالة، والله أعلم. وروىٰ الأثر الفريابي وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٤) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) هذه الآثار خرجها الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٢٤)، وما بعدها، وانظر «ابن كثير في التفسير» (١/ ٥١٢)، و«التسهيل» لشيخنا (٢/ ٨١) سورة النساء.

قال الجوهري: الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر، ونحو ذلك[(١)].

قال المُصَنِّفُ: وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع: هل هـو اعتقـاد قلب، أو هو موافقة أصحابها، مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

ش: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: هـل أخـبركم بـشر جـزاء عنـد الله يـوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقولـه: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: أبعده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ أي: غضبًا لا يرضى بعده أبدًا ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾.

وقد قال الثوري: عن علقمـة بـن مرثـد، عـن المغـيرة بـن عبـد الله اليـشكري عـن المعرور بن سويد: إن ابن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ الله؟ فقال: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا - أَوْ قال: لَمْ يَمْسَخْ قَوْمًا - فَيَجْعَـلْ لَهُـمْ نَـسْلًا وَلَا عَاقِبَةً، وَإِنَّ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ**» رواه مسلم[(٢)(٣)].

قال البغوي في «تفسيره»: ﴿قُلْ﴾ يا محمـد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخـبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ الـذي ذكرتم، يعني: قولهم: لم نر أهل دين أقل حظًّا في الدنيا والآخرة مـنكم، ولا دينًـا شرًّا مـن دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتـداء شرًّا، لقولـه تعـالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

وقوله: ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابًا وجـزاءً، نُـصب عـلى التفـسير ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أي هـو مـن

---

(١) زاد ابن كثير عن الجوهري: وفي الحديث: «**الطِّيَرَةُ وَالعِيَافَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الجِبْتِ**». قال ابن كثير: رواه الإمـام أحمـد عن قبيصة بن مخارق. [الفقي].

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر في باب بيان أن الآجـال والأرزاق لا تزيـد ولا تـنقص مـن وجهـين: أولهـا: عـن أبي بكر بن أبي شيبة؛ وأبي كريب عن مسعر. وهذا هو الذي فيه: «**وَلَا عَقِبًا**». والثاني: عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وحجاج بن الشاعر واللفظ لحجاج: وليس فيه «**وَلَا عَقِبًا**». [الفقي].

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٣).

لعنه الله ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ يعني: اليهود ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسىٰ. عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مسخوا قردة، وشيوخهم مسخوا خنازير[(١)].

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سوَّل له.

وقرأ ابن مسعود[(٢)]: (**وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ**)، وقرأ حمزة (**وعُبُد الطَّاغُوتِ**) بضم الباء، والطاغوت بجر التاء[(٣)] أراد العبد. وهما لغتان: عبْد بسكون الباء، وعبُد بضمها، مثل سبْع وسبُع[(٤)] وقرأ الحسن (**وعَبْدُ الطَّاغُوتِ**) علىٰ الواحد[(٥)].

وفي «تفسير الطبرسي»: قرأ حمزة وحده (**وعبُد الطَّاغُوتِ**) بضم الباء وجر التاء، والباقون ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ بنصب الباء وفتح التاء. وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب (**وعُبُدَ الطاغوتِ**) بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء، قال: وحجة حمزة في قراءته (**وعبُد الطَّاغُوتِ**) أنه يحمله علىٰ ما عمل فيه ﴿جَعَلَ﴾ كأنه: «وجعل منهم عبد الطاغوت». ومعنىٰ ﴿جَعَلَ﴾: خلق. كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾. وليس (**عبُد**) لفظ جمع؛ لأنه ليس من أبنية الجموع شيء علىٰ هذا البناء، ولكنه واحد يراد به الكثرة، ألا ترىٰ أن في الأسماء المفردة المضافة إلىٰ المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع، كما في قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ولأن بناء فَعُلَ يُراد به المبالغة والكثرة نحو يَقُظَ ودَنُس، وكأن تقديره: أنه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب.

وأما من فتح فقال ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ فإنه عطفه علىٰ بناء المُضيِّ الذي في الصلة: وهو قوله: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، وأفرد الضمير في (عَبَد) وإن كان المعنىٰ فيه الكثرة؛ لأن الكلام محمول

---

(١) إسناده ضعيف: لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

(٢) في البغوي: وتصدقها قراءة ابن مسعود.[الفقي].

(٣) فيكون علىٰ الإضافة، علىٰ أن المعنىٰ: وجعل منهم خدم الطاغوت، أي: خدامه وعبيده.[الفقي].

(٤) في تفسير البغوي وقيل: هو جمع العباد وقرأ الحسن إلخ.[الفقي].

(٥) آخر النقل عن البغوي.[الفقي].

علىٰ لفظه دون معناه، وفاعله ضمير «مِن»، كما أن فاعل الأمثلة المعطوف عليها ضمير «مِن»، فأفرد لحمل ذلك جميعًا علىٰ اللفظ. وأما قوله: (وعُبُدَ الطَّاغُوتَ) فهو جمع عَبْد[1].

وقال أحمد بن يحيىٰ: عُبُد جمع عابد، كبازل وبُزُل، وشارف وشُرف، وكذلك عُبَّد جمع عابد. ومثله عِبَاد وعُبَّاد. انتهىٰ.

وقال شيخ الإسلام في قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ والصَّواب: أنه معطوف علىٰ ما قبله من الأفعال، أي: من لعنه وغضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت. قال: والأفعال المتقدمة، الفاعل فيها اسم الله تعالىٰ، مظهرًا ومضمرًا. وهنا الفاعل اسم مَنْ عَبَد الطاغوت. وهو الضمير في عَبَد ولم يُعد سبحانه مَن؛ لأنه جعل هذه الأفعال صفة لصنف واحد، وهم اليهود.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾. وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة، كقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤]. قاله العماد ابن كثير في «تفسيره»، وهو ظاهر.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالىٰ: وقوله تعالىٰ:** ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [الكهف: ٢١].

ش: والمراد: أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله؛ لأن النبي ﷺ قال: **«لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[2] أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فَمَنْ؟» أخرجاه.**

---

(١) قال ابن كثير: علىٰ أنه جمع الجمع. عبد عبيد عبد، مثل ثمار ثمر. [الفقي].

(٢) **صحيح:** وسبق تخريجه

ش: وهذا سياق مسلم[1].

قوله: «سَنَنَ» بفتح المهملة، أي: طريق من كان قبلكم. قال المهلب: الفتح أولىٰ.

قوله: «**حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ**» بنصب «حَذْوَ» علىٰ المصدر. و«**الْقُذَّةِ**» بضم القاف: واحدة القذذ وهو ريش السهم. أي: لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرىٰ. فوقع كما أخبر ﷺ، وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة وقد وقع كما أخبر، وهو عَلَم من أعلام النبوة.

قوله: «**حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**». وفي حديث آخر: «**حَتَّىٰ لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ**»[2].

أراد ﷺ أن أمته لا تدع شيئًا مما كان يفعله اليهود والنصارىٰ إلَّا فعلته كله لا تترك منه شيئًا. ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبادنا ففيه شبه من النصارىٰ. انتهىٰ.

قلت: فما أكثر الفريقين، لكن من رحمة الله تعالىٰ ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة؛ كما في حديث ثوبان الآتي قريبًا.

قوله: (قالوا: يا رسول الله، اليهودُ والنصارىٰ؟ قال: «فَمَنْ؟») هو برفع اليهود خبر مبتدأ محذوف، أي: أهُم اليهود والنصارىٰ الذين نتبع سننهم؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني.

قوله: قال: «فَمَنْ؟» استفهام إنكار. أي: فمن هم غير أولئك؟

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم عن ثوبان: أن رسول الله ﷺ قال:** «**إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ،**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) نحوه، أما لفظ: «حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ» رواه أحمد (٤/ ١٢٥)، وغيره انظر ط. الرسالة رقم (١٧١٣٥)، وفي الإسناد شهر بن حوشب وفيه ضعف.

(٢) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٢٦٤٣)، والحاكم (١/ ١٢٨)، واللالكائي (١٤٧) من طريق عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر مرفوعًا، وفي الإسناد عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف.

وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ. وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[1].

ورواه البرقاني في «صحيحه»، وزاد: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ. وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ. وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، تباركَ وَتَعَالَىٰ»[2].

ش: هذا الحديث رواه أبو داود في «سننه» وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف.

قوله: (عن ثوبان) هو مولىٰ النبي ﷺ، صحبه ولازمه، ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين.

قوله: «زَوَىٰ لِيَ الْأَرْضَ» قال التُّورِبِشْتي: زَويتُ الشيء، جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها، حتىٰ اطلع عليه اطلاعه علىٰ القريب.

وحاصله: أنه طوىٰ له الأرض، وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره.

قال الطيبي: أي: جمعها لي، حتىٰ أبصرت ما تملكه أمتي من أقصىٰ المشارق والمغارب منها.

قوله: «وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا».

قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته. وذلك أن

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٨٩) باختلاف يسير.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه بهذه الزيادة أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤)، والحاكم (٤/ ٤٤٩)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٢/ ٦٨٨، ٦٨٩)، وفي «الحلية» (٢/ ٢٨٩)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٨١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٥٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢٣٨) من طريق أبي قلابة الجرحي حدثني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان حدثه فذكره مرفوعًا.

ورویٰ الجزء الأخير «**وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ...**» البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠).

ملك أمته اتسع إلىٰ أن بلغ أقصىٰ طنجة - بالنون والجيم - الذي هو منتهىٰ عمارة المغرب، إلىٰ أقصىٰ المشرق مما وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد الهند والسند والصغد. ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال؛ ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أُريه، ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه.

قوله: «زُوِيَ لِي مِنْهَا» يحتمل أن يكون مبنيًّا للفاعل، وأن يكون مبنيًّا للمفعول.

قوله: «وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ» قال القرطبي: يعني بها كنز كسرىٰ، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما.

وقد قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ الله»[1] وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرىٰ؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة.

ووجد ذلك في خلافة عمر، فإنه سيق إليه تاج كسرىٰ وحليته وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته علىٰ سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر والأبيض والأحمر منصوبان علىٰ البدل.

قوله: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ» هكذا ثبت في أصل المصنف رحمه الله تعالىٰ: بعامة. بالباء، وهي رواية صحيحة في «صحيح مسلم» وفي بعضها بحذفها.

قال القرطبي: وكأنها زائدة؛ لأن عامة صفة السنة، والسنة: الجدب الذي يكون به الهلاك العام. ويسمىٰ الجدب والقحط: سنة. ويجمع علىٰ سنين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي: الجدب المتوالي.

قوله: «وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ» أي: من غيرهم من الكفار: من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، كما هو مبسوط في التاريخ فيما قبل، وإلىٰ زماننا هذا. نسأل الله العفو والعافية.

قوله: «فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ» قال الجوهري: بيضة كل شيء: حوزته. وبيضة القوم:

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٦٣٠)، ومسلم (٢٩١٨).

ساحتهم، وعلىٰ هذا فيكون معنىٰ الحديث: إن الله تعالىٰ لا يسلط العدو علىٰ كافة المسلمين حتىٰ يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض، وهي جوانبها. وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم، وإن قلوا.

قوله: «حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا». والظاهر أن «حَتَّىٰ» عاطفة، أو تكون لانتهاء الغاية، أي: أن أمر الأمة ينتهي إلىٰ أن «يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا» الحديث. وقد يسلَّطُ بعضهم علىٰ بعض، كما هو الواقع؛ وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم.

قوله: «وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ» قال بعضهم: أي: إذا حكمت حكمًا مبرمًا نافذًا فإنه لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد علىٰ رده، كما قال النبي ﷺ: «وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ»[1].

قوله: (رواه البرقاني في «صحيحه») هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمسٍ وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه، كثير التصانيف، صنف «مسندًا» ضمنه ما اشتمل عليه «الصحيحان». وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة.

وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه، بسنده إلىٰ أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ - أو قال-: إِنَّ رَبِّي - زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ[2]، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهَا عَدُوًّا مِنْ

---

(١) إسناده حسن: رواه عبد الرزاق (١٩٦٣٨)، وعبد بن حميد (٣٩١)، والطبراني في «الدعاء» (٦٨٦)، والبزار (٣٠٩٨) «كشف» عن معمر عن عبد الملك بن عمير حدثني ورَّاد كاتب المغيرة عن المغيرة بن شعبة، وأصل الحديث بدون هذا اللفظ عند البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) الذي في سنن أبي داود (جـ٤ صـ١٥) مع شرح عون المعبود - وهي طبعة هندية مصححة بدقة - (بسنة بعامة).
=

سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَأَنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ. وَلَا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: بِأَقْطَارِهَا- حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ. وَإِذَا وَضَعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يَرْتَفِعْ عَنْهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ. وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ - قال ابن عيسىٰ: ظَاهِرِينَ، ثم اتفقا - لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[1][2].

وروىٰ أبو داود أيضًا، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «تَدُورُ رَحَىٰ الْإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا»، قال: قلت: أَمِمَّا بقي أو مما مضىٰ؟ قال: «مِمَّا مَضَىٰ»[3][4].

= وقال في عون المعبود: وفي رواية مسلم: (بسنة بعامة) في باب الفتن. [الفقي].

(١) إسناده صحيح: ومضىٰ تخريجه قريبًا.

(٢) قال في عون المعبود: إسناده صحيح. [الفقي].

(٣) صحيح بطرقه: رواه أحمد (١/ ٣٩٠، ٤٥١)، وأبو يعلىٰ (٥٠٠٩، ٥٢٩٨)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٢٣٥، ٢٣٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٦٦٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٦) من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا، وإسناده حسن وفي سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود من أبيه خلاف والصواب سماعه.

وله طريق آخر: رواه أبو داود (٤٢٥٤)، وأبو يعلىٰ (٥٢٨١)، والبغوي (٤٢٢٥)، وأحمد (١/ ٣٩٣)، والحاكم (٤/ ٥٢١)، وغيرهم من طريق منصور عن ربعي بن حراش عن البراء بن ناجية عن عبد الله بن مسعود به. وفي الإسناد البراء بن ناجية لم يوثقه إِلَّا العجلي وابن حبان فهو إلىٰ الجهالة أقرب. وانظر ترجمته في «الميزان» وقال البخاري في «التاريخ» (٢/ ١١٨) في ترجمة البراء بن ناجية: ولم يذكر سماعًا من ابن مسعود.

وله طريق ثالث: رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣١١) من طريق شريك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود. ومجالد وشريك كلاهما ضعيف.

وله طريق آخر موقوف عند الطبراني (٩١٥٩)، وإسناده ضعيف وانظر «الصحيحة» (٩٧٤).

(٤) قال الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي في كتاب الأطراف: وأخرجه البخاري في «الصحيح» في الأدب وفي الفتن، =

وروى في «سننه» أيضًا عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَىٰ الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**»، قيل: يا رسول الله أَيُّهُ هو؟ قال: «**الْقَتْلُ الْقَتْلُ**»[(١)].

قوله: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ» أي: الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم[(٢)]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝﴾ [الأحزاب: ٦٧]

وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة فليأت إلىٰ قبري فإني أقضيها له، ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، أو نحو هذا.

وهذا هو الضلال البعيد، يدعو أصحابه إلىٰ أن يعبدوه من دون الله، ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم. وقد قال تعالىٰ: ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ۝﴾ [الحج: ١٢ - ١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝﴾ [الفرقان: ٣]. وقال تعالىٰ: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [العنكبوت: ١٧]. وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين الله به الهدىٰ من الضلال.

ومن هذا الضرب: مَنْ يدّعي أنه يَصِلُ مع الله إلىٰ حال تسقط فيها عنه التكاليف، أو يدعي أن الأولياء يُدعون أو يستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور علىٰ سبيل الكرامة، أو أنه يطلع علىٰ اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس

= ومسلم في القدر، وأبو داود في الفتن. [الفقي].

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٧٠٦١)، ومسلم (١٥٧) كتاب العلم رقم (١١)، وأبو داود (٤٢٥٥).

(٢) **في قرة العيون:** كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ۝﴾[الأنعام: ١١٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۝﴾ [الصافات: ٧١]. وأمثال هذه الآيات كثير، وعن زياد بن حدير، قال: قال لي عمر: (هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين). رواه الدارمي. [الفقي].

وما في ضمائرهم.

أو يُجوِّز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله، فما أكثر هذا الهذيان والكفر، والمحادة لله ولكتابه ولرسوله!

وقوله ﷺ: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**» أتىٰ بـ«إِنَّمَا» التي قد تأتي للحصر، بيانًا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال، وما وقع في خَلَد النبي ﷺ من ذلك، إلَّا لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقع، نظير ما في الحديث قبله من قوله: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» الحديث.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ**»[1]. رواه الطيالسي. وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**»[2] رواه الدارمي.

وقد بين الله تعالىٰ في كتابه صراطَهُ المستقيم، الذي هو سبيل المؤمنين. فكل من أحدث حدثًا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فهو ملعون، وحدثُه مردود؛ كما قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا، أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**»[3].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الطيالسي (٩٧٥)، وأحمد (٦/ ٤٤١)، والطبراني كما في «المجمع» (٥/ ٢٣٩)، وقال: «فيه راويان لم يسميا». قلت: لأنه مروي من طريق أخ لعدي بن أرطأة عن رجل عن أبي الدرداء مرفوعًا. قلت: ويشهد له حديث ثوبان السابق الذي رواه البرقاني وغيره وإسناده صحيح بلفظ: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**». وشاهد من حديث أبي ذر عند أحمد (٥/ ١٤٥) وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال مشهور، وآخر من حديث عمر بن الخطاب عند أحمد (١/ ٤٢)، وفي إسناده ضعف، وثالث عن شداد بن أوس عند أحمد (٤/ ١٢٣)، وغيرهم، انظر «النهج السديد» (صـ٣٣٧، ٣٣٨).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه الدارمي (١/ ٧٠، ٢/ ٣١١)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وسبق الكلام على تخريج حديث ثوبان قريبًا في هذا الباب.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

وقال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١).

وقال: «كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢).

وهذه أحاديث صحيحة. مدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها.

وقد بين الله تعالىٰ هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣]. وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٨-١٩] الآية. ونظائرها في القرآن كثيرة.

وعن زياد بن حُدَير، قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زَلّة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحُكمُ الأئمة المضلين(٣) رواه الدارمي.

وقال يزيد بن عميرة: كان معاذ بن جبل لا يجلسُ مجلسًا للذكر إلَّا قال: الله حكم قسط، هلك المرتابون - وفيه -: واحذروا زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول الضلالة علىٰ لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت لمعاذ: وما يدريني - رحمك الله - أن الحكيم قد يقول كلمة الضلال؟ والمنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: قال لي: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال: ما هذه؟ ولا يثنينك ذلك عنه؛ فإنه لعله يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته، فإن علىٰ الحق نورًا(٤). رواه أبو داود وغيره.

وقوله: «**وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». وكذلك وقع، فإن السيف لما

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) **صحيح**: وهو قطعة من حديث العرباض رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) مختصرًا، وابن ماجه (٣٤)، وأحمد (٤/ ١٢٧) من طرق عن العرباض بن سارية به مرفوعًا. ورواه النسائي (٣/ ١١٨) من حديث جابر، وابن ماجه (٤٦) من حديث ابن مسعود.

(٣) **إسناده صحيح**: رواه الدارمي (٢١٩)، والفريابي في «صفة النفاق» رقم (٢٩)، وابن عبد البر (٢/ ١١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٦)، وغيرهم من طريق زياد بن حدير به.

(٤) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود (٤٦١١)، والحاكم (حديث ٨٤٨٨) ط. دار الحرمين، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٢، ٢٣٣)، والفريابي في «صفة النفاق» رقم (٤٠)، وغيرهم من طريق الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن يزيد بن عميرة عن معاذ به.

وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع، وكذلك يكون إلىٰ يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرىٰ، ويكون في جهة، ويرتفع عن أخرىٰ[1].

قوله: «**وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ**» الحي واحد الأحياء، وهي القبائل. وفي رواية أبي داود: «**حَتَّىٰ يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ**».

والمعنىٰ: أنهم يكونون معهم ويرتدون؛ برغبتهم عن أهل الإسلام ولحوقهم بأهل الشرك.

وقوله: «**وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**» والفئام - مهموز -: الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات.

وفي رواية أبي داود: «**وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**»[2].

وهذا هو شاهد الترجمة، **ففيه**: الرد علىٰ من قال بخلافه من عباد القبور، الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان. وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد[3]، فالتوحيد هو أعظم مطلوب، والشرك هو أعظم الذنوب.

---

(١) قال في قرة العيون: وفيه ما هو حق، كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك بالله، وجهادهم علىٰ تركهم الشرك، وقد من الله بذلك علىٰ من أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلىٰ توحيده، لكن أهل الشرك بدأوهم بالقتال، وأظهرهم الله عليهم كما لا يخفىٰ علىٰ من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة. اهـ [الفقي]

(٢) إسناده صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وتقدم الكلام عليه قريبًا في أول الباب.

(٣) في قرة العيون: وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان حتىٰ إنه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك حتىٰ أقام الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالىٰ - الذي أنكره ونهىٰ عنه، ودعا الناس إلىٰ تركه وإلىٰ أن يعبدوا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وأسمائه وصفاته، فرماه الملوك وأتباعهم عن قوس العداوة، فأظهره الله بالحجة، وأعز أنصاره علىٰ من ناوأهم. وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، ولكن من الناس منهم من عرف ومنهم من أنكر. وانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرها. فلله الحمد علىٰ هذه النعمة العظيمة جعلنا الله لها شاكرين.

قال أبو طاهر - غفر الله لهما -: وإنما أظهره الله بتوفيق آل سعود للانضواء تحت راية التوحيد الذي دعا إليه الشيخ ابن عبد الوهاب. فكان لحديدهم مع بينات الشيخ هذا الأثر في ظهور كلمة التوحيد وقيام دولة مرهوبة الجانب لأهل التوحيد تصديقًا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥] والله نسأل أن يديم توفيقهم ويوفق ملوك المسلمين لمثل ما وفقهم له. [الفقي]

وفي معنىٰ هذا الحديث: ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَىٰ ذِي الخَلَصَةِ» قال: وذو الخلصة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية[١]. وروىٰ ابن حبان، عن معمر، قال: إن عليه الآن بيتًا مبنيًّا مغلقًا[٢].

قال العلامة ابن القيم - في قصة هدم اللات، لما أسلمت ثقيف -: فيه: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة علىٰ هدمها وإبطالها يومًا واحدًا.

وكذلك حكم المشاهد التي بنيت علىٰ القبور، والتي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر، لا يجوز إبقاء شيء منها علىٰ وجه الأرض مع القدرة علىٰ إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزىٰ ومناة، وأعظم شركًا عندها وبها. فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذَّة بالقذة، وغلب الشرك علىٰ أكثر النفوس؛ لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد، في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. انتهىٰ ملخصًا.

قلت: فإذا كان هذا في القرن السابع وقبله، فما بعده أعظم فسادًا كما هو الواقع.

قوله: «وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ».

قال القرطبي: وقد جاء عددهم معينًا في حديث حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ دَجَّالُونَ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ، مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ»[٣] أخرجه أبو نعيم،

(١) صحيح: رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

(٢) عند ابن حبان (٦٧٤٩) «إحسان».

(٣) رجاله ثقات: رواه أحمد (٥/ ٣٩٦)، وأبو نعيم (٤/ ١٧٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٩٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٢٦)، و«الأوسط» (٥٤٤٦) من طريق معاذ بن هشام، قال: وجدت في كتاب أبي بخط يده ولم أسمعه منه عن قتادة عن أبي معشر عن إبراهيم النخعي عن همام عن حذيفة، فذكره وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٩٩٩).

وقال: هذا حديث غريب. انتهىٰ.

وحديث ثوبان أصح من هذا.

قال القاضي عياض: عُدّ من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلىٰ الآن - ممن اشتهر بذلك، وعرف واتبعه جماعة علىٰ ضلالته -، فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا[1].

وقال الحافظ: وقد ظهر مصداق ذلك في زمن النبي ﷺ: فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وفي خلافة أبي بكر: طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح في بني تميم.

وقُتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، قتله وحشي - قاتل حمزة يوم أحد -، وشاركه في قتل مسيلمة يوم اليمامة رجل من الأنصار، وتاب طليحة ومات علىٰ الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه. ونقل أن سجاح تابت أيضًا.

ثم خرج المختار ابن أبي عبيد الثقفي، وغلب علىٰ الكوفة في أول خلافة ابن الزبير، فأظهر محبة أهل البيت، ودعا الناس إلىٰ طلب قتلة الحسين، فتتبعهم فقتل كثيرًا ممن باشر ذلك، وأعان عليه. فأحبه الناس، ثم ادعىٰ النبوة، وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه. ومنهم الحارث الكذاب، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل. وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

وليس المراد بالحديث من ادعىٰ النبوة مطلقًا؛ فإنهم لا يحصون كثرة؛ لكون غالبهم تنشأ دعوته عن جنون أو سوداء. وإنما المراد من قامت له شوكة وبدا له شبهة كمن وصفنا. وقد أهلك الله تعالىٰ من وقع منهم ذلك، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه، وآخرهم الدجال الأكبر.

قوله: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّنَ**». قال الحسن: خاتم: الذي ختم به، أي: أنه آخر النبيين؛ كما

---

(١) للسيد صديق حسن خان كتاب: «الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة». عد فيه أولئك الدجالين إلىٰ زمنه، وعد منهم الدجال الإفرنجي الخبيث غلام أحمد القادياني الهندي قبحه الله وأخزاه، ومن اتبعه علىٰ كفره، فإنه ما قام بفتنته وادعىٰ المهدوية ثم النبوة إلَّا بإيعاز ومساعدة دولة نصرانية، سياستها التفريق لجماعات المسلمين.[الفقي].

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وإنما ينزل عيسىٰ ابن مريم في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ مصليًّا إلىٰ قبلته. فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة. قال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَنْزِلَنَّ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ**»[١].

قوله: «**وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ**».

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟[٢].

قال ابن المبارك وعلي بن المديني وأحمد بن سنان والبخاري وغيرهم: إنهم أهل الحديث[٣].

وعن ابن المديني رواية: هم العرب. واستدل برواية من روىٰ: هم أهل الغرب[٤]، وفسر الغرب بالدلو العظيمة؛ لأن العرب هم الذين يستقون بها.

قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاعٍ وبصيرٍ بالحرب، وفقيهٍ ومحدثٍ ومفسرٍ، وقائمٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهدٍ وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه. ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولًا فأولًا إلىٰ أن لا يبقىٰ إلَّا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهىٰ ملخصًا مع زيادة فيه. قاله الحافظ.

قال القرطبي: وفيه دليل علىٰ أن الإجماع حجة؛ لأن الأمة إذا اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة[٥].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

(٢) انظر «المحدث الفاصل» للرامهرمزي رقم (٢٧)، و«شرف أصحاب الحديث» للخطيب رقم (٤٦، ٤٨)، و«المعرفة» للحاكم (٢).

(٣) انظر «شرف أصحاب الحديث» للخطيب (٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١).

(٤) بهذا اللفظ رواه مسلم في «صحيحه» رقم (١٩٢٥).

(٥) المراد من الإجماع: إجماع كل من يعتد به من هذه الأمة في جميع أقطار الأرض، ومعرفة ذلك غير متيسرة إلَّا فيما هو =

قال المُصَنِّفُ: وفيه: الآية العظيمة: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية.

قلت: واحتج به الإمام أحمد علىٰ أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة.

قوله: «**حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**» الظاهر أن المراد به ما رُوي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام.

ثم لا يبقىٰ إلَّا شرار الناس، كما روىٰ الحاكم: أن عبد الله بن عمرو، قال: لا تقوم الساعة إلَّا علىٰ شرار الخلق، هم شر أهل الجاهلية. فقال عقبة بن عامر لعبد الله: اعلمْ ما تقول، وأما أنا فسمعت النبي ﷺ يقول: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُم السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ**». فقال عبد الله: ويبعث الله ريحًا ريحها المسك، ومسُّها مسُّ الحرير، فلا تترك أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلَّا قبضته، ثم يبقىٰ شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة[1].

وفي «صحيح مسلم»: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ**»[2].

وعلىٰ هذا: فالمراد بقوله في حديث عقبة، وما أشبهه: «**حَتَّىٰ تَأْتِيَهُم السَّاعَةُ**» ساعتهم. وهي وقت موتهم بهبوب الريح. ذكره الحافظ.

وقد اختُلف في محل هذه الطائفة، فقال ابن بطال: إنها تكون في بيت المقدس، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة، قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ**»[3].

معلوم بالضرورة كالصلوات والصيام ونحوه، ولذلك يروىٰ عن الشافعي وأحمد: أن من ادعىٰ الإجماع بعد الصحابة فقد أخطأ. [الفقي].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٤)، والحاكم (٤/ ٤٥٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٨).

(٣) إسناده ضعيف: رواه الطبراني (٧٦٤٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٩) من طريق يحيىٰ بن عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد الله بن الحضرمي عن أبي أمامة به.

وعمرو بن عبد الله الحضرمي وثقه العجلي وابن حبان، وقال الذهبي: ما علمت روىٰ عنه سوىٰ يحيىٰ. قلت: فهو مجهول والعجلي وابن حبان متساهلان في توثيق المجاهيل. وضعف سنده الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٥٩٩)، وقال: وهذا السند ضعيف لجهالة عمرو بن عبد الله الحضرمي.

وقال معاذ بن جبل: هم بالشام[١].

وفي كلام الطبري ما يدل علىٰ أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائمًا، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة.

قلت: ويشهد له الواقع وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس، فإنهم من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن؛ فإنهم كانوا في زمانهم علىٰ الحق يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه. وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلىٰ الحق والتمسك بالسنة. والله علىٰ كل شيء قدير.

ومما يؤيد هذا: أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد، بل هم في غالب الأمصار: في الشام منهم الأئمة، وفي الحجاز وفي مصر، وفي العراق وفي اليمن، وكلهم علىٰ الحق يناضلون، ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلامًا لأهل السنة، وحُجَّةً علىٰ كل مبتدع.

فعلىٰ هذا: فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تتفرق، وقد تكون في الشام، وقد تكون في غيره، فإن حديث أبي أمامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلها.

وقوله: (تبارك وتعالىٰ) قال ابن القيم: البركة نوعان: أحدهما: بركة هي فَعَلة والفعل منها: بَارَكَ، ويتعدىٰ بنفسه تارة وبأداة (علىٰ) تارة، وبأداة (في) تارة، والمفعول منها: مبارك، وهو ما جُعل منها كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالىٰ.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها (تبارك)، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلَّا له عز وجل فهو سبحانه المتبارك، وعبده ورسوله المبارك، كما

(١) رواه البخاري (٣٦٤)، وانظر الكلام علىٰ هذه اللفظة في تحقيقي «شرح كتاب التوحيد» للشيخ ابن باز (ص ١٢٢، ١٢٣).

قال المسيح – عليه السلام –: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك.

وأما صفة تبارك فمختصة به، كما أطلقها علىٰ نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جاريةً عليه مختصة به، لا تطلق علىٰ غيره؟

وجاءت علىٰ بناء السعة والمبالغة، كتعالىٰ وتعاظم ونحوه، فجاء بناء ﴿تَبَارَكَ﴾ علىٰ بناء: تعالىٰ، الذي هو دال علىٰ كمال العلو ونهايته، فكذلك ﴿تَبَارَكَ﴾ دال علىٰ كمال بركته وعظمتها وسعتها. وهذا معنىٰ قول من قال من السلف: ﴿تَبَارَكَ﴾: تعاظم. وقال ابن عباس: جاء بكل بركة.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل**

الأولىٰ: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة – وهي أهمها –: ما معنىٰ الإيمان بالجِبْتِ والطَّاغوتِ، هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقةُ أصحابها مع بُغْضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كُفْرَهم أهدَىٰ سبيلًا من المؤمنين.

السادسة – وهي المقصودة بالترجمة –: أنَّ هذا لا بدَّ أن يوجد في هذه الأُمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادةَ الأوثان في هذه الأمة في جموعٍ كثيرة.

الثامنة: العجبُ العجابُ: خروج مَنْ يَدَّعي النبوة، مثل المختار مع تكلُّمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأنَّ الرسول حَق وأن القرآن حق، وفيه: أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يُصَدَّق في هذا كله مع التضادِّ الواضح. وقد خرج المختارُ في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضىٰ، بل لا تزالُ عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمىٰ: أنهم مع قلَّتهم لا يضرهم مَنْ خَذَلَهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أنَّ ذلك الشرطَ إلىٰ قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة. منها: إخبارُه بأن الله زَوَىٰ له المشارقَ والمغارب، وأخبر بمعنىٰ ذلك فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.

وإخبارُه بأنه أُعطي الكنزين.

وإخبارُه بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

وإخبارُه بأنه منع الثالثة.

وإخبارُه بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع.

وإخبارُه بظهور المتنبئين في هذه الأمة.

وإخبارُه ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقَع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصْرُ الخوف علىٰ أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه علىٰ معنىٰ عبادة الأوثان.

* * *

(٢٣)
بَابٌ: ما جاء في السحر

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في السحر.**

ش: أي: والكهانة. السِّحرُ في اللغة: عبارةٌ عما خفي ولطُف سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»(١)(٢). وسُمِّي السَّحَرُ سَحَرًا؛ لأنه يقع خفيًّا آخر الليل.

قال أبو محمد المقدسي في «الكافي»: السحرُ: عزائم ورُقىٰ وعُقد يُؤثِّر في القلوب والأبدان، فيُمرض ويقتل، ويفرِّقُ بين المرء وزوجه. قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝﴾ [الفلق: ٤].

يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن. ولولا أن للسحر حقيقةً لم يأمر الله بالاستعاذة منه.

وعن عائشة ﷺ: أن النبي ﷺ سُحر، حتىٰ إنه ليُخيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: «**أَتَانِي مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذكرٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**»(٣) رواه البخاري.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ش: قال ابن عباس: من نصيب(٤). قال قتادة: وقد علم أهل الكتاب فيما عُهد إليهم:

---

(١) رواه مالك وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عمر. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٥١٤٦) من حديث ابن عمر، ومسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر.

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).

(٤) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٢٦) من طريق أبي جعفر ثنا الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس به، وفي الإسناد أبو جعفر الرازي وفيه ضعف.

أن الساحر لا خلاق له في الآخرة[١]. وقال الحسن: ليس له دين[٢].

فدلَّت الآية على تحريم السِّحر، وكذلك هو محرَّم في جميع أديان الرسل - عليهم السلام -؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

وقد نص أصحاب أحمد: أنه يكفر بتعلُّمه وتعليمه.

وروى عبدُ الرزاق عن صفوان بن سليم، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ تَعَلَّمَ شَيْئًا مِن السِّحْرِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ مِن الله»**[٣]. وهذا مرسل.

وقد اختلفوا: هل يكفر الساحرُ أو لا؟ فذهب طائفةٌ من السلف إلى أنه يكفر. وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد. قال أصحابه: إلَّا أن يكون سِحرُه بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر.

وقال الشافعي: إذا تعلم السحر، قلنا له: صف لنا سحرك، فإنْ وصف ما يوجب الكفر - مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها - فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر. انتهى.

وقد سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾. قال ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾: وذلك أنهما علِما الخير والشر والكفر والإِيمان، فعرفا أن السحر من الكفر[٤].

(١) **رجاله ثقات**: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٢٩) من طريق سعيد عن قتادة به. وقد نفى يحيى القطان سماع سعيد من قتادة التفسير كما في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٢٤٠)، ولكن قوى أحمد رواية سعيد عن قتادة في التفسير. انظر سؤالات أبي داود (صـ٣٣٦، ٣٤٧).

(٢) **إسناده منقطع**: رواه الطبري في «تفسيره» (١٧١٦) من طريق عبد الرزاق عن معمر قال: قال الحسن:... فذكره. ورواية معمر عن البصريين فيها ضعف، والحسن بصري ثم إن معمرًا طلب العلم يوم مات الحسن، والله أعلم.

(٣) **موضوع**: روه عبد الرزاق (١٠/ ١٨٤)، وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٣٩٦) من طريق إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم عن النبي ﷺ مرسلًا، وفي الإِسناد إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي كذبه ابن معين، وقال النسائي والدارقطني: متروك، وانظر ترجمته في «التهذيب».

(٤) **إسناده ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠١٠) من طريق أبي جعفر ثنا الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس مرفوعًا وأبو جعفر الرزاي ضعيف.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]**

ش: تقدم الكلام عليهما في الباب قبله.

وفيه: أن السحر من الجبت. قاله المصنف.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: قال عمر: الجبت: السحر. والطاغوت: الشيطان**[١].

ش: هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم وغيره.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال جابر: الطواغيت: كُهَّانٌ كان ينزل عليهم الشيطان في كل حيٍّ واحد**[٢].

ش: هذا الأثر رواه ابنُ أبي حاتم بنحوه مُطولًا، عن وهب بن مُنَبِّه، قال: سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، قال: إن في جُهينة واحدًا، وفي أسلم واحدًا، وفي هلال واحدًا، وفي كل حي واحدًا، وهم كُهَّان كانت تنزل عليهم الشياطين[٣][٤].

---

(١) **في إسناده كلام:** رواه البخاري معلقًا كما في «الفتح» (٨/ ٢٥١)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٨٣٥، ٨٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦١٨، ٥٤٤٣، ٥٤٤٩)، وأبو القاسم البغوي كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٩)، وعبد بن حميد في «تفسيره» ومسدد في مسنده وعبد الرحمن بن رسته في كتاب «الإيمان» كما في «الفتح» (٨/ ٢٥٠٢) كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر فذكره. وقال الحافظ: وإسناده قوي، وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق من حسان بن فائد وسماع حسان من عمر في رواية رسته. اهـ.

قلت: ورواه شعبة عن أبي إسحاق به في رواية الطبري وبعض روايات ابن أبي حاتم ورواية مسدد وذكر الأخير الحافظ في «التهذيب» في ترجمة حسان بن فائد، وفي الإسناد حسان بن فائد، قال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وروىٰ عنه أبو إسحاق السبيعي، فالأثر لا يرتقي للحسن لهذا الرجل، فالأقرب فيه الجهالة، والله أعلم. وروىٰ الأثر الفريابي وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٤ ط. دار الكتب).

(٢) **إسناده صحيح:** رواه البخاري معلقًا (٨/ ٢٥١)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٥٨٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٥٢) من طريق حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله فذكره.

(٣) علقه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٢٥١)، وقال الحافظ: «ووصله ابن أبي حاتم من طريق وهب...».

(٤) الذي يستخلص من كلام السلف ﷺ: أن الطاغوت كل ما يصرف العبد ويصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها. ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو

قوله: (قال جابر) هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري [(١)].

قوله: (الطواغيت: كهان) أراد أن الكهان من الطواغيت، فهو من أفراد المعنى.

قوله: (كان ينزل عليهم الشيطان) أراد الجنس، لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين، ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع، فيصدقون مرة ويكذبون مائة.

قوله: (في كل حي واحد) الحيُّ واحد الأحياء، وهم القبائل، أي: في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي ﷺ فأبطل الله ذلك بالإسلام وحُرست السماء بكثرة الشُّهُب.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ»** [(٢)].

ش: كذا أورده المصنف غير معزو. وقد رواه البخاري ومسلم.

قوله: «اجْتَنِبُوا» أي: ابعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا أو اتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قوله: «المُوبِقَاتِ» بموحَّدة وقاف. أي: المُهلكات. وسُمِّيت هذه موبقات؛ لأنها تُهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

وفي حديث ابن عمر - عند البخاري في «الأدب المفرد»، والطبري في «التفسير»، وعبد الرزاق مرفوعًا وموقوفًا - قال: الكبائر تسع - وذكر السبعة المذكورة -: والإلحاد

=

ذلك مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها. والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت. وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ إما قصدًا أو عن غير قصد من واضعه، فهو طاغوت. [الفقي].

(١) توفي جابر سنة ٧٤ هـ، وقيل: سنة ٧٧ هـ، وكان عمره أربعًا وتسعين سنة. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

في الحرم، وعقوق الوالدين[١]. ولابن أبي حاتم، عن علي، قال: الكبائر - فذكر السبع، إلَّا مال اليتيم، وزاد -: العقوق، والتعرُّب بعد الهجرة، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة[٢].

قال الحافظ: ويحتاج عندي هذا إلىٰ الجواب عن الحكمة في الاقتصار علىٰ سبع.

ويُجاب: بأن مفهوم العدد ليس بحُجة وهو ضعيف، أو بأنه أعلم أولًا بالمذكورات، ثم أعلم بما زاد. فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل.

وقد أخرج الطبراني، وإسماعيل القاضي، عن ابن عباس أنه قيل له: الكبائر سبع. قال: هن أكثر من سبع وسبع[٣]. وفي رواية: هي إلىٰ السبعين أقرب[٤]. وفي رواية: إلىٰ السبعمائة[٥][٦].

---

(١) **صحيح موقوفًا**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨)، والطبري في «تفسيره» (٩١٨٨) من طريق زياد عن طيلة بن مياس عن ابن عمر فذكره موقوفًا، وإسناده صحيح، فإن طيلة بن مياس ويقال ابن علي وثقه ابن معين كما في الجرح والتعديل (٤/ ٥٠١)، وقد رواه أيوب بن عتبة واختلف عنه فرواه عن طيلة بن علي وهو ابن مياس عن ابن عمر مرفوعًا عند البيهقي (٣/ ٤٠٩)، ورواه أيوب عن طيلة به إلَّا أنه أوقفه علىٰ ابن عمر كما عند البغوي في «الجعديات» (٣٤٢٦)، والطبري في التفسير (٩١٨٩)، ورواه أيوب بن عتبة عن يحيىٰ عن عبيد بن عمير عن أبيه عن النبي ﷺ وأيوب بن عتبة ضعيف.

وللمرفوع شاهد عند أبي داود (٢٨٧٥)، والنسائي (٧/ ٨٩)، والحاكم (١/ ٥٩، ٤/ ٢٥٩)، والبيهقي (٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩)، وغيرهم من طريق يحيىٰ بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير عن أبيه عن النبي ﷺ فذكر نحوه، وفي الإسناد عبد الحميد بن سنان مجهول، وقد قال البخاري: في حديثه نظر، كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤١٤) عند آية «النساء» (٣١)، ويحيىٰ بن أبي كثير مدلس وقد عنعن، وله طريق آخر موقوف عن ابن عمر عند عبد الرزاق (١٩٧٠٥) بإسناد ضعيف.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٠٣) ط. الفكر، وروىٰ نحوه الطبري (٩١٨٠).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه الطبري في «تفسيره» (٩٢٠٤، ٩٢٠٥) من طريق طاوس عن ابن عباس.

(٤) **إسناده صحيح**: رواه الطبري (٩٢٠٧، ٩٢٠٩، ٩٢٣٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٦٠)، واللالكائي (١٩١٨) من طرق عن ابن عباس به.

(٥) رواه الطبري (٩٢٠٨) عن المثنىٰ عن أبي حذيفة قال: حدثنا شبل عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وهذا الإسناد فيه المثنىٰ الآملي لا يعرف له توثيق، وأبو حذيفة موسىٰ بن مسعود صدوق سيئ الحفظ كان يصحف، ولكن للأثر طريق آخر رواه اللالكائي (١٩١٩) أنا أحمد بن محمد بن موسىٰ أنا محمد بن جعفر قال: نا علي بن حرب نا القاسم بن يزيد نا شبل بن عباد به، وانظر «فتح الباري» (١٢/ ١٨٢).

(٦) قد ألف الحافظ عبد الرحمن بن رجب رحمه الله كتابًا في عد الكبائر. طبع. ولشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: =

قوله: (قال: «الشِّرْكُ بِالله») هو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله.

بدأ به؛ لأنه أعظم ذنب عُصي الله به، كما في «الصحيحين» عن ابن مسعود: سألت النبي ﷺ أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: **«أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»**. الحديث[1].

وأخرج الترمذي بسنده عن صفوان بن عسَّال قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلىٰ هذا النبي، فقال له صاحبه: لا تقل: نبي، إنه لو سمعك لكان له أربع أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال رسول الله ﷺ: **«لَا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَىٰ ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تُوَلُّوا الفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً اليَهُودِ أن لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»**. قال: فقبَّلا يديه ورجليه. وقالا: نشهد أنك نبي. الحديث[2]. وقال: حسن صحيح.

قوله: «والسِّحْر» تقدم معناه. وهذا وجه مناسبة هذا الحديث للترجمة.

قوله: «وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ» أي: حرَّم قتلها. وهي نفس المسلم المعصوم.

«إِلَّا بِالحَقِّ» أي: بأن تفعل ما يوجب قتلها، كالشرك، والنفس بالنفس، والزاني بعد الإحصان، وكذا قتل المعاهد، كما في الحديث: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»**[3] الحديث.

واختلف العلماء فيمن قتل مؤمنًا متعمدًا، وهل له توبة أم لا؟ فذهب ابن عباس، وأبو هريرة وغيرهما إلىٰ أنه لا توبة له، استدلالًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا

=

كتاب «مسائل الجاهلية»، هو كذلك في عد الكبائر. [الفقي].

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٢) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٢٧٣٣، ٣١٤٤)، وابن ماجه (٣٧٠٥)، وأحمد (٤/ ٢٣٩)، وغيرهم من طريق عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال، وعبد الله بن سلمة المرادي الراجح فيه ضعفه، وانظر مسند أحمد (١٨٠٩٢) تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣١٦٦).

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية وهي آخر ما نزل، وما نسخها شيء. وفي رواية: لقد نزلت في آخر ما نزل، وما نسخها شيء حتىٰ قُبض رسول الله ﷺ وما نزل وحي(١).

ورُوي في ذلك آثار تدل لما ذهب إليه هؤلاء، كما عند الإمام أحمد والنسائي وابن المنذر عن معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوِ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**»(٢).

وذهب جمهور الأمة - سلفًا وخلفًا - إلىٰ أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب وعمل صالحًا بدل الله سيئاته حسنات، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] **فقد قال أبو هريرة، وغيره**: هذا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٥٩٠) ومسلم (٣٠٢٣).

(٢) رواه النسائي (٧/ ٨١)، وأحمد (٤/ ٩٩)، والحاكم (٤/ ٣٥١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٦٤، ٣٦٥) من طريق أبي عون عن أبي إدريس، قال: سمعت معاوية يخطب فذكره.

وأبو عون لم يوثقه غير ابن حبان. وقد ترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وانظر ترجمته في التهذيب.

وله شاهد عند أبي داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٨٠)، والحاكم (٤/ ٣٥١) من طريق خالد بن دهقان، قال: حدثنا عبد الله بن أبي زكريا، قال: سمعت أم الدرداء تقول: سمعت أبا الدرداء فذكره. وهذا إسناد صحيح، أما قول الحافظ في خالد بن دهقان: مقبول - أي: إذا توبع وإلا فلين - مجانب للصواب فقد وثقه أبو مسهر وأبو زرعة ودحيم، ووثقه الذهبي في كاشفه، وله طريق آخر عند البزار (٣٣٥٢ كشف) من طريق خالد، قال: حدثني هانئ بن كلثوم عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت مرفوعًا.

وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥١١)، وانظر فيها التوفيق بينه وبين قول الله ﷿: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] لأن القتل دون الشرك قطعًا، ووفق المناوي تبعًا لغيره بحمل الحديث علىٰ ما إذا استحل وإلا فهو تهويل تغليظ.

وذكر توفيقًا آخر للسندي في حاشيته علىٰ النسائي، وانظر التسهيل لشيخنا مصطفىٰ العدوي سورة «النساء» (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

جزاؤه إن جازاه[١].

وقد رُوي عن ابن عباس ما يُوافق قول الجمهور، فروىٰ عبد بن حميد والنحاس، عن سعد بن عبيدة: أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: لمن قَتل مؤمنًا توبة[٢]. وكذلك ابن عمر رضي الله عنهما[٣]. ورُوي مرفوعًا: «أَنَّ جَزَاءَهُ جَهَنَّمُ إِنْ جَازَاهُ»[٤].

قوله: «**وَأَكْلُ الرِّبَا**» أي: تناوله بأي وجه كان، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ...﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٨٠] الآيات. قال ابنُ دقيق العيد: وهو مجرَّبٌ لسوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك.

قوله: «**وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**» يعني: التعدي فيه. وعبَّر بالأكل؛ لأنه أعم وجوه الانتفاع، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

قوله: «**وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**» أي: الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلىٰ غير فئة، أو غير متحرف لقتال، كما قُيِّد به في الآية[٥].

قوله: «**وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**» وهو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: الحافظات فروجهن منه، والمراد: الحرائر العفيفات، والمراد: رميهن بزنا أو لواط. والغافلات: أي: عن الفواحش، وما رُمين به. فهو كناية عن البريئات، لأن الغافل بريء عما بُهت به. والمؤمنات: أي: بالله تعالىٰ، احترازًا من قذف الكافرات.

---

(١) قال السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٢ ط. دار الكتب) وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وأبو القاسم بن بشران في أماليه بسند ضعيف عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ قال: «هو جزاؤه إن جازاه».

(٢) عبد بن حميد والنحاس من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عباس، فذكره، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٣ ط. دار الكتب).

(٣) النحاس من طريق نافع وسالم عن ابن عمر كما في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٣ ط. دار الكتب).

(٤) ضعف إسناده السيوطي وسبق قريبًا قبل الأثرين السابقين، والأثر عند ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥٨١٩).

(٥) في سورة «الأنفال» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦]

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن جُندب مرفوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ: ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»[1]. رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف.**

ش: قوله: **(عن جُندب)** ظاهر صنيع الطبراني في «الكبير» أنه جُندب بن عبد الله البَجلي. لا جُندب الخير الأزدي قاتل الساحر؛ فإنه رواه في ترجمة جُندب البجلي من طريق خالد العبد عن الحسن عن جندب عن النبي ﷺ. وخالد العبد ضعيف.

قال الحافظ: والصواب أنه غيره. وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جُندب الخير: أنه جاء إلىٰ الساحر، فضربه بالسيف حتىٰ مات، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:... فذكره.

وجُندب الخير: هو جندب بن كعب - وقيل: جندب بن زهير، وقيل: هما واحد، كما قاله ابن حبان - أبو عبد الله الأزدي الغامدي، صحابي. روىٰ ابن السكن من حديث

---

(١) **ضعيف والصواب وقفه:** رواه الترمذي (١٤٦٠)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٦٦٥)، والدارقطني في «السنن» (٣/ ١١٤)، والحاكم (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (رقم٥٩٠)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٨٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ٥٦٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ١٤٧ - ١٤٨) من طريق إسماعيل بن مسلم المكي عن الحسن البصري عن جندب بن كعب الخير به مرفوعًا، وإسناده ضعيف، والحديث معل بالوقف، قال الترمذي: لا نعرفه إِلَّا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث.... والصحيح عن جندب موقوفًا.

وقال ابن الأثير: وقد اختلف في رفع هذا الحديث، فمنهم من رفعه بهذا الإِسناد، ومنهم من وقفه. اهـ.

قلت: وقد اضطرب فيه إسماعيل: فمرة رواه كما تقدم موصولًا ومرة رواه عن الحسن مرسلًا.

وأخرجه من هذا الوجه الأخير عبد الرزاق (١٠/ ١٨٤)، وابن حزم في «المحلىٰ» (١١/ ٣٩٦)، ورواه الطبراني في «الكبير» (١٦٦٦) من طريق خالد العبدي عن الحسن عن جندب عن النبي ﷺ فذكره.

وخالد بن عبد الرحمن العبدي متهم بالوضع، وأشار الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٣٦) إلىٰ ضعف الحديث (١٠/ ٢٣٦)، ورجح الذهبي في «الكبائر» (صـ٣٦) وقفه، وقد وهم الطبراني فأخرج حديث الساحر في ترجمة جندب بن عبد الله البجلي، والصواب أنه غيره، وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلىٰ ساحر فضربه بالسيف حتىٰ مات، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. وانظر «الإِصابة» ترجمة جندب والكلام علىٰ حديث جندب بعد ثلاثة أحاديث.

بُريدة أن النبي ﷺ قال: «يُضْرَبُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً فَيَكُونُ أُمَّةً وَحده»[١].

قوله: «**حَدُّ السَّاحِرِ: ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**». ورُوي بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح.

وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة، فقالوا: يُقتل الساحر. ورُوي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز.

ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر، إلَّا إنْ عمل في سحره ما يبلغ الكفر. وبه قال ابن المنذر، وهو رواية عن أحمد.

والأول أولىٰ؛ للحديث ولأثر عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي «صحيح البخاري» عن بَجالة بن عَبَدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أنِ اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر**[٢].

ش: الأثر رواه البخاري؛كما قال المُصَنِّفُ، لكن لم يذكر قتل السواحر.

قوله: (عن بَجالة) بفتح الموحَّدة بعدها جيم، ابن عبدة – بفتحتين – التميمي العنبري بصري ثقة.

قوله: (كتب إلينا عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)، وظاهره أنه يُقتل من غير استتابة. وهو كذلك علىٰ المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم الساحر لا يزول بالتوبة. وعن أحمد يُستتاب، فإن تاب قُبلت توبته. وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا

(١) **إسناده ضعيف**: عزاه الحافظ في «الإصابة» (١/ ٦١٦) إلىٰ ابن السكن من طريق يحيىٰ بن كثير صاحب البصري حدثني أبي حدثنا الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبيه فذكره مرفوعًا، وفي الإسناد يحيىٰ بن كثير ضعيف، وأبوه مجهول، والجريري مختلط.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٥٦) مختصرًا بغير ذكر موضع الشاهد، وأحمد (١/ ١٩١)، واللفظ له وأبو داود (٣٠٤٣)، وعبد الرزاق (١٠/ ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤)، وأبو عبيد القاسم بن سلام رقم (٧٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ١٩٦)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، وعبد الله بن أحمد في «مسائل أبيه» (١٥٤٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢١٨٠، ٢١٨١)، وابن حزم في «المحلىٰ» (١١/ ٣٩٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ١٢٨) من طريق سفيان عن عمرو سمع بجالة به.

يزيد عن الشرك، والمشرك يُستتاب وتقبل توبته، ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وصح عن حفصة: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت[١]. وكذا صح عن جندب.**

ش: هذا الأثر رواه مالك في «الموطأ».

وحفصة: هي أم المؤمنين، بنت عمر بن الخطاب، تزوجها النبي ﷺ بعد خُنَيس بن حُذافة، وماتت سنة خمس وأربعين.

قوله: (وكذلك صح عن جندب)، أشار المصنف بهذا إلىٰ قتله الساحر؛ كما رواه البخاري في «تاريخه» عن أبي عثمان النهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا وأبان رأسه، فعجبنا! فأعاد رأسه، فجاء جُندب الأزدي فقتله.

ورواه البيهقي في «الدلائل» مطولًا. وفيه: فأمر به الوليد فسُجن. فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة[٢].

---

(١) **صحيح:** رواه عبد الرزاق (١٠/ ١٨٠) وعبد الله بن أحمد في مسائله (١٥٤٣) والبيهقي (٨/ ١٣٦) وابن أبي شيبة (٩/ ٤١٦) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره عنها، ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٧١) عن محمد بن عبد الرحمن بلاغًا.

(٢) **صحيح بطرقه:** رواه البخاري في «التاريخ» (٢/ ٢٢٢)، والدارقطني (٣/ ١١٤)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧٢٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ١٤٣) من طريق خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي عن جندب به، وفي الإسناد خالد الحذاء: قال الإمام أحمد: لم يسمع من أبي عثمان النهدي.

ورد هذا بإخراجها في الصحيح، ورواه البخاري في «التاريخ» (٢/ ٢٢٢) من طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي بالقصة، وأخرجه البيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٦)، وفي «الدلائل» كما في «الإصابة» (١/ ٦١٦)، وعلقه المزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ١٤٣) من طريق عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود وذكر القصة، وابن لهيعة فيه مقال مشهور، ولكن رواية ابن وهب عنه مستقيمة، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن يتيم عروة أظنه لم يدرك القصة، ورواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١٥٠) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب به، وفي الإسناد إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف، ورواه ابن السكن كما في «الإصابة» (١/ ٦١٦)، وابن منده كما في «الإصابة» (٢/ ٥٣٢ - ٥٣٣) من طريق الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبيه فذكر قصة قتل جندب للساحر وفي إسناده ضعف.

وقد ذكر بعض الطرق أنه جندب البجلي وهو خطأ، فإن قاتل الساحر هو جندب بن كعب وهو جندب الخير.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: قال أحمد[1]: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.**

ش: أحمد: هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

قوله: (عن ثلاثة) أي: صحَّ قتلُ الساحر عن ثلاثة، أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من **(أصحاب النبي ﷺ)**، يعني عمر وحفصة وجندبًا. والله أعلم.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية «البقرة».

الثانية: تفسير آية «النساء».

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت. والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يُقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين علىٰ عهد عمر، فكيف بعده؟

* * *

---

(١) الإمام الجليل، ناصر السنة وقامع البدعة، الصابر المحتسب في الله ولله علىٰ ما لقي في نصر دين الله، العلامة الحافظ الحجة. ولد سنة ١٦٤، ومات سنة ٢٤١. قال الشافعي رحمه الله: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد من أحمد بن حنبل. رحمة الله عليه. [الفقي].

(٢٤)
بَابُ: بيان شيء من أنواع السحر

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب بيان شيء من أنواع السحر.**

ش: قلتُ: ذكر الشارح هنا شيئًا من الخوارق وكرامات الأولياء، وذكر ما اغتر به كثير من الناس من الأحوال الشيطانية التي غرَّت كثيرًا من العوام والجهال، وظنوا أنها تدل علىٰ ولاية مَنْ جرت علىٰ يده، ممن هو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن، ثم قال: ولشيخ الإسلام كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» فراجعه. انتهىٰ.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، حدثنا حيان بن العلاء، حدثنا قَطَن بن قبيصة، عن أبيه: أنه سمع النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِن الْجِبْتِ» قال عوف: العيافة: زَجر الطير، والطَّرقُ: الخط يُخط في الأرض[1]، والجبت: قال الحسن: رنَّة الشيطان[2] إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي**

---

(١) هو ما يسمونه: خط الرمل وعلمه، وهو ذائع بين أهل العصر، ولبعضهم فيه تأليف، وقد يتعيش به كثير من المتكهنين يغرون به البُله والجهلة، زاعمين أنهم يطلعون علىٰ المغيبات وهم كاذبون؛ فإن هذا العلم - بل الجهل - لا يقصد به إلَّا خداع الناس، وأكل أموالهم بالباطل، وقد بحثت في قواعده فوجدته - كما ذكرت لك - رجمًا بالغيب، وهو من الجبت كما في الحديث. فيجب علىٰ المؤمنين بالله الكفر به. ومثله ما يسمونه علم قراءة الكف، وقراءة الفنجان، ومناجاة حَب البن ونحوه. كل ذلك دجل واستمتاع كل من شياطين الجن والإنس ببعضهم. نسأل الله العافية للمسلمين من هذه الأمراض الفتاكة. [الفقي].

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه أبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٨)، وأحمد (٣/ ٤٧٧، ٥/ ٦٠)، وعبد الرزاق (١٩٥٠٢)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤٢ - ٤٣).

وأبو إسحاق الحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١١٧٧)، والدولابي في «الكنىٰ» (١/ ٨٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦١٣١)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٣٩)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٥٨)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ٣٩)، والخطيب في «التاريخ» (١٠/ ٤٢٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ١٧٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢ - ٣١٣)، والهروي في «غريب الحديث» (١/ ٢٣٣)، والمزي في «تهذيب الكمال»

وابن حبان في (صحيحه): المسند منه.

ش: قوله: (قال أحمد) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

ومحمد بن جعفر: هو المشهور بغُندر الهُذلي البصري، ثقة مشهور، مات سنة ست ومائتين.

وعوف: هو ابن أبي جميلة - بفتح الجيم - العبدي البصري، المعروف بعوف الأعرابي، ثقة، مات سنة ستٍ - أو سبع - وأربعين، وله ست وثمانون سنة.

وحيان بن العلاء: هو بالتحتية، ويقال: حيان بن مُخارق، أبو العلاء البصري، مقبول.

وقَطَن: - بفتحتين - أبو سهل البصري، صدوق.

قوله: (عن أبيه) هو قبيصة - بفتح أوله - ابن مُخارق - بضم الميم - أبو عبد الله الهلالي. صحابي، نزل البصرة.

قوله: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِن الْجِبْتِ». قال عوف: العيافة: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادات العرب، وكثُر في أشعارهم. يقال: عاف يعيف عيفًا: إذا زجر وحدس وظن.

قوله: «وَالطَّرْقَ»: الخط يخُط بالأرض. كذا فسره عوف، وهو كذلك.

وقال أبو السعادات: هو الضربُ بالحصىٰ، الذي يفعله النساء.

=

(٧/ ٤٧٥) من طريق عوف بن أبي جميلة عن حيان أبي العلاء عن قطن بن قبيصة عن أبيه به. وفي الإسناد حيان وهو مجهول، وقد اختلف الرواة في إسناده عن عوف، فقال بعضهم: حيان ولم ينسبه، وقال بعضهم: حيان أبي العلاء، وقال بعضهم: حيان بن عمير، وقال بعضهم: حيان بن مخارق، وانظر «تهذيب الكمال» لاختلاف الوارد فيه، قال الشيخ الألباني رحمه الله في كتاب «غاية المرام» (صـ١٨٤): وهذا اضطراب شديد يدل علىٰ أن بعض هذه الوجوه من الاضطراب يمكن ارتجاعه إلىٰ وجه واحد، فحيان أبو العلاء هو حيان بن عمير أبو العلاء البصري القيسي وهو ثقة كما قال النسائي وابن حبان، لكن قال إسحاق بن منصور عن أحمد ويحيىٰ: ليس هو ابن عمير: يعني راوي هذا الحديث.

تنبيه: المذكور عن الحسن في تفسيره للجبت: الشيطان، كما في التخريجات السابقة وليس رنة الشيطان كما في المتن. وبعضهم ذكر المرفوع دون غيره، وبعضهم ذكره بدون كلام الحسن.

وأما الطيرة: فيأتي الكلام عليها في بابها إن شاء الله تعالىٰ.

قوله: «مِن الجِبْتِ» أي: السِّحر. قال القاضي: والجبتُ في الأصل: الفشل الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يُعبد من دون الله، وللساحر والسحر.

قوله: (**قال الحسن: رنة الشيطان**) قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مُفلح أن في تفسير (بَقيِّ بن مَخْلَد): أن إبليس رنَّ أربع رنات: رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب[1].

قال سعيد بن جُبير: لما لعن الله إبليس، تغيَّرت صورته عن صورة الملائكة، ورنَّ رنة، فكل رنة منها في الدنيا إلىٰ يوم القيامة. رواه ابن أبي حاتم[2].

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، رن إبليس رنة اجتمعت عليه جنودُه[3]. رواه الحافظ الضياء في «المختارة».

الرنين: الصوت. وقد رنّ يرن رنينًا، وبهذا يظهر معنىٰ قول الحسن رحمه الله.

قوله: (**ولأبي داود وابن حبان في صحيحه: المسند منه**) ولم يذكر التفسير الذي فسره عوف. وقد رواه أبو داود بالتفسير المذكور، بدون كلام الحسن.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ». رواه أبو داود**[4]

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٨٥) من طريق أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة: «أن إبليس رنَّ حين أنزلت فاتحة الكتاب...».

وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٠ ط. الكتب) إلىٰ ابن أبي شيبة وأبي سعيد الأعرابي من طريق مجاهد عن أبي هريرة ورجاله ثقات، وفي سماع مجاهد من أبي هريرة خلاف، انظر المراسيل للعلائي.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في «العظمة» عن سعيد بن جبير رضي الله عنه. قال:.... فذكره كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٥) سورة «الحجر»: آية (٤٢).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه الضياء في «المختارة» (٤/ ١١٤) من طريق يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. ويعقوب القمي فيه ضعف. وجعفر ليس بالقوي في سعيد بن جبير.

(٤) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٣٦)، وأحمد (١/ ٢٢٧، ٣١١)، وعبد بن حميد (٧١٣)، والطبراني في «الكبير» (١١٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٩٧). والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٨)، وابن =

بإسناد صحيح.

ش: وكذا صححه النووي والذهبي ورواه أحمد وابن ماجة.

قوله: «مَنِ اقْتَبَسَ» قال أبو السعادات: قبستُ العلم واقتبسته إذا علمته انتهى[(١)].

قوله: «شُعْبَةً» أي: طائفة من علم النجوم. والشعبة الطائفة. ومنه الحديث: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[(٢)]. أي: جزء منه.

قوله: «فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ» المحرم تعلُّمه.

قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه: ٦٩].

قوله: «زَادَ مَا زَادَ» أي: كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس[(٣)] من شعبه، فإن ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل، كما أن تأثير السحر باطل[(٤)]. والله أعلم.

أبي شيبة (٨/ ٤١٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٧٧) من طريق الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس به.

(١) أصله مأخوذ من القبس، وهو القليل من النار ليستدفئ به. قال موسىٰ لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ [طه: ١٠]. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٣) الوعيد لمن يتعلم منه ما يؤدي إلىٰ الكفر كادعاء علم الغيب، كما في كتيب ينسب إلىٰ أبي معشر، وهو شائع بين السحرة الذين يتسمون بأسماء إسلامية يغرون به النساء وضعفة العقول. وقد تمدن الشياطين وإخوانهم من سحرة هذا الزمان في البلاد المتمدنة، فاخترعوا أسماء للسحر جديدة وصورًا كذلك، مثل اسم التنويم المغناطيسي، ومناجاة الأرواح، واستحضارها بأنواع من الحيل والتعازيم المتمدنة أيضًا. [الفقي].

(٤) **علم النجوم علمان:** علم يعرف به سيرها ومدارها ومنازلها وأبعادها وأحجامها. وهذا علم الفلك لا بأس بتعلمه والعمل به. وعلم يعرف بالعلم الروحاني، يزعمون أنه معرفة روحانية النجوم والكواكب وتأثيرها في الأرض ومن عليها بالأمراض والحروب والضيق والسعة والموت والحياة، والسعادة والشقاوة بين الزوجين إذا عقد قرانها عند اقتران كذا من النجوم والكواكب بكذا. ولهم في ذلك ما يسمونه بالطالع، ويعملون جدولًا بالحوادث التي ستحدث في العام كله من حوادث عامة وخاصة. وهذا هو الدجل والكذب. وهو نوع من السحر واستخدام الشياطين والقول علىٰ الله بلا علم. [الفقي].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وللنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»**[1].

ش: هذا الحديث ذكره المصنف من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي. وقد رواه النسائي مرفوعًا، وحسنه ابن مفلح.

قوله: (وللنسائي) هو: الإمام الحافظ أحمد بن شُعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن صاحب «السنن» وغيرها. روىٰ عن محمد بن المُثنىٰ وابن بشار وقتيبة، وخلق، وكان إليه المنتهىٰ في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنة.

قوله: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ» اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر: عقدوا الخيوط ونفثوا علىٰ كل عقدة، حتىٰ ينعقد كل ما يريدون من السحر، قال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝﴾ [الفلق: ٤] يعني: السواحر اللاتي يفعلن ذلك، والنفثُ: هو النفخ مع ريق، وهو دون التفل. والنفث فعل الساحر، فإذا تكيَّفت نفسه بالخبث والشر - الذي يريده بالمسحور، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة - نفخ في تلك العقدة نفخًا معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذىٰ، مقترن للريق الممازج لذلك، وقد تساعد هو والروح الشيطانية علىٰ أذىٰ المسحور، فيصيبه السحر بإذن الله الكوني القدري، لا الشرعي، قاله ابن القيم.

قوله: «وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ» نص في أن الساحر مُشرك؛ إذ لا يتأتىٰ السحر بدون

---

(١) **ضعيف:** رواه النسائي (٧/ ١٢)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٤٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ١٦٩) من طريق عبادة بن ميسرة المنقري عن الحسن البصري عن أبي هريرة، وفي الإسناد عباد بن ميسرة وهو ضعيف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة، قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٧٨) ترجمة عباد: هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه. اهـ.

قلت: والحديث معل بالإرسال. فقد رواه ابن وهب في «جامعه» (٦٧٤)، ومن طريقه البيهقي في «سننه» (٩/ ٣٥١) من طريق جرير بن حازم عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، وهو الصواب، وله طريق آخر عن الحسن مرسلًا وإسناده ضعيف كما عند عبد الرزاق (١١/ ١٧).

الشرك، كما حكاه الحافظ عن بعضهم.

قوله: «**وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**» أي: من تعلق قلبه شيئًا - بحيث يعتمد عليه ويرجوه - وَكَلَه الله إلىٰ ذلك الشيء[1].

فمن تعلق علىٰ ربه وإلهه وسيده ومولاه ربِّ كل شيء ومليكه، كفاه ووقاه وحفظه وتولاه، فنعم المولىٰ ونعم النصير. قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]. ومن تعلَّق علىٰ السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين، وكله الله إلىٰ من تعلقه فهلك، ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق ونظر بعين البصيرة رأىٰ ذلك عيانًا، وهذا من جوامع الكلم. والله أعلم.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ: الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»[2]. رواه مسلم.**

ش: قوله: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ**» أي: أخبركم، و«**العَضْهُ**» بفتح المهملة وسكون المعجمة.

قال أبو السعادات: هكذا يُروىٰ في كتب الحديث. والذي في كتب الغريب: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعِضَةُ؟**» بكسر العين وفتح الضاد.

قال الزمخشري: أصلُها العِضْهَةَ فِعْلة من العَضْه وهو البَهت. فحُذفت لامُه، كما حُذفت من السَّنَة والشفة، وتُجمع علىٰ عِضِين.

ثم فسره بقوله: «**هِيَ النَّمِيمَةُ: الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**»، فأطلق عليها العَضْهُ؛ لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالبًا. ذكره القُرطبي.

وذكر ابن عبد البر، عن يحيىٰ بن أبي كثير، قال: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة[3].

---

(١) ومن قصر تعلق قلبه علىٰ الله وحده كفاه كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وهذا التعلق هو روح الإيمان وخلاصة التوحيد، فمن تعلق قلبه بغير الله يرجوه في دفع ضر أو جلب نفع فقد أشرك بالله أعظم الشرك. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٠٦).

(٣) عزاه إليه ابن مفلح في الفروع (٦/ ١٨٠).

وقال أبو الخطاب في «عيون المسائل»: ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس.

قال في «الفروع»: ووجهه: أنه يقصد الأذىٰ بكلامه وعمله علىٰ وجه المكر والحيلة، أشبه السحر، وهذا يعرف بالعرف والعادة أنه يؤثر، وينتج ما يعمله السحر أو أكثر، فيُعطىٰ حكمه؛ تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين. لكن يقال: الساحر إنما يكفر لوصف السحر، وهو أمر خاص ودليله خاص، وهذا ليس بساحر. وإنما يؤثر عمله ما يؤثره فيُعطىٰ حكمه، إلَّا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة. انتهىٰ ملخصًا.

وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة. وهو يدل علىٰ تحريم النميمة، وهو مجمع عليه.

قال ابن حزم: اتفقوا علىٰ تحريم الغِيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة.

وفيه دليل علىٰ أنها من الكبائر.

قوله: «**الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**». قال أبو السعادات: أي كثرة القول، وإيقاع الخصومة بين الناس. ومنه الحديث: «**فَفَشَتِ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**»[1].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالىٰ: ولهما عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»**[2].

ش: البيانُ: البلاغة والفصاحة.

قال صَعْصعةُ بنُ صُوْحان: صدق نبي الله؛ فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق.

وقال ابن عبد البر: تأولته طائفة علىٰ الذم؛ لأن السحر مذموم.

وذهب أكثر أهل العلم، وجماعة أهل الأدب إلىٰ أنه علىٰ المدح؛ لأن الله تعالىٰ مدح البيان.

قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله. قال: هذا والله السحر الحلال. انتهىٰ.

والأول أصح، والمراد به البيان الذي فيه تمويه علىٰ السامع وتلبيس، كما قال بعضهم شعرًا:

فِي زُخْرُفِ القَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ ... وَالحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٢٣).

(٢) صحيح: وتقدم تخريجه.

مأخوذ من قول الشاعر:

تَقُولُ هَـذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ: ذَا قَيءُ الزَّنَابِيرِ

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... وَالحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

وقوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا». هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق، فيستميل به قلوب الجهال، حتىٰ يُقبل الباطل ويُنكر الحق، نسأل الله الثبات، والاستقامة علىٰ الهُدىٰ.

وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبينه، فهذا هو الممدوح، وهكذا حال الرسل وأتباعهم، ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم.

وبالجملة: فالبيان لا يحمد إلَّا إذا لم يخرج إلىٰ حد الإسهاب والإطناب، وتغطية الحق، وتحسين الباطل. فإذا خرج إلىٰ هذا فهو مذموم، وعلىٰ هذا تدل الأحاديث كحديث الباب وحديث: «إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ بِلِسَانِهَا». رواه أحمد وأبو داود[1].

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

---

(١) حسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨٨٠)، ورواه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣)، وأحمد (٢/ ١٦٥، ١٨٧)، وابن أبي شيبة (٩/ ١٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٩٧١، ٤٩٧٢) من طريق عاصم بن سفيان عن أبيه عن عبد الله بن عمرو. وفي الإسناد عاصم بن سفيان، روىٰ عنه جمع، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الحافظ في التقريب: صدوق. وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه «مسند أحمد» (٦٥٤٣)، وذكر للحديث شاهدين، أحدهما عن سعد بن أبي وقاص، والآخر عن عبد الله بن عمرو وهما ضعيفان.

(٢٥)
بَابُ: ما جاء في الكهان ونحوهم

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء في الكهان ونحوهم.**

ش: الكاهن: هو الذي يأخذ عن مُسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيرًا. وأما بعد المبعث فإنهم قليل؛ لأن الله تعالىٰ حرس السماء بالشُّهُب.

وأكثر ما يقع في هذه الأمة، ما يُخبر به الجن مواليهم من الإنس، عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة[١]، وقد اغتر بذلك كثير من الناس، يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليًّا لله، وهو من أولياء الشيطان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: روىٰ مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَه عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»[٢].**

ش: قوله: (عن بعض أزواج النبي ﷺ) هي حفصة، ذكره أبو مسعود الدمشقي؛ لأنه

---

(١) والواقع أن ذلك من تآلف روح الشيطان القرين مع روح قرينه الإنسان الخبيث، فيتناجيان ويتكلم الشيطان مع قرينه بما يحب من الأخبار التي يتلقاها الشيطان عن الشيطان الآخر قرين الإنسان الآخر. وهكذا فإن لكل إنسان قرينًا من الشيطان كما جاء ذلك في القرآن والسنة. فيخبر شيطان الإنس بما أوحىٰ إليه شيطان الجن من أخبار السائل وأحواله في منزله وخصوصية نفسه مما ألقاه إليه الشيطان القرين، فيظن الجهلة والمغفلون أن ذلك عن صلاح وتقوىٰ وكرامات، وأنه بصلاحه قد كشف الحجاب عنه. وهذا من أضل الضلال ومن أعظم الخذلان، وإن اعتقده وخدع به كثير ممن ينتسب إلىٰ ظاهر العلم والصلاح. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٣٠) بدون «فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ» وأحمد (٤/ ٦٨، ٥/ ٣٨٠)، واللفظ له بسند صحيح.

ذكر هذا الحديث في «الأطراف» في مسندها.

قوله: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا» سيأتي بيان العراف إن شاء الله تعالىٰ.

وظاهر الحديث: أن الوعيد مرتب علىٰ مجيئه وسؤاله، سواء صدقه أو شك في خبره. فإن في بعض روايات الصحيح: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَه عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

قوله: «لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ» إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

قال النووي وغيره: معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه، ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث، فإن العلماء متفقون علىٰ أنه لا يلزم من أتىٰ العراف إعادة صلاة أربعين ليلة. انتهىٰ ملخصًا.

وفي الحديث: النهي عن إتيان الكاهن ونحوه.

قال القرطبي: يجب علىٰ من قدر علىٰ ذلك من مُحتسب وغيره أن يقيم من يتعاطىٰ شيئًا من ذلك من الأسواق، ويُنكر عليهم أشد النكير، وعلىٰ من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلىٰ العلم؛ فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ» رواه أبو داود.**

ش: وفي رواية أبي داود: «أَوْ أَتَىٰ امْرَأَةً - قال مسدد: امْرَأَتَهُ - حَائِضًا أَوْ أَتَىٰ امْرَأَةً - قال مسدد: امْرَأَتَهُ - فِي دُبُرِهَا، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»[1]. فناقل هذا الحديث من

---

(١) **ضعيف مطولًا:** ويشهد لبعضه الأحاديث الآتية، ورواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، والدارمي (١١٣٦)، وابن الجارود في «المنتقىٰ» (١٠٧)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ١٩٨)، وإسحاق في «مسنده» (١/ ٤٢٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٤٤، ٤٥)، والعقيلي (١/ ٣١٨)، وابن عدي (٢/ ٢٢٠)، وابن أبي شيبة (٤/ ٢٥٢ - ٢٥٣)، والبخاري في «التاريخ» (٣/ ١٧٢١٦) من طريق حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة به.

وذكر الحديث مطولًا، وفي الإسناد حكيم الأثرم وإن كان صدوقًا قليل الحديث إلَّا أنه أُنكر عليه هذا الحديث. وأبو تميمة لم يسمع من أبي هريرة، قال البخاري في «التاريخ»: هذا حديث لا يتابع عليه، يعني حكيمًا، ولا يعرف =

«السنن» حذف منه هذه الجملة، واقتصر علىٰ ما يناسب الترجمة.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وللأربعة والحاكم - وقال: صحيح علىٰ شرطهما - عن...: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»**[1].

=

لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين، وقال الترمذي في «العلل الكبير» (صـ٩): سألت محمدًا عن هذا الحديث فلم يعرفه إلَّا من هذا الوجه، وضعف هذا الحديث جدًّا... والحديث ضعفه البزار والنسائي وأبو علي النيسابوري كما في «تلخيص الحبير» (٣/ ١٨٠)، وضعفه البغوي والذهبي وابن سيد الناس والصدر المناوي كما في «فيض القدير» (٦/ ٢٣) ثم إنه مُعل بالوقف. انظر العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣١٨، ١٤٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٠١٨، ٩٠١٩)، ورواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٤٤) من طريق إسماعيل بن عياش عن سهيل بن أبي صالح المدني عن الحارث بن مخلد عن أبي هريرة به. وإسماعيل في روايته عن غير الشاميين ضعيف، وهذا منها، والحارث بن مخلد مجهول.

وقد اضطرب فيه إسماعيل في إسناده ولفظه.

فرواه كما سبق، ورواه عن سهيل عن محمد بن المنكدر عن جابر به كما عند الطحاوي (٣/ ٤٥)، والدارقطني (٣/ ٢٨٨).

ورواه عن سهيل عن الحارث عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَىٰ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا» كما عند أبي داود (٢١٦٢)، وابن ماجه (٨٣٢)، وأحمد (٢/ ٤٤٤، ٤٧٩)، والنسائي في «عشرة النساء» (١٢٦ - ١٢٩).

(١) **حسن بشواهده:** رواه أحمد (٢/ ٤٢٩) حدثنا يحيىٰ بن سعيد، ورواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٢/ ١٨٧ / ١)، ومن طريقه أبو بكر بن خلاد في «الفوائد» (٢/ ٢٢١/ ١) كما في «الإرواء» (٧/ ٦٩) عن روح به، (يحيىٰ بن سعيد وروح) كلاهما عن عوف الأعرابي عن خلاس عن أبي هريرة به.

ورواه الحاكم (١/ ٨)، ومن طريقه البيهقي (٨/ ١٣٥) من طريقين، أحدهما: من طريق أحمد بن مهران الأصبهاني عن عبيد الله بن موسىٰ عن عوف به، إلَّا أنه قال: خلاس ومحمد بن سيرين عن أبي هريرة به. وفي الإسناد أحمد بن مهران لا أعلم فيه توثيقًا، وذكره أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٩٥).

والطريق الثاني: رواه من طريق الحارث بن أبي أسامة عن روح عن عوف به، مثل رواية أحمد بن مهران بجمع خلاس ومحمد، وكأن هذه الرواية وهم فإن أصل رواية الحارث في مسنده بدون ذكر محمد كما سبق.

فالصحيح في هذه الرواية عوف عن خلاس عن أبي هريرة به.

وخلاس بن عمرو لم يسمع من أبي هريرة. ورواه أحمد (٢/ ٤٢٩) من نفس الطريق عن الحسن مرسلًا.

وله شاهد من حديث جابر مرفوعًا رواه البزار (١٧١) مختصرًا كما في «زوائد ابن حجر» و(٣٠٥٤ كشف) حدثنا عقبة بن سنان ثنا غسان بن مضر ثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله مرفوعًا: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ**...» الحديث.

=

ش: هكذا بيض المصنف لاسم الراوي. وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا.

قوله: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا» قال بعضهم: لا تعارض بين هذا وبين حديث: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَه عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». هذا علىٰ قول من يقول: هو كفر دون كفر، أما علىٰ قول من يقول بظاهر الحديث، فيُسأل عن وجه الجمع بين الحديثين!

وظاهر الحديث: أنه يكفر متىٰ اعتقد صدقه بأي وجه كان. وكان غالب الكهان قبل النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين.

قوله: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ». قال القرطبي: المراد بالمنزل الكتاب والسنة. انتهىٰ.

وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يُتوقف فيه فلا يقال: يُخرج عن الملة ولا يخرج؟ وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأبي يعلىٰ - بسند جيد - عن ابن مسعود مثله موقوفًا[1]:**

ش: أبو يعلىٰ اسمه: أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي، الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره. روىٰ عن يحيىٰ بن معين وأبي خيثمة، وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق.

وكان من الأئمة الحفاظ، مات سنة سبع وثلاثمائة.

=

تنبيه: عقبة بن سنان في بعض النسخ عقبة بن سيار والصواب الأول، قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١١٧) رجاله رجال الصحيح خلا عقبة بن سنان وهذا ضعيف. ووصف ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢١٧) إسناده بأنه جيد.

وفي الإسناد عقبة بن سنان، قال فيه أبو حاتم: صدوق. كما في «الجرح والتعديل» (٦/ ٣١١)، وقال فيه ابن حجر: وهو ثقة. كما في «اختصار زوائد البزار»، ويشهد له الحديث السابق والأحاديث الآتية.

(١) **صحيح موقوفًا:** رواه البغوي في «الجعديات» (٢/ ٧٧٠ - ٧٧٣)، والطيالسي (٣٨١، ٣٨٢ ط. هجر) وأبو يعلىٰ (٥٤٠٨)، وابن عدي (٧/ ٢٣٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٠٥)، و«الأوسط» (١٤٥٣)، والبزار (٢٠٦٧ كشف) والبيهقي (٨/ ١٣٦)، والخطيب (٨/ ٦٠)، وعبد الرزاق (١١/ ٢١٠) من طرق عن عبد الله موقوفًا، وروي مرفوعًا من هذا الوجه ولا يصح، انظر ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٠٤) وانظر «العلل» للدارقطني (٥/ ٢٨١، ٢٨٢، ٣٢٨، ٣٢٩)، و«العلل المتناهية» لابن الجوزي (١٣١٢)، وقال المنذري (٤ / ٣١) رواه البزار وأبو يعلىٰ بإسناد جيد موقوفًا، وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٧): إسناده جيد، ومثله لا يقال بالرأي.

وهذا الأثر: رواه البزار أيضًا، ولفظه: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ ساحرًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ: فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ».

وفيه: دليل علىٰ كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يدَّعيان علم الغيب، وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضىٰ به، وذلك كفر أيضًا[1].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى**: وعن عمران بن حُصين مرفوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ. وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ» رواه البزار بإسناد جيد[2].

ورواه الطبراني بإسناد حسن، من حديث ابن عباس، دون قوله: «وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا» إلىٰ آخره[3].

ش: قوله: «لَيْسَ مِنَّا»[4] فيه وعيد شديد، ويدل علىٰ أن هذه الأمور من الكبائر، وتقدم: أن الكهانة والسحر كفر.

قوله: «مَنْ تَطَيَّرَ» أي: فعل الطيرة، أو «تُطُيِّرَ لَهُ» أي: قَبِل قولَ المتطيِّر له وتابعه، كذا

---

(١) وذلك لأن في الكتاب المنزل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال في سورة «الأنعام»: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال في سورة «الجن»: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]. فمن صدق العراف والكاهن فقد كذب بهذه الآيات، ومن كذبها كفر. [الفقي].

(٢) إسناده ضعيف: رواه البزار (٣/ ٣٩٩ - ٤٠٠) من طريق أبي حمزة العطار عن الحسن عن عمران فذكره مرفوعًا، ورواه الدولابي في «الكنىٰ» (٢/ ١٦٦)، وسقط من إسناده الحسن، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢) من طريق أبي حمزة به بدون قوله: «وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا...» والحسن لم يسمع عمران، وأبو حمزة ضعفه عمرو بن علي، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وكان حسن الحديث، وقال ابن عدي: ومع ضعفه يكتب حديثه. وقال البزار: لا بأس به.

(٣) إسناده ضعيف: رواه البزار (٣/ ٣٩٩)، والطبراني في «الأوسط» (٤١٨٥) كما في «مجمع البحرين» من طريق زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ به. «ليس منا من تطير...» الحديث، ولم يذكر: «وَمَنْ أَتَىٰ...» إلىٰ آخره، وفي الإسناد زمعة بن صالح وهو ضعيف، وللحديث شاهد عن علي رضي الله عنه رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥٠٩٨ مجمع البحرين) وإسناده ضعيف واهٍ، وفي إسناده مختار بن غسان وهو مجهول، وعيسىٰ بن مسلم وعبد الأعلىٰ بن عامر وكلاهما ضعيف.

(٤) فيه دليل علىٰ نفي الإيمان الواجب، وهو لا ينافي ما تقدم من أن الطيرة شرك، وأن الكهانة كفر. [الفقي].

معنىٰ «**أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ**» كالذي يأتي الكاهن ويصدقه ويتابعه، وكذلك من عمل الساحر له السحر.

فكل من تلقىٰ هذه الأمور عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ؛ لكونها إما شرك كالطيرة، أو كفر كالكهانة والسحر. فمن رضي بذلك وتابع عليه فهو كالفاعل، لقبوله الباطل واتباعه.

قوله: (رواه البزار) هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزار البصري، صاحب «المسند الكبير». وروىٰ عن ابن بشار وابن المثنىٰ وخلق، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: قال البغوي: العرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدِّمات يستدل بها علىٰ المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك.**

وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يُخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يُخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرَّمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

ش: البغوي - بفتحتين - هو الحسين بن مسعود بن الفرَّاء الشافعي، صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان، كان ثقة فقيهًا زاهدًا، مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة.

قوله: **(العرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور)** ظاهره: أن العراف: الذي يُخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها والضالة ومكانها.

وقال شيخ الإسلام: إن العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، كالحازر الذي يدعي علم الغيب، أو يدعي الكشف!

وقال أيضًا: والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو في معناه.

وقال أيضًا: والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وحُكي ذلك عن العرب.

وعند آخرين: هو من جنس الكاهن، وأسوأ حالًا منه، فيُلحق به من جهة المعنىٰ.

وقال الإمام أحمد: العراف: طَرَف من السحر. والساحر أخبث.

وقال أبو السعادات: العراف: المنجم، والحازر: الذي يدعي علم الغيب، وقد استأثر الله تعالىٰ به.

وقال ابن القيم: من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفًا وعرافًا.

والمقصود من هذا: معرفة من يدعي معرفة علم شيء من المُغيَّبات، فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنىٰ، فيُلحق به. وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف. ومنه ما هو من الشياطين، ويكون: بالفأل والزجر والطيرة والضرب بالحصىٰ والخط في الأرض والتنجيم والكهانة والسحر ونحو هذا من علوم الجاهلية.

ونعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل - عليهم السلام -، كالفلاسفة والكُهَّان والمنجمين، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ فإن هذه علوم القوم، ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام[1].

وكل هذه الأمور يُسمَّىٰ صاحبها كاهنًا أو عرّافًا أو في معناهما، فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد. وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام، فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وادعوا أنهم أولياء، وأن ذلك كرامة!!

ولا ريب أن من ادعىٰ الولاية، واستدل بإخباره ببعض المغيبات فهو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن! إذ الكرامة: أمر يجريه الله علىٰ يد عبده المؤمن التقي: إما

---

(١) ومعنىٰ الجاهلية: الإعراض عن العلم المنزَّل من الله علىٰ رسله هدىٰ ورحمة، والاعتماد علىٰ التقاليد والعادات والظنون والتخرصات، وما يوحى به الشياطين، ويحددها قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وقد عادت الجاهلية إلىٰ الناس اليوم مثل الجاهلية الأولىٰ وشرًّا منها، ولا يمنع وجود القرآن والحديث؛ لأنهم اتخذوهما مهجورين، فوجودهما حجة عليهم فقط، ولا يغرنك منهم عمائم ولحىٰ وصور فما وراءها إلَّا جاهلية وعقلية عامية، قد تكون شرًّا من عقلية من يتبعون أذناب الإبل والبقر، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور: ٤٠]. [الفقي].

بدعاء، أو أعمال صالحة لا صُنع للولي فيها، ولا قدرة له عليها، بخلاف من يدعي أنه ولي لله، ويقول للناس: اعلموا أني أعلم المغيبات؛ فإن مثل هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب، وإن كانت أسبابًا محرمة كاذبة في الغالب.

ولهذا قال ﷺ في وصف الكهان: «**فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**»[1]. فبيَّن أنهم يصدقون مرة ويكذبون مائة.

وهكذا حال من سلك سبيل الكهان، ممن يدعي الوَلاية والعلم بما في ضمائر الناس، مع أن نفس دعواه دليل علىٰ كذبه؛ لأن في دعواه الوَلاية تزكية النفس المنهي عنها بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢]. وليس هذا من شأن الأولياء؛ بل شأنهم الإزراء علىٰ نفوسهم وعيبهم لها، وخوفهم من ربهم، فكيف يأتون الناس، يقولون: اعرفوا أنَّا أولياء، وأنَّا نعلم الغيب؟ ومن ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق واقتناص الدنيا بهذه الأمور.

وحسبك بحال الصحابة والتابعين، وهم سادات الأولياء ﷺ، أفكان عندهم من هذه الدعاوىٰ والشطحات شيء؟! لا والله، بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن، كالصديق ﷺ[2]، وكان عمر ﷺ يُسمع نشيجه من وراء الصفوف يبكي في صلاته[3]، وكان يمرُّ بالآية في ورده بالليل فيمرض منها ليالي يعودونه[4]، وكان تميم الداري يتقلب علىٰ فراشه لا يستطيع النوم إلَّا قليلًا خوفًا من النار، ثم يقوم إلىٰ صلاته!

ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكره الله تعالىٰ من صفاتهم في سورة «الرعد»،

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٣٢٨٨)، ومسلم (٢٢٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «صحيحه» (٧١٦)، ومسلم (٤١٨).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه البخاري معلقًا (٢/ ٢٠٦)، ووصله ابن أبي شيبة (١/ ٣٥٥)، وسعيد بن منصور في «السنن» والبيهقي في «الشعب» كما في التعليق (٢/ ٣٠٠) من طريق سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن محمد بن سعد سمع عبد الله بن شداد يقول: «سمعت نشيج عمر...الأثر» وصحح إسناده الحافظ ابن حجر.

ووقع في مطبوعة ابن أبي شيبة إسماعيل بن محمد عن سعد وهو خطأ، والصواب إسماعيل بن محمد بن سعد وهو ابن أبي وقاص.

(٤) **إسناده منقطع**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥١) من طريق هشام عن الحسن فذكره عن عمر.

و«المؤمنين»، والفرقان، والذاريات، والطور[1]. فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء، لا أهل الدعوىٰ والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب، بل مجرد دعواه علم الغيب كفر.

فكيف يكون المدعي لذلك وليًا لله؟ وقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المغترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولَبَّسُوا بها علىٰ خفافيش القلوب. نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابن عباس - في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم -: [2] ما أرىٰ مَن فعل ذلك له عند الله من خلاق.**

ش: هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا. وإسناده ضعيف، ولفظه: «رُبَّ مُعَلم حروف أبي جاد دارس في النجوم، ليس له عند الله خلاق يوم القيامة».

ورواه حُميد بن زَنْجويه عنه، بلفظ: «رُبَّ ناظر في النجوم، ومتعلم حروف أبي جاد

---

(١) **قوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٠] الآيات. وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ - ٢٩]. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧] الآيات إلىٰ (٦١). وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾...﴾ [الفرقان: ٦٣] الآيات إلىٰ (٧٦). وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ...﴾ [الذاريات: ١٥] الآيات إلىٰ (١٩). وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾...﴾ [الطور: ١٧] الآيات إلىٰ (٢٨).

هذا وفي القرآن الكريم صفات المؤمنين كثيرة جدًّا، بل أكثر آي القرآن في وصف الإيمان وأهله، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ومن أدل الدلائل علىٰ أن الجهل ضرب علىٰ القلوب نطاقًا كثيفًا: أن يعتقد الناس هذه الدرجة الرفيعة لعباد الرحمن في قوم يبولون علىٰ ثيابهم وهم في غاية القذر والوسخ، ولا يركعون لله ركعة، وقد سلبوا كل نعمة إِلَّا الحيوانية، وربما تكلم الشيطان علىٰ ألسنتهم بالكلمة التي يفتن بها أولئك الجاهلين، ولا قوة إِلَّا بالله. [الفقي].

(٢) **صحيح موقوفًا:** رواه عبد الرزاق (١١/ ٢٦)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩)، وفي «شعب الإيمان» (٥١٩٦)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٧٨٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٧٨) من طريق ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس به. ورواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤١) رقم (١٠٩٨٠) مرفوعًا، وإسناده موضوع، ففي إسناده خالد بن يزيد العمري كذاب.

ليس له عند الله خلاق».

قوله: (**ما أرىٰ**) يجوز فتح الهمزة بمعنىٰ: لا أعلم. ويجوز ضمها بمعنىٰ: لا أظن.

وكتابة أبي جاد وتعلُّمها - لمن يدعي بها علم الغيب - هو الذي يُسمَّىٰ علم الحرف[1]، وهو الذي جاء فيه الوعيد، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل، فلا بأس به.

قوله: (**وينظرون في النجوم**) أي: ويعتقدون أن لها تأثيرًا؛ كما سيأتي في باب التنجيم.

وفيه من الفوائد: عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر: ٨٣]

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكُهِّن له.

الرابعة: ذكر من تُطير له.

الخامسة: ذكر من سُحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

* * *

---

(١) وينسبه الدجالون المشركون إلىٰ جعفر الصادق، ولهم في ذلك كلام كثير في منتهىٰ الكفر، والظاهر أنه من وضع الرافضة الذين استجابوا لسلفهم اليهود فأعملوا في هدم الإسلام كل معول. [الفقي].

(٢٦)
بَابُ: ما جاء في النُّشْرة

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء في النشرة.**

ش: بضم النون، كما في «القاموس». قال أبو السعادات: النُّشْرة: ضربٌ من العلاج والرُّقية، يُعالَج به من يُظنُّ أن به مسًّا من الجن، سُمِّيت نُشرة؛ لأنه يُنشَر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يُكشف ويزال.

قال الحسن: النُّشرة من السحر[1]. وقد نشرت عنه تنشيرًا، ومنه الحديث: «**فَلَعَلَّ طَبًّا أَصَابَهُ**»، ثم نشره بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أي: رقاه.

وقال ابن الجوزي: النُّشْرة حلُّ السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلَّا من يعرف السحر.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة؟ فقال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»[2]. رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سُئل أحمد**

---

(١) **إسناده ضعيف جدًّا:** رواه الخطابي في «معالم السنن» (٤/ ٢٠٤) من طريق عبد الله بن شبيب حدثنا زكريا بن يحيىٰ المنقري، حدثنا الأصمعي، حدثنا الحكم بن عطية، عن الحسن فذكره، وعبد الله بن شبيب: ضعيف واهٍ.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٨٦٨)، وأحمد (٣/ ٢٩٤)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٣٥١)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٢٤١ - ٢٤٢) عن عبد الرزاق، أخبرنا عقيل بن معقل، سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر؟ قال: سئل النبي عن النشرة، فقال: «**مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٧٦٢) به، إلَّا أنه أوقفه علىٰ جابر، ورجال الحديث رجال الشيخين سوىٰ عقيل بن معقل، وهو ثقة، وفي الإسناد وهب بن منبه، قال ابن معين: لم يلق جابرًا إنما هو كتاب، وقال في موضع آخر: هي صحيفة ليست بشيء. اهـ.

قلت: والرواية عن الصحيفة معتبرة، وللحديث شاهد رواه الحاكم (٤/ ٤١٨)، والبزار (٣٠٣٤) «كشف» والطبراني في «الأوسط» (٤١٨٣) «مجمع البحرين» من طريق مسكين بن بكير، ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، قال: سئل أنس عن النشرة، فقال: ذكر لي أن رسول الله ﷺ سئل عنها، قال: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**». وفي رواية الطبراني في «الأوسط» فقال: «ذكروا أنها من عمل الشيطان».

=

عنها، فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كله.

ش: هذا الحديث رواه أحمد ورواه عنه أبو داود في «سننه». والفضل بن زياد في كتاب «المسائل» عن عبد الرزاق، عن عقيل بن معقل بن مُنبّه، عن عمه وهب بن منبه، عن جابر، فذكره. قال ابن مفلح: إسناده جيد. وحسن الحافظ إسناده.

قوله: (سُئل عن النُّشرة)، والألف واللام في النُّشرة للعهد، أي: النُّشرة المعهودة، التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان.

قوله: (وقال: سُئل أحمد عنها، فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كله) أراد أحمد رحمه الله: أن ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان؛ كما يكره تعليق التمائم مُطلقًا(١).

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وللبخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طِبٌّ أو يُؤَخَّذُ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه، أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يُريدون به الإِصلاح، فأما ما ينفع فلم يُنه عنه(٢).**

ش: قوله: **(عن قتادة)**: هو ابن دِعامة - بكسر الدال - السَّدوسي، ثقة فقيه، من أحفظ التابعين. قالوا: إنه ولد أكْمه، مات سنة بضع عشرة ومائة.

قوله: (رجل به طب) بكسر الطاء أي: سِحْر، يُقال: طُبَّ الرجل - بالضم - إذا

=

وقال البزار: لا نعلم أسنده عن شعبة إِلَّا مسكين، وهو حراني مشهور، وفي الإِسناد مسكين بن بكير، وهو وإن كان ثقة إِلَّا أنه له مناكير، وفي حديثه بعض الخطأ، وقد خالفه علي بن الجعد، فرواه عن شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن مرسلًا، كما في «مراسيل أبي داود» (٤٥٣)، وفي الإِسناد أبو رجاء وقد اختلف في اسمه، قال البزار: هو محمد بن سيف الأزدي، وكذا ذكر المزي في «التحفة» وقال الحاكم: هو مطر الوراق، والأول ثقة، والثاني كثير الخطأ.

وقد قال البيهقي: ورُوي عن النبي ﷺ مرسلًا، وهو مع إرساله أوضح، ولكن قال ذلك بعد روايته لحديث جابر.

(١) ثبت كراهية ابن مسعود لتعليق التمائم، وانظر أثره في تحقيقي «شرح كتاب التوحيد» للشيخ ابن باز رقم (١٥١).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه البخاري معلقًا (١٠/ ٢٣٢) «الفتح» ووصله ابن عبد البر في «التمهيد» (١١٦/ ٢٤٣- ٢٤٤) من طريق الأثرم، حدثنا حفص بن عمر النمري، حدثنا هشام، عن قتادة، عن سعيد به، قال الحافظ في «تغليق التعليق» (٥/ ٤٩): هكذا ذكره الأثرم في «السنن» وقال في «الفتح» ووصله أبو بكر الأثرم في كتاب «السنن» من طريق أبان، عن قتادة ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة. قال: حدثنا حميد بن مسعدة، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد نحوه، كما في «تغليق التعليق» (٥/ ٤٩).

سُحر. ويقال: كَنَّوا عن السحر بالطب تفاؤلًا، كما يُقال للديغ: سليم.

وقال ابنُ الأنباري: الطِّبُّ من الأضداد، يقال لعلاج الداء: طبٌّ، والسحر من الداء، يقال له: طب.

قوله: (يُؤَخَّذُ) – بفتح الواو مهموز، وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة – أي يُحبس عن امرأته ولا يصل إلىٰ جماعها. والأُخذة – بضم الهمزة – الكلام الذي يقوله الساحر.

قوله: (أيُحَل) بضم الياء وفتح الحاء مبني للمفعول.

قوله: (أو يُنشَّر) بتشديد المعجمة.

قوله: (لا بأس به) يعني: أن النُّشرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح، أي: إزالة السحر، ولم يُنه عما يُراد به الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يُحمل علىٰ نوع من النُّشرة لا يُعلم أنه سحر.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ويُروىٰ عن الحسن أنه قال: «لا يَحُلُّ السحر إلَّا ساحر»**[1].

ش: هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد.

والحسن: هو ابن أبي الحسن، واسمه: يسار – بالتحتية والمهملة – البصري الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه، إمام من خيار التابعين. مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** قال ابن القيم: النُّشرة حلُّ السحر عن المسحور.

وهي نوعان:

أحدهما: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرَّب الناشرُ والمنتشر إلىٰ الشيطان بما يُحب، فيبطل عملُه عن المسحور.

والثاني: النُّشرة بالرُّقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

ش: ومما جاء في صفة النُّشْرة الجائزة: ما رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، عن ليث ابن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله – تقرأ في إناء فيه ماء، ثم

(١) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» كما في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣)، وعزاه صاحب «فتح المجيد» (٢/ ٥٠٢) إلىٰ ابن الجوزي في «جامع المسانيد» وكذا عزاه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٧٧).

يُصبُّ علىٰ رأس المسحور[(١)] - الآية التي في سورة «يونس»: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس: ٨١، ٨٢] وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف: ١١٨] إلىٰ آخر الآيات الأربع. وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

وقال ابنُ بطال: في «كتاب وهب بن مُنبه»: أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقَّه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله.

قلت: قول العلامة ابن القيم: **(والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز)** يشير إلىٰ مثل هذا، وعليه يُحمل كلام من أجاز النُّشرة من العلماء.

والحاصل: أن ما كان منه بالسحر فيحرُم، وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة فجائز. والله أعلم.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال.

---

(١) مثل هذا لا يعمل فيه برأي ليث بن أبي سليم، ولا برأي ابن القيم [(*)] ولا غيرهما، وإنما يعمل بالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يجئ عنه ﷺ شيء مما يقول ابن أبي سليم ولا ابن القيم. وما ينقل عن وهب بن منبه فعلىٰ سنة الإسرائيليين لا علىٰ هدي خير المرسلين. ومن باب هذا التساهل دخلت البدع ثم الشرك الأكبر. وعلىٰ المؤمن الناصح لنفسه أن يعض بالنواجذ علىٰ هدي رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ويتجنب المحدثات، وإن كانت عمن يكون، فكل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلَّا رسول الله ﷺ [الفقي]

(*) قوله: (مثل هذا لا يعمل فيه برأي ليث بن أبي سليم ولا برأي ابن القيم) إلخ. أقول: اعتراض الشيخ حامد علىٰ ما ذكره الشارح عن ابن أبي سليم ووهب بن منبه وابن القيم ليس في محله، بل هو غلط من الشيخ حامد؛ لأن التداوي بالقرآن الكريم والسدر ونحوه من الأدوية المباحة ليس من باب البدع، بل هو من باب التداوي، وقد قال النبي ﷺ **«عِبَادُ الله تَدَاوَوْا وَلَا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»**. وثبت في سنن أبي داود في كتاب الطب أن النبي ﷺ قرأ في ماء في إناء وصبه علىٰ المريض، وبهذا يعلم أن التداوي بالسدر، وبالقراءة في الماء وصبه علىٰ المريض ليس فيه محذور من جهة الشرع، إذا كانت القراءة سليمة وكان الدواء مباحًا، والله ولي التوفيق. [ابن باز]

(٢٧)
بَابُ: ما جاء في التطيُّر

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء في التطير.**

ش: أي: من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تَطيَّر يتطيَّر تطيُّرًا، والطِّيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسكَّن: اسم مصدر من تطيَّر طيرة، كما يقال تخير خيرة، ولم يجئ في المصادر على هذه الزنة غيرهما.

وأصله: التطيرُ بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصُدُّهم عن مقاصدهم، فنفاه الشارع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضر.

قال المدائني: سألت رُؤبة بن العجاج: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد! ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب - لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته[1] - ذكرها المصنف في «كتاب التوحيد» تحذيرًا مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى**: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣١].

ش: ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١].

---

(١) وذلك بتعلق القلب بها خوفًا وطمعًا، ومنافاتها للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره، واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد، وإنما تذهب وتجيء في ضرورة معايشها وشئونها. فاعتقاد أن لهذه الحركات ذات اليمين وذات الشمال أثرًا في جلب خير أو دفع ضر من سخف العقول وفساد الفطر، وتمكن الخرافات والجهل وعمى القلوب. وهذا اعتقاد المنجمين في النجوم التي سخرها الله تعالى تجري في بروجها ومداراتها المستقر لها، اعتقدوا لها تأثيرًا في الكون، وهو اعتقاد الصابئة الذين أرسل الله إليهم إبراهيم عليه السلام. [الفقي].

المعنىٰ: أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة، أي: الخِصْب والسعة والعافية - كما فسره مجاهد وغيره[1] - قالوا: لنا هذه، أي: نحن الجديرون والحقيقون به، ونحن أهله. وإن تُصبهم سيئة، أي: بلاء وقحط، تطَّيروا بموسىٰ ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسىٰ وأصحابه، أصابنا بشؤمهم. فقال الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: طائرهم: ما قضىٰ عليهم وقدَّر لهم. وفي رواية: شؤمهم عند الله ومن قِبَله. أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله[2].

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٧﴾ [الأنعام: ٣٧] أي: أن أكثرهم جهال لا يدرون. ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسىٰ عليه السلام إلَّا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله**: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ۝١٩﴾ [يس: ١٩].

ش: المعنىٰ - والله أعلم -: حظُّكم وما نابكم من شر معكم، بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعدوانكم.

فطائرُ الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦].

ويحتمل أن يكون المعنىٰ: طائركم معكم. أي: راجع عليكم، فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم. وهذا من باب القصاص في الكلام. ونظيره قوله عليه السلام: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ**»[3][4] ذكره ابن القيم.

(١) انظر الطبري في «التفسير» (١٤٩٩٢، ١٤٩٩٣) نحوه من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به.
وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقد عنعن، وقد نفىٰ بعض أهل العلم سماعه التفسير من مجاهد.

(٢) انظر الطبري في «التفسير» (١٤٩٩٥) نحوه بإسناد ضعيف، فيه المثنىٰ ولا يعرف له توثيق، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولم يسمع منه، وانظر تفسير البغوي (٢/ ١٩٠).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أنس ﷺ. [الفقي].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣).

وقوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي: من أجل أنَّا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهـذا الكلام؟! ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾. وقال قتادة: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟![1].

ومناسبة الآيتين للترجمة: أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهـم الله به ومقتهم، وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن التطير، وأخبر أنه شرك؛ كما سيأتي في أحاديث الباب.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عـن أبي هريـرة: أن رسـول الله ﷺ قـال: «لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ». أخرجاه[2]. زاد مسلم: «وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ»[3].**

ش: قال أبو السعادات: العدوىٰ: اسم من الإعداء. كالرَّعوىٰ. يقـال: أعـداه الـداء، يعديه إعداء: إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء.

وقال غيره: لا عدوىٰ هو اسم من الإعداء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلىٰ غـيره، والمنفي نفس سراية العلة أو إضافتها إلىٰ العلة. والأول هو الظاهر.

وفي رواية لمسلم: أن أبا هريرة كان يُحدِّث بحديث: «**لَا عَدْوَىٰ**»، ويحـدث عـن النبـي ﷺ أنه قال: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَىٰ مُصِحٍّ**».

ثم إن أبا هريرة اقتصر علىٰ حديث: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَىٰ مُصِحٍّ»[4]. وأمسك عـن حديث: «**لَا عَدْوَىٰ**»، فراجعوه وقالوا: سمعناكَ تُحدث به، فأبىٰ أن يعترف به.

قال أبو سلمة - الراوي عن أبي هريرة -: فلا أدري أنسي أبـو هريـرة أو نـسخ أحـد القولين الآخر؟

وقد روىٰ حديث: «لَا عَدْوَىٰ» جماعة من الصحابة: أنس بـن مالـك[5]، وجـابر بـن

---

(١) رجاله ثقات: رواه الطبري في تفسيره (٢٩٠٩٢) من طريق سعيد عن قتادة، وقد سبق الكلام علىٰ هـذا الإسناد مرارًا.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (طرف حديث ٢٢٢٠/ ١٠٧) من حديث أبي هريرة بزيادة: «وَلَا نَوْءَ» ومـن حـديث جـابر (٢٢٢٢/ ١٧٠) بزيادة «ولا».

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٢١).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

عبد الله[١]، والسائب بن يزيد[٢]، وابن عمر[٣] وغيرهم[٤]، وفي بعض روايات هذا الحديث: «**وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرّ مِنَ الْأَسَدِ**»[٥].

وقد اختلف العلماء في ذلك. وأحسنُ ما قيل فيه: قولُ البيهقي، وتبعه ابنُ الصلاح، وابن القيم، وابن رجب، وابن مفلح، وغيرهم: أن قوله: «**لَا عَدْوَىٰ**» على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلىٰ غير الله تعالىٰ، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها. وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك، ولهذا قال: «**وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ**». وقال: «**لَا يُورَدُ مُمْرِضٌ عَلَىٰ مُصِحٍّ**». وقال في الطاعون: «**مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا يَقْدُمَ عَلَيْهِ**»[٦]. وكل ذلك بتقدير الله تعالىٰ.

ولأحمد والترمذي، عن ابن مسعود مرفوعًا: «**لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا**» - قالها ثلاثًا -، فقال أعرابي: يا رسول الله النُّقْبَةُ[٧] من الجَرَب تكون بِمِشْفَر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتَجْرَبُ كلُّها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فَمَنْ أَجْرَبَ الْأَوَّلَ ؟ لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٢٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (طرف حديث ٢٢٢٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٧٧٢)، ومسلم (٢٢٢٥).

(٤) انظر أحمد (١/ ٢٦٩، ٣٢٨، ٢/ ٢٢٢)، وغيره من حديث ابن عباس وابن عمر وغيرهما.

(٥) إسناده صحيح: رواه البخاري (٥٧٠٧) تعليقًا، وقال عفان: حدثنا سليم بن حبان، حدثني سعيد بن دينار، قال: سمعت أبا هريرة... الحديث. قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٥٨)، وقد وصله أبو نعيم من طريق أبي داود والطيالسي، وأبي قتيبة سالم بن قتيبة كلاهما عن سليم بن حبان شيخ عفان، وأخرجه أيضًا من طريق عمرو بن مرزوق عن سليم لكن موقوفًا، ولم يستخرج الإسماعيلي وقد وصله ابن حزيمة أيضًا. اهـ.

وقد وصله البيهقي في «السنن» (٧/ ١٣٥) من طريق عمرو بن مرزوق، عن سليم بن حبان به مرفوعًا.

وله طريق آخر عند أحمد (٢/ ٤٤٣) وفي إسناده ضعف.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢١٨).

(٧) النقبة - بضم النون وسكون القاف والباء الموحدة - أول شيء يظهر من الجرب، وجمعها: نقب؛ لأنها تنقب الجلد أي: تخرقه. [الفقي].

وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، خَلَقَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ وَكَتَبَ حَيَاتَهَا وَمَصَائِبَهَا وَرِزْقَهَا»[١].

فأخبر ﷺ: أن ذلك كله بقضاء الله وقدره، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية. فكما أنه يؤمر أن لا يُلقي نفسه في الماء وفي النار، مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم علىٰ بلد الطاعون؛ فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله سبحانه هو خالق الأسباب ومُسبباتها، لا خالق غيره ولا مقدر غيره.

وأما إذا قوي التوكل علىٰ الله، والإيمان بقضاء الله وقدره - فقويت النفس علىٰ مباشرة بعض هذه الأسباب، اعتمادًا علىٰ الله، ورجاءً منه أن لا يحصل به ضرر - ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لا سيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة.

وعلىٰ هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: **«كُلْ بِسْمِ اللهِ، ثِقَةً بِاللهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ»**[٢]. وقد أخذ به

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٢٧)، وأبو يعلىٰ (٦١١٢)، وابن حبان (٦١١٩)، والبغوي (٣٢٤٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٠٨) من طريق عبد الله بن شبرمة عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه الترمذي (٢١٤٣)، وأحمد (١/ ٤٤٠)، وأبو يعلىٰ (٥١٨٢)، وغيرهم من طريق عمارة بن القعقاع، قال: حدثنا أبو زرعة صاحب لنا عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا. وقد رواه الطحاوي (٤/ ٣٠٨) من طريق سعيد بن مسروق عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن ابن مسعود مثله.

وجزم الشيخ الألباني بأن هذا الرجل الذي لم يسم من أصحابه هو أبو هريرة كما في الرواية الأولىٰ، وانظر «الصحيحة» (١١٥٢)، ولبعضه شواهد عند البخاري (٥٧٧٠)، ومسلم (٢٢٢٠)، وانظر «تحقيق مسند أحمد» (٤١٩٨، ٨٣٤٣ ط. الرسالة).

(٢) إسناده ضعيف: رواه أبو داود (٣٩٢٥)، والترمذي (١٨١٨)، وابن ماجه (٣٥٤٢)، وأبو يعلىٰ (١٨٢٢)، وغيرهم من طريق المفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا. والمفضل بن فضالة ضعيف.

وبعد أن أشار الترمذي لتضعيفه قال: وقد روىٰ شعبة هذا الحديث عن حبيب بن الشهيد عن ابن بريدة أن ابن عمر أخذ بيد مجزوم. وحديث شعبة أثبت عندي وأصح. ورجحه العقيلي (٤/ ٢٤٢)، ولكن جاء عنده من طريق سلمان موقوفًا.

الإمام أحمد. ورُوي ذلك عن عمر[1] وابنه[2] وسلمان[3] رضي الله عنهم.

ونظير ذلك: ما رُوي عن خالد بن الوليد من أكل السُّم[4]. ومنه مَشي سعد بن أبي وقاص وأبي مُسلم الخولاني علىٰ متن البحر. قاله ابن رجب رحمه الله.

قوله: «**وَلَا طِيَرَةَ**» قال ابن القيم: يحتمل أن يكون نفيًا أو نهيًا، أي: لا تطَّيروا، ولكن قوله في الحديث: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ**» يدل علىٰ أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل علىٰ بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل علىٰ المنع منه.

وفي «صحيح مسلم» عن معاوية بن الحكم: أنه قال لرسول الله ﷺ: ومنا أناس يتطيرون. قال: «**ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**». فأخبر أن تأذِّيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطير به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يُطيِّره ويصده، لا ما رآه وسمعه.

فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبيّن لهم فساد الطيرة؛ ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نَصَبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلىٰ وحدانيته تعالىٰ التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد، فقطع ﷺ عِلَق الشرك

(١) قال الشيخ جاسم الدوسري في «النهج السديد»: عمر بن الخطاب رواه عنه ابن جرير في «التهذيب» (٧٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١١٧) بسند حسن، وله طرق أخرىٰ عند ابن سعد (٤/ ١١٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢٦٠)، وعبد الرزاق (١٠/ ٤٠٥، ١١/ ٢٠٥)، وابن جرير (٧٦، ٧٧).

(٢) قال في «النهج السديد»: عبد الله بن عمر. ورواه عنه ابن جرير في «التهذيب» (٨١، ٨٢) من طريقين في الأول مجهولان وفي الآخر ضعيف ومبهم.

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٠) من طريق شعبة عن حبيب بن الشهيد، قال: سمعت عبد الله بن بريدة يقول: كان سلمان... فذكره. وهذا إسناد جيد إن ثبت سماع ابن بريدة من سلمان.

(٤) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٨١، ١٤٨٢) من طريق سفيان عن إسماعيل عن قيس عن خالد فذكره، وللحديث طرق أخرىٰ عند أبي يعلىٰ (٧١٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٣٨٠٨، ٣٨٠٩)، وابن أبي شيبة (١٥٥٧٧)، وصححه شيخنا في «فضائل الصحابة».

من قلوبهم؛ لئلا يبقىٰ فيها علقة منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقىٰ، واعتصم بحبله المتين، وتوكل علىٰ الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر[(١)].

فبادره بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

وخرَج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاوس: وأيُّ خير عند هذا؟ لا تصحبني[(٢)]. انتهىٰ ملخصًا.

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل علىٰ جواز الطيرة، كقوله ﷺ: «**الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي المَرْأَةِ، وَالدَّابَّةِ، وَالدَّارِ**»[(٣)]. ونحو هذا.

قال ابن القيم رحمه الله: إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومة علىٰ من قاربها وساكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر.

وهذا كما يُعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير علىٰ وجهه، ويُعطي غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشر علىٰ وجهه، وكذلك ما يُعطاه العبدُ من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس.

والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له. ويخلق بعضها نُحوسًا يتنحس بها من قاربها.

وكل ذلك بقضاء الله وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة

---

(١) عزاه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٥) إلىٰ الطبري.

(٢) إسناده صحيح: رواه عبد الرزاق (١٩٥١٣) من طريق معمر عن ابن طاوس عن طاوس فذكره، ولكن يخشىٰ من الإبهام في «السند» (أو غيره).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٨٥٨)، ومسلم (٢٢٢٥).

والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذ بها من قاربها من الناس. وخلق ضدها وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس.

والفرق بين هذين النوعين مُدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة الشركية لون. انتهىٰ.

قوله: «**وَلَا هَامَةَ**» بتخفيف الميم علىٰ الصحيح. قال الفراء: الهامة: طير من طيور الليل. كأنه يعني البُومة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت علىٰ بيت أحدهم، يقول: نَعَتْ إليّ نفسي أو أحدًا من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

قوله: «**وَلَا صَفَرَ**» بفتح الفاء، روىٰ أبو عبيدة في «غريب الحديث» عن رُؤْبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدىٰ من الجرب عند العرب.

وعلىٰ هذا: فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوىٰ. وممن قال بهذا: سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير.

وقال آخرون: المراد به: شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهو قول مالك.

وروىٰ أبو داود، عن محمد بن راشد، عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك.

قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام، كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

قوله: «**وَلَا نَوْءَ**» النوء: واحد الأنواء، وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله تعالىٰ.

قوله: «**وَلَا غُولَ**» هو بالضم اسم، وجمعه أغوال وغيلان، وهو المراد هنا.

قال أبو السعادات: الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين.

كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءىٰ للناس، تتلوَّن تلونًا في صور شتىٰ، وتَغُولُهم، أي: تُضلُّهم عن الطريق وتُهلكُهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

فإن قيل: ما معنىٰ النفي وقد قال النبي ﷺ: «إِذَا تَغَوَّلَت الْغِيلَانُ فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ»[١]؟

أجيب عنه: بأن ذلك كان في الابتداء، ثم دفعها الله عن عباده. أو يقال: المنفي ليس وجود الغول، بل ما يزعمه العرب من تصرفه في نفسه، أو يكون المعنىٰ بقوله: «لَا غُولَ» أنها لا تستطيع أن تُضل أحدًا مع ذكر الله والتوكل عليه. ويشهد له الحديث الآخر: «لَا غُول وَلَكِنَّ السَّعَالِي»[٢] السعالي[٣]: سحرة الجن. أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل.

ومنه الحديث: «إِذَا تَغَوَّلَت الْغِيلَانُ فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ»[٤]. أي: ادفعوا شرها بذكر الله. وهذا يدل علىٰ أنه لم يُرد بنفيها عدمها.

ومنه: حديث أبي أيوب: كان لي تمر في سَهوة، فكانت الغول تجيء فتأخذ[٥].

* قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا عَدْوَىٰ

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: «رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو ضعيف». [الفقي].

(٢) مرسل: رواه الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٤٦٣) من طريق عمرو عن الحسن بن محمد رفعه، وجاء نحوه عن عمر موقوفًا كما عند عبد الرزاق (٥/ ١٦٢).

(٣) إضافة من «النهاية في غريب الحديث» للخطابي.

(٤) ضعيف وقد اضطرب فيه الحسن: رواه أحمد (٣/ ٣٠٥، ٣٨١، ٣٨٢)، وأبو يعلىٰ (٢٢١٩)، وابن خزيمة (٢٥٤٨، ٢٥٤٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٢٣) من طريق الحسن عن جابر، والحسن لم يسمع من جابر، ورواه عبد الرزاق (٥/ ١٦٣)، والبزار (٣١٢٩ كشف) من طريق الحسن عن سعد بن أبي وقاص. وقال البزار: لا نعلمه يروىٰ عن سعد إلَّا من هذا الوجه، ولا نعلم سمع الحسن من سعد شيئًا.

ورواه عبد الرزاق (٥/ ١٦٠) من طريق الحسن مرسلًا، ورواه الطبراني في الدعاء (٢٠٠٩) من طريق آخر عن أبي هريرة، ولكن في إسناده عدي بن الفضل وهو متروك.

(٥) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٢٨٨٠)، وأحمد (٥/ ٤٢٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧٨٧)، والطبراني (٤٠١١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١١٠٨)، والحاكم (٣/ ٤٥٩)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٥٤٥) من طريق ابن أبي ليلىٰ عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن أبي أيوب فذكره. وابن أبي ليلىٰ ضعيف لسوء حفظه، وله طرق أخرىٰ نحو هذه القصة لا تخلو من مقال عند الطبراني (٤٠١٢ - ٤٠١٤).

وأبي الشيخ في «العظمة» (١١١٠)، والحاكم (٣/ ٤٥٩)، وانظر مسند أحمد حديث (٢٣٥٩٢ ط. الرسالة).

وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ.. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[١].

ش: قوله: «**وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**» قال أبو السعادات: الفأل - مهموز - فيما يسرُّ ويسوء، والطيرة لا تكون إلَّا فيما يسوء، وربما استُعملت فيما يسر. يقال: تفاءلت بكذا وتفاولت، علىٰ التخفيف والقلب، ولقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفًا، وإنما أحب الفأل؛ لأن الناس إذا أمّلوا فائدة الله، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم علىٰ خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله تعالىٰ كان ذلك من الشر.

وأما الطيرة: فإن فيها سوء الظن بالله وتَوقُّع البلاء. والتفاؤل: أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته. ومنه الحديث: قيل يا رسول الله ما الفأل؟ قال: «**الكَلِمَةُ الطيِّبَةُ**».

قوله: (قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»). بيّن ﷺ أن الفأل يُعجبه، فدل علىٰ أنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

قال ابن القيم: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضىٰ الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلىٰ ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم ﷺ: أنه حُبِّب إليه من الدنيا النساء والطيب[٢]، وكان يحب الحلواء

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) **فيه ضعف:** رواه النسائي في «السنن» (٧/ ٦١)، وفي «عشرة النساء» (١)، وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٢٢، ٣٢٣)، وأبو يعلىٰ (٣٤٨٢)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٩٩)، والبيهقي (٧/ ٧٨)، والضياء في «المختارة» (١٧٣٧)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (صـ٩٨، ٢٢٩). والعقيلي (٢/ ١٦٠) من طرق عن سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس به مرفوعًا.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٣٥)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٠٥)، وأبو الشيخ (صـ٩٨) من طريق سلام بن أبي الصهباء عن ثابت عن أنس به. فقد اختلف في نسبة سلام، هل الصحيح في الإسناد سلام أبي المنذر أم سلام بن أبي الصهباء، فقد فرق بينهما البخاري وابن أبي حاتم والعقيلي، وخالفهم في ذلك ابن عدي (٣/ ٣٠٥) فجعلها واحدًا، والتفريق أصح وابن أبي الصهباء منكر الحديث، والآخر مختلف فيه، ففيه كلام لا يرتقي حديثه إلىٰ درجة الاحتجاج خاصة وأن العقيلي أورد حديثه ضمن مناكيره.

ورواه النسائي (٧/ ٦١ - ٦٢) والحاكم (٢/ ١٦٠) من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن ثابت به وسيار =

والعسل[١]، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه[٢]، ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشِّيَم[٣].

وبالجملة: يُحبُّ كل كمال وخير وما يُفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة، والبُشرىٰ والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماعَ استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب، وإذا سمعت أضدادَها أوجب لها ضد هذه الحال. فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفًا وطيرة وانكماشًا وانقباضًا عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا ونقصًا في الإيمان ومقارفة الشرك.

ضعيف، ولجعفر بعض المناكير عن ثابت، ونقل الضياء في «المختارة» (٥/ ١١٣) عن الدارقطني قوله: رواه سلام أبو المنذر وسلام بن أبي الصهباء وجعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس، وخالفهم حماد بن زيد عن ثابت مرسلًا، والمرسل أشبه بالصواب. قال ابن عدي (٣/ ٣٠٥)، وقد رواه عن ثابت مع سلام بن أبي خبزة: جعفر بن سليمان الضبعي من رواية سيار فيه، قلت: وسلام بن أبي خبزة ضعيف جدًّا. ورواه عبد الرزاق (٤/ ٣٢١) عن ابن التيمي عن أبيه وعن ليث قال: قال رسول الله ﷺ فذكره مرسلًا. وإسناده ضعيف مرسل. ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٦٨)، وفي الصغير (١/ ٢٦٢)، والخطيب في «التاريخ» (١٤/ ١٩٠)، والضياء في «المختارة» (١٥٣٢، ١٥٣٣) من طريق هقل بن زياد عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس مرفوعًا فذكره... قال الخطيب بعد ذكره: تفرد برواية هذا الحديث هكذا موصولًا، هقل بن زياد عن الأوزاعي ولم أره إلَّا من رواية يحيىٰ بن عثمان عن هقل. وخالفه الوليد بن مسلم فرواه عن الأوزاعي عن إسحاق عن النبي ﷺ مرسلًا، لم يذكر فيه أنسًا ثم ساقه من طريقه بهذا الإسناد مرسلًا. وله شاهد عند ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٩٨) من طريق أبي إسحاق السبيعي عن رجل حدثه عن عائشة فذكرت نحوه، وفي إسناده مبهم.

تنبيه: قال المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٣٧٠)، ومن زاد كالزمخشري والقاضي لفظ **«ثلاث»** فقد وهم، قال الحافظ العراقي في «أماليه»: لفظ: **«ثلاث»** ليست في شيء من كتب الحديث وهي تفسد المعنىٰ، وقال الزركشي: لم يرد فيه لفظ: **«ثلاثة»** وزيادتها مخلة للمعنىٰ، فإن الصلاة ليست من الدنيا، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: لم يقع في شيء من طرقه، وهي تفسد المعنىٰ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٤٣١)، وانظر (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٤٩)، ومسلم (٨٠٠).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

وقال الحليمي: وإنما كان ﷺ يُعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالىٰ بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالىٰ علىٰ كل حال.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأبي داود - بسند صحيح - عن عُقبة بن عامر قال: ذُكرت الطيرةُ عند رسول الله ﷺ فقال: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»**[1].

ش: قوله: (عن عقبة بن عامر) هكذا وقع في نُسخ التوحيد، وصوابُه: عن عروة بن عامر، كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما. وهو مكي، اختلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القُرشي، وقال غيره: الجهني. واختلف في صحبته، فقال الماوردي: له صُحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. وقال المزي: لا صُحبة له تصح.

قوله: (فقال: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ») قد تقدم أنه ﷺ كان يُعجبه الفأل.

وروىٰ الترمذي وصححه عن أنس: أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته، يُحبُّ أن

---

(١) إسناده ضعيف: رواه أبو داود (٣٧١٩)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٦٢ - ٢٦٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٣)، وابن أبي شيبة (٦٤٤٣، ٩٥٩٠، ٩٥٩١)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩)، وفي «الشعب» (١١٧١) من طريق الأعمش، وسفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن عامر الجهني به، ووقع عند ابن السني: عقبة بن عامر، وهو خطأ، وهو الذي اعتمد عليه المصنف، والصواب: عروة بن عامر، كما في بقية الطرق، ثم إنه مشهور بهذا الحديث كما في ترجمته.

وقد قال الشارح قوله: «عن عقبة بن عامر» هكذا وقع في نسخ «التوحيد» وصوابه عروة بن عامر. وفي الإسناد حبيب بن أبي ثابت، وهو مدلس، وقد عنعن، وقال الحافظ في «التهذيب»: أثبت غير واحد له صحبة وشك فيه بعضهم، قلت: وقد ذكره ابن حبان في «ثقات التابعين» (٥/ ١٩٥)، وجزم أبو حاتم في «المراسيل» (صـ١٤٩) أنه تابعي.

وقال ابن قانع في «معجم الصحابة»: إن عروة بن عامر عندي أنه ليس له لُقي، وقال قوم منه - كذا بالأصل - وليس بصحيح. اهـ. وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٦١٩). ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥١٢) عن معمر، عن الأعمش، عن النبي ﷺ مرسلًا.

وهذا لا يقوي الإسناد السابق إذا المخرج واحد، لأن الراوي عن حبيب: الأعمش، ثم إن رواية معمر عن الأعمش فيها ضعف، انظر «التقريب» ترجمة معمر بن راشد. ولبعضه شاهد مرسلًا بإسناد حسن. رواه أبو داود في «المراسيل» (٢٥٣٩) عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي، عن النبي ﷺ مرسلًا.

يسمع: يا نجيح، يا راشد[١].

وروىٰ **أبو داود عن بُريدة:** أن النبي ﷺ كان لا يتطيَّر من شيء، وكان إذا بعث عـاملًا سأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رُئي كراهية ذلك في وجهه[٢]. وإسناده حسن. وهذا فيه استعمال الفأل.

قال ابن القيم: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطـل الطِّـيرة، وأخـبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا: منعه من الرُّقىٰ بالشرك، وإذنُه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك؛ لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة.

قوله: «**وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا**» قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.

قوله: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ**». أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات، وتدفع السيئات. والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب؛ كقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[النساء: ٧٨ - ٨٨].

ففيه: نفيُ تعلُّق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هـو التوحيـد، وهـو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًّا، ويُعدُّ من اعتقدها سفيهًا مشركًا.

---

(١) **إسناده صحيح:** رواه الترمذي (١٦١٦)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١٩٩)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٠٦) من طريق حماد بن سلمة عن حميد عن أنس مرفوعًا. وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ١٢١)، وعزاه للروض النضير (٨٦).

(٢) **رجاله ثقات:** رواه أبو داود (٣٩٢)، وأحمد (٥/ ٣٤٧ - ٣٤٨)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٤٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٨٢٢)، وغيرهم من طريق هشام عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا.

وفي الإسناد قتادة وهو مدلس. وقد قال الترمذي: قال بعض أهل العلم: لا نعرف لقتادة سماعًا من عبد الله بن بريدة كما في «المراسيل» للعلائي (صـ٢٥٦)، والحديث حسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٥)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٧٦٢)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد (٢٢٩٤٦).

قوله: «**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**» استعانة بالله تعالىٰ علىٰ فعل التوكل، وعدم الالتفات إلىٰ الطيرة التي قد تكون سببًا لوقوع المكروه عقوبةً لفاعلها. وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل، الذي هو أقوىٰ الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

والحولُ: التحول: الانتقال من حال إلىٰ حال. والقوة علىٰ ذلك بالله وحده.

ففيه: التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته. وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل علىٰ توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالىٰ بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود مرفوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[1]. رواه أبو داود، والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.**

ش: ورواه ابن ماجه وابن حبان. ولفظ أبي داود: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» ثلاثًا.

وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلُّق القلب علىٰ غير الله تعالىٰ.

قال ابنُ حمدان: تُكره الطيرة. وكذا قال غيرُه من أصحاب أحمد.

قال ابن مفلح: والأولىٰ القطعُ بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهية الاصطلاحية؟!!

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠)، والحاكم (١/ ١٧ - ١٨)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩)، وفي «الشعب» (١١٦٧)، والطيالسي (٣٥٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٨٢٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦١٢٢)، وغيرهم من طريق مسلمة بن كهيل، عن عيسىٰ بن عاصم، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ فذكره.

ولفظ: «**وما منا إلا**» مدرج في الخبر من كلام ابن مسعود كما وضحه سليمان بن حرب شيخ البخاري وغيره من العلماء، انظر: «علل الترمذي» (صـ٢٦٦)، و«الفتح» (١٠/ ٢٢٤)، و«الشعب» للبيهقي (٢/ ٦٢)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ٦٤)، و«مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٣٤)، والهيثمي في «موارد الظمآن» (صـ ٣٤٥)، «وعون المعبود» (٤/ ٢٤)، و«تيسير العزيز الحميد» (صـ٤٣٨ - ٤٣٩). وهو الصواب خلافًا لابن القطان كما في «الفيض» (٤/ ٢٩٤)، والألباني في «الصحيحة» (رقم ٤٣٠)، وانظر: «الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد».

قال في «**شرح السنن**»: وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلبُ لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالىٰ.

قوله: «**وَمَا مِنَّا إِلَّا**» قال أبو القاسم الأصبهاني والمُنذري: في الحديث إضمار. والتقدير: وما منا إِلَّا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. انتهىٰ.

وقال الخلخالي: حذف المستثنىٰ؛ لما يتضمنه من الحالة المكروهة. وهذا من أدب الكلام.

قوله: «**وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**» أي: لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر، أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: (**وجعل آخره من قول ابن مسعود**) قال ابن القيم: وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأحمد من حديث ابن عمرو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»**[1].

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (٢/ ٢٢٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٢)، وابن وهب في «جامعه» (٦٥٨)، ولم يسق لفظه من طريق ابن لهيعة، عن عبيد الله بن هبيرة، عن أبي عبد الرحمن المعافري، عن عبد الله بن عمرو به.

وفي الإسناد ابن لهيعة، وفيه مقال مشهور، لكن الراوي عنه ابن وهب وروايته عنه مستقيمة، وقد صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٦٥)

وله شاهد من حديث بريدة رواه البزار (٣٠٤٨) «كشف» والطبراني في «الدعاء» (١٢٧٠) من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن محمد بن جمادة، عن علقة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، فذكره عن النبي مرفوعًا، والحسن بن أبي جعفر ضعيف.

وله شاهد مختصر من حديث فضالة بن عبيد، رواه ابن وهب في «جامعه» (٦٥٦) بلفظ: أنه قال: «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ، فَقَدْ قَارَفَ الشِّرْكَ**».

قال ابن وهب: وحدثني ابن لهيعة، عن عياش بن عياش، عن أبي الحصين، عن فضالة به مرفوعًا، وإسناده حسن.

وقال: وأخبرنيه الليث بن سعد عن عياش بن عياش، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن فضالة بن عبيد مثله، وإسناده صحيح.

ورواه بهذا اللفظ البزار (٣٠٤٦) «كشف» وفي إسناده ضعف، وله شاهد مختصر كذلك من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «**لَا طَائِرَ إِلَّا طَائِرُكَ**» ثلاث مرات. رواه البزار (٣٠٤٩)، وفي إسناده عمر بن أبي سلمة، وفيه كلام.

ش: هذا الحديث رواه أحمد والطبراني، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابنُ لهيعة[(١)] وبقية رجاله ثقات.

قوله: (من حديث ابن عمرو) وهو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد - وقيل: أبو عبد الرحمن - أحد السابقين المُكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة - على الأصح - بالطائف[(٢)].

قوله: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع، فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها - كإرادة السفر ونحوه - فمنعه عما أراده وسعى فيه ما رأى وسمع تشاؤمًا، فقد دخل في الشرك؛ كما تقدم، فلم يُخلص توكّله على الله بالتفاته إلى ما سواه، فيكون للشيطان منه نصيب.

قوله: (فما كفارة ذلك؟) إلى آخره. فإذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه، ولم يلتفت إليه، كفّر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداءً لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمِّن للاعتماد على الله وحده، والإعراض عما سواه.

وتضمن الحديث: أن الطيرة لا تضرُّ من كرهها ومضى في طريقه، وأما من لم يُخلص توكله على الله، واسترسل مع الشيطان في ذلك، فقد يُعاقب بالوقوع فيما يكره؛ لأنه إعراض عن واجب الإيمان بالله، وأن الخير كله بيده، فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولُطفه وإحسانه، فلا خير إلَّا منه، وهو الذي يدفع الشر عن عبده، فما أصابه من ذلك فبذنبه، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله من حديث الفَضل بن عبَّاس: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا**

---

(١) هو عبد الله بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري، قاضيها وعالمها ومسندها. قال الإمام أحمد: احترقت كتبه. وهو صحيح الكتاب. ومن كتب عنه قديمًا فسماعه صحيح. مات سنة ١٧٤هـ. [الفقي]

(٢) واقعة الحرة وفتنة الحرة: الموقعة التي كانت من أهل الشام في أهل المدينة، بعث يزيد بن معاوية أهل الشام لقتال أهل المدينة حين امتنعوا عن بيعته، فغلبوا على أهلها واستباحوها ثلاثًا، وقتل خلق كثير من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، وكان ذلك سنة خمس وستين (*). [الفقي]

(*) قوله: (وكان ذلك سنة خمس وستين) أقول: الصواب سنة ثلاث وستين. [ابن باز]

أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»[1].

ش: هذا الحديث عند الإمام أحمد، من حديث الفضل بن عباس، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يومًا، فبرّح ظبيٌ، فمال في شقه فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله تطيرت، فقال: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**».

وفي إسناده انقطاع، أي: بين مسلمة راويه وبين الفضل. وهو الفضل بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ. قال ابن معين: قُتل يوم اليرموك. وقال غيره: قُتل يوم مَرْج الصُّفَّر سنة ثلاث عشرة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. وقال أبو داود: قتل بدمشق. كان عليه درع النبي ﷺ.

قوله: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**». هذا حدُّ الطيرة المنهي عنها؛ لأنها: ما يحمل الإنسان على المُضي فيما أراده، ويمنعه من المضي فيه كذلك.

وأما الفأل الذي كان يُحبه النبي ﷺ: فيه نوع بشارة، فيُسرُّ به العبد ولا يعتمد عليه؛ بخلاف ما يُمضيه أو يرده، فإن للقلب عليه نوع اعتماد. فافهم الفرق، والله أعلم.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[الأعراف: ١٣١]، مع قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩].

الثانية: نفي العدوى. **الثالثة**: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة. **الخامسة**: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقعَ في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضرُّ، بل يُذهبُه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول مَنْ وَجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

---

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (١/ ٢١٣) رقم (١٨٢٤) من طريق ابن عُلاثة عن مسلمة الجهني عن الفضل بن عباس به. ومحمد بن عبد الله بن علاثة ضعيف. ومسلمة لم يدرك الفضل بن عباس.

(٢٨)
بَابُ: ما جاء في التنجيم

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في التنجيم.**

ش: قال شيخ الإسلام: التنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه: هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مُستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر، وتغيُّر الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تُدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها، يدَّعون أن لها تأثيرًا في السُّفليات، وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاط لعلم قد استأثر الله به، لا يعلم الغيب سواه.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به[1]. انتهى.**

ش: هذا الأثر علقه البخاري في «صحيحه». وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم.

وأخرجه الخطيب في «كتاب النجوم» عن قتادة، ولفظه قال: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ولعمري ما

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري معلقًا (٦/ ٢٩٥)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٣٤٤٩٠)، وعبد بن حميد في «تفسيره»، كما في «تغليق التعليق»، والحافظ كما في «تغليق التعليق (٣/ ٤٨٩) من طريق شيبان، وسعيد كلاهما عن قتادة به، وعزاه السيوطي في «الدر» (٣/ ٦٣ دار الكتب) إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

من نجم إلَّا يولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير، والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذا الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحدًا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء. انتهىٰ[1][2].

وتأمل ما أنكره هذا الإمام مما حدث من هذه المنكرات في عصر التابعين. وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم، حتىٰ بلغ الغاية في هذه الأعصار، وعمت به البلوىٰ في جميع الأمصار، فمقل ومستكثر، وعزَّ في الناس من ينكره، وعظمت المصيبة في الدين. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: (خلق الله هذه النجوم لثلاث). قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦].

وفيه إشارة إلىٰ أن النجوم في السماء الدنيا، كما روىٰ ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا السَّمَاءُ الدُّنْيَا: فَإِنَّ اللهَ خَلَقَهَا مِنْ دُخَانٍ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا، وَزَيَّنَهَا بِمَصَابِيحَ، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**»[3].

قوله: (وعلامات) أي: دلالات علىٰ الجهات يُهتدىٰ بها، أي: يهتدي بها الناس في ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] أي: لتعرفوا بها جهة قصدكم، وليس المراد أنه يهتدىٰ بها في علم الغيب، كما يعتقده المنجمون.

وقد تقدم بطلانه وأنه لا حقيقة له؛ كما قال قتادة: فمن تأول فيها غير ذلك – أي: زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث – فقد أخطأ، حيث زعم شيئًا ما أنزل الله به

---

(١) الخطيب البغدادي في كتاب «النجوم» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٣ – ٦٤) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) **في قرة العيون:** وقول قتادة رحمه الله تعالىٰ يدل علىٰ أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره، فأوجب له إنكاره علىٰ من اعتقده وتعلق به، وهذا العلم مما ينافي التوحيد ويوقع في الشرك؛ لأنه ينسب الحوادث إلىٰ غير من أحدثها، وهو الله سبحانه بمشيئته وإرادته كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]. وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]. [الفقي].

(٣) لم أقف علىٰ إسناده.

من سلطان، وأضاع نصيبه من كل خير؛ لأنه أشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه.

فإن قيل: المنجم قد يصدق!! قيل: صدقه كصدق الكاهن، ويصدق في كلمة ويكذب في مائة. وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا، فيكون فتنة في حق من صدقه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ [النحل: ١٥ - ١٦].

فقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ معطوف علىٰ ما تقدم مما ذكره في الأرض، ثم استأنف، فقال: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾. ذكره ابن جرير، عن ابن عباس بمعناه[1].

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم، كقوله: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**»[2][3].

وعن رجاء بن حَيْوة أن النبي ﷺ قال: «**مِمَّا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي: التَّصْدِيقُ بِالنُّجُومِ، والتَّكْذِيبُ بِالقَدَرِ، وحَيْفُ الأَئِمَّةِ**»[4] رواه عبد بن حميد.

وعن أبي محجن مرفوعًا: «**أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ثَلَاثًا: حَيْفَ الأَئِمَّةِ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبًا للقَدَرِ**»[5]. رواه ابن عساكر، وحسنه السيوطي.

---

(١) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٢١٥٤٤) عن ابن عباس بإسناد العوفين عنه فالإسناد ضعيف.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس.[الفقي].

(٣) إسناده صحيح: وقد سبق تحت باب: بيان شيء من أنواع السحر.

(٤) حديث رجاء بن حيوة مرسل حيث أن رجاء بن حيوة من التابعين من الطبقة الثالثة.

(٥) إسناده ضعيف: رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٤٨٢)، وعزاه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣/ ١١٩) إلىٰ ابن عساكر (١٦٠/ ٣٠٨/ ١) من طريق علي بن يزيد الصدائي نا أبو سعد البقال عن أبي محجن فذكره، وعلي بن يزيد الصدائي فيه لين. وأبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان ضعيف مدلس وقد عنعن.

وعزاه الحافظ في «الإصابة» (٧/ ٢٩٩) إلىٰ أبي أحمد الحاكم وأبي نعيم من هذا الوجه. وقال: وأبو سعد ضعيف ولم يدرك أبا محجن وله شواهد، منها ما رواه ليث بن أبي سليم واختلف عنه فرواه أبو عمر الداني في «السنن الواردة في الفتنة» (٢٨٢) من طريق ليث عن طلحة بن مصرف رفعه، ورواه الطبراني في «الكبير» (٨١١٣) من طريق ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة به. وفيه: ليث بن أبي سليم ضعيف مختلط. وثم شواهد لبعض فقراته ضعيفة واهية انظر «الصحيحة» (١١٢٧)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١٤٨٢ط. الزهيري) وسيأتي بعضها.

وعن أنس، مرفوعًا: «أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي بَعْدِي خَصْلَتَيْنِ: تَكْذِيبًا بِالْقَدَرِ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ»[(١)]. رواه أبو يعلىٰ وابن عدي والخطيب في «كتاب النجوم»، وحسنه السيوطي أيضًا.

والأحاديث في ذم التنجيم والتحذير منه كثيرة.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وكره قتادة تعلُّم منازل القمر. ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.**

ش: قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر، الذي يُعرف به الزوال، وتعلم به جهة القبلة: فإنه غير داخل فيما نهىٰ عنه. وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئًا بأكثر من أن الظل ما دام متناقصًا فالشمس بعدُ صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلَّا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوا له من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدَّته ومراصدته. وأما ما يُستدل به من النجوم علىٰ جهة القبلة: فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة بها من الأئمة، الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين، ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة، ويشاهدها علىٰ حال الغيبة عنها، فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم؛ إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم. انتهىٰ[(٢)].

وروىٰ ابن المنذر، عن مجاهد: أنه كان لا يرىٰ بأسًا أن يتعلم الرجل منازل القمر[(٣)].

---

(١) ضعيف واهٍ: رواه أبو يعلىٰ (٤١٣٥)، وابن عدي (٤/ ٣٤) عن طريق شهاب بن خراش عن يزيد الرقاشي ثنا أنس مرفوعًا. ويزيد الرقاشي ضعيف واهٍ. وشهاب بن خراش صدوق تكلم فيه.

(٢) **وحقيقة علم الفلك:** معرفة حركات النجوم والكواكب وتنقلاتها ومنازلها. وقد اخترع لمعرفة ذلك آلات حاسبة ومنظارات مقربة، ومراصد كاملة الأسباب والآلات عرفوا بها شيئًا كبيرًا جدًّا من العوالم العلوية، حتىٰ أصبحت كأنها علىٰ هذه الأرض. وكل ذلك لا يصح أن يختلف فيه مطلقًا، لأنه كعلم الحساب. أما أن ينسب إلىٰ هذه النجوم والكواكب شيء من الحوادث علىٰ هذه الأرض من موت أو حياة أو حرب أو سلم يكون في المستقبل، فهذا هو الذي لا شك في كذبه وأنه ضلال. [الفقي].

(٣) رواه الخطيب البغدادي كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٤) ط. دار الكتب العلمية.

ورُوي عن إبراهيم: أنه كان لا يرىٰ بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به[١].

قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير؛ فإنه باطل محرم، قليله وكثيره. وأما علم التسيير، فيتعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق؛ جائز عند الجمهور. انتهىٰ.

قوله: (ذكره حرب عنهما)[٢] هو الإمام الحافظ: حرب بن إسماعيل أبو محمد الكرماني، الفقيه من جلة أصحاب الإمام أحمد. روىٰ عن أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم. وله كتاب «المسائل» التي سُئل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين.

وأما إسحاق: فهو ابن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه. روىٰ عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين. روىٰ عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، وروىٰ هو أيضًا عن أحمد. مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي موسىٰ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»**[٣]. رواه أحمد

---

(١) إسناده صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٥٦٩٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٢٥) من طريق منصور عن إبراهيم به.

(٢) انظر «فضل علم السلف» (ق٢٣) لابن رجب.

(٣) في إسناده ضعف: رواه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وابن حبان (٥٣٤٦)، وأبو يعلىٰ (٧٢٤٨)، والحاكم (٤/ ١٤٦)، وبحشل في «تاريخ واسط» (صـ١٦١)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ٧٤) من طريق فضيل بن ميسرة، عن أبي حريز، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ به، وأبو حريز عبد الله بن حسين الأزدي مختلف فيه، وهو إلىٰ الضعف أقرب.

ويخشىٰ أن تكون هناك واسطة بين فضيل بن ميسرة وأبي حريز، فقد قال ابن المديني: سمعت يحيىٰ بن سعيد يقول: قلت للفضيل بن ميسرة: أحاديث أبي حريز؟ قال: سمعتها فذهب كتابي فأخذته بعد ذلك من إنسان. وانظر: «ضعيف الجامع» (٢٥٩٧)، وللحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ خَمْسٍ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ، وَلَا كَاهِنٌ، وَلَا مَنَّانٌ**» رواه أحمد (٣/ ١٤، ٨٣)، والبزار (٢٩٣٢) «كشف» والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٢٩٥) من طريق الأعمش عن سعد الطائي، عن عطية بن سعد، عن أبي سعيد الخدري به، وفي إسناده عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف، ورواه البزار (٢٩٣٣) من طريق
=

وابن حبان في صحيحه.

ش: هذا الحديث رواه أيضًا الطبراني والحاكم، وقال: صحيح. وأقره الذهبي. وتمامه: «وَمَنْ مَاتَ وهو مدمن الخَمْرِ سَقَاهُ اللهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ: نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ، يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِمْ»(١).

قوله: (وعن أبي موسىٰ) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضَّار - بفتح المهملة وتشديد الضاد - أبو موسىٰ الأشعري. صحابي جليل. مات سنة خمسين.

قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ». هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها. وقالوا: أمِرُّوها كما جاءت، ومن تأولها فهو علىٰ خطر من القول علىٰ الله بلا علم.

وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام، فإنه يرجع إلىٰ مشيئة الله، فإن عذّبه به فقد استوجب العذاب، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته.

قوله: «مُدْمِنُ الخَمْرِ» أي: المداوم علىٰ شربها.

قوله: «وَقَاطِعُ الرَّحِمِ» يعني: القرابة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢] الآية.

قوله: «وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ» أي: مطلقًا. ومنه التنجيم، لما تقدم من الحديث. وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

= جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن عطية به، إلَّا انه أسقط سعدًا الطائي فوهم. قال الدارقطني في «العلل» رقم (٢٢٩٢): وسئل عن حديث عطية، عن أبي سعيد، وخالفهم أبو إسحاق الفزاري، ومندل بن علي، وعمار بن زريق، فرووه عن الأعمش، عن سعد الطائي عن عطية، عن أبي سعيد، وهو الصواب. اهـ.

ولبعض فقرات الحديث شواهد فجملة: «قَاطِعُ رَحِمٍ» يشهد لها حديث: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ». رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، وجملة: «مُدْمِنُ الخَمْرِ» يشهد لها عدة أحاديث من عبد الله بن عمر وعند النسائي (٨/ ٣١٨)، وأحمد (٢/ ٤٠١)، وأبي سعيد الخدري عند أحمد (٣/ ٢٨)، وأبي الدرداء عند أحمد (٦/ ٤٤١)، وابن عباس عند الطبراني (١١١٦٨، ١١١٧٠)، وأبي قتادة الأنصاري عند الطحاوي في «مشكل الآثار» (٩١٥)، وغيرها، وكلها لا تخلو من مقال، ولكن بمجموعها تحسن.

(١) إسناده ضعيف: وهذه رواية الحاكم (٤/ ١٤٦)، وانظر الحديث السابق.

قال الذهبي في «الكبائر»: ويدخل فيه تعلم السِّيميا وعملها، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. قال: وكثير من الكبائر - بل عامتها إِلَّا الأقل - يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه. انتهىٰ.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد علىٰ من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

* * *

(٢٩)
بَابُ: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى**: بابُ ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

ش: أي: من الوعيد، والمراد: نسبة السُّقيا ومجيء المطر إلىٰ الأنواء - جمع نَـوْء، وهـي منازل القمر -.

قال أبو السعادات: وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منهـا. ومنـه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩].

يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرىٰ مقابلتهـا ذلك الوقت من المشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العـرب تـزعم أن مـع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكـذا. وإنما سُمِّي نَوْءًا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى**: وقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: ٨٢]

ش: روىٰ الإمام أحمد والترمذي - وحسنه - وابن جرير وابن أبي حاتم، والـضياء في «المختارة»، عن علي رضي الله عنه، قال: قـال رسـول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقـول: «**شُـكْرَكُمْ** ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ **تَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، بِـنَجْمِ كَـذَا وَكَـذَا**»[1]. وهـذا أولىٰ مـا فسرت به الآية.

---

(١) ضعيف: رواه الترمـذي (٣٢٩٥)، وأحمـد (١/ ٨٩، ١٠٨)، وعبـد الله في «زوائـد المسند» (١/ ١٣١)، والبـزار (٥٩٣ البحر الزخار) والطبري في «التفسير» (٣٣٥٥٥، ٣٣٥٥٦) من طريق إسرائيل عن عبد الأعلىٰ بـن عـامر الثعلبي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي نحوه مرفوعًا.

وخالف إسرائيل سفيان فرواه عن عبد الأعلىٰ عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي نحـوه ولم يرفعـه، قالـه الترمـذي عقب الحديث، ورواه الطبري (٣٣٥٦٢)، وفي الإسناد عبد الأعلىٰ بن عامر الثعلبي، وهو ضعيف.

ورُوي ذلك: عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالآية.

قال ابن القيم: أي: وتجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم: التكـذيب بـه، يعني: القرآن.

قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون[1].

قال: وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلَّا التكذيب.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي مالك الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ». وقال: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[2]. رواه مسلم.**

ش: أبو مالك، اسمه: الحارث بن الحارث الشامي. صحابي، تفرد عنه بالرواية أبو سلام. وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا.

قوله: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ**» ستفعلها هذه الأمة، إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك، مع كونها من أعمال أهل الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة.

والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث؛ سموا بذلك لفرط جهلهم، وكل ما يُخالف ما جاء به رسول الله ﷺ فهو جاهلية، فقد خالفهم رسول الله ﷺ في كثير من أمورهم أو أكثرها، وذلك يُدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة.

ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف، ذكر فيه ما خالف رسول الله ﷺ فيه أهل الجاهلية، بلغ مائة وعشرين مسألة[3].

قال شيخ الإسلام: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذمًّا لمن لم يتركه،

(١) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٥) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٤).

(٣) كتاب مسائل الجاهلية طبع في المطبعة السلفية، وهو نفيس جدًّا ككل كتب شيخ الإسلام التي تفيض علمًا ونورًا رحمه الله. [الفقي].

وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلىٰ الجاهلية ذم لها. ومعلوم أن إضافتها للجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فإن في ذلك ذمًّا للتبرج وذمًّا لحال الجاهلية الأولىٰ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.

قوله: «الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ» أي: التعاظم علىٰ الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهل عظيم، إذ لا كرم إلَّا بالتقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ [سبأ: ٣٧].

ولأبي داود، عن أبي هريرة، مرفوعًا: **«إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ - إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ - أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ»**[1] الحديث.

قوله: «وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ» أي: الوقوع فيها، بالعيب والتنقص.

ولما عيّر أبو ذر رضي الله عنه رجلًا بأمه[2] قال النبي ﷺ: **«أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»**. متفق عليه[3].

فدل علىٰ أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه. قاله

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٠)، وأحمد (٢/ ٣٦١، ٥٢٣- ٥٢٤)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٣٢)، وفي «الشعب» (٥١٢٦، ٥١٢٧، ٥١٢٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٤٥٨) من طريق هشام بن سعد عن سعيد المقبري مرة عن أبي هريرة. ومرة عن أبيه عن أبي هريرة. وفي الإسناد هشام بن سعد. وقد اختلف في توثيقه، وقال عنه الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام، والراجح في هشام بن سعد الضعف.

(٢) وإنما عيره بسوادها فقط. فقال له: يا ابن السوداء. فكيف بالناس اليوم وقد أطلقوا لأقلامهم وألسنتهم العنان؟. [الفقي].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

شيخ الإسلام.

قوله: «**وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**» أي: نسبة المطر إلىٰ النوء، وهو سقوط النجم.

كما أخرج الإمام أحمد وابن جرير عن جابر السوائي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ثَلَاثًا: اسْتِسْقَاءً بِالنُّجُومِ، وَحَيْفَ السُّلْطَانِ، وَتَكْذِيبًا بِالْقَدَرِ**»(١).

فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا. فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في نزول المطر، فهذا شرك وكفر. وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًّا. أو أنه يشفع بدعائهم إياه، فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنه وقتال من فعله. كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. والفتنة: الشرك.

وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلًا، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده. لكنه أجرىٰ العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم.

والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلىٰ النجم ولو علىٰ طريق المجاز، فقد صرح ابن مفلح في «الفروع»: بأنه يحرم قول: مُطرنا بنوء كذا. وجزم في «الإنصاف» بتحريمه ولو علىٰ طريق المجاز، ولم يذكر خلافًا.

وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالىٰ - الذي لا يقدر عليه غيره - إلىٰ خلق مسخر لا ينفع ولا يضر، ولا قدرة له علىٰ شيء، فيكون ذلك شركًا أصغر. والله أعلم.

قوله: «**وَالنِّيَاحَةُ**» أي: رفع الصوت بالندب علىٰ الميت(٢)؛ لأنها تَسخُّط لقضاء الله، وذلك ينافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر، لشدة الوعيد والعقوبة.

قوله: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا**» فيه: تنبيه علىٰ أن التوبة تكفر الذنب وإن عظُم،

---

(١) ضعيف جدًّا: رواه أحمد (٥/ ٩٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٤)، وأبو يعلىٰ (١٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨٥٣)، وفي «الأوسط» (١٨٧٣)، والبزار (٢١٨١ كشف) من طريق محمد بن القاسم الأزدي حدثنا مطر عن أبي خالد الوالبي عن جابر بن سمرة مرفوعًا. ومحمد بن القاسم ضعيف جدًّا وبعضهم كذبه. وله شواهد واهية سبق بيانها.

(٢) وضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوىٰ الجاهلية. [الفقي].

هذا مجمع عليه في الجملة، وتكفر أيضًا بالحسنات الماحية والمصائب، ودعاء المسلمين بعضهم لبعض، وبالشفاعة بإذن الله، وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك بالله شيئًا.

وفي الحديث، عن ابن عمر مرفوعًا: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[١].

رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان.

قوله: «تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

قال القرطبي: السربال: واحد السرابيل، وهي الثياب والقُمُص، يعني: أنهن يُلطَّخن بالقطران، فيكون لهن كالقُمص، حتىٰ يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وألَمُهن بسبب الجرب أشد.

ورُوي عن ابن عباس: إن القطران هو النحاس المذاب[٢][٣].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما[٤] عن زيد بن خالد، قال: صلىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[٥].**

---

(١) إسناده حسن: رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢، ١٥٣)، وابن حبان (٦٢٨)، وأبو يعلىٰ (٥٦٠٩)، والحاكم (٤/ ٢٥٧)، وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن ابن عمر. وعبد الرحمن بن ثوبان حسن الحديث.
وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٣٧٥).

(٢) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٢٠٩٩٧) من طريق عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، فذكره، وعبد الله بن صالح ضعيف وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس.

(٣) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير وغيره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠]. [الفقي].

(٤) رواه البخاري في الصلاة في باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، وفي الاستسقاء في باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢]، ورواه مسلم في كتاب الإيمان (٧١) (١٢٥): باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء. [الفقي].

(٥) صحيح: رواه البخاري (٨٤٦ وأطرافه) ومسلم (٧١).

ش: زيد بن خالد الجُهني صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وقيل غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة.

قوله: (**صلىٰ لنا رسول الله ﷺ**) أي: بنا، فاللام بمعنىٰ الباء. قال الحافظ: وفيه إطلاق ذلك مجازًا، وإنما الصلاة لله.

قوله: (**بالحديبية**) بالمهملة المضمومة وتخفيف يائها وتُثَقَّل[1].

قوله: (**علىٰ إثر**) بكسر الهمزة وسكون المثلثة علىٰ المشهور، وهو ما يعقب الشيء.

قوله: (**سماء**) أي: مطر؛ لأنه ينزل من السحاب، والسماء يطلق علىٰ كل ما ارتفع.

قوله: (**فلما انصرف**) أي: من صلاته، أي: التفت إلىٰ المأمومين، كما يدلُّ عليه قوله: (**أقبل علىٰ الناس**)، ويُحتمل أنه أراد السلام.

قوله: «**هَلْ تَدْرُونَ**» لفظُ استفهام ومعناه التنبيه.

وفي النسائي: «**أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟**»[2]. وهذا من الأحاديث القدسية.

وفيه: إلقاء العالم المسألة علىٰ أصحابه ليختبرهم.

قوله: (**قالوا: الله ورسوله أعلم**) فيه: حسن الأدب للمسؤول إذا سئل عما لا يعلم: أن يَكِلَ العلم إلىٰ عالمه. وذلك يجب[3].

قوله: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي**» الإضافة هنا للعموم، بدليل التقسيم إلىٰ مؤمن وكافر، كقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

قوله: «**مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**» إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كفر؛ لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر. وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر؛ لأنه نسب نعمة الله

---

(١) قرية علىٰ حدود الحرم، وتسمىٰ الآن الشميسي. وكان فيها صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ والمشركين سنة ست من الهجرة، وكان هذا الصلح الفتح المبين. [الفقي].

(٢) **إسناده صحيح:** رواه النسائي (٣/ ١٦٤ - ١٦٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح النسائي» (١/ ٣٣٣).

(٣) وردهم هذا إنما كان يصح حينما كان الرسول ﷺ في حياته الدنيا حاضر المجلس؛ فإن الواجب رد العلم إلىٰ الله ثم إليه. وأما بعد أن مات وفارق هذه الدنيا، فلا ينبغي رد العلم إلَّا إلىٰ الله وحده. فمن الخطأ استعمال الناس هذه الجملة الآن وقولهم: (الله ورسوله أعلم). [الفقي].

إلىٰ غيره، ولأن الله لم يجعل النوءَ سببًا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من الله ورحمة يحبسه إذا شاء ويُنزله إذا شاء.

ودلَّ هذا الحديث: علىٰ أنه لا يجوز لأحد أن يُضيف أفعال الله إلىٰ غيره، ولو علىٰ سبيل المجاز. وأيضًا الباء تحتمل معاني، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية ولا للاستعانة، لما عرفت من أن هذا باطل. ولا تصدق أيضًا علىٰ أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه، وإنما يجيء المطر في الوقت الذي أراد الله مجيئه فيه، برحمته وحكمته وفضله، فكلُّ معنىٰ تُحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فاسد.

فيظهر علىٰ هذا: تحريم هذه اللفظة مطلقًا لفساد المعنىٰ[1]. وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب «الفروع» و«الإنصاف».

قال المُصَنِّفُ: وفيه التفطُّن للإيمان في هذا الموضع. يشير إلىٰ أنه الإخلاص.

قوله: «**فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ**» فالفضل والرحمة صفتان لله، ومذهبُ أهل السنة والجماعة: أن ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات: كالحياة والعلم، وصفات الأفعال، كالرحمة التي يرحم بها عباده، كلها صفات لله قائمة بذاته ليست قائمة بغيره، فتفطَّن لهذا؛ فقد غلط فيه طوائف.

وفي هذا الحديث: أن نعم الله لا يجوز أن تُضاف إلَّا إليه وحده، وهو الذي يُحمد عليها، وهذه حال أهل التوحيد.

قوله: «**وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**» إلىٰ آخره، وقد تقدم ما يتعلق بذلك.

قال المُصَنِّفُ: وفيه التفطُّن للكفر في هذا الموضع.

يُشير إلىٰ أن نسبة النعمة إلىٰ غير الله كفر، ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه، وإن لم يعتقد تأثير النوء في إنزال المطر، فيكون من كفر النعم، لعدم نسبتها إلىٰ الذي أنعم بها، ونسبتها إلىٰ غيره، كما سيأتي في قوله تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[النحل: ٨٣].

---

(١) وكذلك مثلها مما يستعمله الجاهلون، كقولهم: يا ربنا بمحمد وبنته، ونحو ذلك من ألفاظ في توسلاتهم ودعواتهم الجاهلية. [الفقي].

قال القرطبي في شرح حديث زيد بن خالد: وكانت العرب إذا طلع نجم من المشرق، وسقط آخر من المغرب فحدث عند ذلك مطرٌ أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب؛ نسبة إيجاد واختراع، ويُطلقون ذلك القول المذكور في الحديث. فنهى الشارع عن إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحدٌ اعتقادَهم، ولا يتشبه بهم في نطقهم. انتهى.

قوله: (فمنهم من ينسبه نسبة إيجاد) يدل على أن بعضهم كان لا يعتقد ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[العنكبوت: ٦٣] . فدل على أن منهم من يعرف ويقرُّ بأن الله هو الذي أوجد المطر، وقد يعتقد هؤلاء أن للنوء فيه شيئًا من التأثير.

والقرطبي في شرحه لم يُصرِّح أن العرب كلهم يعتقدون ذلك المعتقد الذي ذكره. فلا اعتراض عليه بالآية؛ للاحتمال المذكور.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نَوءُ كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات**[1]: ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

[الواقعة: ٧٥ - ٨٢]

ش: وبلفظه عن ابن عباس، قال: مُطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ**». قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نَوْءُ كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾.

هذا قسم من الله عز وجل، يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء. وجواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾. فتكون «لا» صلة لتأكيد النفي، فتقدير الكلام: ليس الأمر كما زعمتم في القرآن

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٧٣) قال الشيخ سليمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد» (صـ٤٦١): الحديث لمسلم فقط.

أنه سحر، أو كهانة، بل هو قرآن كريم.

قال ابن جرير: قال بعض أهل العربية: معنىٰ قوله: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ﴾ فليس الأمر كما تقولون، ثم استؤنف القسم بعد، فقيل: أُقسم.

ومواقع النجوم، قال ابن عباس: يعني: نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العُليا إلىٰ السماء الدنيا، ثم نزل مُفرَّقًا في السنين بعد[1][2]، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية.

ومواقعها: نزولها شيئًا بعد شيء. وقال مجاهد: مواقع النجوم: مطالعها ومساقط[3]. واختاره ابن جرير.

وعلىٰ هذا: فتكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه – وهو القرآن – من وجوه:

أحدها: أن النجوم جعلها الله يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدىٰ بها في ظلمات الغي والجهل، فتلك هداية في الظلمات الحسية، والقرآن هداية في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهدايتين.

مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة، وفي القرآن من الزينة الباطنة، ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن.

والنجوم آياته المشهودة العيانية، والقرآن آياته المتلوة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة علىٰ آياته القرآنية، ومواقعها عند النزول. ذكره ابن القيم.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ قال ابن كثير: أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ هذا هو المقسَم عليه، وهو القرآن، أي: وإنه وحي الله وتنزيله وكلامه، لا كما يقول الكفار: إنه سحر أو كهانة، أو شعر. بل هو قرآن كريم، أي:

---

(١) **إسناده صحيح:** رواه الطبري في تفسيره (٣٣٥٢٤) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

(٢) الآية تدل علىٰ أنه ما زال في الكتاب المكنون حتىٰ كان ينزل به جبريل منجمًا، فكان ينزل مباشرة إلىٰ النبي ﷺ، ولا مفهوم لما قاله بعض المفسرين: أنه نزل إلىٰ السماء الدنيا مرة، ثم كان ينزل بعد ذلك إلىٰ رسول ﷺ منها. [الفقي]

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٣٥٢٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس، وقد طعن القطان في سماع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد.

عظيم كثير الخير؛ لأنه كلام الله.

قال ابن القيم: فوصفه بما يقتضي حُسنَه وكثرة خيره ومنافعه وجلالته؛ فإن الكريم هو البهيُّ الكثير الخير العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله.

والله سبحانه وتعالىٰ وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثُرَ خيره وحسن منظره من النبات وغيره، ولذلك فسر السلف الكريم: بالحسَن. قال الأزهري: الكريم اسمٌ جامع لما يُحمد، والله تعالىٰ كريم جميل الفعال، وإنه لقرآن كريم يُحمد؛ لما فيه من الهُدىٰ والبيان والعلم والحكمة.

وقوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ أي: معظَّم، في كتاب معظم محفوظ موقَّر. قاله ابن كثير.

وقال ابن القيم: اختلف المفسرون في هذا، فقيل: هو اللوح المحفوظ، والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة، وهو المذكور في قوله: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [عبس: ١٣ - ١٦].

ويدلُّ علىٰ أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة، قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ فهذا يدل علىٰ أنه بأيديهم يمسونه.

قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾. قال: الكتاب الذي في السماء[١]. وفي رواية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ يعني: الملائكة[٢].

وقال قتادة: لا يمسه عند الله إلَّا المطهرون. فأما في الدنيا: فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس[٣]. واختار هذا القول كثيرون، منهم ابن القيم ورجحه.

وقال ابن زيد: زعمت قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالىٰ أنه لا يمسه إلَّا المطهرون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (٣٣٥٣٣) من طريق شريك عن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره، وشريك سيئ الحفظ.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٣٣٥٥٢) بإسناد العوفي عن ابن عباس فذكره.

(٣) **حسن بطريقين**: رواه الطبري (٣٣٥٤٨، ٣٣٥٤٩) من طريق سعيد ومعمر عن قتادة فذكره.

قال ابن كثير: هذا قول جيد. وهو لا يخرج عن القول قبله. وقال البخاري في «صحيحه» في هذه الآية: لا يجد طعمه إلَّا من آمن به.

قال ابن القيم: هذا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يتلذذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلَّا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقًّا، وأنزله علىٰ رسوله وحيًا، لا ينال معانيه إلَّا من لم يكن في قلبه منه حرج بوجه من الوجوه.

وقال آخرون: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أي: من الجنابة والحدث. قالوا: ولفظ الآية خبر، ومعناه الطلب.

وقالوا: والمراد بالقرآن هاهنا المصحف. واحتجوا علىٰ ذلك بما رواه مالك في «الموطأ» عن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «**أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**»[1][2].

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال ابن كثير: أي: هذا القرآن منزل من الله رب العالمين، وليس كما يقولون: إنه سحر

---

(١) **مرسل**: رواه النسائي (٨/ ٦٠)، وابن خزيمة (٢٢٦٩)، والدارقطني في «السنن» (١/ ١٢١، ١٢٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/ ٨٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٥٣٨)، ومالك في «الموطأ» (١/ ١٩٩)، وأبو داود في «المراسيل» (٩٣)، وأبو عبيد في «الفضائل» (٥٧ - ٥٨ و ٢٤٤)، وابن أبي داود في «المصاحف» (٧٣٦)، وغيرهم، من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مرة عن أبيه ومرة بدون ذكره أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله لعمرو بن حزم: «**لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**». وهذا مرسل. وذكر مرة مختصرًا بدون ذكر الشاهد ومرة مطولًا، وثم طرق أخرىٰ موصولة فيها ضعف، انظرها في تحقيق كتاب «المصاحف» عند حديث (٧٣٦) لأخي محمد بن عبده - حفظه الله -.

(٢) **قال الحافظ ابن كثير**: ورواه أبو داود في «المراسيل» من حديث الزهري. قال: قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلخ. قال: ومثل هذا لا ينبغي الأخذ به. وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص. وفي إسناد كل منهما نظر. وقال الحافظ في التلخيص الحبير: «وقد ضعف النووي وابن كثير في «الإرشاد» وابن حزم حديث حكيم بن حزام وحديث عمرو بن حزم جميعًا». والضمير في الآية يعود علىٰ الكتاب المكنون، فهي صريحة في أنهم الملائكة. والمقصود بالآية - ما قال ابن زيد - الرد علىٰ قريش زعمها أنه تنزلت به الشياطين، فليس في الآية دليل ولا شبه دليل لمن يقول: إن المصحف لا يمسه إلَّا طاهر.[الفقي].

أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حق نافع. وفي هذه الآية: أنه كلام الله تكلم به.

قال ابن القيم: ونظيره: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣]. وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] هو إثبات علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه؛ فإن النزول والتنزيل الذي تعقله العقول، وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلىٰ إلىٰ أسفل، ولا يرد عليه قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]؛ لأنا نقول: إن الذي أنزلها فوق سمواته. فأنزلها لنا بأمره.

قال ابن القيم: وذكر التنزيل مُضافًا إلىٰ ربوبيته للعالمين المستلزمة لملكه لهم وتصرفه فيهم، وحكمه عليهم، وإحسانه إليهم، وإنعامه عليهم، وأن مَنْ هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سُدًىٰ، ويدعهم هَمَلًا، ويخلقهم عبثًا. لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يُثيبهم ولا يُعاقبهم؟ فمن أقر بأنه رب العالمين، أقر بأن القرآن تنزيله علىٰ رسوله. واستدل بكونه رب العالمين علىٰ ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به، وهذا الاستدلال أقوىٰ وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق، وإن كانت دلالتها أقرب إلىٰ أذهان عموم الناس. وتلك إنما تكون لخواص العُقلاء.

قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾. قال مجاهد: أي: أتريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم[1].

قال ابن القيم: ثم وبَّخهم سبحانه علىٰ وضعهم الادهان في غير موضعها، وأنهم يداهنون فيما حقه أن يُصدع به ويُفرق به، ويُعضَّ عليه بالنواجذ، وتُثنىٰ عليه الخناصر، وتعقد عليه القلوب والأفئدة، ويُحارب ويسالم لأجله، ولا يلتوي عنه يمنة ولا يسرة، ولا يكون للقلب التفات إلىٰ غيره، ولا محاكمة إلَّا إليه، ولا مخاصمة إلَّا به، ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلَّا بنوره، ولا شفاء إلَّا به، فهو روح الوجود، وحياة العالم، ومدار السعادة، وقائد الفلاح، وطريق النجاة، وسبيل الرشاد، ونور البصائر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٣٥٥١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقد عنعن، وطعن بعض أهل العلم في سماعه التفسير من مجاهد.

فكيف تُطلب المداهنة بما هذا شأنه، ولم ينزل للمداهنة، وإنما نزل بالحق وللحق، والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا تُمكن إزالته، أو في حق ضعيف لا تمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلىٰ أن يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل، فأما الحق الذي قام به كل حق، فكيف يداهن به؟.

قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾. تقدم الكلام عليها أول الباب، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يُخرج من الملة.

الخامسة: قوله: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**» بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: «**لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا**».

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**»؟

العاشرة: وعيد النائحة.

* * *

(٣٠)
بَابُ: قول الله تعالى:
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالىٰ:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ش: لما كانت محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه - فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان - نبه المصنف علىٰ ذلك بهذه الترجمة.

قوله: (باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾) الآية. قال في «شرح المنازل»(١): أخبر تعالىٰ أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالىٰ فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا ند في المحبة، لا في الخَلْق والربوبية؛ فإن أحدًا من أهل الأرض لا يُثبت هذا الند، بخلاف ند المحبة؛ فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾. وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يُحبونها ويعظمونها من دون الله.

وروىٰ ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: مُباهاةً ومضاهاة للحق بالأنداد. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من الكفار لأوثانهم(٢).

ثم رُوي عن ابن زيد، قال: هؤلاء المشركون أندادهم آلهتهم التي عبدوا مع الله، يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله، والذين آمنوا أشد حبًّا لله من حبهم آلهتهم(٣). انتهىٰ.

---

(١) مدارج السالكين أول الجزء الثالث من طبعة المنار. [الفقي].

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤١٥، ٢٤١٦) من طريق ابن أبي نجيح عن قتادة، وانظر الكلام عليه في الأثر السابق.

(٣) إسناده صحيح: إلىٰ ابن زيد رواه الطبري (٢٤١٨) عن يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد فذكره.

والثاني: والذين آمنوا أشد حبًّا لله من المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة.

والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فإن فيها قولين أيضًا:

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله، فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة شرَّكوا فيها مع الله تعالى أندادهم.

والثاني: أن المعنى: يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ثم بين تعالى أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – يُرجح القول الأول، ويقول: إنما ذُمُّوا بأن شرَّكوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يُخلصوها لله كمحبة المؤمنين له.

وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى: حكاية عنهم، وهم في النار، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨].

ومعلوم أنهم ما يسوّوهم برب العالمين في الخلق والربوبية[1]، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم.

وهذا أيضًا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١]. أي: يعدلون به غيره في العبادة، التي هي المحبة والتعظيم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وهذه تُسمَّى آية المحنة.

قال بعض السلف: ادَّعى قوم محبة الله، فأنزل الله عز وجل آية المحنة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى دليل المحبة، وثمرتها وفائدتها. فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول ﷺ، وفائدتها وثمرتها: محبة المُرسل لكم، فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة، ومحبته لكم منتفية.

---

(١) في **قرة العيون**: وقد وقع الشرك في الربوبية أيضًا في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة، فاعتقدوا أن لهؤلاء الأموات تصرفًا في الكون ونحو ذلك. [الفقي].

وقــال تعــالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] وذكر لها أربع علامات:

إحداها: أنهم أذلة علىٰ المؤمنين، قيل: معناه أرقَّاء رُحماء مشفقين عليهم عاطفين، فلما ضمّن أذلة هذا المعنىٰ عدَّاه بأداة علىٰ. قال عطاء رحمه الله: للمؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده.

وعلىٰ الكافرين كالأسد علىٰ فريسته، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

العلامة الثالثة[١]: الجهاد في سبيل الله تعالىٰ بالنفس واليد واللسان والمال. وذلك يُحقق دعوىٰ المحبة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهذه علامة صحة المحبة.

فكل محب أخذه اللوم علىٰ محبوبه فليس بمحب علىٰ الحقيقة.

وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] فذكر المقامات الثلاثة: الحب. وهو ابتغاء القُرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة. والرجاء والخوف يدلُّ علىٰ أن ابتغاء الوسيلة أمرٌ زائد علىٰ رجاء الرحمة وخوف العذاب.

ومن المعلوم قطعًا أنه لا يتنافس إلَّا في قرب من يحب قربه، وحبُّ قربه تبع لمحبة ذاته، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه.

وعند الجهمية والمعطِّلة: ما من ذلك كله شيء، فإنه عندهم لا تقربُ ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يُحَبُّ لذاته ولا يُحِبُّ، فأنكروا حياة القلوب، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس، وقرة العيون، وأعلىٰ نعيم الدنيا والآخرة. ولذلك ضُربت قلوبهم بالقسوة، وضُرب دونهم ودون الله حجاب علىٰ معرفته ومحبته، فلا يعرفونه ولا يحبونه ولا يذكرونه إلَّا عند تعطيل أسمائه وصفاته، فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم، بل يُعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله، ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها.

---

(١) لم يذكر الثانية. ولعله اكتفىٰ بما في كلام عطاء من الإشارة إليها بقوله: وعلىٰ الكافرين أشد. [الفقي]

وحسْبُ ذي البصيرة وحياة القلب ما يرىٰ علىٰ كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالىٰ ومعرفته وتوحيده، والله المستعان.

وقال رحمه الله أيضًا: لا تُحَدُّ المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً.

فحدُّها وجودُها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها.

وأجمع ما قيل في ذلك: ما ذكره أبو بكر الكَتَّاني رحمه الله عن الجُنَيد.

قال أبو بكر: جرت مسألة في المحبة بمكة - أعزها الله - في أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجُنيد أصغرهم سنًّا، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبَه نور هيبته، وصفا شِربُه من كأس مودته، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكىٰ الشيوخ، وقالوا: ما علىٰ هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين!

وذكر رحمه الله تعالىٰ: أن الأسباب الجالبة للمحبة عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكره علىٰ كل حال باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة علىٰ قدر هذا.

الرابع: إيثار محابِّه علىٰ محابِّك عند غلبات الهوىٰ.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها، وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدة برّه وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: - وهو أعجبُها - انكسار القلب بين يديه.

الثامن: الخلوةُ وقت النـزول الإلهـي (١)، وتـلاوة كتابـه ثـم ختـمُ ذلـك بالاسـتغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب كلماتهم، ولا تـتكلم إلَّا إذا ترجحـت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المُحبُّون إلىٰ منازل المحبة، ودخلوا علىٰ الحبيب.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ**: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

ش: أمر الله نبيه ﷺ أن يتوعد من أحب أهلـه ومالـه وعـشيرته، وتجارتـه ومـسكنه، فآثرها، أو بعضها علىٰ فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال، التي يُحبها الله تعالىٰ ويرضـاها، كالهجرة والجهاد ونحو ذلك.

قال العماد ابن كثير: أي: إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظروا ماذا يحل بكم مـن عقابـه. روىٰ الإمـام أحمـد وأبـو داود - واللفظ له - من حديث أبي عبد الرحمن الخُرساني عن عطاء الخراساني، عن نافع، عن ابـن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «**إِذَا تَبَـايَعْتُمْ بِالْعِينَـةِ، وَأَخَـذْتُمْ أَذْنَـابَ الْبَقَـرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُم الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تُرَاجِعُوا دِينَكُمْ**» (٢).

---

(١) وذلك إذا مضىٰ ثلثا الليل كما في حديث النزول. [الفقي].

(٢) **أسانيده ضعيفة**: رواه أحمد (٢/ ٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٣، ١٣٥٨٥)، وأبو يعلىٰ (٥٦٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٢٢٤، ١٠٨٧١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣ - ٣ - ٣١٤) وغـيرهم مـن طريـق عطـاء بـن أبي رباح عن ابن عمـر مرفوعًـا، وعطـاء لم يـسمع ابـن عمـر، ورواه أبـو داود (٣٤٦٢)، والبيهقـي في «الـسنن» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم في «الحليـة» (٥/ ٢٠٨ - ٢٠٩)، والـدولابي في «الكنـىٰ» (٢/ ٦٥)، وغـيرهم مـن طريـق إسحاق أبي عبد الرحمن عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وإسحاق أبي عبد الرحمن فيه جهالـة.
=

فلابد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله، ويُوالي فيه ويُعادي فيه، ويُتابع رسوله ﷺ، كما تقدم في آية المحنة، ونظائرها.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أخرجاه**[1].

ش: أي: البخاري ومسلم.

قوله: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» أي: الإيمان الواجب، والمراد كماله، حتىٰ يكون الرسول أحب إلىٰ العبد من ولده ووالده والناس أجمعين، بل ولا يحصل هذا الكمال إلَّا بأن يكون الرسول أحب إليه من نفسه، كما في الحديث: أن عمر قال: لأنت يا رسول الله أحبُّ إليَّ من كل شيء إلَّا نفسي، فقال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»**. فقال له عمر: فإنك الآن أحبُّ إليّ من نفسي، فقال: **«الْآنَ يَا عُمَرُ»**[2]. رواه البخاري.

فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد الكمال الواجب الذي يُذمُّ تاركه ويعرَّض للعقوبة فقد صدق، وإن أراد أن المنفي الكمال المُستحب، فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ﷺ، قاله: شيخ الإسلام.

فمن ادعىٰ محبة النبي ﷺ بدون متابعة، وتقديم قوله علىٰ قول غيره فقد كَذَب، كما

=

وعطاء الخراساني ضعيف ويرسل ويدلس.

ورواه أحمد (٢/ ٤٢، ٨٤) من طريق أبي جناب عن شهر بن حوشب عن ابن عمر فذكره مرفوعًا.

وأبو جناب وهو يحيىٰ بن أبي دحية الكلبي ضعيف، وشهر بن حوشب الراجح فيه الضعف.

وله شاهد من حديث جابر رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٢) من طريق بشير بن زياد الخراساني عن ابن جريج عن عطاء عن جابر فذكره مرفوعًا. وبشير مجهول، بل قال الذهبي: منكر الحديث ولم يترك، وابن جريج مدلس وقد عنعن.

وانظر «النظرات في السلسلة الصحيحة» الحديث الأول لأبي عبد الله مصطفىٰ بن العدوي وأبي لؤي خالد المؤذن. وتحقيق «مسند أحمد» للشيخ شعيب الأرنؤوط حديث (٤٨٢٥).

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٢١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٦٦٣٢).

قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[النور: ٤٧].

فنفىٰ الإيمان عمن تولىٰ عن طاعة الرسولﷺ، لكن كل مسلم يكون محبًّا بقدر ما معه من الإسلام، وكل مسلم لا بد أن يكون مؤمنًا، وإن لم يكن مؤمنًا الإيمان المطلق؛ لأن ذلك لا يحصل إلَّا لخواص المؤمنين.

قال شيخ الإسلام: وعامةُ الناس إذا أسلموا بعد كُفْر، أو وُلِدوا علىٰ الإسلام والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مُجْمل، لكن دخول حقيقة الإيمان إلىٰ قلوبهم يحصل شيئًا فشيئًا، إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلىٰ اليقين ولا إلىٰ الجهاد، ولو شُكِّكوا لشكوا، ولو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا؛ إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأُ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يُقدِّمونه علىٰ الأهل والمال، فهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يُدخل عليهم شبهات تُوجب ريبتهم، فإن لم يُنعم الله عليهم بما يُزيل الريب، وإلا صاروا مُرتابين، وانتقلوا إلىٰ نوع من النفاق. انتهىٰ.

وفي الحديث: أن الأعمال من الإيمان؛ لأن المحبة عمل القلب.

وفيه: أن محبة الرسولﷺ واجبة، تابعة لمحبة الله لازمة لها؛ فإنها محبة لله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها، وكل من كان محبًّا لله، فإنما يُحب في الله ولأجله، كما يُحبُّ الإيمان والعمل الصالح. وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك، كالاعتماد عليه ورجائه في حصول مرغوب منه أو دفع مرهوب. وما كان فيها ذلك، فمحبة مع الله؛ لما فيها من التعلق علىٰ غيره، والرغبة إليه من دون الله.

فبهذا يحصل التمييز بين المحبة في الله ولأجله - التي هي من كمال التوحيد - وبين المحبة مع الله التي هي محبة الأنداد من دون الله، لما يتعلق بقلوب المُشركين من الإلهية التي لا تجوز إلَّا لله وحده لا شريك له.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا**

يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وفي رواية: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ...» إلىٰ آخره[1].

ش: قوله: (ولهما عنه): أي: البخاري ومسلم، عن أنس.

قوله: «ثَلَاثٌ» أي: ثلاث خصال.

قوله: «مَنْ كُنَّ فِيهِ» أي: وجدت فيه تامة.

قوله: «وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» الحلاوة هنا: هي التي يُعبَّر عنها بالذوق؛ لما يحصل به من لذة القلب، ونعيمه وسروره وغذائه، وهو شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم.

قال السيوطي في «التوشيح»: «**وجد حلاوة الإيمان**»، فيه: استعارة تخييلية، شبَّه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه.

وقال النووي: معنىٰ «**حلاوة الإيمان**»: استلذاذ الطاعات وتحمُّل المشاق، وإيثار ذلك علىٰ أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ.

قال يحيىٰ بن معاذ: حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء.

قوله: «أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» يعني بالسِّوىٰ: ما يحبُّه الإنسان بطبعه، كمحبة الولد والمال والأزواج ونحوها، فتكون: أحب هنا علىٰ بابها.

وقال الخطابي: المراد بالمحبة هنا: حُبُّ الاختيار لا حب الطبع كذا قال.

وأما المحبة الشركية - التي قد تقدم بيانها - فقليلها وكثيرها ينافي محبة الله ورسوله. وفي بعض الأحاديث: «أَحِبُّوا اللهَ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ»[2].

فمن علامات محبة الله ورسوله: أن يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، ويؤثر مرضاته علىٰ ما سواه، ويسعىٰ في ما يرضيه ما استطاع، ويبعد عما حرمه ويكرهه أشد الكراهة، ويتابع رسوله، ويمتثل أمره، ويترك نهيه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣).

(٢) **مرسل**: رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٢٤) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف مرسلًا.

فمن آثر أمر غيره علىٰ أمره، وخالف ما نهىٰ عنه، فذلك عَلَمٌ علىٰ عدم محبة الله ورسوله؛ فإن محبة الرسول من لوازم محبة الله، فمن أحب الله وأطاعه أحب الرسول وأطاعه. ومن لا فلا، كما في آية المحنة ونظائرها. والله المستعان.

قال شيخ الإسلام: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له. فمن أحب شيئًا واشتهاه، إذا حصل له مراده؛ فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب والمشتهىٰ.

قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح، تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريغها، ودفع ضدها. فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن محبة الله ورسوله لا يُكتفىٰ فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

قلت: ومحبة الله تعالىٰ تستلزم محبة طاعته؛ فإنه يحب من عبده أن يطيعه. والمحبُّ يحب ما يحبه محبوبه ولا بد.

ومن لوازم محبة الله أيضًا: محبة أهل طاعته، كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده، فمحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الإيمان، كما في حديث ابن عباس الآتي.

قال: وتفريغها. أن يحب المرء لا يحبه إلَّا لله، قال: ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان، كما يكره أن يُقذف في النار. انتهىٰ.

قوله: «أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» فيه جمع ضمير الرب سبحانه وتعالىٰ وضمير رسوله ﷺ، وفيه قولان:

أحدهما: أنه ثنىٰ الضمير هنا إيماءً إلىٰ أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة؛ فإنها وحدها لاغية. وأمر بالإفراد في حديث الخطيب[1][2] إشعارًا بأن كل

---

(١) يشير إلىٰ حديث مسلم (٨٧٠) عن عدي بن حاتم ﵁ أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوىٰ. فقال رسول الله ﷺ: «بِئْسَ خَطِيبُ القَوْمِ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ...».

(٢) وذلك ما رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عدي بن حاتم: (أن خطيبًا خطب عند النبي ﷺ فقال: من =

واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية؛ إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم.

الثاني: حملُ حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا على الجواز.

وجواب ثالث: وهو أن هذا وارد على الأصل، وحديث الخطيب ناقل فيكون أرجح.

قوله: «**كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» أي: يستوي عنده الأمران.

وفيه: رد على الغلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقًا، وإن تاب منه.

والصواب: أنه إن لم يتب كان نقصًا، وإن تاب فلا، ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضل هذه الأمة، مع كونهم في الأصل كفارًا، فهداهم الله إلى الإسلام، والإسلام يمحو ما قبله، وكذلك الهجرة. كما صح الحديث بذلك[1].

قوله: (وفي رواية: «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ**») هذه الرواية أخرجها البخاري في الأدب من «صحيحه». ولفظه: «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَحَتَّىٰ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، وَحَتَّىٰ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**».

وقد تقدم أن المحبة هنا: عبارة عما يجده المؤمن من اللذة والبهجة والسرور، والإجلال

=

يطع الله تعالى ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال له ﷺ: «**بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: مَنْ يَعْصِ اللهَ تَعَالَىٰ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوِيَ**».

قال النووي: «سبب الإنكار عليه أن الخطبة شأنها البسط والإيضاح، واجتناب الإشارات والرموز. قال: ولهذا ثبت أن رسول الله كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا لتفهم عنه، قال: وإنما ثنى الضمير في قوله: «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»؛ لأنه ليس خطبة وعظ، وإنما هو تعليم حكم، فكلما قل لفظه كان أقرب إلى حفظه بخلاف الخطبة» اهـ.

أقول: ولعلها حادثة حال لها ظروفها التي اقتضت أن يقول رسول الله ﷺ ذلك، والله أعلم. [الفقي].

(١) يشير إلى حديث مسلم (١٢١) من حديث ابن عمرو مرفوعًا، وفيه: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**».

والهيبة، ولوازم ذلك. قال الشاعر:

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالىٰ في الله، وعادىٰ في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتىٰ يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي علىٰ أهله شيئًا[1]. رواه ابن جرير.**

ش: وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم: الجملة الأولىٰ منه فقط.

قوله: (**من أحب في الله**) أي: أحب أهل الإيمان بالله وطاعته؛ من أجل ذلك.

قوله: (**وأبغض في الله**) أي: أبغض من كفر بالله وأشرك به وفسق عن طاعته؛ لأجل ما فعلوه مما يسخط الله، وإن كانوا أقرب الناس إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

قوله: (**ووالىٰ في الله**) هذا والذي قبله من لوازم محبة العبد لله تعالىٰ، فمن أحب الله أحب فيه، ووالىٰ أولياءه، وعادىٰ أهل معصيته وأبغضهم، وجاهد أعداءه ونصر أنصاره. وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه قويت هذه الأعمال المترتبة عليها، وبكمالها يكمل توحيد

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٢٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٦٨) من طريق ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس به موقوفًا، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٣٧) من طريق ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر موقوفًا، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣١٢) من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعًا، وفي الإسناد ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، ثم إنه قد اضطرب في هذا الإسناد. وقد صح حديث أبي أمامة مرفوعًا بلفظ: «**مَنْ أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله، وَأَعْطَىٰ لله، وَمَنَعَ لله، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**».

رواه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣، ٧٧٣٧، ٧٧٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٥٤)، والبيهقي في الاعتقاد (صـ٢٢٨)، وفي «شعب الإيمان» (٩٠٢١)، واللالكائي (١٦١٨)، وغيرهم من طريق القاسم عن أبي أمامة به، وإسناده حسن، وله شاهد آخر من طريق معاذ بن أنس، انظر الكلام عليه وعلىٰ الطريق السابق في تحقيق «الاعتقاد» للبيهقي (صـ٢٢٨ - ٢٢٩) لشيخنا أبي عبد الله أحمد بن أبي العينين. حفظه الله.

العبد، ويكون ضعفها علىٰ قدر ضعف محبة العبد لربه، فمقلٌّ ومستكثر ومحروم!

قوله: (فإنما تنال ولاية الله بذلك) أي: توليه لعبده. ووَلاية: بفتح الواو لا غير، أي الأخوة[(١)] والمحبة والنُّصرة، وبالكسر الإمارة، والمراد هنا الأول.

ولأحمد والطبراني عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَجِدُ الْعَبْدُ صَرِيحَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ للهِ وَيُبْغِضَ للهِ، فَإِذَا أَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ للهِ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الوَلَايَةَ للهِ**»[(٢)].

وفي حديث آخر: «**أَوْثَقُ عُرَىٰ الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**» عز وجل. رواه الطبراني[(٣)].

---

(١) لعل كلمة (الأخوة) زائدة أو مبدلة عن كلمة أخرىٰ تناسب المقام.[الفقي].

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه أحمد (٣/ ٤٣٠) من طريق رشدين بن سعد عن عبد الله بن الوليد عن أبي منصور مولىٰ الأنصار عن عمرو بن الجموح مرفوعًا، ورشدين ضعيف، وأبو منصور لم يلق عمرو بن الجموح وانظر «مسند أحمد» رقم (٥٥٤٩) ط. الرسالة.

(٣) **صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٩٩٨):** رواه ابن أبي شيبة (١٠٤٩٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٣١) والأوسط (٤٤٧٦) والصغير (١/ ٢٢٣- ٢٢٤) والطيالسي (٣٧٦ هجر) والبيهقي في «الشعب» (٩٥١) والحاكم (٢/ ٤٨٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٧٧) من طريق الصعق بن حزن عن عقيل الجعدي عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا.

وفي الإسناد عقيل الجعدي وهو منكر الحديث كما قال البخاري ، ونقله الذهبي في تلخيصه على الحاكم، ونكر الحديث أبو حاتم في علل ولده (١٩٧٧)، وله طريق آخر رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٥ سورة «الحديد» آية (٢٧) مختصرًا من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده مرفوعًا، وبكير بن معروف فيه ضعف، وله شاهد من حديث البراء عند أحمد (٤/ ٢٨٦)، والطيالسي (٧٨٣ ط. هجر) والروياني (٣٩٩)، والبيهقي في «الشعب» (١٤، ٩٥١١)، وغيرهم من طريق ليث عن عمرو بن مرة عن معاوية بن سويد بن مقرن عن البراء مرفوعًا، وليث بن أبي سليم ضعيف، ورواه ابن أبي شيبة (١١/ ٤١)، و(١٣/ ٢٢٩) من طريق ابن فضيل عن ليث بن أبي سليم عن عمرو بن مرة عن البراء لم يذكر معاوية بن سويد.

وثم أوجه أخرىٰ علىٰ ليث، انظر وكيع في «الزهد» (٣٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣)، وهذا يدل علىٰ اضطراب ليث في هذا الإسناد. وله شاهد من حديث ابن عباس عند البغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٨)، والطبراني (١١٥٣٧) من طريق حنش عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا، وحنش ضعيف جدًّا.

قوله: (ولن يجد عبد طعم الإيمان) إلىٰ آخره. أي: لا يحصل له ذوق الإيمان ولذته وسروره، وإن كثرت صلاته وصومه حتىٰ يكون كذلك، أي: حتىٰ يحب في الله، ويبغض في الله، ويعادي في الله، ويوالي في الله.

وفي حديث أبي أمامة مرفوعًا: «مَنْ أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله وَأَعْطَىٰ لله وَمَنَعَ لله فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»(١). رواه أبو داود.

قوله: (وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا، وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا) أي: لا ينفعهم بل يضرهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

فإذا كانت البلوىٰ قد عمت بهذا في زمن ابن عباس في خير القرون، فما زاد الأمر بعد ذلك إلَّا شدة، حتىٰ وقعت الموالاة علىٰ الشرك والبدع والفسوق والعصيان. وقد وقع ما أخبر به ﷺ بقوله: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»(٢)(٣).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في عهد نبيهم ﷺ، وعهد أبي بكر وعمر يؤثر بعضهم بعضًا علىٰ نفسه، محبةً في الله وتقربًا إليه. كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر: ٩].

وعن ابن عمر، قال: لقد رأيتُنا علىٰ عهد رسول الله ﷺ، وما منا أحد يرىٰ أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم(٤). رواه ابن ماجه.

---

(١) **إسناده حسن:** رواه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣، ٧٧٣٧، ٧٧٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٥٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (صـ٢٢٨)، وفي «شعب الإيمان» (٩٠٢١)، واللالكائي (١٦١٨)، وغيرهم من طريق القاسم عن أبي أمامة به، وإسناده حسن، وله شاهد آخر من طريق معاذ بن أنس انظر الكلام عليه، وعلىٰ الطريق السابق في تحقيق «الاعتقاد» للبيهقي (صـ٢٢٨ - ٢٢٩) لشيخنا أبي عبد الله أحمد بن أبي العينين حفظه الله.

(٢) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه. والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود. وقد شرحه الحافظ ابن رجب شرحًا نفيسًا سماه «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» طبع مرارًا. [الفقي].

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٤٥).

(٤) **إسناده ضعيف:** رواه أحمد (٢/ ٨٤) من طريق أبي جناب يحيىٰ بن أبي حية عن شهر بن حوشب: سمعت =

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابن عباس في قوله تعالى:** ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦] **قال: المودة**(١).

ش: هذا الأثر رواه عبد بن حُميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

قوله: (قال: المودة)، أي: التي كانت في الدنيا، خانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٥﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال العلامة ابن القيم في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦].

فهؤلاء المتبَعون كانوا علىٰ الهُدىٰ وأتباعهم ادَّعوا أنهم علىٰ طريقهم ومنهاجهم، وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم، ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم، فيتبرءون منهم يوم القيامة؛ فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله.

وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجةً وأولياء، يوالي لهم، ويُعادي لهم، ويرضىٰ

عبد الله بن عمر. وأبو جناب ضعيف، وشهر بن حوشب الراجح فيه الضعف.

ورواه الطبراني (١٣٥٨٣) من طريق أبي بكر بن عباس عن الأعمش عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر فيه مرفوعًا. وفي الإسناد الأعمش وهو مدلس وقد عنعن، وعطاء لم يسمع ابن عمر، واختلف فيه علىٰ الأعمش، فقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» (١٥٧) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن نافع عن ابن عمر به. وفيه الأعمش وهو مدلس وقد عنعن، ورواه الطبراني (١٣٥٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٣ - ٣١٤)، و(٣/ ٣١٨ - ٣١٩) من طريق ليث بن أبي سليم عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن عمر به وقد سقط عبد الملك بن أبي سليمان من طريق أبي نعيم في «الحلية». وفي الإسناد ليث وهو ضعيف، وعطاء لم يسمع ابن عمر. ولم أقف عليه عند ابن ماجه... ولم أقف فيه علىٰ لفظ: علىٰ عهد رسول الله ﷺ.

(١) **إسناده صحيح:** رواه الحاكم (٢/ ٢٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٩٢) من طريق عيسىٰ، عن قيس بن سعد، عن عطاء، عن ابن عباس به، وعيسىٰ هو عيسىٰ بن ميمون الجرشي، كما جاء في رواية ابن أبي حاتم، ولأنه هو صاحب التفسير كما قال المزي في ترجمته. وقيس بن سعد هو المكي. وكلاهما ثقة.

لهم، ويغضب لهم؛ فإن أعماله كلها باطلة، يراها يوم القيامة حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونَصَبه؛ إذ لم يجرد موالاته ومعاداته ومحبته وبغضه وانتصاره وإيثاره لله ورسوله، فأبطل الله عز وجل ذلك العمل كله. وقطع تلك الأسباب.

فينقطع يوم القيامة كل سبب ووصلة ووسيلة ومودة كانت لغير الله، ولا يبقىٰ إلَّا السبب الواصل بين العبد وربه، وهو حظُّه من الهجرة إليه وإلىٰ رسوله، وتجريده عبادته لله وحده ولوازمها: من الحب والبغض، والعطاء والمنع، والموالاة والمعاداة، والتقريب والإبعاد، وتجريد متابعة رسول الله ﷺ تجريدًا محضًا، بريئًا من شوائب الالتفات إلىٰ غيره، فضلًا عن الشرك بينه وبين غيره، فضلًا عن تقديم قول غيره عليه.

فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه، وهذه هي النسبة التي بين العبد وبين ربه، وهي نسبة العبودية المحضة، وهي أُخَيَّتُه والتي يجول ما يجول وإليها مرجعه، ولا تتحقق إلَّا بتجريد متابعة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم -، إذ هذه العبودية إنما جاءت علىٰ ألسنتهم، وما عُرفت إلَّا بهم، ولا سبيل إليها إلَّا بمتابعتهم.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]. فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا علىٰ غير سنة رسله وطريقتهم، ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثورًا، لا ينتفع منها صاحبها بشيء أصلًا. وهذا من أعظم الحسرات علىٰ العبد يوم القيامة، أن يرىٰ سعيه ضائعًا. وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم. انتهىٰ ملخصًا.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية «البقرة».

الثانية: تفسير آية «براءة».

الثالثة: وجوب محبته ﷺ علىٰ النفس والأهل والمال.

الرابعة: نفي الإيمان لا يدل علىٰ الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلَّا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلَّا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦].

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًّا شديدًا.

العاشرة: الوعيد على من كان الثمانية[١] أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًّا تساوي محبته محبة الله؛ فهو الشرك الأكبر.

* * *

(١) هي: الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن. [الفقي].

(٣١)

بَابُ: قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالىٰ:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ش: الخوفُ من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالىٰ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل: ٥٠]. وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]. وقال تعالىٰ: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الأنبياء: ٢٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[البقرة: ٤٠]. وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] . وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

والخوف من حيث هو على ثلاثة أقسام:

أحدها: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله، من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالىٰ عن قوم هود إنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾[هود: ٥٤ - ٥٥] . وقال تعالىٰ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[الزمر: ٣٦] . وهذا هو الواقع من عُبَّاد القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوِّفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفًا من بعض الناس، فهذا مُحَرَّم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد. وهذا هو سبب نزول هذه الآية. كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ

ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ لِلعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ المُنْكَرَ أَنْ تُغَيِّرَهُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ خَشِيتُ النَّاسَ. فَيَقُولُ: إِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَىٰ»[1][2].

الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبُع أو غير ذلك. فهذا لا يُذم، كما قال تعالىٰ في قصة موسىٰ عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوِّفكم أولياءه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾. وهذا نهي من الله تعالىٰ للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم علىٰ الله تعالىٰ، فلا يخافون إلَّا إياه.

وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده ورضيه منهم. فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة: أعطاهم ما يرجون، وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾[الزمر: ٣٦].

قال العلامة ابن القيم: ومن كيد عدو الله: أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائهم؛ لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر. وأخبر تعالىٰ أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه. ونهانا أن نخافه.

قال: والمعنىٰ عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفهُ

---

(١) رواه ابن ماجه عن أبي سعيد بلفظ: «لَا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ» قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يَرَىٰ أَمْرًا لله فيه مَقَالٌ ثُمَّ لَا يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةَ النَّاس. فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَىٰ». ذكره ابن كثير عند تفسير قول الله تعالىٰ في سورة «المائدة»: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ﴾[المائدة: ٧٨]. الآيات. [الفقي].

(٢) إسناده حسن: رواه ابن ماجه (٤٠١٧)، وأحمد (٣/ ٢٧)، والحميدي (٧٣٩)، وعبد بن حميد (٩٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٧٤) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن أبي طوالة عن نهار بن عبد الله العبدي، قال: سمعت أبا سعيد الخدري فذكره مرفوعًا. وانظر «الصحيحة» (٩٢٩)، وله طرق أخرىٰ عن أبي سعيد، انظر ابن ماجه (٤٠٠٨)، وأبا نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٤)، وفي إسناده انقطاع.

منهم. فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان.

* **قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨]

ش: أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلَّا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون من سواه.

فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين؛ لأن عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح، والمشرك وإن عمل فعمله ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]، أو ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]. وما كان كذلك فالعدم خير منه، فلا تكون المساجد عامرة إلَّا بالإيمان الذي معظمه التوحيد، مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مسمى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة.

قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه.

قال ابن القيم رحمه الله: الخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلَّا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب.

قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾. قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: إن أولئك هم المهتدون، وكل ﴿عَسَىٰٓ﴾ في القرآن فهي واجبة [(١)(٢)].

وفي الحديث: «**إِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ**» قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٥٦٩) من طريق علي عن ابن عباس به، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس وفي الإسناد إليه عبد الله بن صالح وهو ضعيف.

(٢) قال ابن كثير: قال ابن عباس: كقوله لنبيه ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]. وهي الشفاعة. وقال محمد بن إسحاق بن يسار: و﴿عَسَىٰٓ﴾ في القرآن من الله حق. [الفقي].

﴿يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾(١). رواه أحمد والترمذي والحاكم.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

ش: قال ابن كثير: يقول تعالىٰ مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين الذين يدّعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت في قلوبهم: إنهم إذا جاءتهم محنةٌ وفتنة في الدنيا، اعتقدوا أنها من نقمة الله بهم، فارتدوا عن الإسلام. قال ابن عباس: يعني: فتنته أن يرتد عن دينه إذا أُوذي في الله.

وقال ابن القيم: الناس إذا أُرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنا، وإما أن لا يقول ذلك. بل يستمر علىٰ السيئات والكفر، فمن قال: آمنا، امتحنه ربه وابتلاه وفَتَنه. والفتنة: الابتلاء والاختبار، ليتبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل: آمنا. فلا يحسب أنه يُعجزُ الله ويفوته ويسبقه.

فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه فابتُلي بما يؤلمه، ومن لم يؤمن بهم ولم يُطعهم عُوقب في الدنيا والآخرة، وحصل له ما يؤلمه، وكان هذا الألم أعظم وأدوم من ألم أتباعهم.

فلابد من حصول الألم لكل نفس آمنت، أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة.

والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداءً، ثم يصير في الألم الدائم.

والإنسان لابد أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه وعذَّبوه، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم.

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٢٦١٧، ٣٠٩٣)، وابن ماجه (٨٢)، وأحمد (٣/ ٦٨)، والدارمي (١/ ٢٧٨)، وابن خزيمة (١٥٠٢)، وابن حبان (١٧٢١)، والحاكم (١/ ٢١١ - ٢١٣)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٦٦) من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به مرفوعًا، ورواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ضعيفة، نص عليها غير واحد من أهل العلم.

كمن عنده دين وتُقَىٰ حلَّ بين قوم فُجّار ظلمة ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إِلَّا بموافقته لهم أو سكوته عنهم، فإن وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذىٰ أضعاف ما كان يخافه ابتداءً لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلِم منهم فلا بد أن يُهان ويعاقب علىٰ يد غيرهم.

فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمعاوية رضي الله عنه: «من أرضىٰ الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط الله لم يُغنوا عنه من الله شيئًا»(١)(٢).

فمن هداه الله وألهمه رُشده ووقاه شر نفسه: امتنع من الموافقة علىٰ فعل المحرم، وصبر علىٰ عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم.

ثم أخبر تعالىٰ عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة، وأنه إذا أُوذي في الله جعل فتنة الناس له - وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه: وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك في فراره منه وتركه السبب الذي يناله به - كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان.

فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فرُّوا من ألم عذاب الله إلىٰ الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المُفارق عن قُرب.

وهذا من ضعف بصيرته، فرَّ من ألم أعداء الرسل إلىٰ موافقتهم ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلىٰ ألم عذاب الله، فجعل ألم فتنة الناس - في الفرار منه - بمنزلة عذاب الله، وغُبن كل الغبن؛ إذ استجار من الرمضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلىٰ ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه، قال: إني كنت معكم، والله أعلم بما انطوىٰ عليه صدره من النفاق. انتهىٰ.

وفي الآية: ردٌّ علىٰ المرجئة والكَرَّامية. ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: آمنا بالله. مع عدم صبرهم علىٰ أذىٰ من عاداهم في الله، فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل. فلا يصدق

(١) رواه الترمذي عن عائشة عن النبي ﷺ وسيأتي. [الفقي].

(٢) **صحيح موقوفًا**: رواه الترمذي (٢٤١٤)، وأحمد في «الزهد» (صـ٢٠٥)، وغيرهما وقد اختلف في رفعه ووقفه والصواب الوقف، كما فصلته في تحقيقي لـ«شرح كتاب التوحيد» لابن باز رقم (١٧٨) ط. دار الضياء بطنطا.

الإيمان الشرعي على الإنسان إلَّا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان. وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا، والله سبحانه أعلم.

وفيه: الخوف من مداهنة الخلق في الحق. والمعصوم من عصمه الله.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي سعيد مرفوعًا. «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ: أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ الله، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِن رِزْقَ الله لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»**[1].

ش: هذا الحديث رواه أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السُّدي، وقال: ضعيف. وفي إسناده أيضًا: عطية العوفي، ذكره الذهبي في «الضعفاء». وموسىٰ بن بلال، قال الأزدي: ساقط، وتمام الحديث: **«وَإِنَّ اللهَ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ الرَّوحَ**

---

(١) ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٦، ١٠/ ٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٧) من طريق أبي عبد الرحمن محمد بن مروان السدي، عن عمر بن قيس عن عطية، عن أبي سعيد به. وفي الإسناد محمد بن مروان وهو متهم بالوضع، وعطية العوفي ضعيف، ورواه البيهقي في «الشعب» (٢٠٨)، وفي «الأربعين الصغرىٰ» (٦٦، ٦٧)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٢٣) من طريق جعفر بن شعيب الشاشي، ثنا أبو حمة، ثنا أبو قرة، عن سفيان الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن خيثمة، عن ابن مسعود به. مرفوعًا نحوه. وخيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي لم يسمع ابن سمعود، وجعفر بن شعيب الشاشي لم يذكر بجرح ولا تعديل، وترجمته في «التاريخ» للخطيب (٧/ ١٩٥ - ١٩٦)، وخالف أبا قرة - موسىٰ بن طارق - خالدُ بن يزيد العمري، فرواه عن الثوري، وسفيان بن عيينة، وشريك، عن الأعمش، عن خيثمة، عن ابن مسعود به مرفوعًا نحوه، كما عند الطبراني في «الكبير» (١٠٥١٤)، وأبي نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١، ٧/ ١٣٠)، والبيهقي في «الأربعين» (٦٩)، وخالد بن زيد العمري متهم بالوضع، ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٩٤٧) من طريق خالد بن نجيح، عن الثوري، عن سليمان الأعمش، عن خيثمة، عن ابن مسعود به، وخالد قال فيه أبو حاتم: كذاب، كما في «الميزان» ووقع في الإسناد سليمان بن خيثمة، وهو خطأ، والصواب: سليمان عن خيثمة. وقد أخطأ فيه خالد العمري.

قال البيهقي في «الأربعين الصغرىٰ» (صـ٨٢): هكذا رواه خالد العمري عنهم، وإنما رواه الثقات عن سفيان، عن أبي هارون المدني، قال: قال ابن مسعود، فذكره موقوفًا مرسلًا. ثم رواه البيهقي في «الأربعين» (صـ٨٣)، وفي «الشعب» (٢٠٩)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣٢) من طريق سفيان، عن أبي هارون المدني، عن ابن مسعود موقوفًا، والإسناد منقطع بين أبي هارون وبين ابن مسعود، وهذا الذي سماه البيهقي مرسلًا، فالمنقطع يطلق عليه بعض العلماء مرسلًا.

وَالفَرَحَ فِي الرِّضَا وَاليَقِينِ، وَجَعَلَ الهَمَّ وَالحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ».

والحديث وإن كان في إسناده من ذكر، فمعناه صحيح.

قوله: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ» الضعف: يُضمُّ ويحرك، ضد القوة، ضعف ككرم ونصر، ضعفًا، وضعفة، وضعافية، فهو ضعيف وضعوف وضعفان. والجمع: ضعاف وضعفاء وضعفة وضَعْفىٰ وضعافىٰ.

أو الضَّعف - بالفتح - في الرأي، وبالضم في البدن، فهي ضعيفة وضعوف. واليقين: المراد به الإيمان كله، كما قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان(١). رواه الطبراني بسند صحيح، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الزهد» من حديثه مرفوعًا.

قال: ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق، كما في حديث ابن عباس مرفوعًا: «فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالرِّضَا فِي اليَقِينِ فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا»(٢). وفي رواية قلت: يا رسول الله كيف أصنع باليقين؟ قال: «أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»(٣).

---

(١) صحيح موقوفًا: رواه البخاري في «صحيحه» معلقًا (١/ ٤٥)، ووصله الطبراني في «الكبير» (٨٥٤٤)، والحاكم (٢/ ٤٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٨)، ووكيع في «الزهد» (٢٠٢) من طريق وكيع وأبي معاوية عن الأعمش عن أبي ظبيان عن علقمة عن ابن مسعود موقوفًا. وقال البيهقي: وقد رُوي هذا من وجه آخر غير قوي مرفوعًا. وقال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٨): ووصله الطبراني بسند صحيح... وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الزهد» من حديثه مرفوعًا ولا يثبت رفعه.

والطريق المرفوع خرجه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٩٩)، وحكم عليه بالنكارة.

(٢) إسناده ضعيف جدًّا: رواه الحاكم (٣/ ٥٤١) من طريق عبد الله بن ميمون القداح عن شهاب بن خراس عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس، قال الذهبي في «التلخيص»: لم يخرج الشيخان لابن خراس ولا القداح، قلت - الذهبي -: لأن القداح قال أبو حاتم: متروك، والآخر مختلف فيه. وعبد الملك لم يسمع من ابن عباس فيما أرىٰ. اهـ.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٤) من طريق الحجاج بن فرافصة عن رجلين سماهما عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس مرفوعًا، وفي الإسناد الحجاج بن فرافصة مختلف فيه ورجلين مبهمين.

(٣) إسناده ضعيف: رواه الآجري في «الشريعة» (٤١٢ ط. دار الوطن) من طريق أبي عبد السلام الشامي عن يزيد بن أبي حبيب عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعًا.

=

قوله: «أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله» أي: تؤثر رضاهم على رضا الله، بأن توافقهم على ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه؛ استجلابًا لرضاهم.

وهذا ينافي قوة اليقين، وكمال الإيمان في إيثار ما يُرضي الله على ما تهواه النفوس، والصبر على مخالفة هواها، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته، ما يمنعه من استجلاب رضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلوب، ويفرج الكروب ويغفر الذنوب.

وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رضا المخلوق على رضا الله، وتقرب إليه بما يسخط الله، ولا يسلم من هذا إلَّا من سلمه الله، ووفقه لمعرفته، ومعرفة ما يجوز على الله من إثبات صفاته على ما يليق بجلاله، وتنزيهه تعالى عن كل ما يُنافي كماله، ومعرفة توحيده في ربوبيته وإلهيته، وبالله التوفيق.

قوله: «وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ الله» أي: على ما وصل إليك على أيديهم، بأن تضيفه إليهم وتَحْمدُهم عليه؛ فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده، الذي قدره لك وأوصله إليك، وإذا أراد أمرًا قيّض له أسبابًا.

ولا ينافي هذا حديث: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ»[(١)(٢)]؛ لأن شكرهم إنما هو في الدعاء لهم، لكون الله ساقه على أيديهم، فتدعو لهم أو تكافئهم، لحديث: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ

وأبو عبد السلام صالح بن رستم مجهول، وأصل الحديث عند الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (صـ١٨٤).

(١) رواه أبو داود والترمذي - وقال: حسن صحيح -، وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه. [الفقي].

(٢) إسناده صحيح: رواه الترمذي (١٩٥٤)، وأبو دواد (٤٨١١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، وأحمد (٢/ ٢٥٨)، وابن حبان (٣٤٠٨)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ١٨٢)، والبغوي (٣٦١٠) من طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة مرفوعًا.

مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١)(٢).

فإضافة الصنيعة إليهم لكونهم صاروا سببًا في إيصال المعروف إليك، والذي قدره وساقه هو الله وحده.

قوله: «وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ»؛ لأنه لم يقدر لك ما طلبته علىٰ أيديهم، فلو قُدِّر لك لساقته المقادير إليك. فمن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأنه هو الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب، لم يمدح مخلوقًا علىٰ رزقٍ، ولم يذمه علىٰ منعٍ، ويفوِّض أمره إلىٰ الله، ويعتمد عليه في أمور دينه ودنياه.

وقد قرر النبي هذا المعنىٰ بقوله في الحديث: «إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ». كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾[فاطر: ٢].

قال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه؛ فإنه إنما يحمل الإنسان علىٰ ذلك: إما ميل إلىٰ ما في أيدي الناس، فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة. فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤونتهم.

وإرضاؤهم بما يَسخَطُه إنما يكون خوفًا منهم ورجاءً لهم، وذلك من ضعف اليقين. وإذا لم يُقدَّر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك، فالأمر في ذلك إلىٰ الله لا لهم؛ فإنه ما شاء كان

---

(١) رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح. كذا في «كشف الخفاء».[الفقي].

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٦٧٢، ٥١٠٩)، والنسائي (٥/ ٨٢)، وأحمد (٢/ ٦٨)، والحاكم (١/ ٤١٢)، وابن حبان (٣٤٠٨) من طرق عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر، والأعمش مدلس وقد عنعن، وقد رواه مختصرًا ابنُ حبان، بإثبات واسطة بين الأعمش ومجاهد وهو إبراهيم التيمي حديث (٣٤٠٩).

وله طريق آخر رواه أحمد (٢/ ٩٥ - ٩٦) من طريق ليث عن مجاهد عن ابن عمر به، وليث هو ابن أبي سليم وهو ضعيف. وللحديث وجه اختلاف آخر لا يضر انظر «الصحيحة» (٢٥٤).

وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم علىٰ ما لم يُقدّر كان ذلك من ضعف يقينك.

فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حَمِدَه الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمّه الله ورسوله منهم فهو المذموم.

ولما قال بعض وفد بني تميم: أي محمد، أعطني! فإن حَمْدي زَيْن وذَمِّي شَين. قال ﷺ: «**ذَاكَ اللهُ**»[1] انتهىٰ.

ودل الحديث علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمىٰ الإيمان.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَن الْتَمَسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِي اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ، وَمَن الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله، سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»[2]. رواه ابن حبان في «صحيحه».**

ش: هذا الحديث: رواه ابن حبان بهذا اللفظ، ورواه الترمذي عن رجل من أهل المدينة، قال: كتب معاوية إلىٰ عائشة رضي الله عنها: أن اكتبي لي كتابًا توصيني فيه، ولا تكثري علي، فكتبت عائشة رضي الله عنها إلىٰ معاوية: سلام عليك، أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مَؤُنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ**». والسلام عليك. ورواه أبو نعيم.

قوله: «مَنْ الْتَمَسَ» أي: طلب.

قال شيخ الإسلام: وكتبت عائشة إلىٰ معاوية، ورُوي أنها رفعته: «**مَنْ أَرْضَىٰ اللهَ بِسَخَطِ النَّاسَ كَفَاهُ اللهُ مَؤُونَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضَىٰ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ الله شَيْئًا**».

---

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٣/ ٤٨٨، ٦/ ٣٩٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٧٨) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن الأقرع مرفوعًا.

قال الحافظ في «التعجيل» ترجمة الأقرع: ورواية أبي سلمة عن الأقرع منقطعة، وجاءت عند أحمد (٣/ ٣٩٤) من نفس الطريق مرسلة عن أبي سلمة أن الأقرع فذكر مثله، وله شاهد عند الترمذي (٣٢٦٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥١٥) من طريق الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء مرفوعًا، وفيه أبو إسحاق وهو مدلس وقد عنعن.

(٢) اختلف في رفع هذا الحديث ووقفه علىٰ عائشة والراجح فيه الوقف، وقد فصلت القول في ذلك في تحقيقي لشرح كتاب «التوحيد» لابن باز رقم (١٧٨) (صـ١٧١ - ١٧٦).

هذا لفظ المرفوع.

ولفظ الموقوف: «من أرضىٰ الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط الله عاد حامدُه من الناس له ذامًّا»[1].

وهذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإن من أرضىٰ الله بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولىٰ الصالحين، والله كافٍ عبده ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. والله يكفيه مؤونة الناس بلا ريب.

وأما كون الناس كلهم يرضون عنه، فقد لا يحصل ذلك، لكن يرضون عنه إذا سَلِموا من الأغراض. وإذا تبين لهم العاقبة. «**وَمَنْ أَرْضَىٰ النَّاسَ بِسَخَطِ الله لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ الله شَيْئًا**» كالظالم الذي يَعضُّ علىٰ يديه.

وأما كون حامده ينقلب ذامًّا، فهذا يقع كثيرًا، ويحصل في العاقبة. فإن العاقبة للتقوىٰ، لا تحصل ابتداءً عند أهوائهم. انتهىٰ.

وقد أحسن من قال:

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ يَا غَايَةَ المُنَىٰ ... فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

قال ابن رجب: فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدِّم طاعةَ من هو تراب علىٰ طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يُرضي التراب بسخط الملك الوهاب؟ إن هذا لشيء عجاب.

وفي الحديث: عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم علىٰ الله، وأن العقوبة قد تكون في الدين، عياذًا بالله من ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝٧٧﴾ [التوبة: ٧٧].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية «آل عمران».

---

(١) انظر الحديث السابق.

الثانية: تفسير آية «براءة».

الثالثة: تفسير آية «العنكبوت».

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوىٰ.

الخامسة: علامة ضعفه. ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

* * *

(٣٢)

بَابُ: قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالىٰ:** ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

ش: قال أبو السعادات: يقال: توكَّل بالأمر: إذا ضمن القيام به، ووكَّلتُ أمري إلىٰ فلان: إذا اعتمدت عليه، ووكَّل فلانٌ فلانًا: إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه. انتهىٰ.

وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية: بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالىٰ، فإن تقديم المعمول يُفيد الحصر، أي: وعلىٰ الله فتوكلوا لا علىٰ غيره، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها، لما ينشأُ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد علىٰ الله في جميع أموره الدينية والدنيوية، دون كل ما سواه: صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالىٰ.

فهو من أعظم منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]. فلا يحصل كمالُ التوحيد بأنواعه الثلاثة إلَّا بكمال التوكل علىٰ الله، كما في هذه الآية، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]. وقوله: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٩]. والآيات في الأمر به كثيرة جدًّا.

قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب.

وقال ابن القيم في معنىٰ الآية المترجم بها: فجعل التوكل علىٰ الله شرطًا في الإيمان، فدل علىٰ انتفاء الإيمان عند انتفائه، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]. فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوىٰ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفًا

كان دليلًا علىٰ ضعف الإيمان ولا بـد. والله تبـارك وتعـالىٰ يجمـع بـين التوكـل والعبـادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكـل والتقـوىٰ، وبـين التوكـل والإسـلام، وبـين التوكـل والهداية.

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميـع أعـمال الإسـلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلَّا علىٰ البـدن فكـذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلَّا علىٰ ساق التوكل.

قال شيخ الإسلام: وما رجا أحد مخلوقًـا ولا توكـل عليـه إلَّا خـاب ظنـه فيـه؛ فإنـه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١]

قال الشارح: قلت: لكن التوكل علىٰ غير الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلَّا الله، كالذي يتوكـل عـلىٰ الأمـوات والطواغيت في رجاء مطالبهم: من نصر، أو حفظ أو رزق أو شفاعة. فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل علىٰ أمير أو سـلطان فـيما أقـدره الله تعالىٰ عليه: من رزق، أو دفع أذىٰ ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر.

والوكالة الجائزة: هي توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس لـه أن يعتمد عليه في حصول ما وكله عليه، بل يتوكل علىٰ الله في تيسير أمره الذي يطلبـه بنفـسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجـوز فعلهـا، ولا يعتمـد عليهـا، بـل يعتمـد عـلىٰ المسبِّب الذي أوجد السبَبَ والمسبَّب.

* **قـال المُصنِّفُ رحمـه الله تعـالى: وقولـه**: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

ش: قال ابن عباس في الآية: المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عنـد أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون علىٰ الله، ولا يُصلُّون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليـسوا بمـؤمنين، ثـم وصـف المـؤمنين فقـال: ﴿إِنَّمَا

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، فأدوا فرائضه [١][٢]. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

ووَجَلُ القلب من الله يستلزم القيام بفعل ما أمر به وترك ما نهىٰ عنه.

قال السدي: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: هو الرجل يريد أن يظلم، أو قال: يَهِمّ بمعصية، فيقال له: اتقِ الله، فيجل قلبه [٣][٤]. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير.

قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] استدل الصحابة والتابعون، ومن تبعهم من أهل السنة، بهذه الآية ونظائرها علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

قال عُمير بن حبيب الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيَّعنا فذلك نقصانه [٥]. رواه ابن سعد.

وقال مجاهد: الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل [٦]. رواه ابن أبي حاتم. وحكىٰ الإجماع علىٰ ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم [٧].

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥٦٩٦)، واللالكائي (١٦٠٢)، وابن أبي حاتم (٨٧٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وعلي لم يسمع ابن عباس، وفي الإسناد إليه عبد الله بن صالح وهو ضعيف.

(٢) تمامه عند ابن جرير: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]. يقول: تصديقًا. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. يقول: لا يرجون غيره. [الفقي].

(٣) إسناده صحيح: رواه ابن أبي حاتم (٨٧٧٨)، والطبري (١٥٧٠٢) من طريق ابن المبارك عن سفيان سمعت السدي فذكره.

(٤) عند ابن جرير: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية، أحسبه قال: فينزع عنه. [الفقي].

(٥) إسناده ضعيف: رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٦٢٤، ٦٨٠)، واللالكائي (١٧٢١)، والآجري في «الشريعة» (٢١٥، ٢١٦)، وابن أبي شيبة (١١/ ١٣)، والصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (صـ ٢٦٥ – ٢٦٦) ط. العاصمة، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦)، وغيرهم من طريق أبي جعفر الخطمي ويزيد بن عمر لم نقف له علىٰ ترجمة. وفي بعض الطرق عن جده بدون ذكر أبيه ولم نقف له علىٰ رواية عن جده مباشرة.

(٦) إسناده ضعيف: رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٦١١)، والبيهقي في «الشعب» (٦٠)، واللالكائي في «شرح أصول السنة» (١٧٢٨) من طريق يزيد – يعني: ابن أبي زياد – عن مجاهد فذكره، ويزيد بن أبي زياد ضعيف.

(٧) انظر ابن بطة الحنبلي في «الإبانة» (رقم ١١٤٦)، واللالكائي رقم (١٥٩٢)، وينظر «شرح السنة» للبغوي (١/ ٣٨)، و«كتاب الإيمان» لابن تيمية (١٢٣)، وما بعدها، من حاشية تحقيق «فتح المجيد» ط. د: الوليد آل فريان.

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوِّضين إليه أمورهم، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلَّا إياه، ولا يرغبون إلَّا إليه، يعلمون أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده، والمعبود وحده لا شريك له.

وفي الآية: وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده. وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان، وحصول أعماله الباطنة والظاهرة. مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله، استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات وترك جميع المحرمات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ش: قال ابن القيم: أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقيل: المعنى: حسبُك الله، وحسبك المؤمنون.

قال ابن القيم: وهذا خطأ محض، لا يجوز حمل الآية عليه، فإن الحسب والكفاية لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة. قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله. ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

فتأمل كيف جعل الإيتاء لله والرسول، وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه، كما قال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾. فجعل الرغبة إليه

وحده، كما قال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝﴾[الشرح: ٨]. فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده، كما أن العبادة والتقوىٰ والسجود والنذر والحلف لا يكون إلَّا له سبحانه وتعالىٰ. انتهىٰ.

وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة. فإذا كان هو الكافي لعبده وجب ألا يتوكل إلَّا عليه، ومتىٰ التفت بقلبه إلىٰ سواه وُكِل إلىٰ من التفت إليه، كما في الحديث: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»[١].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]

ش: قال ابن القيم وغيره: أي: كافيه. ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلَّا أذىٰ لا بد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش. وأما أن يضره بما يبلغ به مراده، فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذىٰ الذي هو في الظاهر إيذاء، وفي الحقيقة إحسان وإضرار بنفسه، وبين الضر الذي يتشفىٰ به منه.

قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاءً من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ولم يقل: فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه. فلو توكل العبد علىٰ الله حق توكله، وكادته السموات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجًا، وكفاه ونصره. انتهىٰ.

وفي أثر رواه أحمد في «الزهد»، عن وهب بن منبه، قال الله عَزَّ وَجَلَّ في بعض كتبه: بعزتي، إنه من اعتصم بي فكادته السموات بمن فيهن والأرضون بمن فيهن، فإني أجعل له من ذلك مخرجًا، ومن لم يعتصم بي، فإني أقطع يديه من أسباب السماء، وأخسف من تحت قدميه الأرض، فأجعله في الهواء، ثم أكِلُه إلىٰ نفسه، كفىٰ بي لعبدي مآلًا، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيه قبل أن يسألني، وأستجيب له قبل أن يدعوني، فأنا أعلم بحاجته التي ترفق به منه[٢].

وفي الآية: دليل علىٰ فضل التوكل، وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛

---

(١) إسناده ضعيف: وسبق تحت باب: ما جاء في الرقىٰ والتمائم.

(٢) قد جاء نحوه من طريق كعب بن مالك، وعزاه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٦٨٨) إلىٰ تمام في «الفوائد» (٥/ ٥٨/ ٢)، وحكم عليه بالوضع لأن في إسناده يوسف بن السفر وهو ممن يضع الحديث. ثم قال الشيخ: ولعله من الإسرائيليات التي تلقاها كعب بن مالك من بعض مسلمة أهل الكتاب. ثم نسبه هذا الكذاب إلىٰ الرسول ﷺ.

لأن الله علّق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط، فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه؛ لأنه تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له، فعلم أن توكله هو سبب كون الله حسْبًا له.

وفيها: تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل؛ لأنه تعالى ذكر التقوى ثم ذكر التوكل، كما قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١﴾ [المائدة: ١١] فجعل التوكل مع التقوى الذي هو قيام بالأسباب المأمور بها. فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مشوبًا بنوع من التوكل.

فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا، ولا عجزه توكلًا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلَّا بها كلها. ذكره ابن القيم بمعناه.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾[1] [آل عمران: ١٧٣] **رواه البخاري.**

ش: قوله: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: كافينا، فلا نتوكل إلَّا عليه. قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

قوله: ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾، أي: نعم الموكول إليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨] ومخصوص «نِعْمَ» محذوف تقديره: هو.

قال ابن القيم: هو حسبُ من توكَّل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمِّن خوف الخائف، ويجير المستجير، فمن تولاه واستنصر به وتوكَّل عليه، وانقطع بكليته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه. ومن خافه واتقاه، أمنه مما يخاف ويحذر، ويجلب إليه ما يحتاج إليه من المنافع.

قوله: (قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار). قال تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٤٥٦٣).

ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

قوله: (وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾).

وذلك بعد مُنصرف قريش والأحزاب من أُحد: بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكَرَّة عليهم، فخرج النبي ﷺ في سبعين راكبًا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ حمراء الأسد، فألقىٰ الله الرعب في قلب أبي سفيان، فرجع إلىٰ مكة بمن معه، ومر به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: فهل أنتم مبلغون محمدًا عني رسالة؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلىٰ أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان. فقال: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»[1].

ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة، وأنها قول الخليلين - عليهما الصلاة والسلام - في الشدائد. وجاء في الحديث: «**إِذَا وَقَعْتُمْ فِي الأَمْرِ العَظِيمِ فَقُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**»[2].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه مسائل:**

الأولىٰ: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

---

(١) جاء ذكر هذه القصة عند الطبري (٨٢٤٣) من وجه طويل مرسل، وفي إسناده محمد بن أبي حميد وهو ضعيف، وانظر سيرة ابن هشام (٣/ ٦١٦، ٦١٧)، وانظر ابن كثير سورة «آل عمران» آية (١٧٣).

(٢) ضعيف: رواه ابن مردويه في «تفسيره» من طريق أبي خيثمة بن مصعب بن سعيد أنبأنا موسىٰ بن أعين عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مرفوعًا. وأبو خيثمة بن مصعب بن سعيد ضعيف انظر ترجمته في «لسان الميزان» (٧/ ١٠٣) ط. غنيم، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٦٤)، والذي في الإسناد: أبو خيثمة بن مصعب بن سعيد والذي في الترجمة: أبو خيثمة مصعب بن سعيد وهو صاحب موسىٰ بن أعين، انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٢) ط. أولاد الشيخ.

الثالثة: تفسير آية «الأنفال».

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية «الطلاق».

السادسة: عِظم شأن هذه الكلمة: أنها قول إبراهيم ومحمدﷺ في الشدائد.

* * *

(٣٣)

باب: قول الله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالىٰ:** ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

ش: قصد المصنف - رحمه الله تعالىٰ - بهذه الآية: التنبيه علىٰ أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنه ينافي كمال التوحيد، كما أن القنوط من رحمة الله كذلك، وذلك يرشد إلىٰ أن المؤمن يسير إلىٰ الله بين الخوف والرجاء، كما دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة، وأرشد إليه سلف الأمة والأئمة.

ومعنىٰ الآية: أن الله تبارك وتعالىٰ لما ذكر حال أهل القرىٰ المكذبين للرسل، بيّن أن الذي حملهم علىٰ ذلك هو الأمن من مكر الله، وعدم الخوف منه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩] أي: الهالكون.

وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعيم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا.

قال الحسن: من وسَّع الله عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له(١).

وقال قتادة: بَغَت القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قومًا قط إلَّا عند سَلْوتهم وغرتهم ونعمتهم. فلا تغتروا بالله(٢).

وفي الحديث: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا - وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ - مَا

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٩٣) من طريق رجل كوفي عن الحسن به، والرجل مبهم.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٩٤) من طريق شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة به.

يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»[1]. رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال إسماعيل بن رافع: من الأمن من مكر الله: إقامة العبد على الذنب، يتمنى على الله المغفرة[2] رواه ابن أبي حاتم.

وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف: يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه، ويُملي لهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك، ذكره ابن جرير بمعناه.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝﴾ [الحجر: ٥٦]

ش: القنوط: استبعاد الفَرَج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم، وتقدم ما فيه؛ لمنافاته لكمال التوحيد.

وذكر المصنف رحمه الله هذه الآية مع التي قبلها تنبيهًا على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفًا راجيًا، يخاف ذنوبه ويعمل بطاعة الله، ويرجو رحمته، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ

---

(١) حسن: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٤٥)، وفي «الزهد» (صـ١٢)، والطبري في «التفسير» (١٣٢٤٢، ١٣٢٤٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٢١)، وفي «الشُّعَب» (٤٥٤٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٣١)، و«الأوسط» (٩٢٦٨) من طريق أبي الصلت الشامي وحجاج بن سليمان الرعين وعبد الله بن صالح ورشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

والرواة عن حرملة فيهم مقال، ولكن يقوي بعضهم بعضًا. وتابع حرملة بن عمران، ابن لهيعة عن عقبة بن مسلمة به كما عند الطبري (١٣٢٤٤)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٢)، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (صـ٢٩٣) كما عزاها الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «مسند أحمد» عند حديث (١٧٣١١)، ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧٢٨٨) من طريق ابن وهب ثنا حرملة وابن لهيعة، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤١٣).

(٢) **إسناده ضعيف واهٍ:** رواه ابن أبي حاتم (٨٧٧٣) من طريق أيوب بن سويد عن إسماعيل بن رافع فذكره.

وأيوب بن سويد ضعيف واهٍ.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

فالرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان، ليوقع العبد في المخاوف مع ترك الأسباب المنجية من المهالك، بخلاف حال أهل الإيمان الذين أخذوا بأسباب النجاة خوفًا من الله، وهربًا من عقابه، وطمعًا في المغفرة، والرجاء لثوابه.

والمعنىٰ: أن الله تعالىٰ حكىٰ قولَ خليله إبراهيم عليه السلام، لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤﴾ [الحجر: ٥٤]؛ لأن العادة أن الرجل إذا كبر سنه وسن زوجته استبعد أن يولد له منها، والله علىٰ كل شيء قدير. فقالت الملائكة: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الذي لا ريب فيه؛ فإن الله إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون. ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝٥٥﴾ أي: من الآيسين، فقال عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۝٥٦﴾؛ فإنه يعلم من قدرة الله وحكمته ما هو أبلغ من ذلك وأعظم، لكنه - والله أعلم - قال ذلك علىٰ وجه التعجُّب.

قوله: ﴿إِلَّا الضَّالُّونَ ۝٥٦﴾ قال بعضهم: إلَّا المخطئون طريق الصواب، أو إلَّا الكافرون؛ كقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر؟ فقال: «الشِّرْكُ بِالله، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله»**[1].

ش: هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس، ورجاله ثقات إلَّا شبيب بن بشر. فقال ابن معين: ثقة. وليَّنه أبو حاتم. وقال ابن كثير: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا.

---

(١) في إسناده ضعف: رواه البزار (١٠٦) «كشف»، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢٠١) من طريق شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وفي الإسناد شبيب بن بشر، وهو مختلف فيه، قال الدوري عن ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: يخطئ كثيرًا، والأقرب فيه الضعف، والله أعلم.

وقال ابن كثير في «تفسيره» سورة «النساء» آية ٣١: وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا، فقد رُوي عن ابن مسعود نحو ذلك. اهـ. وسيأتي أثر ابن مسعود في الحديث الآتي.

قوله: «**الشِّرْكُ بِالله**» هو أكبر الكبائر.

قال ابن القيم رحمه الله: الشرك بالله هضم للربوبية وتنقُّص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين. انتهى.

ولقد صدق ونصح؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. ولهذا لا يغفره الله إِلَّا بالتوبة منه.

قوله: «**وَالْيَأْس مِنْ رَوْح الله**» أي: قطع الرجاء والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته.

قوله: «**وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله**» أي: من استدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك. وذلك جهل بالله وبقدرته، وثقة بالنفس وعجب بها.

واعلم أن هذا الحديث لم يُرد به حَصْر الكبائر في الثلاث، بل الكبائر كثيرة، وهذه الثلاث من أكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسنة.

وضابطها ما قاله المحققون من العلماء: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب. زاد شيخ الإسلام ابن تيمية: أو نفي الإيمان.

قلتُ: ومَنْ برئ منه رسول الله ﷺ أو قال: ليس منا من فعل كذا وكذا.

وعن ابن عباس: هي إلىٰ سبعمائة أقرب منها إلىٰ سبع[1]، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود، قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله[2]. رواه عبد الرزاق.**

ش: ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح، عن ابن مسعود.

قوله: (**أكبر الكبائر: الإشراك بالله**) أي: في ربوبيته أو عبادته. وهذا بالإجماع.

---

(١) سبق تخريجه في باب: ما جاء في السحر.

(٢) **صحيح**: رواه عبد الرزاق (١٩٧٠١)، والطبراني (٨٧٨٣، ٨٧٨٤، ٨٧٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٦١٩١ - ٩٢٠١) من طرق، عن ابن مسعود به، قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤١٦): وهو صحيح بلا شك.

قوله: (والقنوط من رحمة الله) قال أبو السعادات: هو أشد اليأس.

وفيه: التنبيه علىٰ الجمع بين الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس، بل يرجو رحمة الله.

وكان السلف يستحبون أن يقوىٰ في الصحة الخوف، وفي المرض الرجاء. وهذه طريقة أبي سليمان الداراني وغيره.

قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاءُ الخوفَ فسد القلب.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢]. وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١]. وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] الآية. قدَّم الحذر علىٰ الرجاء في هذه الآية.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية «الأعراف».

الثانية: تفسير آية «الحجر».

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

* * *

(٣٤)
بَابٌ: من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب من الإيمان بالله: الصبر علىٰ أقدار الله.**

ش: قال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من كتابه. وفي الحديث الصحيح: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[1]. رواه أحمد ومسلم.

وللبخاري ومسلم مرفوعًا: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[2].

قال عمر: وجدنا خير عيشنا بالصبر[3] رواه البخاري.

قال علي: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد - ثم رفع صوته - فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له[4].

واشتقاقه: من صَبَرَ، إذا حَبس ومنع. والصبر: حبس النفس عن الجزع، وحبسُ اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما. ذكره ابن القيم.

واعلم أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر علىٰ ما أمر الله به، وصبر عما نهىٰ عنه، وصبر علىٰ ما قدره الله من المصائب.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٣) **منقطع:** رواه البخاري معلقًا (١١/ ٣٠٣)، ووصله أحمد في «الزهد» صـ١٤٦ ووكيع في «الزهد» (١٩٨)، وابن المبارك (٩٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٠) من طريق مجاهد عن عمر. ومجاهد لم يسمع عمر.

وقال الحافظ في الفتح: وأخرجه الحاكم من رواية مجاهد عن سعيد عن عمر. اهـ. وسعيد مختلف في سماعه من عمر. ورواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٩٥) من طريق عبد الله بن صالح عن الليث ثنا عمرو بن الحارث، قال: قال عمر فذكره، وعبد الله بن صالح ضعيف، وعمرو بن الحارث لم يدرك عمر.

(٤) **ضعيف منقطع:** رواه اللالكائي (١٥٦٩) من طريق ميمون بن مهران عن علي فذكره، وميمون بن مهران لم يسمع من علي. والراوي عن ميمون محمد بن زياد الميموني كذبوه، وله طريق آخر عند ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣٠) من طريق إسحاق عن علي مختصر، وهذا منقطع.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

ش: وأوَّل الآية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ قال ابن عباس: بأمر الله. يعني عن قدره ومشيئته. أي: بمشيئته وإرادته وحكمته، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾. أي: من أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب جازاه الله بهدايته قلبه، التي هي أصل كل سعادة وخير في الدنيا والآخرة وقد يخلف الله عليه في الدنيا ما كان أخذه، أو خيرًا منه.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ تنبيه علىٰ أن ذلك إنما يصدر عن علمه المتضمن لحكمته، وذلك يوجب الصبر والرضا.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: قال عَلْقَمَةُ: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضىٰ ويُسلم**(١).

ش: هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وعلقمة: هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي. وُلِد في حياة النبي ﷺ، وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم. وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد الستين.

قوله: (هو الرجل تصيبه المصيبة) إلىٰ آخره. هذا الأثر رواه الأعمش عن أبي ظبيان، قال: كنا عند علقمة فقُرئ عليه هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضىٰ ويسلم. هذا سياق ابن جرير.

---

(١) رجاله ثقات: رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٣٤١٩٥، ٣٤١٩٦، ٣٤١٩٧) من طريق الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة به، والأعمش مدلس وقد عنعن.

وفي هذا دليل: علىٰ أن الأعمال من مسمىٰ الإيمان.

قال **سعيد بن جبير**: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني: يسترجع[1]. يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي الآية: بيان أن الصبر سبب لهداية القلب، وأنها من ثواب الصابر.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة**: أن رسول الله ﷺ قال: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ**»[2].

ش: أي: هما بالناس كفر حيث كانتا من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس، ولا يسلم منهما إلَّا من سلَّمه الله، ورزقه علمًا وإيمانًا يستضيء به.

لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا الإيمان المطلق.

وفرقٌ بين الكفر المعرَّف باللام؛ كما في قوله: «**لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ أَوِ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ**»[3][4] وبين كفرٍ مُنكَّرٍ في الإثبات.

قوله: «**الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**» أي: عيبه، ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان، مع ثبوت نسبه شرعًا.

قوله: «**وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ**» أي: رفع الصوت بالندب، وتعداد فضائله، لما فيه من التسخط علىٰ القدر المنافي للصبر، كقول النائحة: واعضداه، واناصراه، ونحو ذلك.

وفيه: دليل علىٰ أن الصبر واجب، وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة.

---

(١) انظر ابن كثير [(٤/ ٣٧٥) سورة «التغابن» رقم (١١)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧).

(٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله بألفاظ متقاربة.[الفقي].

(٤) رواه مسلم (٨٢) من حديث جابر مرفوعًا بلفظ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**» ورواه ابن ماجه (١٠٨٠) عن أنس مرفوعًا: «**وَلَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وَالشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ**» وضعفه البوصيري في «الزوائد» لضعف يزيد الرقاشي.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ»**[1].

ش: هذا من نصوص الوعيد، وقد جاء عن سفيان الثوري وأحمد: كراهة تأويلها ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ في الزجر، وهو يدل علىٰ أن ذلك ينافي كمال الإيمان الواجب.

قوله: «**مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ**» قال الحافظ: خُصَّ الخدُّ لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله.

قوله: «**وَشَقَّ الجُيُوبَ**» هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب، وذلك من عادة أهل الجاهلية حزنًا علىٰ الميت.

قوله: «**وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ**» قال شيخ الإسلام: هو ندب الميت. وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور. وقال ابن القيم: الدعاء بدعوىٰ الجاهلية، كالدعاء بالقبائل والعصبية، ومثله التعصُّب إلىٰ المذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعض علىٰ بعض، يدعو إلىٰ ذلك ويوالي عليه ويعادي، فكل هذا من دعوىٰ الجاهلية.

وعن ابن ماجه – وصححه ابن حبان – عن أبي أمامة: «**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَعَنَ الخَامِشَةَ وَجْهَهَا وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ**»[2].

وهذا يدل علىٰ أن هذه الأمور من الكبائر، وقد يُعفىٰ عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقًا، وليس علىٰ وجه النوح والتسخط. نص عليه أحمد رحمه الله؛ لما وقع لأبي بكر[3] وفاطمة[4] رضي الله عنهما لما توفي رسول الله ﷺ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

(٢) **إسناده حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٨٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٩٠)، وابن حبان (٣١٥٦)، والطبراني في «الكبير» (٨/ رقم ٧٥٩١، ٧٧٧٥) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مكحول والقاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، ومكحول لم يرَ أبا أمامة كما في «مراسيل العلائي» ولكنه تابعه القاسم بن عبد الرحمن وهو حسن الحديث. وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢١٤٧).

(٣) قول أبي بكر: «وانبياه واصفياه واخليلاه» انظر الشمائل للترمذي (٣٧٤).

(٤) قول فاطمة: «واكرب أباه» انظر البخاري (٤٤٦٢)، والشمائل (٣٨٠).

وليس في هذه الأحاديث ما يدل على النهي عن البكاء، لما في الصحيح: أن رسول الله ﷺ لما مات ابنه إبراهيم قال: «**تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ، وإنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[١][٢].

وفي «الصحيحين»[٣]، عن أُسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ انطلق إلى إحدى بناته[٤] ولها صبي في الموت، فرُفع إليه ونفسُه تقعقع كأنها شَنٌّ، ففاضت عيناه، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟! قال: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**».

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٥].

---

(١) رواه البخاري وغيره. [الفقي].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٤) هي زينب كما في صحيح البخاري. [الفقي].

(٥) **حسن لشواهده**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٦)، وأبو يعلىٰ (٤٢٥٤)، والبغوي (٥/ ٢٤٥)، والحاكم (٤/ ٦٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٤٢٧)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٥٥) من طريق يزيد بن حبيب، عن سعد بن سنان عن أنس به مرفوعًا، وفي الإسناد سعد بن سنان وهو مختلف فيه، وحديثه حسن في الشواهد، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٢٢٠)، وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن مغفل رواه أحمد (٤/ ٨٧)، والحاكم (١/ ٣٤٩)، (٤/ ٣٧٦ - ٣٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٥)، وفي «الشعب» (٧/ ٩٨)، و«الآدب» (٨٩٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١/ ٢٩) من طرق: عن عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عبد الله بن المغفل به.
ورواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٧٤)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١١٢، ١١٣) من طريق آخر: عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل به موقوفًا، والحسن مدلس وقد عنعن، ثم إنه يرسل كثيرًا عن الصحابة، وله شاهد عن ابن عباس رواه الطبراني في «الكبير» (١١٨٤٢)، وقال الهيثمي (١/ ١٩١ - ١٩٢): وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف، وله شاهد آخر عن عمار بن ياسر، أخرجه الطبراني كما في «المجمع» (١٠/ ١٩٢)، وقال الهيثمي: وإسناده جيد.

ش: هذا الحديث: رواه الترمذي والحاكم، وحسنه الترمذي، وأخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن مغفل، وأخرجه ابن عدي عن أبي هريرة، والطبراني عن عمار بن ياسر.

قوله: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا**». أي: يصب البلاء والمصائب عليه لما فرط من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافىٰ به يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام: المصائب نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب، وتدعو إلىٰ الصبر فيُثاب عليها. وتقتضي الإنابة إلىٰ الله والذل له، والإعراض عن الخلق، إلىٰ غير ذلك من المصالح العظيمة.

فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، وهذا من أعظم النعم، فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق، إلَّا أن يدخل صاحبها بسببها في أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون شرًّا عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو جوع، حصل له من النفاق والجزع ومرض القلب أو الكفر الظاهر، أو ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له ضررًا في دينه، فهذا كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة، كما أن من أوجبت له المصيبة صبرًا وطاعة، كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عَزَّوَجَلَّ رحمة للخلق، والله تبارك تعالىٰ محمود عليها.

فمن ابتلي فرُزق الصبر، كان الصبر نعمة عليه في دينه، وحصل له بعد ما كَفَّر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه علىٰ ربه صلاة ربه عليه، قال جل ذكره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾[البقرة: ١٥٧]. وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات. فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك. انتهىٰ ملخصًا.

قوله: «**وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ**» أي: أخر عنه العقوبة بذنبه. «**حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوبًا بحتىٰ، مبنيًّا للفاعل.

قال العزيزي: أي: لا يجازيه بذنبه في الدنيا حتىٰ يجيء في الآخرة مستوفر الذنوب وافيها، فيستوفي ما يستحقه من العقاب. وهذه الجملة هي آخر الحديث.

فأما قوله: (وقال النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ» إلىٰ آخره)، فهو أول حديث آخر، لكن لما رواهما الترمذي بإسناد واحد وصحابي واحد جعلهما المصنف

كالحديث الواحد.

وفيه: التنبيه على حسن الرجاء وحسن الظن بالله فيما يقضيه لك، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦]

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»**[1]. حسنه الترمذي.

ش: قال الترمذي: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس، وذكر الحديث السابق.

ثم قال: وبهذا الإسناد، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ...**» الحديث. ثم قال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

ورواه ابن ماجه ورواه الإمام أحمد، عن محمود بن لَبيد، رفعه: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الجَزَعُ**»[2] قال المنذري: رواته ثقات.

قوله: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ**» بكسر العين وفتح الظاء فيها. ويجوز ضمُّها مع سكون الظاء، أي: من كان ابتلاؤه أعظم كيفية وكمية.

وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن المصائب يُثاب عليها مع تكفير الخطايا. ورجح ابن القيم: أن ثوابها تكفير الخطايا فقط، إلَّا إذا كانت سببًا لعمل صالح، كالصبر والرضا

---

(١) حسن لغيره: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبغوي (١٤٣٥)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٥٦)، وأبو بكر البزار بن نجيح في الثاني من حديثه (٢٢٧/ ٢)، أفاده الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٤٧) من طريق سعد بن سنان عن أنس، عن النبي ﷺ، وسعد بن سنان مختلف فيه، وقد قال فيه الحافظ: صدوق له أفراد.

وللحديث شاهد عند أحمد (٥/ ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩) من طريق عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد مرفوعًا: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الجَزَعُ**» وإسناده جيد.

(٢) إسناده جيد: انظر الحديث السابق.

والتوبة والاستغفار، فإنه حينئذ يُثاب علىٰ ما تولَّد منه، وعلىٰ هذا يُقال في معنىٰ الحديث: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب.

قوله: «**وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ**» ولهذا ورد في حديث سعد: سُئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَىٰ قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**»[1]. رواه الدرامىٰ وابن ماجه والترمذي وصححه.

وهذا الحديث ونحوه: من أدلة التوحيد، فإذا عرف العبد أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم - الذي هو في الحقيقة رحمة ولا يدفعه عنهم إلا الله - عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا دفعًا، فلأن لا يملكوه لغيرهم أولىٰ وأحرىٰ.

فيحرم قصدهم والرغبة إليهم في قضاء حاجة أو تفريج كربة، وفي وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن العاقبة ما لا يحصىٰ.

قوله: «**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا**» أي: من الله تعالىٰ، والرضا قد وصف الله به نفسه في مواضع من كتابه كقوله تعالىٰ: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [البينة: ٨].

ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل، فإذا رضي الله تعالىٰ عنه حصل له كل خير، وسلم من كل شر.

والرضا: هو أن يسلم العبد أمره إلىٰ الله، ويُحسن الظن به، ويرغب في ثوابه، وقد يجد لذلك راحة وانبساطًا محبة لله وثقة به، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله - بقسطه وعدله -

---

(١) **إسناده حسن:** رواه أحمد (١/ ١٧٢)، والترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والدارمي (٢/ ٣٢٠)، وعبد بن حميد (١٤٦)، وابن حبان «إحسان» (٢٩٠٠، ٢٩٢١)، والحاكم (١/ ٤٠ - ٤١)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٧٢ - ٣٧٣)، وفي «الشعب» (٩٧٧٥)، والطيالسي (٢١٥) من طريق عاصم بن أبي النجود، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، عن النبي ﷺ فذكره، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٤٣).

جعل الرَّوحَ والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط[١].

قوله: «وَمَنْ سَخِطَ» وهو بكسر الخاء.

قال أبو السعادات: السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به.

أي: من سخط علىٰ الله فيما دبره، فله السخط من الله، وكفىٰ بذلك عقوبة.

وقد يستدل به علىٰ وجوب الرضا، وهو اختيار ابن عقيل. واختار القاضي عدم الوجوب، ورجحه شيخ الإسلام وابن القيم.

قال شيخ الإسلام: ولم يجئ الأمر به كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء علىٰ أصحابه. قال: وأما ما يُروىٰ: من لم يصبر علىٰ بلائي ولم يرض بقضائي، فليتخذ ربًّا سواي:[٢] فهذا إسرائيلي، لم يصح عن النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام: وأعلىٰ من ذلك - أي: من الرضا - أن يشكر الله علىٰ المصيبة لما يرىٰ من إنعام الله عليه بها. انتهىٰ والله أعلم.

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٩) من طريق أبي هارون المدني عن ابن مسعود فذكره، وأبو هارون المدني لم يدرك ابن مسعود، وقد جاء مرفوعًا عند البيهقي في «الشعب» (٢٠٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٥١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١- ٧/ ١٣٠)، وضعفه المنذري في «الترغيب» (٢/ ٥٤٠).

(٢) **ضعيف:** رواه الطبراني في «الصغير» (٢/ ٤٨ - ٤٩)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٢٨)، والخطيب في التاريخ (٢/ ٢٢٧) من طريق سهيل بن أبي حزم عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس فذكره، وسهيل بن أبي حزم ضعيف، ورواه البيهقي في «الشعب» (٢٠٠)، والحاكم والسمعاني، كما في «لسان الميزان» (٥/ ١٦٨ ط. الفاروق) ترجمة عصام بن الليث السدوسي. من طريق علي بن يزداد الجرجاني عن عصام بن الليث الليثي البدوي عن أنس مرفوعًا. وقال السمعاني: هذا إسناد مظلم لا أصل له. وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٧): عصام بن الليث السدوسي البدوي عن أنس بن مالك وعلي بن يزداد - لا يعرفان. ورواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٢٠) من طريق سعيد بن زياد: حدثني أبي زياد بن فائد، عن أبيه فائد بن زياد عن جده زياد بن أبي هند عن أبي هند الدارمي مرفوعًا، وسعيد بن زياد متروك، انظر «الميزان» (٢/ ١٣٨)، ومجمع الزوائد (٧/ ٢٠٧)، قال الحافظ في «الإصابة» (٧/ ٣٦٤ ترجمة أبي هند الدارمي): وفائد وولده ضعيفان، وقد جاء عنهما عدة أحاديث مناكير.

* قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير آية «التَّغابن».

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوىٰ الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

* * *

(٣٥)
باب: ما جاء في الرياء

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب ما جاء في الرياء.

ش: أي: من النهي والتحذير. قال الحافظ: هو مشتق من الرؤية، والمراد به: إظهار العبادة، لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها.

والفرق بينه وبين السُّمعة: أن الرياء لما يُرىٰ من العمل كالصلاة. والسمعة لما يُسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك التحدُّث بما عمله.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** وقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

ش: قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له، أوحاه إليّ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: يخافه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

قوله: ﴿أَحَدًۢا﴾ نكرة في سياق النهي تعم، وهذا العموم يتناول الأنبياء والملائكة والصالحين والأولياء وغيرهم.

قال شيخ الإسلام: أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالىٰ يوم القيامة، وذكر الأدلة علىٰ ذلك.

قال ابن القيم في الآية: أي: كما أنه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة. انتهىٰ.

وفي الآية دليل: علىٰ أن أصل الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ والمرسلين قبله، هو إفراد الله تعالىٰ بأنواع العبادة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام: إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته، ويدعو الناس إلىٰ عبادته، أو طاغوت يدعو الناس إلىٰ عبادة الأوثان، أو مشرك يدعو غير الله، ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها، أو شاكٌّ في التوحيد: أهو أقرب حق، أم يجوز أن يجعل لله شريك في عبادته؟ أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلىٰ الله تعالىٰ، وهذا هو الغالب علىٰ أكثر العوام؛ لجهلهم وتقليدهم مَن قبلهم؛ لما اشتدت غُرْبَة الدين ونُسي العلم بدين المرسلين.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة، مرفوعًا: «قال الله تعالىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1] رواه مسلم.**

ش: قوله: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي». أي: مَن قصد بعمله غيري من المخلوقين «تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

ولابن ماجه: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»[2]. قال الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: «تَرَكْتُهُ» يجوز أن يرجع إلىٰ العمل.

قال ابن رجب[3]: واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارةً يكون رياءً محضًا كحال المنافقين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [النساء: ١٤٢]. وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام. وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدىٰ نفعُها؛ فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة. وتارةً يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل علىٰ بطلانه.

- **وذكر أحاديث تدل علىٰ ذلك - منها هذا الحديث:** وحديث شداد بن أوس مرفوعًا: «مَنْ صَلَّىٰ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) **إسناده حسن:** رواه ابن ماجه (٤٢٠٢)، وابن خزيمة (٩٣٨) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.

(٣) في شرح حديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» من جامع العلوم والحكم. [الفقي].

أَشْرَكَ، وإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي، فَمَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئًا فَإِنَّ جِدَّةَ عَمَلِهِ، قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ. أَنَا غَنِيٌّ عَنْهُ»[1]. رواه أحمد.

- **وذكر أحاديث في المعنىٰ - ثم قال:** فإن خالط نية الجهاد مثلًا نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية.

قال ابن رجب: وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري، أجرهم علىٰ قدر ما يخلص من نياتهم في غزواتهم، ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال أيضًا - فيمن يأخذ جُعلًا على الجهاد -: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس، كأنه خرج لدينه فإن أُعطي شيئًا أخذه.

ورُوي عن عبد الله بن عمرو، قال: إذا أجمع أحدكم علىٰ الغزو فعوَّضه الله رزقًا فلا بأس بذلك، وأما إن أحدكم أُعطي دراهم غزا، وإن لم يعط لم يغز فلا خير في ذلك[2].

ورُوي عن مجاهد، أنه قال - في حج الجمّال وحج الأجير، وحج التاجر -: هو تامٌّ لا يُنقص من أجورهم شيء[3]. أي: لأن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب. قال: وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يُحبط عمله أم لا ويجازىٰ علىٰ أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجَّحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازىٰ بنيته الأولىٰ، وهو مروي عن الحسن وغيره.

---

(١) **ضعيف:** رواه أحمد (٤/ ٢٥ - ١٢٦)، والطيالسي (١١٢٠)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٧١٣٩)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٨ - ٢٦٩) من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن غنم عن شداد.

وشهر بن حوشب ضعيف. وقد جاء في بعض الطرق مختصرًا وسقط ابن غنم من بعض الطرق.

(٢) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٢) (تحقيق الأرنؤوط ط. الرسالة).

(٣) **إسناده صحيح:** رواه ابن أبي شيبة (١/ ٤/ صـ٤٦٨) حدثنا أبو نعيم عن عمر بن ذر قال: سألت مجاهد فذكره، وانظر «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٢ تحقيق الأرناؤوط).

فأما إذا عمل العمل لله خالصًا ثم ألقىٰ الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره بذلك.

وفي هذا المعنىٰ: جاء حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ: أنه سُئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمدُه الناس عليه، فقال: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ**»[1] رواه مسلم. انتهىٰ ملخصًا.

قلت: وتمام هذا المقام يتبين في شرح حديث أبي سعيد، إن شاء الله تعالىٰ.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** وعن أبي سعيد، مرفوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِن المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قالوا: بلىٰ. قال: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ: يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[2]. رواه أحمد.

ش: وروىٰ ابن خزيمة في «صحيحه» عن محمود بن لبيد، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**»، قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**»[3].

قوله: **(عن أبي سعيد)** هو الخدري وتقدم.

قوله: «**الشِّرْكُ الخَفِيُّ**» سمَّاه خفيًّا؛ لأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وقد قصد غيره، أو شرَّكه فيه بتزيين صلاته لأجله. وعن شداد بن أوس، قال: كنا نعدُّ الرياء علىٰ عهد

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، واللفظ له، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٧٨١)، والبزار (٢٤٢٧) «كشف» مختصرًا، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٧٤) من طريق كثير بن زيد، عن ربيح عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، وفي الإسناد ربيح بن عبد الرحمن، وهو ضعيف، وكثير بن زيد مختلف فيه، قال فيه الحافظ: صدوق يخطئ.

(٣) إسناده صحيح: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٧)، قال: ثنا عبد الله بن سعيد بن الأشج، ثنا أبو خالد - يعني: سليمان بن حرب - ح - وثنا علي بن خشرم ثنا عيسىٰ بن يونس، جميعًا عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود، قال: خرج النبي ﷺ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**»، قالوا: يا رسول الله: وما شرك السرائر؟ قال: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**» وإسناده صحيح.

ورواه البيهقي في «السنن» (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١) من طريق أبي خالد الأحمر، عن سعد به، ولكن جعله من طريق محمود بن لبيد، عن جابر، فزاد جابرًا، والصواب الأول، والله أعلم.

رسول الله ﷺ الشرك الأصغر[1]. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخلاص»، وابن جرير في «التهذيب»، والطبراني والحاكم وصححه.

قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر، فكيَسِيرِ الرياء والتصنُّع للمخلق والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلَّا الله وأنت، وأنا متوكل علىٰ الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده. انتهىٰ.

ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة، كما قال الفُضيل بن عياض –رحمه الله تعالىٰ– في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]. قال: أخلصه وأصوبه.

قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتىٰ يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان علىٰ السنة.

وفي الحديث من الفوائد: شفقة النبي ﷺ علىٰ أمته ونصحه لهم، وأن الرياء أخوف علىٰ الصالحين من فتنة المسيح الدجال. فإذا كان النبي ﷺ يخافه علىٰ سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم، فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولىٰ بالخوف من الشرك أصغره وأكبره.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية «الكهف».

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنىٰ.

الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالىٰ خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ علىٰ أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يُزيّنها لما يرىٰ من نظر رجل إليه.

---

(١) إسناده حسن: رواه الحاكم (٤/ ٣٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٧١٦٠)، وفي الأوسط (١٩٨)، والبزار (٣٥٦٥) من طريق سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة ويحيىٰ بن أيوب عن عمرة بن غزية عن يعلىٰ بن شداد بن أوس عن أبيه فذكره. ووقع في الأوسط (الشرك الأكبر).

(٣٦)
بَابٌ: من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.**

ش: فإن قيل: فما الفرق بين هذه الترجمة، وبين ترجمة الباب قبله؟

قلتُ: بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وهو إذا أراد الإنسان بعمله التزيُّن عند الناس والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء كما تقدم بيانه، كحال المنافقين. وهو أيضًا إرادة للدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام.

ويفارقه الرياء بكونه عَمِلَ عملًا صالحًا، أراد به عَرَضًا من الدنيا، كمن يُجاهد ليأخذ مالًا، كما في الحديث: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ**»[1]. أو يُجاهد للمغنم، أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخُنا عن ابن عباس وغيره من المفسرين في معنىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥].

وأراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة، وما بعدها: أن العمل لأجل الدنيا شرك يُنافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك علىٰ كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله تعالىٰ:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

ش: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ثوابها. ﴿وَزِينَتَهَا﴾: أي: مالها. ﴿نُوَفِّ﴾ نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في المال والأهل والولد. ﴿وَهُمْ فِيهَا

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٢٨٨٧)، وسيأتي مطولًا.

﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون، ثم نسختها ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] الآية[١]. رواه النحاس في «ناسخه».

قوله: (ثم نسختها) أي قيَّدتها. فلم تبق الآية علىٰ إطلاقها[٢].

وقال قتادة: يقول: من كانت الدنيا همَّه وطلبته ونيته، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يُفضي إلىٰ الآخرة وليس له حسنة يُعطىٰ بها جزاءً. وأما المؤمن فيجازىٰ بحسناته في الدنيا، ويُثاب عليها في الآخرة[٣] ذكره ابن جرير بسنده.

ثم ساق حديث أبي هريرة عن ابن المبارك عن حيوة بن شُريح قال: حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان، أن عقبة بن مسلم حدثه، أن شُفَيَّ بن ماتع الأصبحي حدثه: أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة. قال: فدنوتُ منه حتىٰ قعدتُ بين يديه، وهو يُحدِّثُ الناس! فلما سكت وخلا قلتُ: أنشُدك بحقٍّ وبحقٍّ لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ عَقلته وعلِمته. فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدِّثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت، ما فيه أحد غيري

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن النحاس في «الناسخ والمنسوخ» رقم (٧٨١) ط. الرسالة، نحوه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فذكره. وجويبر ضعيف واهٍ، والضحاك لم يلق ابن عباس. ونحوه عند الطبري (١٨٠٢٦، ٣٠٦٥٧) بسلسلة العوفين عنه وهي ضعيفة بدون ذكر النسخ.

(٢) من العجيب جدًّا دعوىٰ النسخ (*). فإن الآيتين في معنىٰ واحد. وتفسير النسخ بتقييد مطلقها - يعني: بالمشيئة - كذلك غير واضح، والظاهر أنها لا تثبت رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما. [الفقي].

(*) **قوله:** (من العجيب جدًّا دعوىٰ النسخ) إلخ. أقول: ليس في ذلك ما يتعجب منه؛ لأن معنىٰ النسخ عند السلف أوسع منه عند الفقهاء؛ لأن السلف يطلقون النسخ علىٰ تقييد المطلق وتخصيص العام؛ لكونهما غير المعنىٰ المفهوم من النص المطلق والنص العام، ومعلوم أن آية «هود» مطلقة ظاهرها أن مريد الدنيا بأعماله يعطىٰ مراده، وآية «الإسراء» بينت أنه لا يعطىٰ من ذلك إلَّا ما شاء الله، وإن ذلك لا يحصل إلَّا لمن أراده الله، فاتضح من ذلك أن طالب الدنيا بأعماله قد يعطىٰ مراده إذا شاء الله ذلك، وقد يعمل ولا يحصل له ما أراد؛ لأن الله سبحانه لم يشأ ذلك، وهذا واضح جدًّا، والله أعلم. [ابن باز]

(٣) **رجاله ثقات:** رواه الطبري (١٨٠٣٣) من طريق سعيد عن قتادة فذكره، وقد طعن القطان في سماع سعيد من قتادة التفسير، ولكن قوَّىٰ ذلك أحمد وسبق ذكر ذلك.

وغيره، ثم نَشَغَ أبو هريرة نَشْغةً[١] ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما فيه أحد غيري وغيره. ثم نَشَغ أبو هريرة نَشْغَة أخرىٰ، ثم مال خارًّا علىٰ وجهه، واشتد به طويلًا! ثم أفاق، فقال: حدثني رسول الله ﷺ: «أَنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالَىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَىٰ أَهْلِ القِيَامَةِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُم، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ. فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ الله لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ الله له: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَىٰ بِصَاحِبِ المَالِ، فَيَقُولُ الله لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّىٰ لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَىٰ أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَّادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَىٰ بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَيُقَالُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّىٰ قُتِلْتُ، فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَاكَ!...».

ثم ضرب رسول الله ﷺ علىٰ رُكبتي فقال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسَعَّرُ بِهِم النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢][٣].

---

(١) نشغ بفتح النون والشين المعجمة وبعدها غين معجمة، أي: شهق حتىٰ كاد يغشىٰ عليه أسفًا وخوفًا. [الفقي].

(٢) إسناده صحيح: رواه الترمذي (٢٣٨٢)، والطبري (١٨٠٤٢)، والحاكم (١/ ٤١٨)، والبغوي (٤١٤٣)، وابن حبان (٤٠٨ إحسان) من طريق حيوة بن شريح: أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني أن عقبة بن مسلمة حدثه شفيًّا الأصبحي عن أبي هريرة فذكره، والوليد بن أبي الوليد وثقه أبو زرعة كما في «الجرح والتعديل» (٩/ ١٩ - ٢٠)، ووثقه الذهبي في «الكاشف».

تنبيه: الحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٩٠٥) من وجه آخر عن أبي هريرة بمعناه.

(٣) تمام الحديث عند ابن جرير وغيره: (قال أبو عثمان ابن أبي الوليد: فأخبرني عقبة أن شفيًّا هو الذي دخل علىٰ معاوية فأخبره بهذا. قال أبو عثمان: وحدثني العلاء بن أبي حكيم، أنه كان سيافًا لمعاوية، قال: فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: وقد فعل بهؤلاء هذا؟ فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكىٰ معاوية بكاءً
=

وقد سُئل شيخنُا المصنف رحمه الله تعالىٰ عن هذه الآية فأجاب بما حاصله: ذُكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم، ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العمل الصالح، الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله: من صدقة وصلاة، وصلة وإحسان إلىٰ الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يُريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعطىٰ ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية أنها نزلت فيه: وهو أن يعمل أعمالًا صالحة ونيته رياء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالًا صالحة يقصد بها مالًا، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم.

فقد ذكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب علىٰ الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيرًا.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله، مُخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه علىٰ عمل يُكفّره كفرًا يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارىٰ، إذا عبدوا الله، أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.

ومثل كثير من هذه الأمة، الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم علىٰ أعمال تُخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم.

=

شديدًا حتىٰ ظننا أنه هلك، وقلنا: قد جاء هذا الرجل بشر. ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه، فقال: صدق الله ورسوله ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥ - ١٦]. قال المنذري: ورواه ابن خزيمة في صحيحه. [الفقي].

فهذا النوع أيضًا قد ذُكر في هذه الآية، عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها.

قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

ثم قال: بقي أن يُقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخلّص وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله. انتهىٰ.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** في «الصحيح» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ. طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»**[1].

ش: قوله: **(في الصحيح)** أي: «صحيح البخاري».

قوله: «**تَعِسَ**» هو بكسر العين، ويجوز الفتح، أي: سقط، والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ. وقال في موضع آخر: وهو ضدُّ سَعِد أي: شقي.

وقال أبو السعادات: يقال: تعس يتعس. أي: إذا عثَرَ وانكبَّ لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك.

قوله: «**عَبْدُ الدِّينَارِ**» هو المعروف من الذهب، كالمثقال في الوزن، زنتُهُ: درهم وثُمن درهم.

قوله: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ**» وهو من الفضة، قدَّره الفقهاء بالشعير وزنًا، وعندنا منه درهم من ضَرْب بني أُمية، وهو زنة خمسين حبة شعير وخُمسا حبة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٨٦).

سماه عبدًا له؛ لكونه هو المقصود بعمله، فكل من توجَّه بقصده لغير الله، فقد جعله شريكًا لله في عبوديته، كما هو حال الأكثر.

قوله: «تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ» قال أبو السعادات: هي ثوب خز أو صوف معلم. وقيل: لا تسمىٰ خميصة إلَّا أن تكون سوداء معلَّمة، وتجمع علىٰ خمائص. والخميلة - بفتح الخاء المعجمة -. قال أبو السعادات: ذات الخَمَل: ثياب لها خَمَل من أي شيء كان.

قوله: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ» قال الحافظ: هو بالمهملة، أي: عاوده المرض. وقال أبو السعادات: أي: علىٰ رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة.

قال الطيبي: فيه الترقي بالدعاء عليه؛ لأنه إذا تعس: انكبَّ علىٰ وجهه.

فإذا انتكس: انقلب علىٰ رأسه بعد أن سقط.

قوله: «وَإِذَا شِيكَ» أي: أصابته شوكة.

«**فَلَا انْتَقَشَ**» أي: فلا يقدر علىٰ إخراجها بالمنقاش. قاله أبو السعادات.

والمراد: أن من كانت هذه حاله؛ فإنه يستحق أن يدعىٰ عليه بما يسوؤه في العواقب، ومن كانت هذه حاله فلا بد أن يجد أثر هذه الدعوات من الوقوع فيما يضره في عاجل دُنياه وآجل أخراه.

قال شيخ الإسلام: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة. وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر، وهو قوله: «**تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»، وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه.

وهذا حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه: «**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ**»، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة: ٥٨].

فرضاهم لغير الله، وسخطُهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقًا برياسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة: هو رِقُّ القلب

وعبوديته، فما استرقَّ القلبَ واستعبده فهو عبده - إلىٰ أن قال -: وهكذا أيضًا طالب المال، فإن ذلك يستعبده ويسترقُّه. وهذه الأمور نوعان:

فمنها: ما يحتاج إليه العبد، كما يحتاج إلىٰ طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه. فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه، من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا!

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلِّق قلبه بها، فإذا تعلَّق قلبُه بها صار مُستعبدًا لها، وربما صار مستعبدًا ومعتمدًا علىٰ غير الله فيها، فلا يبقىٰ معه حقيقة العبودية لله، ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل علىٰ غير الله.

وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ**». وهذا هو عبدٌ لهذه الأمور ولو طلبها من الله؛ فإن الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سخط.

وإنما عبدُ الله: مَن يُرضيه ما يُرضي الله، ويُسخطه ما يسخط الله، ويُحِبُّ ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغض اللهُ ورسولُه، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان. انتهىٰ ملخصًا.

قوله: «**طُوبَىٰ لِعَبْدٍ**» قال أبو السعادات: طوبىٰ: اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها. ويؤيِّد هذا: ما روىٰ ابنُ وهب - بسنده - عن أبي سعيد، قال رجل: يا رسول الله! وما طوبىٰ؟ قال: «**شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا**»[1].

ورواه الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسىٰ، سمعت عبد الله بن لَهِيعة، حدثنا دَرَّاج أبو السمح، أن أبا الهيثم[2] حدثه عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ: أن رجلًا

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٢٠٣٩٤) من طريق ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجًا حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ فذكره، وانظر الحديث الآتي.

(٢) ابن لهيعة وأبو الهيثم ضعيفان. كما صرح بذلك الإمامان أحمد وأبو داود. وقد روىٰ البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا**». [الفقي].

قال: يا رسول الله! طُوبىٰ لمن رآك وآمن بك، قال: «**طُوبَىٰ لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي، ثُمَّ طُوبَىٰ ثُمَّ طُوبَىٰ ثُمَّ طُوبَىٰ لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي**». قال له رجل: وما طوبىٰ؟ قال: «**شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا**»(١). وله شواهد في «الصحيحين» وغيرهما.

وقد روىٰ ابن جرير عن وهب بن مُنبِّه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا. قال وهب رحمه الله تعالىٰ: إن في الجنة شجرة يقال لها: طُوبىٰ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زَهْرُها رياطٌ، وورقُها بُرود(٢) وقضبانها عَنْبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، وَوَحْلها مسك.

يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة بينما هم في مجلسهم إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نُجُبًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبَرها كخز المِرعزىٰ من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب وثيابها من سُندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلِّموا عليه. قال: فيركبونها.

قال: فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفِراش، نُجبًا من غير مِهنة، يسير الراكب إلىٰ جنب أخيه وهو يكلمه ويُناجيه، لا تصيب أُذن راحلة منها أُذن صاحبتها، ولا بركُ راحلةٍ برك الأخرىٰ، حتىٰ إن الشجرة لتتنحىٰ عن طريقهم لئلا تُفرّق بين الرجل وأخيه.

قال: فيأتون إلىٰ الرحمن الرحيم، فيسفرُ لهم عن وجهه الكريم حتىٰ ينظروا إليه، فإذا

---

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٣/ ٧١)، وابن حبان «إحسان» (٧٤١٣)، والآجري في «الشريعة» (٦٢٤)، وأبو يعلىٰ (١٣٧٤)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٩١)، والطبري في «التفسير» (٢٠٣٩٤)، وابن أبي داود في «البعث» (٦٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٥٠) من طريق عمرو بن الحارث به، ورواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ضعيفة.

(٢) الرياط: جمع ريطة – بفتح الراء المهملة – ثوب كالملاءة. قيل: كل ثوب رقيق لين. والبُرد: كالعباءة(*) [الفقي].

(*) قوله: (والبُرد كالعباءة) فيه نظر، والصواب: أن البرد لا يشبه العباءة بل هو نوع آخر، قال في القاموس ما نصه: (البُرد بالضم: ثوب مخطط جمعه أبراد وأبرد وبرود، وأكسية يلتحف بها. الواحدة بالهاء) انتهىٰ [ابن باز]

رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وحق لك الجلال والإكرام. قال: فيقول تبارك وتعالىٰ عند ذلك: أنا السلام ومني السلام، وعليكم حقَّت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خشوني بالغيب وأطاعوا أمري.

قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدِّرك حق قدرك، فائذن لنا بالسجود قدَّامك. قال: فيقول الله تعالىٰ: إنها ليست بدار نَصَب ولا عبادة، ولكنها دار ملك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيته. فيسألونه، حتىٰ إن أقصرهم أمنية ليقول: ربي، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلىٰ أن انتهت الدنيا. فيقول الله تعالىٰ: لقد قَصرت بك اليوم أمنيتُك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني وسأتحفك بمنزلتي؛ لأنه ليس في عطائي نكد ولا قِصَر يَدٍ.

قال: ثم يقول: اعرضوا علىٰ عبادي ما لم تبلغ أمانيُّهم ولم يخطر علىٰ بال.

قال: فيعرضون عليهم حتىٰ تقصر بهم أمانيُّهم[1] التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم: براذين مُقرَّنة علىٰ كل أربعةٍ منها سرير من ياقوتة واحدة، علىٰ كل سرير منها قُبة من ذهب مُفرغة، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مُظاهرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين، علىٰ كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لون إلَّا وهو فيهما، ولا ريح طيب إلَّا قد عبق بهما، ينفُذ ضوء وجوههما غلظ القبة، حتىٰ يظن من يراهما أنهما دون القبة، يُرىٰ مخُّها من فوق سوقها كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل علىٰ صاحبته كفضل الشمس علىٰ الحجارة أو أفضل، ويرىٰ لهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان له: والله ما ظننا أن الله يخلُق مثلك، ثم يأمر الله تعالىٰ الملائكة فيسيرون بهم صفًّا في الجنة حتىٰ ينتهي كل رجل منهم إلىٰ منزلته التي أُعدَّت له[2].

---

(١) في ابن جرير: (حتىٰ يقضوهم أمانيهم). وفي ابن كثير: (حتىٰ تقصر بهم أمانيهم). [الفقي].

(٢) إسناده حسن: إلىٰ وهب رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠٣٨٩)، عن الفضل بن الصباح حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني قال: حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبًا فذكره. ولعل وهب أخذه من الإسرائيليات.

وقد رویٰ هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن مُنبِّه وزاد: فانظروا إلىٰ مواهب ربِّكم الذي وهب لكم، فإذا بقباب في الرفيق الأعلىٰ، وغُرف مبنية من الدر والمرجان وأبوابها من ذهب وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس وإستبرق، ومنابرها من نور، يفور من أبوابها وعراصها نور مثل شعاع الشمس، عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء، وإذا بقصور شامخة في أعلىٰ عليين من الياقوت يزهو نورُها، فلولا أنه مسخر إذا لالتمع الأبصار، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض، وما كان منها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر، وما كان منها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالأرجوان الأصفر، مُبوَّبة بالزمرد الأخضر والذهب الأحمر والفضة البيضاء، قوائمها وأركانها من الجوهر، وشُرَفُها قباب من لؤلؤ، وبروجها غرف من المرجان.

فلما انصرفوا إلىٰ ما أعطاهم ربُّهم قُرِّبت لهم براذين من ياقوت أبيض منفوخ فيها الروح تحتها الولدان المخلَّدون، بيد كل وليد منهم حَكَمة برذون من تلك البراذين، ولُجُمها وأعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت، سروجها سرر موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق.

فانطلقت بهم تلك البراذين تزفُّ بهم، ينظروا رياض الجنة، فلما انتهوا إلىٰ منازلهم وجدوا الملائكة قعودًا علىٰ منابر من نور؛ ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامة ربهم، فلما دخلوا قصورَهم وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم وما سألوا وتمنوا، وإذا علىٰ كل باب قصر من تلك القصور أربعة جنان: جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مُدْهامَّتان، وفيهما عينان نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحور مقصورات في الخيام.

فلما تبوءوا منازلهم، واستقروا قرارهم قال لهم ربهم: فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا قالوا: نعم وربنا. قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارض عنا. قال: فبرضاي عنكم أحللتكم داري ونظرتم إلىٰ وجهي، فعند ذلك قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا

يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥][1]. وهذا سياق غريب وأثر عجيب، ولبعضه شواهد في الصحيحين[2].

وقال خالد بن مَعْدان: إن في الجنة شجرة يُقال لها: طُوبىٰ، ضُروع كلها، تُرضع صبيان أهل الجنة، وإن سَقْط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلَّبُ فيه حتىٰ تقوم القيامة، فيُبعث ابن أربعين سنة[3] رواه ابن أبي حاتم.

قوله: «آخِذٌ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ» أي: في جهاد المشركين.

قوله: «أَشْعَثَ» مجرور بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل. و**«رَأْسُهُ»** مرفوع علىٰ الفاعلية، وهو طائر الشعر، أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعيم بالادِّهان وتسريح الشعر.

قوله: «مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ» هو بالجر، صفة ثانية لعبد.

قوله: «إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ» هو بكسر الحاء، أي: حماية الجيش عن أن يهجم العدوُّ عليهم.

قوله: «كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ» أي: غير مقصِّرٍ فيها ولا غافل، وهذا اللفظُ يستعمل في حق من قام بالأمر علىٰ وجه الكمال.

قوله: «وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ» أي: في مؤخِّرة الجيش، يُقلِّب نفسَه في مصالح الجهاد، فكلُّ مقام يقوم فيه إن كان ليلًا أو نهارًا، رغبة في رضا الله وطلبًا لثوابه ومحبةً لطاعته.

قال ابن الجوزي: وهو خامل الذكر لا يقصد السموَّ.

---

(١) **إسناده ضعيف جدًّا:** رواه الحافظ الضياء وذكره ابن كثير كما في «صفة الجنة» (١١٧)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١٥) كلاهما من طريق مسلمة بن علي الخشني به، وحكم ابن عدي علىٰ الحديث بنكارة المتن وأنه غير محفوظ، وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمة مسلمة بن علي الخشني.

قلت: ومسلمة بن علي الخشني متروك، انظر تحقيقي «لحادي الأرواح» (صـ ٣٢٧ - ٣٢٨).

(٢) قال: روىٰ هذا الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ في سورة «الرعد»: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩] وقال: ابن كثير: إنه سياق غريب وأثر عجيب اهـ. وظاهر عليه صبغة الإسرائيليات الملفقة. وكم لوهب بن منبه وكعب الأحبار من هذه الخرافات والآثار السخيفة التي تمجها الفطر السليمة، وقد فتن الناس بهذه الإسرائيليات وفسدت بها عقائد كثير منهم ولا حول ولا قوة إلَّا بالله. [الفقي]

(٣) عزاه السيوطي في «الدر» (٤/ ١١٢ ط. دار الكتب العلمية) إلىٰ ابن أبي حاتم.

وقال الخلخالي: المعنىٰ ائتماره بما أُمر، وإقامته حيث أُقيم، لا يُفقد من مكانه، وإنما ذكر الحراسة والساقة؛ لأنهما أشد مشقة. انتهىٰ.

وفيه: فضل الحراسة في سبيل الله.

قوله: «**إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ**» أي: إن استأذن علىٰ الأُمراء ونحوهم، لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة؛ لأنه ليس من طلابها، وإنما يطلب ما عند الله لا يقصد بعمله سواه.

قوله: «**وَإِنْ شَفَعَ**» بفتح أوله وثانيه.

قوله: «**لَمْ يُشَفَّعْ**» بفتح الفاء مشددة. يعني: لو ألجأته الحال إلىٰ أن يشفع في أمر يحبُّه الله ورسوله، لم تُقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم!.

وروىٰ الإمام أحمد، ومسلم، عن أبي هريرة، مرفوعًا: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ الله لَأَبَرَّهُ**»[1].

قال الحافظ: فيه ترك حبِّ الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع. انتهىٰ.

وروىٰ الإمام أحمد أيضًا، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، قال: قال عثمان - وهو يخطب علىٰ منبره -: إني محدِّثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، لم يكن يمنعني أن أُحدِّثكم به إلَّا الضن بكم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا**»[2].

وروىٰ الحافظ ابن عساكر - في ترجمة عبد الله بن المبارك -: قال عبد الله بن محمد،

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٢).

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه ابن ماجه (٢٧٦٦)، وأحمد (١/ ٦١، ٦٥)، وابن أبي عاصم في الجهاد (١٥٠)، والبزار (٣٥٠)، والطبراني (١٤٥)، والحاكم (٢/ ٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢١٤ - ٢١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٣٤) من طرق عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، فرواه مرة عن عبد الله بن الزبير عن عثمان مرفوعًا، ومرة رواه عن عثمان بإسقاط عبد الله بن الزبير، وفي الإسناد مصعب بن ثابت وهو ضعيف، ثم إنه لم يدرك عثمان، وروايته عن جده مرسلة، كما ذكر المزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة مصعب بن ثابت.

وقد ذكر الدراقطني في «العلل» (٣/ ٣٦ - ٤٧) الخلاف ثم رجح رواية مصعب بن ثابت مرسلًا عن عثمان، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٧٠٣).

قاضي نَصيبين: حدثني محمد بن إبراهيم ابن أبي سُكينة أنه أملىٰ عليه عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس ووعده الخروج. وأنفذها معه إلىٰ الفُضيل بن عياض، في سنة سبع وسبعين ومائة. قال:

يَا عَابِدَ الحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا ... لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ

مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ ... فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ

أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ ... فَخُيولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ

رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا ... رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالغُبَارُ الأَطْيَبُ

وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا ... قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يُكْذَبُ

لَا يَسْتَوِي وَغُبَارُ خَيْلِ اللهِ فِي ... أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ

هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ

قال: فلقيتُ الفُضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه، فقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلتُ: نعم، قال لي: اكتب هذا الحديث، وأملىٰ عليّ الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رجلًا قال: يا رسول الله! علمني عملًا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله، فقال: «**هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُصَلِّيَ فَلَا تَفْتُرُ، وَتَصُومُ فَلَا تُفْطِر؟**» فقال: يا رسول الله! أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ طُوِّقتَ ذَلِكَ مَا بَلَغْتَ فَضْلَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ بِذَلِكَ حَسَنَاتٌ**»[(١)][(٢)][(٣)]؟

---

(١) روىٰ البخاري حديث سؤال الرجل هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفيه: فقال أبو هريرة رضي الله عنه: «فإن فرس المجاهد ليستن يمرح في طوله فيكتب له حسنات». والطول: الحبل. والاستنان: العدو. وروىٰ مسلم مثله قريبًا منه في فضل الجهاد في سبيل الله. [الفقي]

(٢) انظر ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٥٤) و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١٢).

(٣) والحديث رواه البخاري بنحوه (٢٧٨٥) ثم قال أبو هريرة: «إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات».

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه مسائل:**

الأولىٰ: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية «هود».

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط.

الخامسة: قوله: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ».

السادسة: قوله: «وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ».

السابعة: الثناء علىٰ المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

* * *

(٣٧)

بَابٌ: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله.**

ش: لقول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: ٣١]. وتقدم تفسير هذا في أصل المصنف، لما ذكر حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟**[1].

ش: قوله: **(يوشك)** بضم أوله وكسر الشين المُعجمة، أي: يقرب ويسرع.

وهذا القول من ابن عباس رضي الله عنهما جواب لمن قال له: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلىٰ الحج، ويريان أن إفراد الحج أفضل، أو ما هو معنىٰ هذا، وكان ابن عباس يرىٰ أن التمتع بالعمرة إلىٰ الحج واجب ويقول: إذا طاف بالبيت وسعىٰ بين الصفا والمروة سبعة أشواط، فقد حلَّ من عمرته شاء أم أبىٰ؛ لحديث سُراقة بن مالك، حين

---

(١) **صحيح بلفظ نحوه:** رواه أحمد (١/ ٣٣٧)، والخطيب في «التاريخ» (٥/ ٩١)، وفي «الفقيه والمتفقه» (٣٧٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٣٧٨)، وإسحاق في «مسنده» كما في «المطالب» (١٣٧٣)، ورواه الأثرم في «السنن» كما في «المغني» (٥/ ٩١) من طرق عن ابن عباس به. ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٧١٨) «مجمع البحرين» نحوه عن ابن عباس. والذي وقفت عليه من هذا الأثر بلفظ قريب منها: أراهم سيهلكون، أقول قال النبي ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر، ومنها: «والله ما أراكم منتهين حتىٰ يعذبكم الله، نحدثكم عن النبي ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر» وقد ذكره شيخ الإسلام في «الفتاوىٰ» في أكثر من موضع (٢٦/ ٥٠، ٢٨١) بلفظ المصنف: يوشك... ولكن لم أقف علىٰ هذا اللفظ مسندًا، ولعله عند الأثرم في سننه كما أخبرت بذلك. ولم أقف عليه.

أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة، ويُحلُّوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة، فقال سراقة: يا رسول الله أَلِعامنا هذا أم للأبد؟ فقال: «**بَلْ لِلْأَبَدِ**»(١). والحديث في «الصحيحين».

وحينئذ فلا عُذر لمن استُفتي: أن ينظر في مذاهب العلماء، وما استدلَّ به كل إمام، ويأخذ من أقوالهم ما دلَّ عليه الدليل، إذا كان له مَلَكة يقتدر بها على ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وللبخاري ومسلم وغيرهما: أن النبي ﷺ قال: «**لَو اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ**»(٢)(٣). هذا لفظ البخاري في حديث عائشة.

ولفظه في حديث جابر: «**افْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَلَوْلَا أَنِّي سُقْتُ الْهَدْيَ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ**»(٤) في عدة أحاديث تؤيد قول ابن عباس.

وبالجملة: فلهذا قال ابن عباس - لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر -: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. الحديث.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد(٥).

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ما منا إلَّا رادٌّ ومردود عليه، إلَّا صاحب هذا القبر ﷺ(٦). وكلام الأئمة في هذا المعنى كثير.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٧٨٥)، ومسلم (١٢١٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٢٩)، ومسلم (١٢١١).

(٣) قال ذلك حين أمرهم في حجة الوداع أن يفسخوا حجهم إلى العمرة، ليكونوا متمتعين. ووجدوا في أنفسهم من ذلك لقرب ذهابهم إلى منى، وقصر المدة التي يقيمونها في مكة متمتعين بنسائهم حتى قالوا: (نذهب إلى منى ومذاكيرنا تقطر منيًّا). انظر: زاد المعاد في حجة الرسول ﷺ. [الفقي].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١٦١٥)، ومسلم (١٢١٦).

(٥) جاء نحو هذا القول في «الرسالة» للشافعي رقم (٥٣٩، ٥٤١، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٦٧)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤٧١)، و«إعلام الموقعين» لابن القيم (٢/ ٢٨٢)، ونسبه الشيخ الألباني في «مقدمة صفة الصلاة» إلى الفلاني في «إيقاظ همم أولي الأبصار» (صـ٦٨).

(٦) قال الشيخ الألباني في مقدمة «صفة الصلاة»: نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين، وصححه عنه ابن

وما زال العلماء - رحمهم الله - يجتهدون في الوقائع، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، كما في الحديث[(١)(٢)].

لكن إذا استبان لهم الدليل أخذوا به وتركوا اجتهادهم. وأما إذا لم يبلغهم الحديث أو لم يثبت عن النبي ﷺ عندهم فيه حديث، أو ثبت وله معارض أو مُخصِّص ونحو ذلك، فحينئذ يسوغ للإمام أن يجتهد.

وفي عهد الأئمة الأربعة، إنما طلبوا الأحاديث ممن هي عنده باللقىٰ والسماع، ويسافر الرجل في طلب الحديث إلىٰ الأمصار عدة سنين.

ثم اعتنىٰ الأئمة بالتصانيف، ودوَّنوا الأحاديث ورووها بأسانيدها، وبيَّنوا صحيحها من حسنها من ضعيفها. والفقهاء صنَّفوا في كل مذهب، وذكروا حجج المجتهدين، فسهل الأمر علىٰ طالب العلم، وكل إمام يذكر الحكم بدليله عنده.

وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما ما يدلُّ علىٰ أن من بلغه الدليل فلم يأخذ به - تقليدًا لإمامه - فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ؛ لمخالفته الدليل.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عمر البزاز، حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا أبو عبيدة الحداد، عن مالك بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ليس منا أحد إلَّا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي ﷺ[(٣)].

وعلىٰ هذا: فيجب الإنكار علىٰ من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائنًا من كان،

=

عبد الهادي في «إرشاد السالك» (١/ ٢٢٧)، وقد رواه ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٩١)، وابن حزم في «أصول الأحكام» (٦/ ١٤٥، ١٧٩) من قول الحكم بن عتيبة ومجاهد، وأورده تقي الدين السبكي في «الفتاوىٰ» (١/ ١٤٨) من قول ابن عباس متعجبًا من حسنه، ثم قال: وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منه مالك رضي الله عنه واشتهرت عنه..... إلخ.

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا بلفظ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**».

(٢) «**إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِم فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**». [الفقي].

(٣) **إسناده حسن:** ولم أقف عليه وانظر الكلام علىٰ أثر مالك السابق.

ونصوص الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلَّا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يُرجع إليه من كتاب ولا سنة، فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

وأما ما خالف الكتاب والسنة: فيجب الردُّ عليه؛ كما قال ابن عباس والشافعي ومالك وأحمد، وذلك مجمع عليه، كما تقدم في كلام الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحَّته، يذهبون إلىٰ رأي سفيان، والله تعالىٰ يقول:** ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]. **أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعلّه إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.**

ش: هذا الكلام من الإمام أحمد، رواه عنه الفضل بن زياد، وأبو طالب. قال الفضل، عن أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاث وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

فذكر من قوله: الفتنة: الشرك - إلىٰ قوله: - فيهلك. ثم جعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال أبو طالب - عن أحمد - وقيل له: إن قومًا يدعون الحديث، ويذهبون إلىٰ رأي سفيان وغيره، فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث، وعرفوا الإسناد وصحته يَدَعونه ويذهبون إلىٰ رأي سفيان وغيره، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الكفر. قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[البقرة: ٢١٧] ، فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ ، وتغلبُهم أهواؤهم إلىٰ الرأي. ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام.

قوله: (عرفوا الإسناد) أي: إسناد الحديث وصحته، فإذا صح إسناد الحديث فهو صحيح عند أهل الحديث وغيرهم من العلماء.

وسفيان: هو الثوري، الإمام الزاهد، العابد الثقة الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون

عنه، ومذهبه مشهور، يذكره العلماء في الكتب التي يُذكر فيها مذاهب الأئمة، كـ«التمهيد» لابن عبد البر، و«الاستذكار» له، وكتاب «الإشراف علىٰ مذاهب الأشراف» لابن المنذر، و«المحلىٰ» لابن حزم، و«المغني» لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قُدَامة الحنبلي. وغير هؤلاء.

فقول الإمام أحمد رحمه الله: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته..» إلىٰ آخره. إنكار منه لذلك، وأنه يؤول إلىٰ زيغ القلوب، الذي يكون به المرء كافرًا. وقد عمَّت البلوىٰ بهذا المنكر، وخصوصًا ممن ينتسب إلىٰ العلم، نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدوا عن مُتابعة النبي ﷺ وتعظيم أمره ونهيه.

فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلَّا المجتهد. والاجتهاد قد انقطع[1]، ويقول: هذا الذي قلَّدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ، والاعتماد علىٰ قول من يجوز عليه الخطأ، وغيره من الأئمة يخالفه، ويمنع قوله بدليل، فما من إمام إلَّا والذي معه بعض العلم لا كله.

فالواجب علىٰ كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفَهِم معنىٰ ذلك: أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٣]. وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقد تقدم حكاية الإجماع علىٰ ذلك، وبيان أن المقلد ليس من أهل العلم، وقد حكىٰ أيضًا أبو عمر ابن عبد البر وغيره الإجماع علىٰ ذلك.

قلتُ: ولا يخالف في ذلك إلَّا جهال المقلدة، لجهلهم بالكتاب والسنة، ورغبتهم عنهما، وهؤلاء وإن ظنوا أنهم اتبعوا الأئمة فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم، واتبعوا غير سبيلهم. كما قدمنا من قول مالك والشافعي وأحمد.

---

(١) **في قرة العيون**: وقد أخطأوا في ذلك. وقد استدل الإمام أحمد رحمه الله بقوله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**» أن الاجتهاد لا ينقطع. [الفقي].

ولكن في كلام أحمد رحمه الله إشارة إلىٰ أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يُذم، وإنما يُنكر علىٰ من بلغته الحجة وخالفها لقول إمام من الأئمة، وذلك إنما نشأ عن الإعراض عن تدبُّر كتاب الله وسنة رسوله، والإقبال علىٰ كتب من تأخر، والاستغناء بها عن الوحيين، وهذا يشبه ما وقع من أهل الكتاب، الذين قال الله فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، كما سيأتي بيان ذلك في حديث عدي بن حاتم[1].

فيجب علىٰ من نصح نفسه: إذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها، وعرف أقوالهم، فليعرضها علىٰ ما في الكتاب والسنة؛ فإن كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلىٰ مذهبه لا بد أن يذكر دليله.

والحق في المسألة واحد، والأئمة مثابون علىٰ اجتهادهم، فالمنصف يجعل النظر في كلامهم وتأمُّله طريقًا إلىٰ معرفة المسائل واستحضارها ذهنًا، وتمييزًا للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون، ويتعرَّفُ بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء فيتبعه.

والأدلة علىٰ هذا الأصل في كتاب الله أكثر من أن تحصر وفي السنة كذلك، كما أخرج أبو داود بسنده، عن أُناس من أصحاب معاذ: أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذًا إلىٰ اليمن قال: «**كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟**» قال: أقضي بكتاب الله. قال: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ؟**» قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا فِي كِتَابِ اللهِ؟**» قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ**»[2] وساق بسنده، عن الحارث بن عمر، عن

---

(١) **إسناده ضعيف**: وسيأتي قريبًا إن شاء الله في هذا الباب.

(٢) **ضعيف منكر**: رواه الترمذي (١٣٢٨)، وأبو داود (٣٥٩٣)، وأحمد (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢)، وعبد بن حميد (١٢٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢١٥)، والبيهقي (١٠/ ١١٤)، وغيرهم من طريق الحارث بن عمرو - ابن أخي المغيرة بن شعبة - عن ناس من أصحاب معاذ عن معاذ. وفي الحديث الحارث بن عمرو وهو مجهول، وأصحاب معاذ مبهمين وقد أعل بالإرسال. فقد رواه الترمذي (١٣٢٧)، وأبو داود (٣٥٧٢)، وأحمد (٥/ ٢٣٦)، وغيرهم من طريق شعبة عن أبي العون الثقفي عن الحارث بن عمرو عن رجال من أصحاب معاذ مرسلًا. وضعفه البخاري والترمذي والدارقطني وغيرهم. انظر «الضعيفة» (٨٨١).

أُناس من أصحاب معاذ، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلىٰ اليمن – بمعناه.

والأئمة رحمهم الله لم يُقصِّروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة، لعلمهم أن من العلم شيئًا لم يعلموه، وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير، كما لا يخفىٰ علىٰ من نظر في أقوال العلماء.

قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة ﷺ فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجالٌ وهم رجالٌ.

وقال: إذا قلت قولًا وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله. قيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ. وقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة.

وقال الربيع: سمعتُ الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فخذوا سنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت.

وقال: إذا صح الحديث بما يخالف قولي، فاضربوا بقولي الحائط!

وقال مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلَّا رسول الله ﷺ[(١)].

وتقدم له مثل ذلك، فلا عذر لمقلِّد بعد هذا. ولو استقصينا كلام العلماء في هذا لخرج بنا عما قصدناه من الاختصار، وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهدىٰ[(٢)].

قوله: (لعله إذا رد بعض قوله) أي: قول الرسول ﷺ **(أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك)**، نبه ﷬ أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب، وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥].

قال شيخ الإسلام ﷬ في معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣] فإذا كان المخالف عن أمره قد حُذِّر من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم، دلَّ

---

(١) انظر هذه الأقوال عند الفلاني في «إيقاظ همم أولي الأبصار» (٥٠)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤٧١)، ومقدمة صفة الصلاة للشيخ الألباني.

(٢) **في قرة العيون:** فعلىٰ من اشتغل بمصنفات أهل مذهبه أن ينظر في أقوال المخالفين وما استدلوا به متبعًا للدليل مع من كان معه. وبالله التوفيق. [الفقي].

علىٰ أنه قد يكون مُفضيًا إلىٰ الكفر والعذاب الأليم، ومعلوم أن إفضاءه إلىٰ العذاب هو مجرد فعل المعصية، فإفضاؤه إلىٰ الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الآمر، كما فعل إبليس لعنه الله. انتهىٰ.

وقال أبو جعفر ابن جرير عن الضحاك: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال: يُطبع علىٰ قلبه فلا يؤمن أن يُظهر الكفر بلسانه فتُضرب عُنقه [1].

قال أبو جعفر: أدخلت (عن) لأن معنىٰ الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويُدبرون عنه معرضين.

قوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ في عاجل الدنيا عذاب من الله مُوجع؛ علىٰ خلافهم أمر رسول الله ﷺ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ: عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية:** ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]. **فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» فقلت: بلىٰ. قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»** [2]. **رواه أحمد والترمذي وحسنه.**

ش: هذا الحديث قد رُوي من طرق، فرواه ابن سعد وعبد بن حُميد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي.

قوله: (**عن عَدي بن حاتم**)، أي: الطائي المشهور.

وحاتم: هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج - بفتح الحاء المهملة - المشهور بالسخاء والكرم، قدم عديّ علىٰ رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة، فأسلم

---

(١) **إسناده ضعيف واهٍ:** رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦٢٦٥) من طريق جويبر عن الضحاك فذكره، وجويبر ضعيف واهٍ، وفي الطريق إليه ابن حميد وهو ضعيف.

(٢) **إسناده ضعيف:** وسبق صـ ١٣٤ تحت باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا الله.

وعاش مائة وعشرين سنة.

وفي الحديث: دليل علىٰ أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾. ويُظهر ذلك؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١]. وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدوهم، لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد، وهو من هذا الشرك.

ومنهم من يغلو في ذلك، واعتقد أن الأخذ بالدليل - والحالة هذه - يُكره، أو يحرم، فعظُمت الفتنة. ويقول: هم أعلم منا بالأدلة، ولا يأخذ بالدليل إلَّا المجتهد، وربما تفوَّهوا بذم من يعمل بالدليل، ولا ريب أن هذا من غُربة الإسلام، كما قال شيخنا - رحمه الله تعالىٰ - في المسائل.

فتغيرت الأحوال، وآلت إلىٰ هذه الغاية، فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، ويسمُّونها ولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه. ثم تغيَّرت الحال إلىٰ أن عُبد من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنىٰ الثاني من هو من الجاهلين.

وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يُخالف ما شرعه الله ورسوله: فقد عمت به البلوىٰ قديمًا وحديثًا في أكثر الولاة بعد الخُلفاء الراشدين وهلُمَّ جرًّا. وقد قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وعن زياد بن حُدير، قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زَلَّةُ العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المُضلين. رواه الدارمي[(١)].

جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه الدارمي في «السنن» رقم (٢٢٠)، وأخرجه الفريابي في «صفة المنافقين» رقم (٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٦) من طريق الشعبي عن زياد بن حُدير عن عمر بن الخطاب به.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية «النور».

الثانية: تفسير آية «براءة».

الثالثة: التنبيه علىٰ معنىٰ العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلىٰ هذه الغاية حتىٰ صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمىٰ الولاية، وعبادة الأحبار: هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلىٰ أن عُبِدَ من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنىٰ الثاني من هو من الجاهلين.

* * *

(٣٨)

بَابُ: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالىٰ:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٠- ٦٢].

ش: قال العماد ابن كثير: والآية ذامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلىٰ ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا.

وتقدم ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في حده للطاغوت، وأنه كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود أو متبوع أو مطاع.

فكل من حاكم إلىٰ غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد حاكم إلىٰ الطاغوت الذي أمر الله تعالىٰ عباده المؤمنين أن يكفروا به، فإن التحاكم ليس إلَّا إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، ومن كان يحكم بهما، فمن حاكم إلىٰ غيرهما: فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله، وأنزله منزلةً لا يستحقها.

وكذلك من عبد شيئًا دون الله فإنما عبدَ الطاغوت، فإن كان المعبود صالحًا صارت عبادة العابد له راجعة إلىٰ الشيطان الذي أمره بها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٢٨ - ٣٠]. وكقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ

جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

وإن كان ممن يدعو إلىٰ عبادة نفسه أو كان شجرًا أو حجرًا أو قبرًا أو غير ذلك، مما كان يتخذه المشركون لهم أصنامًا علىٰ صُور الصالحين أو الملائكة أو غير ذلك، فهي من الطاغوت الذي أمر الله تعالىٰ عباده أن يكفروا بعبادته، ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كل معبود سوىٰ الله كائنًا من كان، وهذا كله من عمل الشيطان وتسويله، فهو الذي دعا إلىٰ كل باطل وزينه لمن فعله، وهذا ينافي التوحيد الذي هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله.

فالتوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]. وكل من عبد غير الله فقد جاوز به حدَّه، وأعطاه من العبادة ما لا يستحقه.

قال الإمام مالك: الطاغوت ما عُبد من دون الله.

وكذلك من دعا إلىٰ تحكيم غير الله تعالىٰ ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه، وجعل لله شريكًا في الطاعة، وخالف ما جاء به الرسول ﷺ فيما أمره الله تعالىٰ به في قوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ: بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك اتباعًا لما يهواه ويريده، فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن.

فإن الله تعالىٰ أنكر علىٰ من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان؛ لما في ضمن قوله: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ من نفي إيمانهم؛ فإنَّ ﴿يَزْعُمُونَ﴾ إنما يقال غالبًا لمن ادَّعىٰ دعوىٰ هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها، وعمله بما ينافيها، يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، كما في آية «البقرة»، فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحِّدًا.

والتوحيد: هو أساس الإيمان، الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه؛ كما أن

ذلك بيّن في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة: ٢٥٦]. وذلك أن التحاكم إلىٰ الطاغوت إيمان به.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ يبيِّن تعالىٰ في هذه الآية: أن التحاكم إلىٰ الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويُزيِّنه لمن أطاعه، ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله، وأكده بالمصدر، ووصفه بالبعد، فدلَّ علىٰ أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهُدىٰ.

ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

الثاني: أنه ضلال.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدىٰ.

فسبحان الله! ما أعظمَ هذا القرآن وما أبلغه! وما أدله علىٰ أنه كلام رب العالمين، أوحاه إلىٰ رسوله الكريم، وبلغه عبده الصادق الأمين – صلوات الله وسلامه عليهما أجمعين –.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾. بين تعالىٰ أن هذه صفة المنافقين، وأن من فعل ذلك أو طلبه، وإن زعم أنه مؤمن فإنه في غاية البُعد عن الإيمان.

قال العلامة ابن القيم: هذا دليل علىٰ أنه من دُعي إلىٰ تحكيم الكتاب والسنة فأبىٰ، أنه من المنافقين.

قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾ لازم وهو بمعنىٰ يُعرضون؛ لأن مصدره صدودًا، فما أكثر من اتصف بهذا الوصف! خصوصًا ممن يدَّعي العلم؛ فإنهم صدُّوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله إلىٰ أقوال من يُخطئ كثيرًا، ممن ينتسب إلىٰ الأئمة الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده، واعتمادهم علىٰ قول من لا يجوز الاعتماد علىٰ قوله، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم، الذي لا تصح الفتوىٰ إلَّا به. فصار المتبع للرسول ﷺ بين أولئك غريبًا، كما تقدم التنبيه علىٰ هذا في

الباب الذي قبل هذا.

فتدبَّر هذه الآيات وما بعدها، يتبين لك ما وقع فيه غالب الناس من الإعراض عن الحق، وترك العمل به في أكثر الوقائع. والله المستعان.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

ش: قال أبو العالية في الآية: يعني: لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصىٰ الله في الأرض أو أمر بمعصية الله: فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله(١).

وقد أخبر تعالىٰ عن إخوة يوسف - عليه السلام - في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يوسف: ٧٠- ٧٣]. فدلت الآية علىٰ أن كل معصية فساد في الأرض.

ومناسبة الآية للترجمة: أن التحاكم إلىٰ غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض.

وفي الآية: التنبيه علىٰ عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوىٰ.

وفيها: التحذير من الاغترار بالرأي، ما لم يقم علىٰ صحته دليل من كتاب الله وسنة رسوله، فما أكثر من يُصدِّق بالكذب ويُكذِّب بالصدق إذا جاءه! وهذا من الفساد في الأرض، ويترتب عليه من الفساد أمور كثيرة، تخرج صاحبها عن الحق وتدخله في الباطل. نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

فتدبَّر تجد ذلك في حال الأكثر إلَّا من عصمه الله، ومَنَّ عليه بقوة داعي الإيمان، وأعطاه عقلًا كاملًا عند ورود الشهوات، وبصرًا نافذًا عند ورود الشبهات، وذلك فضل الله

---

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (١٢١) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أبي العالية فذكره. وأبو جعفر الرازي ضعيف، ورواه الطبري (٣٤٠) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع لم يجاوزه.

يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

ش: قال أبو بكر ابن عيَّاش - في الآية -: إن الله بعث محمدًا ﷺ إلىٰ أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلىٰ خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض.

وقال ابن القيم: قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلىٰ غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل، وبيان الشريعة، والدعاء إلىٰ طاعة الله؛ فإن عبادة غير الله والدعوة إلىٰ غيره والشرك به: أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره، فالشرك والدعوة إلىٰ غير الله وإقامة معبود غيره، ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ، هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلَّا أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة.

ومن تدبَّر أحوال العالم، وجد كل صلاح في الأرض، فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحْط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه: مخالفة رسوله، والدعوة إلىٰ غير الله ورسوله. انتهىٰ.

ووجه مطابقة هذه الآية للترجمة: أن التحاكم إلىٰ غير الله ورسوله من أعظم ما يُفسد الأرض من المعاصي، فلا صلاح لها إلَّا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله، وهو سبيل المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله:** ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

ش: قال ابن كثير: يُنكر تعالىٰ علىٰ من خرج عن حكم الله تعالىٰ المشتمل علىٰ كل خير،

والنهي عن كل شر، وعَدَل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم بها التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان، الذي وضع لهم[1] كتابًا مجموعًا من أحكام أقيسة من شرائع شتىٰ. وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، وصار في بنيه شرعًا يقدِّمونه علىٰ الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، فمن فعل ذلك: فهو كافر يجب قتاله حتىٰ يرجع إلىٰ حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير[2].

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ استفهام إنكار، أي: لا حُكم أحسن من حكمه تعالىٰ. وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي: ومن أعدل من الله حكمًا لمن عقل عن الله شرعه، وآمن وأيقن أن الله تعالىٰ أحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده القادر علىٰ كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره؟

وفي الآية: التحذير من حكم الجاهلية واختياره علىٰ حكم الله ورسوله، فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن، وهو الحق، إلىٰ ضده من الباطل.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[3]. قال النووي: حديث صحيح**

(١) في تفسير ابن كثير: الياسق: وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتىٰ: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية..... إلخ (٥/ ٢٥١) ط. أولاد الشيخ.

(٢) ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها علىٰ ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلىٰ الحكم بما أنزل الله. ولا ينفعه أي اسم تسمىٰ به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها. [الفقي].

(٣) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، وابن بطة في «الإبانة» قسم الإيمان (٢٧٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٣٦٩)، وغيرهم من طريق نعيم بن حماد، عن عبد الوهاب الثقفي، عن هشام، عن محمد بن سيرين، عن عقبة، عن عبد الله بن عمرو به، وفي الإسناد نعيم بن حماد، وهو ضعيف، وقد ضعفه الشيخ الألباني في «تحقيقه لابن أبي عاصم» وذكر ابن رجب علله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٨).

رويناه في «كتاب الحجة» بإسناد صحيح.

ش: هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح، نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب «الحجة علىٰ تارك المحجة» بإسناد صحيح، كما قاله المصنف عن النووي.

ورواه الطبراني وأبو بكر بن عاصم، والحافظ أبو نُعيم في «الأربعين» التي شرط لها أن تكون من صحاح الأخبار، وشاهده في القرآن.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[النساء: ٦٥] الآية. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب: ٣٦]. وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾[القصص: ٥٠]، ونحو هذه الآيات.

قوله: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»: لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذي وعد الله أهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار. وقد يكون في درجة أهل الإساءة والمعاصي من أهل الإسلام.

قوله: «حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». الهوىٰ - بالقصر - أي: ما يهواه وتحبُّه نفسه وتميل إليه.

فإن كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعًا لما جاء به الرسول ﷺ لا يخرج عنه إلىٰ ما يخالفه. فهذه صفة أهل الإيمان المطلق.

وإن كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله أو أكثرها. انتفىٰ عنه من الإيمان كماله الواجب؛ كما في حديث أبي هريرة: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**[1][2] يعني: أنه بالمعصية ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب، وينزل عنه في درجة الإسلام، وينقص إيمانه، فلا يُطلق عليه الإيمان إلَّا بقيد المعصية أو الفسوق. فيقال: مؤمن عاصٍ، أو يقال: مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، فيكون معه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلَّا به[3]. كما قال تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء: ٩٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.[الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

(٣) **في قرة العيون:** وهذا التوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر. وهذا هو الذي يذهب إليه أهل السنة والجماعة خلافًا =

والأدلة علىٰ ما عليه سلف الأمة وأئمتها - أن الإيمان: قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية - من كتاب الله وسنة رسوله أكثر من أن تحصر.

فمن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلىٰ بيت المقدس قبل تحويل القبلة، وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «**آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِالله وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[1]. الحديث، وهو في «الصحيحين» و«السنن».

والدليل علىٰ أن الإيمان يزيد: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[المدثر: ٣١]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[التوبة: ١٢٤] الآية. خلافًا لمن قال: إن الإيمان هو القول، وهم المُرجئة، ومن قال: إن الإيمان هو التصديق كالأشاعرة.

ومن المعلوم عقلًا وشرعًا: أن نية الحق تصديق، والعمل به تصديق، وقول الحق تصديق، فليس مع أهل البدع ما ينافي قول أهل السنة والجماعة ولله الحمد والمنة.

قال الله تعالىٰ: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾[البقرة: ١٧٧]. أي: فيما عملوا به في هذه الآية من الأعمال الظاهرة والباطنة. وشاهده في كلام العرب، قولُهم: حملة صادقة.

وقد سمَّىٰ الله تعالىٰ الهوىٰ المخالف لما جاء به الرسول ﷺ إلهًا، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ

للخوارج والمعتزلة؛ فإن الخوارج يُكفِّرون بالذنوب، والمعتزلون لا يطلقون عليه الإيمان، ويقولون بتخليده في النار، وكلا الطائفتين ابتدع في الدين وترك ما دل عليه الكتاب والسنة. وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨]. فقيد مغفرة ما دون الشرك بالمشيئة، وتواترت الأحاديث بما يحقق ما ذهب إليه أهل السنة. فقد أخرج البخاري وغيره عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِن النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِن النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِن النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ».[الفقي].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] قال بعض المفسرين: لا يهوىٰ شيئًا إلَّا ركبه.

قال ابن رجب: أما معنىٰ الحديث: فهـو أن الإنسان لا يكـون مؤمنًـا كامـل الإيـمان الواجب، حتىٰ تكون محبته تابعةً لما جاء به الرسول ﷺ مـن الأوامـر والنـواهي وغيرهـا. فيحبُّ ما أُمر به ويكره ما نُهي عنه، وقد ورد القرآن بمثل هذا المعنىٰ في غـير موضـع، وذمَّ سبحانه من كره ما أحبه الله أو أحب ما كرهه الله؛ كـما قـال تعـالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨].

فالواجب علىٰ كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله، محبةً توجب له الإتيان بما أوجب عليـه منه، فإن زادت المحبة حتىٰ أتىٰ بما نُدب إليه منه كان ذلك فضلًا.

وأن يكره ما يكرهه الله كراهةً توجب له الكفَّ عما حرم عليه منه، فإن زادت الكراهة حتىٰ أوجبت الكفَّ عما كرهه تنزيهًا كان ذلك فضلًا.

فمن أحب الله ورسوله محبةً صادقةً من قلبـه، أوجـب ذلـك لـه أن يحـب بقلبـه: مـا يُحبه الله ورسوله، ويكره مـا يكرهـه الله ورسـوله، فـيرضىٰ بـما يـرضىٰ بـه الله ورسـوله، ويسخط ما يُسخط الله ورسوله، ويعمل بجوارحه بمقتـضىٰ هـذا الحـب والـبغض، فـإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك، بأن ارتكب بعض مـا يكرهـه الله ورسـوله، وتـرك مـا يحبه الله ورسوله - مع وجوبه والقدرة عليه - دل ذلك علىٰ نقص محبته الواجبة، فعليـه أن يتوب من ذلك ويرجع إلىٰ تكميل المحبة الواجبة التي هي ركن العبادة إذا كملت، فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوىٰ النفس علىٰ محبة الله ورسوله.

وقد وصف الله المشركين باتباع الهوىٰ في مواضع من كتابه، فقال تعـالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠].

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوىٰ علىٰ الشرع. ولهذا سمي أهلها أهل الأهـواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوىٰ علىٰ محبة الله ومحبة ما يحبه الله.

وكذلك حب الأشخاص: الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، فيجـب علىٰ المـؤمن محبـة مـن يحبـه الله مـن الملائكـة والرسـل والأنبيـاء والـصديقين والـشهداء والصالحين عمومًا؛ ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيـمان: أن يحـب المـرء لا يحبـه

إِلَّا لله[(١)](٢) فتحرم موالاة أعداء الله ومن يكره الله عمومًا، وبهذا يكون الدين كله لله وحده. ومن أحب لله وأبغض لله، وأعطىٰ لله ومنع لله: فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه هوىٰ نفسه كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب، فتجب التوبة من ذلك. انتهىٰ ملخصًا.

ومناسبة الحديث للترجمة: بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي في أقوالهم وأفعالهم وإراداتهم.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمد - عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ الآية[(٣)].**

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلىٰ النبي ﷺ، وقال الآخر: إلىٰ كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلىٰ عمر بن الخطاب، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله[(٤)].

---

(١) روىٰ البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس مرفوعًا: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله...» الحديث.

(٢) لما روىٰ البخاري وغيره: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». [الفقي].

(٣) إسناده مرسل: رواه الطبري في «تفسيره» (٩٨٩٦ - ٩٨٩٨) من طريق داود، عن الشعبي، وإسناده مرسل لا يصح مرفوعًا لأن الشعبي تابعي.

(٤) موضوع: علقه البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (صـ ١٠٧ - ١٠٨)، والحافظ في «الفتح» (٥/ ٣٧) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب، وأبو صالح متروك، ولم يسمع ابن عباس، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣١٠) ط. دار الكتب العلمية. إلىٰ الثعلبي. وصح في سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥٤٧)، والطبراني في «معجمه الكبير» (١٢٠٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» من طريق أبي اليمان، عن صفوان بن عمرو، عن عكرمة، عن =

ش: قوله: (**وقال الشعبي**). هو عامر بن شراحيل الكوفي، عالم أهل زمانه، وكان حافظًا علامة ذا فنون. كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء[1]، وأدرك خلقًا من الصحابة، وعاش بضعًا وثمانين سنة. قاله: الذهبي.

وفيما قاله الشعبي ما يُبين أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارىٰ، ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان؛ كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها: من إعانة العدو علىٰ المسلمين، وحرصهم علىٰ إطفاء نور الإسلام والإيمان.

ومن تدبَّر ما في التاريخ وما وقع منهم في الوقائع عرف أن هذا حال المنافقين قديمًا وحديثًا، وقد حذَّر الله نبيه ﷺ من طاعتهم والقرب منهم، وحضه علىٰ جهادهم في مواضع من كتابه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ [التحريم: ٩] الآية.

وفي قصة عمر، وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلىٰ كعب بن الأشرف اليهودي: دليل علىٰ قتل من أظهر الكفر والنفاق.

وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ والأذىٰ له، وإظهار عداوته، فانتقض به عهده، وحل به قتله. وروىٰ مسلم في «صحيحه» عن عمرو: سمعت جابرًا يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ**»، قال محمد بن مسلمة: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «**نَعَمْ**»، قال: ائذن لي فلأقل، قال: «**قُلْ**»، فأتاه فقال له، وذكر ما بينهم وقال: إن الرجل قد أراد صدقة، وقد عنّانا. فلما سمعه، قال: وأيضًا والله لتملُّنَّه، قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتىٰ ننظر إلىٰ أي شيء يصير أمره، قال: وقد أردت أن تُسلفني سلفًا، قال: فما ترهَنُني؟ قال: ما تُريده؟ قال:

=

ابن عباس به. قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافروا إليه فتنافر إليه ناس من المسلمين، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ....﴾ الآية.

وإسناده صحيح، وصححه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٤١ - ٤٢).

(١) لشدة حفظه واستغنائه به عن الكتابة. [الفقي].

ترهنني نساءكم؟ قال: أنت أجمل العرب، أنرهنك نساءنا؟ قال: ترهنوني أولادكم؟ قال: يُسبُّ ابن أحدنا، فيقال: رُهن في وَسْقين من تمر. ولكن نرهنك اللأمة - يعني: السلاح - قال: نعم. وواعده أن يأتيه بالحارث، وأبي عبس بن جبر وعبَّاد بن بشر. قال: فجاءوا، فدعوه ليلًا فنزل إليهم. - قال سفيان: قال غيرُ عمرو -: قالت له امرأته: إني لأسمع صوتًا كأنه صوت دم، قال: إنما هذا محمد بن مسلمة، ورضيعه وأبو نائلة[1]؛ إن الكريم لو دُعي إلىٰ طعنة ليلًا لأجاب. قال محمد: إني إذا جاء فسوف أمدّ يدي إلىٰ رأسه، فإذا استمكنت منه فدونكم، قال: فلما نزل، نزل وهو متوشِّح. فقالوا: نجد منك ريح الطيب، قال: نعم، تحتي فلانة أعطر نساء العرب، قال: فتأذن لي أن أشم منه؟ قال: نعم فشُمَّ، فتناوله فشم، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال: فاستمكن من رأسه. ثم قال: دونكم. قال: فقتلوه[2].

وفي قصة عُمر: بيان أن المنافق المغموص بالنفاق إذا أظهر نفاقه قُتل، كما في «الصحيحين» وغيرهما: أن النبي ﷺ إنما ترك قتْلَ من أظهر نفاقه منهم تأليفًا للناس؛ فإنه قال: «**لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[3]. صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

---

(١) قال النووي: هكذا هو في جميع النسخ. قال القاضي رحمه الله: قال لنا شيخنا القاضي الشهيد: صوابه أن يقال: إنما هو محمد ورضيعه أبو نائلة. وكذا ذكر أهل السير أن أبا نائلة كان رضيعًا لمحمد بن مسلمة. ووقع في صحيح البخاري: (ورضيعي أبو نائلة). [الفقي].

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٠١)، واللفظ له، وعند البخاري (٢٥١٠) من حديث جابر.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٥١٨)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٣٩)
باب: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، **وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ش: سببُ نزول هذه الآية معلوم مذكور في كُتب التفسير وغيرها. وهو أن مشركي قريش جحدوا اسم ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ عنادًا[1].

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] والرحمن: اسمه وصفته، دلَّ هذا الاسم علىٰ أن الرحمة وصفه سبحانه، وهي من صفات الكمال.

فإذا كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه تعالىٰ، وهو من الأسماء التي دلت علىٰ كماله سبحانه وبحمده: فجحود معنىٰ هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك، فإن جَهْم بن صفوان ومن تبعه يزعُمون أنها لا تدل علىٰ صفة قائمة بالله تعالىٰ، وتبعهم علىٰ ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

فلهذا كفرهم كثيرون من أهل السنة. قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِنَ العُلَمَاءِ فِي البُلْدَانِ
وَاللالَكَائِيُّ الإِمَامُ حَكَاهُ عَنْـ ... ـهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم علىٰ التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل علىٰ أصل باطل أصّلوه من عند أنفسهم، فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام. فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا.

هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلَّا ما فهموه من خصائص صفات

---

(١) سيأتي الكلام علىٰ ذلك في آخر هذا الباب.

المخلوقين، فشبَّهوا الله في ابتداء رأيهم الفاسد بخلقه، ثم عطَّلوه من صفات كماله، وشبَّهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات.

فشبهوا أولًا وعطلوا ثانيًا، وشبَّهوا ثالثًا بكل ناقص أو معدوم، فتركوا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة، من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته.

هذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها؛ فإنهم أثبتوا الله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يُحتذىٰ حذوه، فكما أن هؤلاء المعطِّلة يُثبتون لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، لا تُشْبه صفات خلقه.

فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يتناقضوا، وأولئك المعطِّلةُ كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك فتناقضوا. فبطل قولُ المعطِّلين بالعقل والنقل - ولله الحمد والمنة -، وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين.

وقد صنَّف العلماء - رحمهم الله تعالىٰ - في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في إبطال هذه البدع، وما فيها من التناقض والتهافتُ: كالإمام أحمد - رحمه الله تعالىٰ - في رده المشهور، و«كتاب السنة» لابنه عبد الله، وصاحب «الحَيدة» عبد العزيز الكناني في ردِّه علىٰ بشر المرِّيسي، و«كتاب السنة» لأبي عبد الله المروَزي، وردِّ عثمان بن سعيد علىٰ الكافر العنيد وهو بشر المريسي، و«كتاب التوحيد» لإمام الأئمة محمد بن خُزيمة الشافعي، و«كتاب السنة» لأبي بكر الخلال، وأبي عثمان الصابوني الشافعي، وشيخ الإسلام الأنصاري، وأبي عمر ابن عبد البر النمري، وخلق كثير من أصحاب الأئمة الأربعة وأتباعهم، وأهل الحديث.

ومن متأخريهم: أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن قدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم. فلله الحمد والمنة علىٰ بقاء السنة وأهلها، مع تفرُّق الأهواء وتشعُّب الآراء. والله أعلم.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** وفي «صحيح البخاري»، قال عليٌّ: حدِّثوا الناس بما يعرفون؛ أتُريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله؟[(١)].

ش: علي: هو أمير المؤمنين أبو الحسن، علي بن أبي طالب، وأحدُ الخلفاء الراشدين. وسبب هذا القول - والله أعلم - ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس علىٰ الحديث، وكثرة القُصَّاص وأهل الوعظ. فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل[(٢)] فربما استنكرها بعض الناس وردها. وقد يكون لبعضها أصل أو معنىٰ صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك، فأرشدهم أمير المؤمنين رضي الله عنه إلىٰ أنهم لا يحدثون عامة الناس إلَّا بما هو معروف ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال والحرام الذي كلِّفوا به علمًا وعملًا، دون ما يُشغل عن ذلك، مما قد يؤدي إلىٰ رد الحق وعدم قبوله، فيُفضي بهم إلىٰ التكذيب، ولا سيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم.

وقد كان شيخُنا المصنف رحمه الله لا يُحب أن يقرأ علىٰ الناس إلَّا ما ينفعهم في أصل دينهم، وعبادتهم ومعاملاتهم، الذي لا غنىٰ لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي: كـ«المنعش»، و«المرعش»، و«التبصرة»؛ لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده. والمعصوم من عصمه الله.

وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهىٰ القُصَّاص عن القَصَص، لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك، ويقول: لا يقص إلَّا أمير أو مأمور[(٣)].

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٧).

(٢) وقد كان هؤلاء القصاص لعدم تحريهم الصدق سببًا في وضع كثير من الأحاديث علىٰ رسول الله ﷺ، ذكرها أئمة الجرح والتعديل، وحذروا الناس منها. ودونوا دواوين الصحاح والسنن والمسانيد. فلا ينبغي لأحد اليوم أن ينسب إلىٰ النبي ﷺ حديثًا إلَّا بذكر من خرجه، وخير وأولىٰ أن يشفعه ببيان درجته من الصحة أو الضعف، إذا كان في غير الصحيحين.[الفقي].

(٣) صحيح بشواهده مرفوعًا: رواه أحمد (٢/ ١٧٨، ١٨٣)، والدارمي (٢/ ٣١٩)، وابن ماجه (٣٧٥٣)، والطبراني في الصغير» (١/ ٢١٦) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا وهذا إسناد حسن، وله شاهد من حديث عوف بن مالك، رواه أبو داود (٣٦٦٥)، وأحمد (٢٣٩٧٢، ٢٣٩٧٤، ٢٣٩٩٤، ٢٤٠٠١)، وابن قانع في =

وكلٌّ هذا محافظة علىٰ لزوم الثبات علىٰ الصراط المستقيم علمًا وعملًا ونية وقصدًا، وترك كل ما كان وسيلة إلىٰ الخروج عنه من البدع ووسائلها، والله الموفق للصواب، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ:** وروىٰ عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأىٰ رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات - استنكارًا لذلك - فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رِقَّةً عند مُحكَمه، وَيهلَكون عند متشابهه[1]. انتهىٰ.

ش: قوله: **(وروىٰ عبد الرزاق)** هو ابن همام الصنعاني المحدِّث، مُحدِّث اليمن صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن مَعْمر بن راشد صاحب الزهري، وهو شيخ عبد الرزاق يروي عنه كثيرًا.

ومَعْمَر - بفتح الميمين وسكون العين - أبو عروة بن أبي عمرو، راشد الأزدي الحرَّاني ثم اليماني، أحدُ الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري، يروي عنه كثيرًا.

قوله: **(عن ابن طاوس)** هو عبد الله بن طاوس اليماني. قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قوله: **(عن أبيه)** هو طاوس بن كَيْسان الجَنَدي - بفتح الجيم والنون - الإمام العَلَم، قيل: اسمُه ذَكوان. قاله: ابنُ الجوزي.

قلت: وهو من أئمة التفسير، ومن أوعية العلم، قال في «تهذيب الكمال»: عن الوليد المُوقَّري، عن الزهري، قال: قدمتُ علىٰ عبد الملك بن مروان، فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قال: قلتُ: من مكة، قال: من خلَّفت يسودها وأهلَها؟ قلتُ: عطاء بن أبي رباح.

=

«معجم الصحابة» والطبراني في «الكبير» (١٨) رقم (١٢١)، وفي «الأوسط» (٤٠٧٤)، وفي الشاميين (٦١)، وابن وهب في جامعه (٥٧٤)، وقد اختلف علىٰ عوف بن مالك في الوصل والإرسال، انظر كلام الشيخ شعيب في تحقيقه «مسند أحمد» (٦/ ٢٣) رقم (٢٣٩٧٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٢/ ٦٩٨).

(١) **إسناده صحيح:** رواه عبد الرزاق (٢٠٨٩٥) بلفظ قريب، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٥) من طريق معمر، عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس به، وإسناده صحيح.

قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلتُ: من الموالي. قال: فَبِمَ سادهم؟ قال: قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قالَ: فمَن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيْسان. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فبم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء. قال: إنه لينبغي ذلك. قال: فمن يسود مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبدٌ نوبي أعتقته امرأة من هُذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مُزاحم. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن البصري. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: ويلك، ومن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلتُ: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب. قال: ويلك يا زهري فرَّجت عني، والله لتسودن الموالي علىٰ العرب في هذا البلد، حتىٰ يُخطب لها علىٰ المنابر والعرب تحتها. قال: قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنما هو دين، مَن حفظه سادَ، ومن ضيَّعه سقط[1].

قوله: **(عن ابن عباس)** قد تقدم، وهو حَبْرُ الأمة وترجمان القرآن، ودعا له النبي ﷺ، وقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[2]. وروىٰ عنه أصحابه أئمة التفسير: كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس وغيرهم.

قوله: **(ما فَرَقُ هؤلاء؟)** يستفهم من أصحابه، يشير إلىٰ أُناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن ومعناه، حصل معهم فَرَق أي: خوف، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيمان

---

(١) إسناده ضعيف جدًّا: رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص١٩٨، ١٩٩)، وانظر «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٨١ - ٨٢) من طريق الوليد بن محمد الموقري عن الزهري به. والوليد بن محمد الموقري متروك كذبه غير واحد من أهل العلم.

(٢) إسناده صحيح: وقد سبق تحت باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

الواجب الذي أوجبه الله تعالىٰ علىٰ عباده المؤمنين[١].

قال الذهبي: حدَّث وكيع - عن إسرائيل - بحديث: إذا جلس الربُّ علىٰ الكرسي. فاقشعر رجلٌ عند وكيع، فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدِّثون بهذه الأحاديث ولا يُنكرونها[٢]. أخرجه عبد الله في كتاب «الرَّد علىٰ الجهمية».

وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول تركُ ما وجب من الإيمان به، فتُشبه حالهم حال من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]. فلا يسلم من الكفر إلَّا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الإيمان بكتاب الله كله واليقين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس رضي الله عنهما تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن، وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن.

وبعضُهم يفهم منه غيرَ المراد من المعنىٰ الذي أراد الله، فيحملُه علىٰ غير معناه، كما جرىٰ لأهل البدع: كالخوارج والرافضة والقدرية، ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن علىٰ بدعته.

وقد وقع منهم ما وقع، من الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم، فإن الواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنىٰ الآيات يُبيِّن معنىٰ قول ابن عباس.

وسببُ هذه البدع جهلُ أهلها وقصورهم في الفهم، وعدمُ أخذ العلوم الشرعية علىٰ وجهها، وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها، الذين وفقهم الله تعالىٰ لمعرفة المُراد، والتوفيق

---

(١) قال الشيخ رحمه الله في قرة عيون الموحدين: وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعة القدرية كما في صحيح مسلم وغيره، فقتل من دعاتهم غيلان. قتله هشام بن عبد الملك لما أصر علىٰ قوله بنفي القدر. ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية، فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحىٰ بعد صلاة العيد بمكة. اهـ[الفقي].

(٢) انظر مختصر العلو للذهبي (صـ ١٦٨)، والحديث رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٨٥، ٩٥٨٧) من طريق عبد الله بن خليفة عن عمر موقوفًا، وعبد الله بن خليفة مجهول.

بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضًا، وردِّ المتشابه إلىٰ المُحْكَم. وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فلله الحمد لا نُحصي ثناءً عليه.

ذكر ما ورد عن علماء السلف في المتشابه:

قال في «الدر المنثور»: أخرج الحاكم – وصححه – عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّل يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زَجْرٍ، وأمْرٍ وَحَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ. فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**»[1].

قال: وأخرج عبد بن حميد، عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾. قال: طلب القوم التأويل، فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة، وطلبوا ما تشابه منه، فهلكوا بين ذلك.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]قال: منهن قوله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣] إلىٰ ثلاث آيات، ومنهن: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٦] إلىٰ ثلاث الآيات بعدها[2].

وأخرج ابن جرير من طريق أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود وناس من الصحابة: المُحكمات: الناسخات التي يُعمل بهن،

---

(١) إسناده ضعيف:رواه الحاكم (١/ ٥٥٣، ٢/ ٢٨٩)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٣١٠٢)، وابن حبان (٧٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٢٩٦)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (صـ٤٤). من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عوف عن ابن مسعود مرفوعًا. وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود كما قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٩)، وضعف الإسناد. ورواه أحمد (١/ ٤٤٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٠٩٤)، وعمر بن شبه في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠٠٦)، وابن أبي داود في «المصاحف» (٦٦) من طريق فلفلة الجعفي عن عبد الله بن مسعود قوله، وفلفلة الجعفي مجهول.

(٢) إسناده ضعيف:رواه الطبري (٦٥٧٠)، وابن أبي حاتم (٣١٦٩)، ونحوه (٣١٦٨)، والحاكم (٢/ ٢٨٨) مختصرًا من طريق أبي إسحاق عمن حدثه، وفي بعضها عبد الله بن قلابة، وفي بعضها عبد الله بن قيس عن ابن عباس موقوفًا. والراوي عنه مبهم، وإن كان عبد الله بن قيس فهو مجهول.

والمُتشابهات: المنسوخات[1].

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن إسحاق بن سُويد: أن يحيىٰ بن يَعْمُر وأبا فاختة تراجعا هذه الآية: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فقال أبو فاختة: هن فواتح السور، منها يُستخرج القرآن ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١، ٢] منها استُخرجت «البقرة»، و﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١، ٢] منها استخرجت «آل عمران». وقال يحيىٰ: هن اللاتي فيهن الفرائض، والأمر والنهي والحلال والحرام، والحدود وعماد الدين[2][3].

وأخرج ابن جرير، عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: المحكمات حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس فيها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلىٰ الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، لا يُصرفن إلىٰ الباطل ولا يحرفن عن الحق[4].

وأخرج ابن أبي حاتم، عن مقاتل بن حيَّان: إنما قال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأنه ليس من أهل دين لا يرضىٰ بهن. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يعني: فيما بلغنا ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿الٓمٓر﴾[5].

---

(١) في إسناده ضعف: رواه الطبري في «تفسيره» (٦٥٧٣) من طريق أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ فذكره. وأسباط فيه ضعف، والسدي فيه مقال وإن كان حديثه حسن، وقد قال الإمام أحمد في السدي: إنه ليحسن الحديث إلَّا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسنادًا واستكلفه. وروىٰ الطبري نحوه (٦٥٧٢) بإسناد العوفي عن ابن عباس فالإسناد ضعيف.

(٢) إسناده حسن: رواه الطبري في «تفسيره» (٦٥٨٦، ٦٥٨٨)، وابن أبي حاتم (٣١٧٢) من طريق إسحاق بن سويد به.

(٣) تمام الأثر عند ابن جرير: (وضرب لذلك مثلًا. فقال: أم القرىٰ مكة. وأم خراسان مرو. وأم المسافرين: الذي يجعلون إليه أمرهم. ويعني بهم في سفرهم. قال: فذاك أمهم).[الفقي] .

(٤) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٦٥٨٤)، وفي الإسناد ابن حميد، وهو ضعيف.

(٥) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي حاتم (٣١٧٦) من طريق محمد بن مزاحم عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان به. ومحمد بن مزاحم مجهول، وبكير صدوق فيه لين، قاله: الحافظ.

قلت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشعر بأن أسماء الله تعالىٰ وصفاته من المتشابه، وما قاله النفاة من أنها من المتشابه دعوىٰ بلا برهان.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن: أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ش: روىٰ ابن جرير عن قتادة: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ زمن الحديبية حين صالح قريشًا كتب «**هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله**»، فقال مشركو قريش[1]: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك، ولكن أكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: دعنا يا رسول الله نقاتلهم. فقال: «**لَا، وَلَكِنِ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ: إِنِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله**». فلما كتب الكاتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، قالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه – وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللهم – فقال أصحابه: يا رسول الله دعنا نقاتلهم! قال: «**لَا. وَلَكِنِ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ**»[2].

وروىٰ أيضًا عن مجاهد قال: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد: ٣٠] الآية. قال: هذا لما كاتب رسول الله ﷺ قريشًا في الحديبية، كتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قالوا: لا تكتب الرحمن، وما ندري ما الرحمن؟ ولا نكتب إلَّا: باسمك اللهم. قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3].

وروىٰ أيضًا عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ يدعو ساجدًا: يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا وهو يدعو مثنىٰ مثنىٰ، فأنزل الله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[4] [الإسراء: ١١٠].

---

(١) الذي كان يقول ذلك هو سهيل بن عمرو الذي ندبته قريش ليتولىٰ عنها عقد هذا الصلح مع رسول الله ﷺ. [الفقي].

(٢) إسناده صحيح: إلىٰ قتادة ولكنه معضل بين قتادة والنبي ﷺ. رواه الطبري (٢٠٣٩٦) من طريق سعيد عن قتادة به. وانظر البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٣) إسناده ضعيف: إلىٰ مجاهد، رواه الطبري (٢٠٣٩٧) من طريق ابن جريج عن مجاهد فذكره، وابن جريج مدلس وقد عنعن، وقيل: لم يسمع من مجاهد إلَّا حرفًا.

(٤) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢٨٠١) من طريق محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن =

* قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة أنه يُفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك وأنه أهلكه.

* * *

=

أبي الجوزاء عن ابن عباس به؛ ومحمد بن كثير المصيصي ضعيف. وجاء نحوه عن عائشة عند البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧١) من طريق أبي الجوزاء - أوس بن عبد الله - عن عائشة وهو منقطع بينهما.

(٤٠)

باب: قول الله تعالى:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالىٰ:** ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣].

قال مجاهد - ما معناه -: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي. وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

ش: ذكر المصنف رحمه الله تعالىٰ ما ذكر بعض العلماء في معناها.

وقال ابن جرير: فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ بالنعمة. فذكر عن سفيان، عن السدي: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾. قال: محمد ﷺ. وقال آخرون: بل معنىٰ ذلك: أنهم يعرفون أن ما عدّد الله تعالىٰ ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم.

وأخرج عن مجاهد: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾. قال: هي المساكن والأنعام وما يُرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره، بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورثنا إياه[1]. وقال آخرون: معنىٰ ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك

---

(١) في إسناده ضعف: رواه الطبري في «تفسيره» من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد به نحوه، وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس، وقد عنعن، وقد قال بعض أهل العلم: إنه لم يسمع التفسير من مجاهد، وتابع ابنَ أبي نجيح ابنُ جُريج كما عند الطبري (٢١٨٤١)، ولكن ابن جريج مدلس، وقد عنعن، ثم إن البرديجي قال: لم يسمع من مجاهد إلَّا حرفًا واحدًا، وقال أبو حاتم ابن حبان: ابن أبي نجيح وابن جريج نظرا في كتاب القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في التفسير فرويا عن مجاهد من غير سماع «الثقات» (٧/ ٥)، وراجع رواية ابن أبي نجيح، وابن جريج، عن مجاهد في «التفسير» في تحقيقي لـ «حادي الأرواح» فقد أطلت النفس في ذلك (صـ٢٦٦).

بشفاعة آلهتنا[1].

وذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ مثل هذا عن ابن قتيبة، وهو: أبو محمد، عبد الله بن مُسلم بن قُتيبة الدِّيْنوري قاضي مصر[2] النحوي اللغوي، صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية علىٰ علوم جمة، اشتغل ببغداد وسمع الحديث علىٰ إسحاق بن راهَوْيه وطبقته. توفي سنة ستٍ وسبعين ومائتين.

وقال آخرون: ما ذكره المصنف عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهُذلي أبو عبد الله الكوفي الزاهد. روىٰ: عن أبيه، وعائشة، وابن عباس. وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري. وثقه أحمد، وابن معين. قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة. ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: إنكارهم إياها: أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا[3].

واختار ابن جرير القول الأول، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها. وهو الصواب. والله أعلم.

قوله: (قال مجاهد): هو شيخ التفسير: الإمام الرباني، مجاهد بن جَبر المكي، مولىٰ بني مخزوم. قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهدًا يقول: عرضتُ القرآن علىٰ ابن عباس ثلاث مرات، أقفه عند كل آية وأسأله: فيم نزلت؟ وكيف نزلت؟ وكيف معناها[4]؟ توفي سنة اثنتين ومائة. وله ثلاث وثمانون سنة.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد،**

---

(١) **قال الطبري**: وقال آخرون: معنىٰ ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

(٢) لعله قاضي الدينور، فإنه لم يتولَ القضاء إلَّا فيها. [الفقي].

(٣) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٢١٨٤٢) من طريق ليث عن عون بن عبد الله، به وليث بن أبي سليم ضعيف.

(٤) حسن بطريقيه: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٩) من طريق محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد فذكره، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن، ورواه (٣/ ٢٨٠) من طريق الفضل بن ميمون أبي الليث عن مجاهد. والفضل ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٦٧)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، فالأثر يحسن بهما.

الذي فيه: أن الله تعالىٰ قال: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» الحديث[1]. وقد تقدم -: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يُضيفُ إنعامه إلىٰ غيره ويُشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جار علىٰ ألسنة كثير.

ش: قوله: (وقال أبو العباس): هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الإمام الجليل - **(بعد حديث زيد بن خالد)** - وقد تقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

قال: (وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلىٰ غيره ويشرك به).

(قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا. ونحو ذلك مما هو جار علىٰ ألسنة كثير). انتهىٰ.

وكلام شيخ الإسلام يدل علىٰ أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلىٰ غير الله الذي أنعم بها، وأسند أسبابها إلىٰ غيره، كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا.

قال شيخنا رحمه الله تعالىٰ: وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

*** قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جار علىٰ ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

* * *

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٧١).

(٤١)

باب: قول الله تعالى

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى:** ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

ش: الند: المثل والنظير. وجَعْلُ الند لله: هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله، كحال عَبَدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم.

وهذه الآية في سياق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

قال العماد ابن كثير في «تفسيره»: قال أبو العالية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: عُدلاء شركاء، وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبو مالك وإسماعيل ابن أبي خالد.

وقال ابن عباس: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: لا تشركوا بالله شيئًا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه[١]. وكذلك قال قتادة.

وعن قتادة ومجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ قال: أكفاء من الرجال تُطيعونهم في معصية الله[٢].

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٤٨٦)، وابن أبي حاتم (٢٣١) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، ومحمد مجهول، وهو ضعيف.

(٢) في إسناده ضعف: رواه الطبري (٤٨٢) من طريق أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، وهذا الإسناد ضعيف وسبق الكلام

وقال ابنُ زيد: الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له(١).

وعن ابن عباس ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: أشباهًا(٢).

وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾. قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل(٣).

وذكر حديثًا في معنىٰ هذه الآية الكريمة، وهو ما في «مسند الإمام أحمد»: عن الحارث الأشعري: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَأَنَّهُ كَادَ يُبْطِئُ بِهَا. فَقَالَ لَهُ عِيسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي. قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَىٰ بْنُ زَكَرِيَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّىٰ امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ فَقُعِدَ عَلَىٰ الشُّرَفِ. فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

أُولَاهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَىٰ عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا.

=

عليه. وقد رُوي عن مجاهد أنه قال: أنه إله واحد في التوراة والإنجيل، عند الطبري (٤٨٨)، وابن أبي حاتم (٢٣٢)، ومن طريق رجل عن مجاهد والرجل مبهم. وجاء عن قتادة: في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون له أندادًا رواه الطبري (٤٨٧)، وابن أبي حاتم (٢٣٣) من طريق سعيد عن قتادة ورجاله ثقات.

(١) إسناده صحيح: إلىٰ ابن زيد، رواه الطبري (٤٨٣) من طريق ابن وهب عنه.

(٢) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٤٨٤)، وابن أبي حاتم (٢٢٨) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس به. وبشر بن عمارة ضعيف، والضحاك لم يسمع ابن عباس.

(٣) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٤٨٨)، وابن أبي حاتم (٢٣٢) من طريق رجل عن مجاهد والرجل مبهم.

وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ. وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَىٰ عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّىٰ فَكَّ نَفْسَهُ.

وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ تعالىٰ كَثِيرًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ فَأَتَىٰ حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَىٰ[1] جَهَنَّمَ». قالوا: يا رسول الله وإن صلىٰ وصام؟ فقال: «وَإِنْ صَلَّىٰ وَصَامَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِم الَّتِي سَمَّاهُمُ اللهُ ﷻ: الْمُسْلِمِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ»[2].

هذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

وهذه الآية دالة علىٰ توحيد الله تعالىٰ بالعبادة، وحده لا شريك له.

وقد استدل بها كثير من المفسرين علىٰ وجود الصانع، وهي دالة علىٰ ذلك بطريق الأولىٰ. والآيات في القرآن الدالة علىٰ هذا المقام كثيرة جدًّا. وسُئل أبو نواس عن ذلك، فأنشد:

---

(١) الجثا: بضم الجيم وفتح الثاء المثلثة مقصورًا - جمع جُثو بضم الجيم - وهو الشيء المجموع. قال ابن الأثير: وتروىٰ هذه الكلمة (جثي) بضم الجيم وكسر الثاء وتشديد الياء. جمع جاث: هو الذي يجلس علىٰ ركبتيه.[الفقي].

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٦٣٤٩)، وأحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢، ٣٤٤)، وأبو يعلىٰ (١٥٧١)، وابن خزيمة (٤٨٣، ٩٣٠، ١٨٩٥)، وابن حبان (٦٢٣٣)، والحاكم (١/ ١١٨، ٢٣٦، ٤٢١)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٣٠)، وغيرهم مختصرًا ومطولًا من طريق زيد بن سلام عن جده ممطور أبي سلام عن الحارث الأشعري مرفوعًا.

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَىٰ آثَارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ فَاتِرَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَىٰ قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وقال ابن المعتز:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَىٰ الإلَـ ... ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك، أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء في ظُلمة الليل. وهو أن تقول: والله وحياتك يا فُلان وحياتي. وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البَطُّ في الدار لأتانا اللصوص. وقولُ الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا. هذا كله به شرك[1]. رواه ابن أبي حاتم.**

ش: بيَّن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا كله من الشرك، وهو الواقع اليوم علىٰ ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك.

فتنبه لهذه الأمور؛ فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه؛ لكونه من أكبر الكبائر.

وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنىٰ من الشرك علىٰ الأعلىٰ.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»[2]. رواه الترمذي وحسنه،**

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٢٩) من طريق شبيب بن بشر، ثنا عكرمة عن ابن عباس به، وشبيب مختلف فيه، قال الدوري عن ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يخطئ كثيرًا، فهو إلىٰ الضعف أقرب، والله أعلم.

(٢) حسن لغيره: رواه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (١/ ١٨، ٥٢) (٤/ ٢٩٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٥٩٢٦)، والطيالسي (٢٠٠٨) ط. هجر. والطحاوي في «مشكل الآثار» (٨٢٥، ٨٢٦)، والبغوي =

وصححه الحاكم[١].

=

في «الجعديات» (٩٣٥)، وأحمد (٣٢٩، ٤٩٠٤، ٥٥٩٣، ٥٣٧٥، ٥٢٢٢، ٥٢٥٦، ٦٠٧٢)، والبيهقي (١٠/ ٢٩)، وابن حبان كما في «الإِحسان» (٤٣٥٨) من طريق سعد بن عبيدة، عن ابن عمر به، وجاء عند بعضهم، عن سعد بن عبيدة، قال: كنت جالسًا عند عبد الله بن عمر، فجئت سعيد بن المسيب، وتركت رجلًا من كندة، فجاء الكندي مروعًا، فقلت: ما وراءك؟ قال: جاء رجل إلىٰ عبد الله بن عمر آنفًا فقال: أحلف بالكعبة... فذكر الحديث. انظر أحمد (٢/ ٨٦ - ٨٧، ١٢٠)، والبيهقي (١٠/ ٢٩)، وجاء في بعض الطرق اسم الكندي أنه محمد، ولذا قال البيهقي: وهذا لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر. وجاء في بعض الطرق أن سعدًا كان في حلقة مع ابن عمر فسمع منه الحديث. انظر أحمد (٢/ ٥٨، ٦٠)، وسواء سمع سعد هذا الحديث من ابن عمر أو كانت هناك واسطة، وهو هذا الرجل الكندي فإن للحديث شواهد. منها ما رواه أحمد (٥٣٤٦) حدثنا عتاب، حدثنا عبد الله أخبرنا موسىٰ بن عقبة عن سالم، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله....»** فقال فيه قولًا شديدًا، وإسناده صحيح، وهذا القول الشديد قد يفسر بالشرك كما فسره الشيخ الألباني والشيخ أحمد شاكر رحمهما الله. وللحديث شاهد آخر من حديث قتيلة بلفظ: أن يهوديًا أتىٰ النبي ﷺفقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمر النبي ﷺأن يقولوا: **«وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»**، ويقول أحدكم: **«مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»**. رواه النسائي (٧/ ٦)، وأحمد (٦/ ٣٧١ - ٣٧٢)، والطبراني (٢٥/ ١٤)، والترمذي في «العلل الكبير» (٤٥٧)، والحاكم (٤/ ٢٩٧) من طريق معبد بن خالد، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة به، وقد أعله البخاري، فقال الترمذي في «العلل الكبير» (صـ٢٥٤): سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال: هكذا روىٰ معبد بن خالد، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة، وقال منصور عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة، قال محمد: حديث منصور أشبه عندي بالصواب. اهـ.

قلت: يشير إلىٰ ما رواه أحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٢٤، ٣٢٨)، وأبو داود (٤٩٨٠)، وغيرهم، وسيأتي تخريجه في الحديث بعد الآتي من طريق شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة عن النبي ﷺ: **«لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»** وصحح الحديث الشيخ الألباني في «الإِرواء» (٨/ ١٩)، والشيخ أحمد شاكر في تحقيقه «المسند» (حـ٥٣٤٦)، وانظر «فقه الأيمان» لأخي أبي مصعب عاصم جاد (صـ ٤٤).

تنبيه: أكثر الروايات بذكر الحديث من مسند عبد الله بن عمر، وقد جاء في بعض الروايات بذكر الحديث من مسند عمر.

(١) وذلك لأن حقيقة اليمين والقصد منه: إنما هو تأكيد الحالف قوله بالقسم بالمحلوف به الذي يقدر أن ينتقم منه ويعاقبه إن كان كاذبًا. ولذلك ترىٰ أكثر العامة يحلفون بالله كذبًا غير مبالين. فإذا استحلفوا بمن يعظمونه من الموتىٰ والأولياء، ويعتقدون له السر والتصرف تكعكعوا وصدقوا، وإن كان في ذلك ذهاب بعض ما يحرصون عليه من منفعة، يضحون بها خوفًا من عقاب وانتقام وتصرف ذلك الولي فيهم. ويؤكدون اعتقادهم هذا

=

ش: قوله: «فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» يحتمل أن يكون شكًّا من الراوي. ويحتمل أن تكون أو بمعنىٰ الواو، فيكون قد كفر وأشرك. ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كما هو من الشرك الأصغر. وورد مثل هذا عن ابن مسعود بهذا اللفظ.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا**[1].

ش: ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر؛ كما تقدم بيان ذلك.

فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟ كدعوة غير الله والاستغاثة به، والرغبة إليه، وإنزال حوائجه به، كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها: من تعظيم القبور، واتخاذها أوثانًا، والبناء عليها، واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة مَن بُنيت باسمه وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال.

وقد عظُمت البلوىٰ بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه.

=

بحكايات مكذوبة يذيعها سدنة هذه المعابد الوثنية لجر النفع المادي باعتقاد العامة في أوليائهم. فيحكون أن رجلًا سرق سمكة مملحة، وأكلها فاستحلفه المسروق منه بالله فأقسم بالله ثلاث مرات بأنه لم يأخذها ولم يرها فلم يحصل له شيء. فاستحلفه بأحمد البدوي فما كاد يلفظ الاسم حتىٰ سبقت السمكة من بطنه ولفظها. وذلك منهم اعتقاد أن البدوي أغير وأعز وأقدر من الله الحي القيوم العزيز الحكيم. قبحهم الله وأخزاهم. [الفقي].

(١) ضعيف: رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨/ ٤٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٠٢) من طريق وبرة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسعود به. وإسناده منقطع، فابن مسعود توفي سنة ٣٢، ووبرة توفي سنة ١١٦، فبين وفاتهما حوالي ٨٤ سنة، فيغلب علىٰ الظن الانقطاع.

ورواه أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ١٨١)، وفي «الحلية» (٧/ ٢٦٧) من طريق محمد بن معاوية، ثنا عمر بن علي المقدمي، ثنا مسعر، عن وبرة، عن عبد الله به، إلَّا أن في رواية الحلية، يذكر واسطة بين وبرة وعبد الله وهو همام، وفي الإسناد محمد بن معاوية بن أعين النيسابوري، وهو متروك، وعمر بن علي المقدمي، وهو ثقة، وكان يدلس تدليسًا شديدًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: ٣٧]. كفرهم الله تعالىٰ بدعوتهم من كانوا يدعونه من دونه في الدار الدنيا. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢٠ - ٢١].

وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر، فخالفوا ما بلغ به الأمة، وأخبر بـه عـن نفسـه ﷺ، فعاملوه بما نهاهم عنه: من الشرك بالله، والتعلّق علىٰ غير الله؛ حتىٰ قال قائلهم:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ

إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وإِلَّا فَقُلْ: يَا زَلَّةَ القَدَمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

فانظر إلىٰ هذا الجهل العظيم، حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلَّا بعياذه ولياذه بغير الله.

وانظر إلىٰ هذا الإطراء العظيم، الذي تجاوز الحد في الإطراء؛ الذي نهىٰ عنه ﷺ بقوله: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**»[1]. رواه مالك وغيره[2].

وقـد قـال تعـالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. فانظر إلىٰ هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة، والمحادة لله ورسوله، وهذا الذي يقوله هذا الشاعر[3] هو الذي في نفوس كثير، خصوصًا ممن يدعي العلم والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القربات، فإنا لله وإنا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) رواه البخاري عن ابن عباس عن عمر في باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] من كتاب أحاديث الأنبياء وفي كتاب الحدود في باب رجم الحبلىٰ في الزنا إذا أحصنت. قال الحافظ في الفتح (جـ٦ صـ٣١٤) تقول: أطريت فلانًا. مدحته فأفرطت في مدحه.[الفقي].

(٣) هو البوصيري في قصيدته المشهورة بالبردة؛ التي هي عند الناس بمنزلة القرآن، وربما عظمها بعضهم أكثر. فإنه يواظب علىٰ قراءتها أكثر مما يواظب علىٰ قراءة القرآن.[الفقي].

إليه راجعون.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»[1]. رواه أبو داود بسند صحيح.**

ش: وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويًا للمعطوف عليه، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا. وتسوية المخلوق بالخالق شرك إن كان في الأصغر - مثل هذا - فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما قال تعالىٰ عنهم في الدار الآخرة: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨] بخلاف المعطوف بـ: ثم؛ فإن المعطوف بها يكون مُتراخيًا عن المعطوف عليه بمهملة، فلا محذور؛ لكونه صار تابعًا.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان[2].**

ش: قد تقدم الفرق بين ما يجوز وبين ما لا يجوز من ذلك. وهذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء. وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك. وأما في حق

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٨٢١)، وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)، وابن أبي شيبة (٩/ ١١٧، ١٠/ ٣٤٦)، والطيالسي في «مسنده» (٤٣١) ط. هجر، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٦٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣/ ٢١٦)، وفي «الاعتقاد» (صـ١٧٩)، وفي «الأسماء والصفات» (٢٩٤)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤١) من طريق شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة به، وللحديث شواهد عن الطفيل بن سخبرة، وابن عباس، وجابر، وإن كان طريقه مرجوح وقد فصل في ذكر الشواهد شيخنا أحمد بن أبي العينين - حفظه الله - في تحقيقه لكتاب «الاعتقاد» للبيهقي (صـ ١٧٩ - ١٨٢)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٣٧)، وسيأتي الكلام علىٰ الشواهد في أحاديث آتية.

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٣٤٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن يحيىٰ التيمي، حدثنا المغيرة قال: كان إبراهيم رحمه الله .... فذكره، وإسماعيل بن إبراهيم ضعيف.

الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم، ولا قدرة لهم علىٰ نفع ولا ضر، فلا يقال في حقهم شيء من ذلك. فلا يجوز التعلُّق عليه بشيء ما، بوجهٍ من الوجوه.

والقرآن يبين ذلك، ويُنادي بأنه يجعلهم آلهةً إذا سُئلوا شيئًا من ذلك، أو رغب إليهم أحد بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر.

فمن تدبَّر القرآن ورُزق فهمه: صار علىٰ بصيرة من دينه، وبالله التوفيق.

والعلم لا يؤخذ قَسْرًا وإنما يؤخذ بأسباب ذُكر بعضها في قوله:

أَخِـي لَـنْ تَنَـالَ الْعِلْـمَ إِلَّا بِـسِتَّةٍ ... سَـأُنْبِيكَ عَـنْ تَفْـصِيلِهَا بِبَيَـانِ

ذَكَـاءٍ وَحِـرْصٍ وَاجْتِهَـادٍ وبُلْغَـةٍ ... وَإِرْشَـادِ أُسْـتَاذٍ وَطُـولِ زَمَـانِ

وأعظم من هذه الستة من رزقه الله تعالىٰ الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله فهو الموفق لمن شاء من عباده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

ولقد أحسن العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ - حيث قال:

وَالجَهْـلُ دَاءٌ قَاتِـلٌ وَشِـفَاؤُهُ ... أَمْـرَانِ فِي التَّرْكِيـبِ مُتَّفِقَـانِ

نَـصٌّ مِـنَ القُـرْآنِ أَوْ مِـنْ سُـنَّةٍ ... وَطَبِيـبُ ذَاكَ العَـالِمُ الرَّبَّـانِي

وَالعِلْـمُ أَقْـسامٌ ثَـلَاثٌ مَـا لَـهَا ... مِـنْ رَابِـعٍ وَالحَـقُّ ذُو تِبْيَـانِ

عِلْـمٌ بِأَوْصَـافِ الإِلَـهِ وَفِعْلِـهِ ... وَكَـذَلِكَ الأَسْـمَاءُ لِلـرَّحْمَنِ

وَالْأَمْـرُ وَالنَّهْـي الَّـذِي هُـو دِينُـهُ ... وَجَـزَاؤُهُ يَـوْمَ الْمَعَـادِ الثَّـانِي

وَالْكُـلُّ فِي القُـرْآنِ والـسُّنَنِ الَّتِـي ... جَـاءَتْ عَـنِ الْمَبْعُـوثِ بِـالْقُرْآنِ

وَاللهِ مَـا قَـالَ امْـرُؤٌ متَحَـذْلِقٌ ... بِـسِوَاهُمَا إِلَّا مِـنَ الهَـذَيَانِ

*** قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة ﭫ يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

* * *

(٤٢)
بَابُ: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

* قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ. مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ. وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِن اللهِ»[1]. رواه ابن ماجه بسند حسن.

ش: قوله: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ» تقدم النهي عن الحلف بغير الله عمومًا.

قوله: «مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ» هذا مما أوجبه الله علىٰ عباده وحضّهم عليه في كتابه. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة: ١١٩]. وقال: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥] وقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ٢١﴾[محمد: ٢١].

وهو حال أهل البر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾[البقرة: ١٧٧].

وقوله: «وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِن اللهِ»، أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة علىٰ خصمه إِلَّا اليمين فأحلفه، فلا ريب أنه يجب عليه الرضا.

---

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن ماجه (٢١٠١) حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة، ثنا أسباط بن محمد، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، فذكره مرفوعًا، ومحمد بن عجلان مضطرب في حديث نافع، قاله العقيلي، كما في «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٠٥)، وقال: يحيىٰ القطان: كان ابن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع ولم يكن له تلك القيمة عنده، كما عند العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١١٨)، وقد رواه البخاري (٦٦٤٦، ٤٦٧٩)، ومسلم (طرف حديث ١٦٤٦) من طريق مالك والليث وجويرية، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» وتابع نافع علىٰ ذلك سالم وعبد الله بن دينار. انظر: «البخاري» (٦٦٤٨)، ومسلم (حديث ١٦٤١)، وأطرافه.

وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك، فهذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حلف له معتذرًا أو متبرئًا من تهمة، ومن حقه عليه: أن يُحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه؛ كما في الأثر عن عمر: ولا تظُنن بكلمةٍ خرجت من أخيك شرًّا وأنت تجدُ لها من الخير محملًا[1].

وفيه: من التواضع والألفة والمحبة، وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم؛ وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله. ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد، كما في الحديث[2][3]، وهو من مكارم الأخلاق.

فتأمل أيها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى: من القيام بحقوقه وحقوق عباده، وإدخال السرور على المسلمين، وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم؛ فإن فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال. وبسط هذه الأمور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الأدب وغيرها. فمن رُزق ذلك، والعمل بما ينبغي العمل به منه، وترك ما يجب تركه من ذلك: دل على وفور دينه، وكمال عقله. والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين. والله أعلم.

---

(١) قال محقق «فتح المجيد» ط. الصميعي (٢/ ٦٩٨) د/ الوليد آل فريان: أخرجه أحمد في كتاب «الزهد» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٦٥)، وقال محقق «فتح المجيد» ط. مؤسسة قرطبة أبو محمد أشرف بن عبد المقصود: راجع الفرق بين النصيحة والتعيير (صـ ١٣) لابن رجب حيث ذكر هذا الأثر.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه الترمذي (٢٠٠٣)، وأبو داود (٤٧٩٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٢، ٤٤٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٧٠)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (صـ ١٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٢٨)، وعبد بن حميد (٢٠٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٠٥)، وغيرهم من طريق عطاء بن نافع «الكيخاراني»، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به مرفوعًا، وفيه: «**أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ**». وفي الحديث نوع خلاف لا يضر، انظر «العلل» للدارقطني (٦/ ٢٢١ - ٢٢٣)، وانظر تحقيق مسند أحمد (٢٧٤٩٦) ط. الرسالة، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧٦).

(٣) رواه الترمذي- وقال: حسن صحيح-، وابن حبان عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**». ورواه أبو داود مختصرًا. [الفقي].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضىٰ.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

* * *

(٤٣)
باب: قول ما شاء الله وشئت

* قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول: ما شاء الله وشئت. عن قتيلة: أن يهوديًّا أتىٰ النبي ﷺ فقال: إنكم تُشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، وأن يقولوا: «مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»(١). رواه النسائي وصححه.

ش: قوله: (عن قُتيلة) - بمثناة مصغرة -: بنت صيفي الأنصارية، صحابية مهاجرة، لها حديث في «سنن النسائي»، وهو المذكور في الباب. ورواه عنها عبد الله بن يسار الجُعفي.

وفيه: قبول الحق ممن جاء به كائنًا من كان.

وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله التي حَجُّهَا وَقَصْدُهَا بالحج والعمرة فريضة.

وهذا يبين أن النهي عن الشرك بالله عام، لا يصلح منه شيء، لا لملك مقرَّب ولا لنبي مرسل، ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه.

وأنت ترىٰ ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه إلَّا الله. ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع، وإنما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها، وجعلها للأمة قبلة. فالطواف بها مشروع والحلف بها ودعاؤها ممنوع.

فَمَيِّز أيها المكلف بين ما يُشرع وما يُمنع، وإن خالفك من خالفك من جهلة الناس الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلًا.

قوله: (إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت). والعبد وإن كان له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله، ولا قدرة له علىٰ أن يشاء شيئًا إلَّا إذا كان الله قد شاءه؛ كما قال

---

(١) إسناده صحيح: إلَّا أن له علة، وسبق الكلام عليه تحت باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] تحت الكلام علىٰ حديث عمر بن الخطاب: «وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ».

تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠].

وفي هذه الآيات والأحاديث: الردُّ علىٰ القدرية والمعتزلة، نفاة القدر، الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراد الله تعالىٰ من العبد وشاءه.

وسيأتي ما يُبطل قولهم - في باب ما جاء في منكري القدر إن شاء الله - وأنهم مجوس هذه الأمة.

وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله في كل شيء، مما يوافق ما شرعه الله وما يخالفه: من أفعال العباد وأقوالهم. فالكل بمشيئة الله وإرادته؛ فما وافق شرعه رضيه وأحبه، وما خالفه كرهه من العبد؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك؛ فإن النبي ﷺ أقر ليهودي علىٰ قوله: «إنكم تشركون».

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وله أيضًا، عن ابن عباس[(١)]: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[(٢)].**

---

(١) قال ابن كثير (جـ١ صـ١٠٤): وقال سفيان بن سعيد الثوري عن الأجلح - عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس - وساقه. رواه ابن مردويه، وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسىٰ بن يونس عن الأجلح عنه. وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد. والله أعلم. [الفقي].

(٢) إسناده حسن: رواه ابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٨٢٥)، وأحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٤٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٦)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٦)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢١٧)، وفي «الأسماء والصفات» (٢٩٣)، وابن المبارك في «مسنده» (١٨١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٦٧) من طرق عن الأجلح عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لله عَدْلًا ؟ قل: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» وفي الإسناد: الأجلح، وهو مختلف فيه، وحديثه إلىٰ الحسن أقرب، ثم إن للحديث شواهد سبقت.

ش: هذا يُقرِّر ما تقدَّم: من أن هذا شرك؛ لوجود التسوية في العطف بالواو.

وقوله: «أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟». فيه: بيان أن من سوّىٰ العبد بالله ولو في الشرك الأصغر، فقد جعله ندًّا لله شاء أم أبىٰ. خلافًا لما يقوله الجاهلون بما يختص بالله تعالىٰ من عبادته، وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه. ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين[1].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى[2]: ولابن ماجه: عن الطُّفيل - أخي عائشة لأمها - قال: رأيت فيما يرىٰ النائم كأني أتيت علىٰ نفر من اليهود، قلت: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عُزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررتُ بنفر من النصارىٰ، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارىٰ. قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت. ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهِ أَحَدًا؟» قلتُ: نعم. قال: فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَىٰ رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ، كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كذا وكذا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[3].**

---

(١) جاء حديث نحوه عند البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية مرفوعًا بلفظ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

(٢) قال ابن كثير في التفسير (جـ١ صـ١٠٤): وقال حماد بن سلمة: حدثنا عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها - وساقه - ثم قال: هكذا رواه ابن مردويه في تفسير الآية. وأخرجه ابن ماجه من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به بنحوه.[الفقي] .

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٩٢)، والحاكم (٣/ ٤٦٢)، وأحمد (٥/ ٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٢١٤، ٨٢١٥)، وأبو يعلىٰ (٤٦٥٥)، والدارمي (٢٦٩٩)، والبخاري في «التاريخ» (٤/ ٣٦٣، ٣٦٤) من طريق شعبة وأبي عوانة، وحماد بن سلمة، وزيد بن أبي أنيسة، وزاد الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٤٠) عبد الله بن إدريس كلهم - هؤلاء الخمسة - رووه عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن الطفيل بن سخبرة به، وإسناده حسن. وقد خالفهم معمر، فرواه عن عبد الملك بن عمير، فذكره مرسلًا، كما عند =

ش: قوله: (عن الطفيل أخي عائشة لأمها) هو الطفيل بن عبد الله بن سَخْبرة، أخو عائشة لأمها، صحابي له حديث عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنف في الباب.

وهذه الرؤيا حق، أقرها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها، فنهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله وحده.

وهذا الحديث والذي قبله أمرهم فيه أن يقولوا: ما شاء الله وحده؛ ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد في كل وجه. فالبصير يختار لنفسه أعلىٰ مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص.

وقوله: «كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا» ورد في بعض الطرق: أنه كان يمنعه الحياء منهم[1] وبعد هذا الحديث الذي حدثه به الطفيل عن رؤياه خطبهم ﷺ فنهىٰ عن

=

عبد الرزاق (١٩٨١٣)، ورواه معمر كذلك عن عبد الملك، عن جابر بن سمرة به، كما عند ابن حبان «إحسان» (٥٧٢٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٣٧). وخالفهم سفيان أيضًا، فرواه عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة، كما عند النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٨٢٠)، وابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٣٩٣)، والبخاري في «التاريخ» (٤/ ٣٦٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٩١)، ورواية الجماعة أصح. والله أعلم، وقد رجح البخاري رواية الجماعة - الرواية الأولىٰ - كما في «التاريخ» (٤/ ٣٦٤)، ونقل الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٤٠) أن هذه الرواية - الرواية الأولىٰ - هي التي رجحها الحفاظ، وأن ابن عيينة وهم في قوله عن حذيفة. والله أعلم. اهـ.

قلت: وللحديث شواهد من حديث ابن عباس، ومن حديث حذيفة وغيرهما، وسبق الكلام عليها، وبها يصحح الحديث.

(١) لعل الذي كان يمنعه ﷺ أنه لم يكن الله أوحىٰ إليه فيها شيئًا. فلما أوحىٰ إليه بلغه. أما الحياء في تبليغ الأوامر والنواهي(*) فهذا ما لا يليق برسول الله ﷺ والله أعلم. [الفقي].

(*) قوله: (أما الحياء في تبليغ الأوامر والنواهي) إلخ. أقول: هذا كلام جيد، والجواب عن الرواية التي ذكرها الشارح وهي قوله: (ورد في بعض الطرق أنه كان يمنعه الحياء منهم) أن يقال: إن صحت هذه الرواية فمعنىٰ ذلك أنه كان - عليه الصلاة والسلام - يستحي منهم أن ينهاهم عن شيء لم يوح إليه أن ينهىٰ عنه، وإن كان هو يستحسن تركه، فلما جاءه الوحي بالنهي عنه بسبب الرؤيا المذكورة نهاهم عن ذلك، كما أمرهم ﷺ بالتماس ليلة القدر في السبع الأواخر من رمضان لما تراطأت رؤياهم علىٰ أنها في السبع الأواخر، وكان ذلك سببًا لشرعية مزيد الاجتهاد في

=

ذلك نهيًا بليغًا.

فما زال ﷺ يبلغهم حتىٰ أكمل الله له الدين وأتم له بـه النعمـة، وبلّـغ الـبلاغ المبـين، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وفيه معنىٰ قوله ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(١)(٢).

قلت: وإن كانت رؤيا منام فهي وحي، يثبت بها ما يثبت بـالوحي أمـرًا ونهيًـا. والله أعلم.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

=

السبع المذكورة. [ابن باز]

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٢٦٦٤، ٢٢٦٥).

(٢) هذا الحديث إنما يخبر به النبي ﷺ عما كان يرىٰ قبل النبوة(*) وهو يتحنث في غار حراء من الرؤيا التي كانت تجيء مثل فلق الصبح. وذلك في الدور الذي كان يهيئه الله فيه لتلقي الوحي، وكان ذلك الدور ستة أشهر، وهي بالنسبة إلىٰ مدة النبوة الثلاثة والعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة. والله أعلم.

(*) قوله: (هذا الحديث إنما يخبر به النبي ﷺ عما كان يرىٰ قبل النبوة) إلخ. يريد الشيخ حامد رحمه الله بهـذا الكـلام أن قول النبي ﷺ عن الرؤيا الصالحة: «أَنَّهَا جُزْء مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»، إنـه خـبر عـما قـد وقـع ومـضىٰ، وليس الأمر كذلك بل الروايات الواردة في هذا الباب تدل علىٰ أن مراد النبي ﷺ الخبر عن جنس الرؤيا في الماضي والمستقبل، وأنها تفيد وتحصل بها البشرىٰ، وأن فائدتها جزء من أجزاء النبوة المتضمنة الإخبار عن المغيبات، ولهـذا اختلفت ألفاظ الروايات في ذلك، ففي بعضها: «جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِـينَ جُـزْءًا»، وفي بعـضها: «جُـزْءٌ مِـنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا»، وفي بعضها: «جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا»، وفي بعضها غير ذلك. ولو كان المراد ما قاله الشيخ حامد لم تتنوع العبارات عنها، ووجه التنوع - والله أعلم - أن الرؤيا الصالحة في حد ذاتها تختلف بحسب صـلاح الرائـي وما يكتنف رؤياه من القرائن والشواهد الدالة علىٰ صدق الرؤيا، وقد نص العلماء عـلىٰ مـا ذكرنـاه؛ قـال النـووي رحمه الله في شرح مسلم ما نصه: (قال القاضي: أشار الطبري إلىٰ أن هذا الاختلاف راجع إلىٰ اخـتلاف حـال الرائـي، فالمرء الصالح تكون رؤياه جزء من ستة وأربعين جزءًا، والفاسق جزء من سبعين جـزءًا، وقيـل: المـراد أن الخفـي منها جزء من سبعين، والجلي جزء من ستة وأربعين). ثم نقل عن الخطابي عن بعض أهل العلم نحو ما قاله الشيخ حامد، ثم نقل عن المازري ما نصه: (وقيل: المراد أن للمنامات شبها مما حصل له وميز به من النبوة بجزء من سـتة وأربعين). انتهىٰ. والله أعلم. [ابن باز].

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوىً.

الثالثة: قوله ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا» فكيف بمن قال: «ما لي من ألوذ به سواك» والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «يَمْنَعُنِي كذا وكذا».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

❊ ❊ ❊

(٤٤)
باب: من سبَّ الدهر فقد آذى الله

* قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب من سب الدهر فقد آذىٰ الله.

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤].

في «الصحيح»، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وفي رواية «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

ش: قال العماد ابن كثير في «تفسيره»: يخبر تعالىٰ عن دَهْرية الكفار، ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ ما ثَمَّ إلَّا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة.

وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة.

وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية، المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلىٰ ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهىٰ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾. قال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ أي: يتوهمون ويتخيلون.

فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا «الصحيح» وأبو داود والنسائي من رواية سفيان ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ»[١][٢].

وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»[٣].

وفي رواية: «لَا يَقُلِ ابْنُ آدَمَ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُرْسِلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»[٤][٥].

قال في «شرح السنة»: حديثٌ متفق علىٰ صحته أخرجاه من طريق معمر، من أوجه عن أبي هريرة، قال: ومعناه أن العرب كانت من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلىٰ الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلىٰ الله عز وجل؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر. انتهىٰ باختصار.

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًّا بهذا الطريق[٦]. قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾. ويسبون الدهر. فقال الله عز وجل: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[٧].

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان، عن ابن عيينة مثله.

ثم روىٰ عن يونس، عن ابن وهب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) في ابن كثير: «أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ». [الفقي].

(٣) صحيح: رواه مسلم طرف حديث (٢٢٤٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم طرف حديث (٢٢٤٦).

(٥) هذه الرواية ليست في نسخ ابن كثير المطبوعة بأيدينا. وهي في تفسير البغوي. [الفقي].

(٦) أي: من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ» إلخ. [الفقي].

(٧) إسناده صحيح: رواه الطبري (٣١٢٠٧) حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن عيينة عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره مرفوعًا.

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»[١]. وأخرجه صاحب «الصحيح» والنسائي من حديث يونس بن يزيد به.

وقال محمد بن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي، وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ: وَا دَهْرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ»[٢].

قال الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلىٰ الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله. فكأنهم إنما سبوا الله سبحانه؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة. فلهذا نهىٰ عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله هو الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره - وهو المراد - والله أعلم.

وقد غَلِطَ ابنُ حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عَدِّهم الدهر من الأسماء الحسنىٰ أخذًا من هذا الحديث. انتهىٰ.

وقد تبين معناه في الحديث بقوله: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». وتقليبه: تصرفه تعالىٰ فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.

وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رحمه الله، وهي قوله: «بِيَدِي الْأَمْرُ».

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي حاتم (١٨٥٣٧)، وسبق عند مسلم (٢٢٤٦) من طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة به.

(٢) حسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق «مسند أحمد» حديث (٧٩٨٨)، والحديث رواه أحمد (٢/ ٣٠٠، ٥٠٦)، وأبو يعلىٰ (٦٤٦٦)، وابن خزيمة (٢٤٧٩)، وفي إسناده خطأ، انظره في تحقيق «مسند أحمد» والطبري في «تفسيره» (٣١٢١٠)، والحاكم (١/ ٤١٨)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٤٣) من طريق محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٩٨)، وإبراهيم بن طهمان في «مشيخته» (١٠٥) والطبري (٢٥/ ١٥٢) كما عزاه إليهما الشيخ شعيب في تحقيق «المسند» من طريق ابن طهمان ومحمد بن جعفر وابن أبي حازم، ثلاثتهم عن العلاء به. واقتصر ابن أبي عاصم في روايته علىٰ الشطر الثاني.

قوله: وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

ومعنىٰ هذه الرواية: هو ما صرَّح به في الحديث من قوله: «وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». يعني: أن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتدبيره، بعلم منه تعالىٰ وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين، وحسن الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨]. وقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ونسبةُ الفعل إلىٰ الدهر، ومسبته كثيرةٌ في أشعار المولَّدين، كابن المُعتز والمتنبي وغيرهما.

وليس منه وصفُ السنين بالشدة ونحو ذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨].

قال بعض الشعراء:

إِنَّ اللَّيَالِي مِنَ الزَّمَانِ مَهُولَةٌ ... تُطْوَىٰ وتُنْشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الهُمُومِ طَوِيلَةٌ ... وَطِوَالُهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَارُ

وقول أبي تمام:

أَعْوَامُ وَصْلٍ كَادَ يُنْسِي طِيبُهَا ... ذِكْرَ النَّوَىٰ فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ

ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ أَعْقَبَتْ ... نَحْوِي أَسَىً فَكَأَنَّهَا أَعْوَامُ

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونُ وَأَهْلُهَا ... فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

* قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:

الأولىٰ: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذىٰ الله.

الثالثة: التأمل في قوله: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

الرابعة: أنه قد يكون سابًّا ولو لم يقصده بقلبه.

* * *

(٤٥)

باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه.**

ش: ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة: إشارة إلىٰ النهي عن التسمي بقاضي القضاة قياسًا علىٰ ما في حديث الباب؛ لكونه يُشبه في المعنىٰ فيُنهىٰ عنه.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»[1][2].**

قال سفيان: مثلُ شاهان شاه[3].

ش: لأن هذا اللفظ إنما يصدق علىٰ الله تعالىٰ، فهو ملك الأملاك، لا ملك أعظم ولا أكبر منه، مالك الملك ذو الجلال والإكرام. وكل ملك يؤتيه الله من يشاء من عباده فهو عارية يسرع ردها إلىٰ المعير، وهو الله، ينزع الملك من ملكه تارة، وينزع الملك منه تارة[4] فيصير لا حقيقة له سوىٰ اسم زال مسماه.

وأما رب العالمين فملكه دائم كامل لا انتهاء له، بيده القسط يخفضه ويرفعه، يحفظ

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. قال العزيزي في «الشرح الكبير»: وفي الباب غيره أيضًا. وفي «قرة العيون»: لأن هذا اللفظ إنما يصدق علىٰ الله فهو ملك الأملاك؛ لأنه هو الملك في الحقيقة له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية. فلا ينبغي أن يعظم المخلوق بما يشبه ما يعظم به الخالق جل وعلا، وما كان مثل ذلك فينهىٰ عنه كالذي ترجم به المصنف؛ لأنه لا يصدق هذا المعنىٰ إلا علىٰ الله، فلا يصلح أن يسمىٰ به المخلوق؛ لأن كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له - تعالىٰ وتقدس - دون غيره [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).

(٣) تفسير سفيان بعد رواية البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).

(٤) قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] [الفقي].

علىٰ عباده أعمالهم بعلمه سبحانه، وما تكتبه الحفظة عليهم، فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. كما ورد في الحديث: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ المُلْكُ كُلُّهُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ كُلُّهُ، إِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، أَسْأَلُكَ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ**»[1].

قوله: (**قال سفيان**) يعني: ابن عيينة مثل شاهان شاه[2] عند العجم عبارة عن ملك

---

(١) **إسناده موضوع**: رواه البيهقي في «الشعب» (٤٠٠) من طريق خالد بن يزيد العمري عن ابن أبي ذئب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

وخالد بن يزيد العمري كذبه غير واحد كما في الميزان، ورواه نحوه أحمد (٥/ ٣٩٦) مختصرًا من طريق رجل عن حذيفة مرفوعًا والرجل مبهم.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (جـ ١٢ صـ ٤٣) في حوادث سنة ٤٢٩: وفي رمضان منها لقب جلال الدولة – السلجوقي – شاهنشاه الأعظم، ملك الملوك بأمر الخليفة القائم بالله، وخطب له بذلك علىٰ المنابر، فنفرت العامة من ذلك، ورموا الخطباء بالآجر، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك. واستفتوا القضاة والفقهاء في ذلك، فأفتىٰ أبو عبد الله الصيمري – الشافعي – أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]. وقال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]. وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق بعض وأعظم من بعض، وليس في ذلك ما يوجب النكير. والمماثلة بين الخالق والمخلوقين.

وكتب القاضي أبو الطيب الطبري: «إن إطلاق (ملك الملوك) جائز، ويكون معناه: ملك ملوك الأرض. وإذا جاز أن يقال: كافي الكفاة وقاضي القضاة، جاز أن يقال: ملك الملوك، وإذا كان في اللفظ ما يدل علىٰ أن المراد به ملك ملوك الأرض زالت الشبهة. ومنه قولهم: اللهم أصلح الملك، فيصرف الكلام إلىٰ المخلوقين». وكتب التميمي الحنبلي نحو ذلك.

وأما الماوردي صاحب «الحاوي الكبير» فقد نقل عنه أنه أجاز ذلك أيضًا، والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو المنصور بن الصلاح في «أدب المفتي» أنه منع من ذلك وأصر علىٰ المنع منه، مع صحبته للملك جلال الدولة، وكثرة ترداده عليه ووجاهته عنده، وأنه امتنع من الحضور في مجلسه حتىٰ استدعاه جلال الدولة في يوم عيد، فلما دخل عليه دخل وهو وجل خائف أن يوقع به مكروهًا، فلما واجهه قال له جلال الدولة: قد علمت أنه إنما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي ووجاهتك عندي: دينك واتباعك الحق وأن الحق آثر عندك من كل أحد ولو حابيت أحدًا من الناس لحابيتني وقد زادك ذلك عندي صحبة ومحبة وعلو مكانة. قال ابن كثير: والذي حمل القاضي الماوردي علىٰ ذلك المنع هو اتباع السنة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه. قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَخْنَعُ اسْمٍ

عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ» قال الزهري: سألت أبا عمرة الشيباني عن «أَخْنَعُ اسْمٍ» قال: «أوضع»

وقد رواه البخاري عن علي بن المديني عن ابن عيينة. وأخرجه مسلم من طريق همام عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ: رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»،

وقال الإمام أحمد: حدثني محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن خلاس عن أبي هريرة ﷺ قال: قل رسول الله: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ رَجُلٍ تَسَمَّىٰ بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». اهـ

وقال العزيزي في «الشرح الكبير»: أي سمىٰ نفسه، أو سماه غيره فرضي به وأقره ونحوه وما في معناه شاهان شاه، والعجم تقدم المضاف إليه على المضاف، والحق به ملك شاه. قيل: وإذا امتنع التسمي بها ذكر فباسم من له هذا الوصف كالله والجبار والرحمن أولىٰ.

قال القرطبي: وحاصل الحديث أن من تسمىٰ بهذا الاسم انتهىٰ من الكبر إلىٰ الغاية التي لا تنبغي لمخلوق، وأنه قد تعاطىٰ ما هو خاص بالإله الحق لما ثبت في الفطرة أنه لا مالك لجميع الخلائق إلا الله، فلا يصدق هذا الاسم إلا بالحقيقة عليه سبحانه وتعالىٰ، فعوقب علىٰ ذلك من الإذلال والاسترذال بما لم يعاقب به مخلوق، والمالك من له الملك، والملك أمدح، والمالك أخص. وكلاهما واجب لله تعالىٰ.

وقال القرطبي: قوله: «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ» استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية، فنفىٰ جنس الملاك بالكلية، لأن المالك الحقيقي ليس إلا هو، ومالكية الغير مستردة إلىٰ مالك الملوك، فمن تسمىٰ بذلك نازع الله سبحانه وتعالىٰ في رداء كبريائه، واستنكف أن يكون عبده، لأن وصف المالكية مختص بالله عز وجل لا يتجاوزه، والمملوكية بالعبد لا تتجاوزه. فمن تعدىٰ طوره فله الخزي في الدنيا والعار، وفي الآخرة الإلقاء في النار. اهـ

ومن العجائب التي لا تخطر بالبال ما نقله ابن بزيزة عن بعض شيوخه أن أبا العتاهية - الشاعر المشهور - كان له ابنتان سمىٰ إحداهما الله، وسمىٰ الأخرىٰ الرحمن، وهذا من أعظم القبائح، وأشد الجرائم والفضائح. وقيل: إنه تاب.

وألحق بعض المتأخرين بملك الأملاك: حاكم الحكام. وقد شدد الزمخشري النكير عليه في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥] رُب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمننا قد لقب أقضىٰ القضاة ومعناه أحكم الحاكمين، فاعتبر واستعبر. اهـ، واعترضه ابن المنير بأن خبر «أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ» يؤخذ منه جواز أن يقال لأعدل القضاة وأعلمهم في زمنه «قاضي القضاة»، ورد عليه وشنع العلم العراقي منتصرًا للزمخشري. ومن النوادر: أن العز بن جماعة رأىٰ أباه في النوم، فسأله عن حاله فقال: ما كان علي أضر من هذا الاسم، فنهىٰ الموثقين أن يكتبوا له في الأسجال، قاضي القضاة، بل قاضي المسلمين.

وقال ابن القيم: وتحرم التسمية بسيد الناس، وسيدة الكل، كما تحرم بسيد ولد آدم، فإن ذا ليس لأحد إلا للرسول ﷺ اهـ

قال أبو طاهر - غفر الله لها -: ولعله يلحق بذلك ما تعارف عليه الناس في بعض البلدان الإسلامية: كصاحب العزة؛ وصاحب الجلالة ونحو ذلك، وكل هذه الألقاب إنما شاعت في الناس من وقت دخول الأعاجم وتمكن دولتهم في البلاد الإسلامية، وأنهم لم يكن لهم من العدل والدين والاستقامة والعلم والفضل ما يتزينون به عند الله

الأملاك. ولهذا مثل به سفيان؛ لأنه عبارة عنه بلغة العجم.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** وفي رواية: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ**»[1].

قوله: «**أَخْنَعَ**» يعني: أوضع.

ش: «**أَغْيَظُ**» من الغيظ وهو مثل الغضب. فيكون بغيضًا إلىٰ الله. مغضوبًا عليه[2]. والله أعلم.

قوله: «**وَأَخْبَثُهُ**» وهو يدل أيضًا علىٰ أن هذا خبيث عند الله، فاجتمعت في حقه هذه الأمور لتعاظمه في نفسه وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من أعظم التعظيم، فتعظمه في نفسه وتعظيم الناس له بها ليس له بأهل، وضعه عند الله يوم القيامة، فصار أخبث الخلق وأبغضهم إلىٰ الله وأحقرهم؛ لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم، لتعاظمه علىٰ خلق الله بنعم الله.

قوله: (**أخنع: يعني أوضع**)[3] هذا هو معنىٰ أخنع، فيفيد ما ذكرنا في معنىٰ أغيظ أنه يكون حقيرًا بغيضًا عند الله.

= والناس، بل لعله كان لهم ضد ذلك، فخشوا أن يسقطوا من أعين العامة فاخترعوا لهم تلك الأسماء والألقاب ما يلقي في نفوسهم الوهم والتعظيم المتكلف والتبجيل المصطنع. ولقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يدعون بعضهم بعضًا بأسمائهم أو بوظائفهم، وقلوبهم مملوءة من المحبة والتوقير والإجلال لعلمائهم وأمرائهم، لما لهم من العلم والفضل والعدل والبر والإحسان التي جملهم الله بها، نسأل الله أن يعيد للناس هذا فهو أنفع وأصلح مما هم عليه اليوم من هذه المداهنات والتملقات المتكلفة بالباطل. [الفقي]

(١) صحيح: رواه مسلم (طريف حديث ٢١٤٣).

(٢) ويؤيده «اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَلِكُ الْأَمْلَاكِ» أخرجه الطبراني. [الفقي]

(٣) «أَخْنَعَ» بفتح الهمزة والنون بينهما معجمة ساكنة أي: أدخلها في الخنوع، وهو الذل والضعة والهوان، ذكره الزمخشري. وفي رواية: «أَخْنَىٰ» من الخنا بمعنىٰ: الفحش في القول، ويحتمل أن يكون من قولهم: أخنىٰ عليه الدهر أي: أهلكه. وذكر أبو عبيد أنه ورد بلفظ: «أَنْخَع» بتقديم النون علىٰ الخاء المعجمة وهو بمعنىٰ أهلك. قال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمىٰ به أشد ذلًا يوم القيامة أي: أشدهم ذلًا وصغارًا.

وفي قرة العيون: وهذا من الصفات التي تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل. والله أعلم. [الفقي]

وفيه: التحذير من كل ما فيه تعاظم؛ كما أخرج أبو داود عن أبي مجلز، قال: خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر، فقام ابن عامر، وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1]. أخرجه الترمذي أيضًا، وقال: حسن.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه **قال:** خرج علينا رسول الله ﷺ متكئًا على عصًا، فقُمنا إليه، فقال: «**لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»[2]. رواه أبو داود.

وقوله: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ**» هذا من الصفات التي تمر كما جاءت، وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلَّا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى، إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل كما تقدم، والباب كله واحد. وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة.

وهذا التفرق والاختلاف إنما حدث في أواخر القرن الثالث وما بعده، كما لا يخفى على من له معرفة بما وقع في الأمة من التفرق والاختلاف والخروج عن الصراط المستقيم، والله المستعان.

---

(١) **إسناده صحيح:** رواه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، وأحمد (٤/ ٩١، ٩٣، ١٠٠)، وعبد بن حميد (٤١٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٣٦) من طريق حبيب بن الشهيد، قال: سمعت أبا مجلز به، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٥٧).

(٢) **إسناده ضعيف مضطرب:** رواه أبو داود (٥٢٣٠)، وابن ماجه (٣٨٣٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٣، ٢٥٦)، وابن أبي شيبة (٨/ ٣٩٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٣٤)، وفي «الدعاء» (١٤٤٢)، وغيرهم. من طريق أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة مرفوعًا، وهذا إسناد أحمد وأبي داود وغيرهما، ولكن عند بعضهم اضطرابات في هذا الإِسناد واختلاف انظر لهذا تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط لمسند أحمد (٢٢١٨١)، ورسالة أخينا محمد بن فاضل في حكم القيام للقادم (صـ١٠، ١١).

وضعفه الشيخ الألباني (٣٤٦) بقوله: ضعيف، وفي إسناده اضطرابات وضعف وجهالة. وفي الإِسناد أبو العدبس مجهول، وأبو مرزوق فيه لين.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: إن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه.

* * *

(٤٦)
بَابُ: احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب احترام أسماء الله تعالىٰ وتغيير الاسم لأجل ذلك.

عن أبي شريح: أنه كان يُكنىٰ أبا الحكم. فقال له النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟» قلت: شريح. قال: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[(١)]. رواه أبو داود وغيره.

ش: قوله: (عن أبي شريح) قال في «خلاصة التذهيب»: هو أبو شريح الخزاعي، اسمه خويلد بن عمرو[(٢)] أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثًا، واتفقا علىٰ حديثين وانفرد البخاري بحديث، وروىٰ عنه: أبو سعيد المقبُري ونافع بن جُبير، وطائفة. قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين. وقال الشارح: اسمه هانئ بن يزيد الكندي قاله الحافظ. وقيل: الحارث الضبابي قاله المزي.

قوله: (يكنىٰ) الكنية ما صُدِّر بأبٍ أو أم ونحو ذلك، واللقب ما ليس كذلك[(٣)] كزين العابدين ونحوه.

---

(١) إسناده حسن: رواه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٨/ ٢٢٦، ٢٢٧)، والبخاري في «التاريخ» (٨/ ٢٢٧ - ٢٢٨)، وفي «الأدب المفرد» (٨١١)، والبيهقي (١٠/ ١٤٥)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ رقم ٤٦٦) من طريق يزيد بن مقدام بن شريح، عن أبيه شريح، عن أبيه هانئ أبي شريح الخزاعي به وإسناده حسن، ففيه يزيد بن مقدام، وهو صدوق، وتابعه قيس بن الربيع، كما عند الحاكم (٤/ ٢٧٩) في «الكبير» (٢٢/ ١٧٩ رقم ٤٦٥) فالحديث صحيح بطرقه.

(٢) وبهامش الخلاصة: وقيل: عمرو بن خويلد. وقيل هانئ بن عمرو. وقيل: خويلد بن شريح بن عمرو. كذا في الكنىٰ «كتاب ابن الملقن» و«جامع الأصول». [الفقي].

(٣) في كتب العربية: اللقب: ما أشعر بمدح أو ذم، كزين العابدين ونحوه. [الفقي].

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ». فهو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله علىٰ أنبيائه ورسله، وما من قضية إلَّا ولله فيها حكم مما أنزل علىٰ نبيه من الكتاب والحكمة.

وقد يسر الله معرفة أكثر ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة؛ فإنها لا تجتمع علىٰ ضلالة، فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحدًا.

فمن رزقه الله تعالىٰ قوة الفهم، وأعطاه ملكةً يقتدر بها علىٰ فهم الصواب من أقوال العلماء، يسر له ذلك بفضله ومنه عليه وإحسانه إليه، فما أجلها من عطية، فنسأل الله من فضله.

وقوله: «وَإِلَيْهِ الحُكْمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠]. وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

فالحكم إلىٰ الله: هو الحكم إلىٰ كتابه، والحكم إلىٰ رسوله هو: الحكم إليه في حياته وإلىٰ سنته بعد وفاته[(١)].

وقد قال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلىٰ اليمن، قال له: «بِمَ تَحْكُمُ؟» قال: بكتاب الله. قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قال: بسنة رسول الله ﷺ. قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قال: أجتهد رأيي. فقال: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ مَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ»[(٢)].

فمعاذ من أجل علماء الصحابة بالأحكام ومعرفة الحلال والحرام، ومعرفة أحكام الكتاب والسنة، ولهذا ساغ له الاجتهاد إذا لم يجد للقضية حُكمًا في كتاب الله، ولا في سنة رسوله، بخلاف ما يقع اليوم وقبله من أهل التفريط في الأحكام، ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله، فيظن أن الاجتهاد يسوغ له مع الجهل بأحكام الكتاب والسنة، وهيهات!![(٣)].

---

(١) يعني: رد الحكم إلىٰ الله: رد الحكم إلىٰ كتابه، ورد الحكم إلىٰ الرسول ﷺ: رد الحكم إليه في حياته، ثم رده إلىٰ سنته بعد وفاته ﷺ. [الفقي].

(٢) ضعيف: وسبق تحت باب من أطاع العلماء والأمراء.

(٣) وبخلاف الصنف الآخر: الذين يعنون بأقوال الناس وآرائهم فيحفظونها متونًا وشروحًا مهما كانت معقدة وطويلة، ثم يقدمونها في العبادات والأحكام بين يدي الله ورسوله، فإنا لله وإنا إليه راجعون. لهذا حرم الناس من خير

وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلَّا الله، إذا نزل لفصل القضاء بين العباد، فيحكم بين خلقه بعلمه، وهو الذي لا يخفىٰ عليه خافية من أعمال خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء: ٤٠]

والحكم يوم القيامة إنما هو بالحسنات والسيئات، فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلوم، فطُرح علىٰ سيئات الظالم [(١)] لا يزيد علىٰ هذا مثقال ذرة، ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة.

قوله: (فإن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال: «مَا أَحْسَنَ هَذَا!»). فالمعنىٰ - والله أعلم - أن أبا شريح لما عرف منه قومه أنه صاحب إنصاف وتحرٍ للعدل بينهم ومعرفة ما يُرضيهم من الجانبين: صار عندهم مرضيًّا.

وهذا هو الصلح؛ لأن مداره علىٰ الرضىٰ لا علىٰ أحكام الإلزام. ولا علىٰ الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، ولا علىٰ الاستناد إلىٰ أوضاع أهل الجاهلية: من أحكام كبرائهم وأسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة. كما قد يقع اليوم كثيرًا، كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلىٰ حكم الله ولا إلىٰ حكم رسوله. وإنما المعتمد عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم [(٢)].

وهدىٰ وعز وسلطان بهذا العزل لكتاب الله وسنة رسوله عن وظيفتها. [الفقي]

(١) نحو ذلك في حديث المفلس عند مسلم (٢٥٨١).

(٢) **في قرة العيون**: وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب، ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب؛ لما فيه من النهي الشديد والخروج عن حكم الله ورسوله إلىٰ ما يخالفه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝﴾ [المائدة: ٤٤] وهذا كثير، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقر وغلب علىٰ من تصدىٰ لذلك ممن يرجع الناس إليه إذا اختلفوا. اهـ.

والنص الصريح في إبطال حكم السوالف من حكام البدو غير المتدينين هو قوله تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝﴾ [المائدة: ٥٠] وأبو شريح كان من قضاة الجاهلية قبل الإسلام، ولذلك كنوه (بأبي الحكم)، فأنكرها عليه النبي ﷺ وغيرها، ولفظ «الحكم» بفتحتين لا ينهىٰ عنه في الإسلام؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَابْعَثُوا

وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لم يسغ تقليده، فيعتمد علىٰ قول من قلده ويترك ما هو الصواب الموافق لأصول الكتاب والسنة. والله المستعان.

وقوله:(«**فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قال: شُريح، ومسلم، وعبد الله. قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟» قلت: شريح. قال: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»**).

فيه:تقديم الأكبر في الكنية وغيرها غالبًا. وجاء هذا المعنىٰ في غير ما حديث، والله أعلم.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ:احترام أسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه.

الثانية:تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة:اختيار أكبر الأبناء للكنية.

* * *

=

حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] وذلك لأنه يحكم بما شرعه الله من صلح وإصلاح، وقد أذن الله للمؤمنين بأن يحكموا بين الناس بالعدل. [الفقي]

(٤٧)

باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

ش: أي فقد كفر.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** وقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قُرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسُنًا، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القُراء -، فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلىٰ رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

ش: قال العماد ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: قال أبو مَعشر المدني، عن محمد بن كعب القُرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرىٰ قراءنا هؤلاء إلَّا أرغبنا بطونًا[1] وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء، فرُفع ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا

(١) في تفسير ابن كثير وتفسير ابن جرير: «ما أرىٰ قراءنا هؤلاء إلَّا أرغبنا بطونًا». [الفقي].

مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦]. وإن رجليه ليسفعان[1] الحجارة، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بنِسْعَة[2] ناقة رسول الله ﷺ.

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقًا بحِقْب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾[3]. وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا.

وقال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين، منهم: وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة، يقال له:

---

(١) سفع الطائر ضريبته - كمنع - لطمها بجناحيه، وسفع فلان فلانًا لطمه وضربه، والمعنىٰ: أن الحجارة تضرب رجليه من سرعة المسير وأنه مشغول عن ذلك. [الفقي].

(٢) النسعة - بكسر النون وسكون المهملة سير مضفور يجعل زمامًا للبعير وغيره(*). [الفقي].

(*) قوله: (النسعة بكسر النون وسكون المهملة سير مضفور يجعل زمنًا للبعير وغيره). أقول: في قوله: (يجعل زمامًا للبعير) نظر، والصواب أن النسعة حبل يشد به الرحل ولا يطلق علىٰ الزمام. قال في القاموس: (النسع بالكسر: سير ينسج عريضًا علىٰ هيئة أعنة النعال، يشد به الرحال، والقطعة منه نسعة، وسمي نسعًا لطوله. انتهىٰ المقصود. [ابن باز]

(٣) حسن: رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٩٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٠٤٦) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر به، وفي الإسناد هشام بن سعد وهو ضعيف لكن روايته عن زيد بن أسلم مستقيمة، وله طريق آخر عن عبد الله بن عمر، عند ابن أبي حاتم (١٠٤٠١) مختصرًا، وله شاهد من حديث كعب بن مالك، رواه ابن أبي حاتم (١٠٤٠٢) من طريق ابن إسحاق، حدثني الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، عن جده، نحوه وإسناده حسن. وحسن الحديث الشيخ مقبل في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» (صـ٧١).

أما روايات محمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة، فمراسيل، تقوي ما سبق، رواها الطبري في «تفسيره» (١٦٩٢٧، ١٦٩٣٠، ١٦٩٣٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٠٤٩)، وله مرسل آخر عن سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم (١٠٤٠٠).

مخشي بن حُمَيِّر، يشيرون إلىٰ رسول الله ﷺ وهو منطلق إلىٰ تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنا بكم غدًا مقرنين في الحبال، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين. فقال مخشي بن حُمَيِّر: والله لوددت أني أقاضي علىٰ أن يُضْرَب كل رجل منا مائة جلدة، وإنا نتفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - لعمار بن ياسر: «**أَدْرِكِ القَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا، فَقُلْ: بَلْ قُلْتُمْ**: كذا وكذا»، فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه. فقال وديعة بن ثابت - ورسول الله ﷺ واقف علىٰ راحلته - فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب. فقال مخشي بن حُمَيِّر: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكأن الذي عناه - أي بقوله تعالىٰ: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ - في هذه الآية: مخشي بن حمير فسُمِّي عبد الرحمن، وسأل الله أن يُقتل شهيدًا لا يُعلم بمكانه، فقُتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر[(١)] .

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية: كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول: اللهم إني أسمع آيةً أنا أُعنىٰ بها تقشعر منها الجلود، وتجل منها القلوب. اللهم فاجعل وفاتي قتلًا في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت. قال: فأُصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلَّا وقد وجد غيره[(٢)] .

قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بهذه المقالة التي استهزأتم بها ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ أي مخشي بن حمير ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ أي: لا يُعفىٰ عن جميعكم، ولابد من عذاب بعضكم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهىٰ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد أمره الله أن يقول: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وقول من يقول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولًا بقلوبهم لا يصح؛ لأن الإيمان

---

(١) ذكره ابن هشام (القسم الثاني الجزء الرابع/ صـ٥٢٤)، والحديث المرفوع لم يثبت لأنه بلاغ من ابن إسحاق إلىٰ النبي ﷺ لا إسناد له.

(٢) **إسناده صحيح:** إلىٰ عكرمة رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٩٢٩) من طريق أيوب عن عكرمة فذكره.

باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم؛ فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أُريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يظهروا للناس إلَّا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك، ولا يدل اللفظ علىٰ أنهم ما زالوا منافقين.

وقال رحمه الله **في موضع آخر**: فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم: إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب.

وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر. ولا يكون هذا إلَّا ممن شرح صدرًا بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه لمنعه أن يتكلم بهذا الكلام، والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه. كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[النور: ٤٧- ٥١] .

نفي الإيمان عمن تولىٰ عن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلىٰ الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبين أن هذا من لوازم الإيمان. انتهىٰ.

وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به[1] وأشدها خطرًا إرادات القلوب. فهي كالبحر الذي لا ساحل له. ويُفيد الخوف من النفاق الأكبر؛ فإن الله تعالىٰ أثبت لهؤلاء إيمانًا قبل أن يقولوا ما قالوه، كما قال ابن أبي مُليكة: أدركت ثلاثين من

---

(١) ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله، وعدم احترامهم لأجله(*) .[الفقي] .

(*) قوله: (ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله وعدم احترامهم لأجله) أقول: هذا القول فيه إجمال، والصواب التفصيل فإن كان الاستهزاء بالعلم الشرعي أو بالعلماء لأجله فلا شك أن ذلك ردة عن الإسلام؛ لأنه تنقص لما عظمه الله واستخفاف به، وفي ضمن ذلك احتقاره والتكذيب به، أما إن كان الاستهزاء بالعلماء يرجع إلىٰ أمر آخر كالملابس أو حرص بعضهم علىٰ الدنيا أو اعتيادهم خلاف ما عليه الناس من العوائد التي لا تعلق لها بالشرع، أو لما يشبه ذلك، فهذا وأشباهه لا يكون ردة عن الإسلام؛ لأنه لا يرجع إلىٰ الدين، وإنما يرجع الىٰ أمور أخرىٰ. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.[ابن باز] .

أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[١].

نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: وهي العظيمة: أن من هزل بهذا أنه كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبلَ.

* * *

(١) إسناده ضعيف: رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ١١٠) معلقًا ووصله محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٨٨)، وابن أبي خيثمة في «تاريخه» كما ذكر الحافظ في «تغليق التعليق» (٢/ ٥٢) من طريق الصلت بن دينار عن عبد الله بن أبي مليكة به. والصلت بن دينار متروك. والبخاري في «التاريخ» (٥/ ١٣٧) ومن طريق الخلال في «السنة» (١٠٨١)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٢/ ٥٢ - ٥٣) من طريق يحيىٰ بن يمان عن سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة فذكره. ويحيىٰ بن يمان ضعيف، وابن جريج مدلس وقد عنعن.

(٤٨)

بَابُ: قول الله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾ [فصلت: ٥٠].

ش: ذكر المصنف - رحمه الله تعالىٰ - عن ابن عباس وغيره من المفسرين - في معنىٰ هذه الآية، وما بعدها - ما يكفي في المعنىٰ ويشفي.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به[1]. وقال ابن عباس: يُريد من عندي[2]. وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

قال قتادة: علىٰ علم مني بوجوه المكاسب[3]. وقال آخرون: علىٰ علم من الله أني له أهل[4]. وهذا معنىٰ قول مجاهد: أوتيته علىٰ شرف.

ش: وليس فيما ذكروه اختلاف وإنما هي أفراد المعنىٰ.

قال العماد ابن كثير رحمه الله في معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ

---

(١) في إسناده ضعف: رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٥٩٩) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وابن أبي نجيح ثقة، ربما دلس، وقد عنعن، وطعن بعضهم في سماعه التفسير من مجاهد.

(٢) أثر ابن عباس لم أقف عليه.

(٣) حسن: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠١٢٣)، والطبري (٣٠١٧٠) من طريق سعيد، عن قتادة، ذكر الآية، ثم قال: علىٰ خير عندي، وعلم عندي، وذكر القطان أن سعيدًا لم يسمع التفسير من قتادة «الجرح والتعديل» (١/ ٢٤٠) - ورواية سعيد عن قتادة قواها أحمد وغيره - ولكن تابعه معمر، عن قتادة كما عند الطبري في «تفسيره» (٢٧٦١٩)، وفي رواية معمر، عن قتادة مقال، إلَّا أن الأثر يحسن بمجموعها.

(٤) في إسناده ضعف: رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠١٧١) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وانظر علته في أول أثر من هذا الباب.

أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩]. يُخبر أن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله عَزَّوَجَلَّ وينيب إليه ويدعوه، ثم إذا خوله نعمةً منه طغىٰ وبغىٰ و﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ أي: لما يعلم الله استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا[1]. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾[2] أي: ليس الأمر كما زعم، بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم بذلك: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ فلهذا يقولون ما يقولون، ويدَّعون ما يدَّعون ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم، وادعىٰ هذه الدعوىٰ كثير ممن سلف من الأمم ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٥٠] أي: فما صح قولهم، ولا نفعهم جمعهم، وما كانوا يكسبون. كما قال تعالى مخبرًا عن قارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝﴾ [القصص: ٧٦ - ٧٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝﴾ [سبأ: ٣٥] انتهىٰ.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ. فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا. فَأَتَىٰ الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوِ الْبَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا**

---

(١) في تفسير ابن كثير زيادة: قال قتادة: (علىٰ علم عندي: علىٰ خير عندي). [الفقي]

(٢) في ابن كثير: (مع علمنا بذلك فهي فتنة). [الفقي]

حَسَنًا. فقالَ أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوِ الْإِبِلُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا. فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ عَلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا. فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِن الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي هَذَا فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ: بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ. قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي. فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ: شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَالله لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لله. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ» أخرجاه[1].

ش: أخرجاه أي: البخاري ومسلم.

والناقة العُشراء - بضم العين وفتح الشين وبالمد - هي الحامل.

قوله: «أُنْتِجَ» وفي رواية: «فنتَّج» معناه: تولَّىٰ نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة.

قوله: «وَلَّدَ هَذَا» هو بتشديد اللام، أي: تولىٰ ولادتها، وهو بمعنىٰ: «أُنْتِجَ» في الناقة، فالمولد والناتج والقابلة بمعنىٰ واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره.

وقوله: «انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ» هو بالحاء المهملة والباء الموحدة: أي: الأسباب.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٣٤٦٤، ٦٦٥٣)، ومسلم (٢٩٦٤).

قوله: «لَا أَجْهَدُكَ» معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه، أو تطلبه من مالي. ذكره النووي.

وهذا الحديث عظيم، وفيه مُعتبر: فإن الأولَين جحدا نعمة الله، فما أقرا لله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلىٰ المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها فحل عليهما السخط.

وأما الأعمىٰ: فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلىٰ من أنعم عليه بها، وأدىٰ حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة، لما أتىٰ بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلَّا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلىٰ المنعم، وبذلها فيما يحب.

قال العلامة ابن القيم[1]: أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم علىٰ وجه الخضوع له، والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلًا بها: لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها: لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها: فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم، وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه: لم يشكرها أيضًا، ومن عرفها وعرف المنعم وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته: فهذا هو الشاكر لها، فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلىٰ المنعم ومحبته والخضوع له. انتهىٰ.

قوله: «قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ» بكراهة رؤيته وقربه منهم.

* قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:

الأولىٰ: تفسير الآية.

الثانية: ما معنىٰ: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾.

الثالثة: ما معنىٰ قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

* * *

(١) في مدارج السالكين (جـ ٢ صـ ١٣٥ - ١٤٤). [الفقي].

(٤٩)

بَابُ: قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى**: باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠].

ش: قال الإمام أحمد ﷺ في معنىٰ هذه الآية: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، عن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا وَلَدَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الحَارِثِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ**، فسمته **عَبْدَ الحَارِثِ فَعَاشَ. فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ**»[1].

وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار - بندار - عن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

ورواه الترمذي - في تفسير هذه الآية - عن محمد بن المثنىٰ عن عبد الصمد به، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلَّا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه.

ورواه الحاكم في «مستدركه» من حديث عبد الصمد مرفوعًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ورواه الإمام أبو محمد ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٠٧٧)، وأحمد (٥/ ١١)، والطبري في «تفسيره» (١٥٥٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٦٣٧)، والحاكم (٢/ ٥٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٦٨٩٥)، وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٩) من طريق عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة.

وفي رواية عمر بن إبراهيم العبدي عن قتادة ضعف، وقتادة والحسن مدلسان وقد عنعنا، وفي سماع الحسن من سمرة خلاف، والصواب: لم يسمع منه إلَّا حديث العقيقة وقيل غيره.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلَّا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه.

وقد أعله الحافظ ابن كثير بثلاث علل في تفسيره وصوب أن تفسير الآية في بعض ذرية آدم ممن أشرك (٢/ ٢٣٩).

أبي زرعة الرازي، عن هلال بن فيّاض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعا[١].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو، عن الحسن ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن آدم[٢].

وحدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارىٰ، رزقهم الله أولادًا فهوّدوا ونصّروا[٣]. وهذا إسناد صحيح عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال العماد ابن كثير في «تفسيره»: وأما الآثار: فقال محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت حواء تلد لآدم - عليه السلام - أولادًا فَتُعبِّدهم لله، وتسميهم: عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري. وقد وثقه ابن معين. ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به. ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعًا. فالله أعلم.

الثاني: أنه قد رُوي من قول سمرة نفسه، وليس مرفوعًا. كما قال ابن جرير.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا. فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا لما عدل عنه - ثم ساق ابن كثير الروايات عن الحسن بمثل ما روىٰ ابن جرير عنه، ثم قال: هذه أسانيد صحيحة عن الحسن: أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولىٰ ما حملت عليه الآية. ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه وورعه. فهذا يدلك علىٰ أنه موقوف علىٰ الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه عن بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منبه أو غيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلَّا أننا برئنا من عهدة المرفوع. والله أعلم. اهـ.

وقال الإمام أبو محمد بن حزم في كتاب «الملل والنحل»: «وهذا الذي نسبوه إلىٰ آدم - من أنه سمىٰ ابنه عبد الحارث -: خرافة موضوعة مكذوبة من تأليف من لا دين له ولا حياء، لم يصح سندها قط، وإنما نزلت الآية في المشركين علىٰ ظاهرها». اهـ [الفقي].

(٢) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٥٣٧) حدثنا ابن وكيع به، وسفيان بن وكيع ضعيف؛ ضُعِّفَ لِوَرَّاقِهِ السوء.

(٣) رجاله ثقات: رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٥٣٧) من طريق سعيد عن قتادة، وقد بُيِّنَ الكلام في هذه الرواة فيما سبق - خاصة في التفسير.

فقال: أما إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش، فولدت له رجلًا فسماه عبد الحارث، ففيه أنزل الله: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ الآية[1].

وقال العوفي عن ابن عباس: فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون: أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل، إنه لغويٌّ مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويًّا، ومات كما مات الأول. فسميا ولدهما عبد الحارث، فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[2].

وذكر مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. ورواه ابن أبي حاتم[3].

وقد تلقىٰ هذا الأثر عن ابن عباس جماعةٌ من أصحابه: كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير[4]، ومن الطبقة الثانية: قتادة والسدي[5] وجماعة من الخلف، ومن المفسرين ومن المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة.

قال العماد ابن كثير: وكأن أصله - والله أعلم - مأخوذ من أهل الكتاب[6].

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥٥٢٧) من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس به، ورواية داود عن عكرمة منكرة، وفي الإسناد إليه داود بن حميد وهو ضعيف، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

(٢) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥٥٢٨) بإسناد العوفيين عن ابن عباس وهو مسلسل بالضعفاء.

(٣) إسناده ضعيف: وسيأتي قريبًا تخريجه.

(٤) ساق هذه الآثار الطبري (١٥٥٣٠، ١٥٥٣٣، ١٥٥٣٤، ١٥٥٣٥)، وابن أبي حاتم (٨٦٤٤).

(٥) انظر الطبري (١٥٥٣٢، ١٥٥٣٦)، وابن أبي حاتم (٨٦٤٥).

(٦) قال ابن كثير: وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب، أما نحن فعلىٰ مذهب الحسن البصري في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المشركون من ذريته، ولهذا قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠].

فائدة: قال شيخنا العلامة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ - أطال الله حياته لنفع المسلمين - أما قوله تعالىٰ في آخر الآية: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ فليس المراد به آدم وحواء؛ لأن الكلام قد تم قبله، وهذا ابتداء كلام مستأنف، وإنما المراد به المشركون، وما ساقه الشارح رحمه الله في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ هو القول المعتمد الذي يدل عليه ظاهر القرآن». اهـ. [الفقي].

قلت: وهذا بعيد جدًا.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** قال ابن حزم: اتفقوا علىٰ تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب[1].

ش: ابن حزم: هو عالم الأندلس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري. صاحب التصانيف، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة. وله اثنتان وسبعون سنة.

وعبد المطلب هذا: هو جد رسول الله ﷺ. وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه. ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليهما السلام -.

حكىٰ رحمه الله: اتفاق العلماء علىٰ تحريم كل ما عُبِّد لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية والإلهية، لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له، استعبدهم لعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته، فمنهم من عبد الله ووحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾[مريم: ٩٣] فهذه هي العبودية العامة. وأما العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾[الزمر: ٣٦] ونحوها.

قوله: (حاشا عبد المطلب) هذا استثناء من العموم المستفاد من كل، وذلك أن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيها؛ لأن أصله من عبودية الرق.

وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبة هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج؛ لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة، فجاءت منه بهذا الابن، فلما شب في أخواله، وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلىٰ مكة بلد أبيه وعشيرته[2]، فقدم به مكة

(١) ابن حزم في «مراتب الإجماع» (صـ١٥٤).

(٢) وكانت أمه سلمىٰ قد شرط أبوها عمرو بن يزيد الخزرجي النجاري علىٰ هاشم أن تلد عنده بالمدينة، فولدت له شيبة. ومات هاشم في الشام فبقي شيبة بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين حتىٰ ذهب عمه =

وهو رديفه، فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبدًا للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب، فعلق به هذا الاسم وركبه، فصار لا يذكر ولا يُدعىٰ إلَّا به[1] فلم يبق للأصل معنىٰ مقصود. وقد قال النبي ﷺ: «**أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**»[2][3].

وقد صار معظمًا في قريش والعرب، فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم، وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده.

وعبد الله: والد رسول الله ﷺ أحد بني عبد المطلب، وتوفي في حياة أبيه.

قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتابه «الدرة السنية في مولد خير البرية»: كان سن أبيه عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله ﷺ نحو ثمانية عشر عامًا، ثم ذهب إلىٰ المدينة ليمتار منها تمرًا لأهله، فمات بها عند أخواله بني النجار، والنبي ﷺ حملٌ علىٰ الصحيح. انتهىٰ.

قلت: وصار النبي ﷺ لما وضعته أمه في كفالة جده عبد المطلب.

قال الحافظ الذهبي: وتوفي أبوه عبد الله وللنبي ﷺ ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل: أقل من ذلك، وقيل: وهو حمل. توفي بالمدينة، وكان قد قدمها ليمتار بها تمرًا، وقيل: قد مر بها راجعًا من الشام، وعاش خمسة وعشرين سنة.

قال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سنه ووفاته.

وتوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به ﷺ إلىٰ مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار، وهو يومئذ ابنُ ست سنين ومائة يوم. وقيل: ابن أربع سنين.

فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلىٰ جده، فكان في كفالته إلىٰ أن تُوفي جده، وللنبي ﷺ

المطلب إليه وأحضره إلىٰ مكة.[الفقي].

(١) واسمه العلم: شيبة الحمد.[الفقي].

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٣) روىٰ البخاري ومسلم عن البراء بن عازب – وسأله رجل من قيس –: أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله لم يفر. كانت هوزان رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا علىٰ الغنائم فاستقبلتنا بالسهام. ولقد رأيت رسول الله ﷺ علىٰ بغلته البيضاء، وأن أبا سفيان آخذ بزمامها يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ اللَّهُمَّ، نَزِّلْ نَصْرَكَ**». وكنا إذا حمي البأس اتقينا برسول الله ﷺ. وإن الشجاع الذي يحاذي به.[الفقي].

ثمان سنين، فأوصىٰ به إلىٰ عمه أبي طالب. انتهىٰ كلام الحافظ.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس. فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعنني أو لأجعلن له قَرْنَيْ أَيِّل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ، يخوِّفهما. سَمِّياه عبدَ الحارث. فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حُبُّ الولد، فسمياه عبد الحارث. فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[1]. رواه ابن أبي حاتم.**

ش: قد قدَّمنا نظيره عن ابن عباس في المعنىٰ.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وله بسند صحيح، عن قتادة، قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته[2].**

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا[3] وذُكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما[4].

---

(1) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٦٥٤) من طريق شريك عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف، لضعف شريك وخصيف، ورواه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٩٧٣) من طريق عتاب بن بشير، قال: نا خصيف، عن مجاهد وسعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وخصيف سيئ الحفظ، ورواية عتاب عنه منكرة، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» إلىٰ ابن المنذر (٣/ ٢٧٧ ط. دار الكتب العلمية). وهذا الأثر له طرق بمعناه، انظر الطبري في «التفسير» (١٥٥٢٩) في تفسير الآية رقم (١٩٠) من سورة الأعراف، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره، وابن كثير في تفسيره عند هذه الآية، وقال ابن كثير بعد أن ذكر هذه الآثار: وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب (٢/ ٢٤٠)، ورجح ابن كثير أنه ليس المراد من هذا السياق: آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك: المشركون من ذريته، لهذا قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(2) **حسن:** رواه الطبري (١٥٥٣١) من طريق معمر، عن قتادة به، وفي رواية معمر عن قتادة ضعف، لكن تابعه سعيد، عن قتادة به (١٥٥٣٢). وسبق أن نقلنا قول يحيىٰ بن سعيد القطان، أن سعيد لم يسمع التفسير من قتادة وبمجموعهما يحسن الأثر. والله أعلم.

(3) **في إسناده ضعف:** رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٦٤٨) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وابن أبي نجيح ثقة، ربما دلس، وقد عنعن، ثم إنه لم يسمع التفسير من مجاهد كما قال بعض أهل العلم.

(4) **في إسناده ضعف:** رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٦٥٠) من طريق معمر، =

ش: قال شيخنا رحمه الله: إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم تقصد حقيقتها.

وهو محمل حسن، يبين أن ما وقع من الأبوين - من تسميتهما ابنهما عبد الحارث - إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله.

وهذا معنىٰ قول قتادة: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تحريم كل اسم معبد لغير الله[1].

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنتَ السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

* * *

=

عن الحسن، قال: «غلام» ورواية معمر عن البصريين فيها ضعف، والحسن بصري؛ بل إن معمرًا طلب العلم يوم مات الحسن فبينهما انقطاع، وروىٰ نحوه سعيد بن جبير، كما عند ابن أبي حاتم (٨٦٥١) من طريق سالم بن أبي حفصة سمعت سعيد بن جبير. فقال: «مثل خلقنا» وسالم متكلم فيه.

(١) كتسمية عبد علي وعبد الحسين وغلام الحسين، وعبد النبي وعبد الرسول. [الفقي].

(٥٠)

بَابُ: قول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قول الله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[1] [الأعراف: ١٨٠] **الآية.**

ذكر ابنُ أبي حاتم، عن ابن عباس: ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ **يُشركون[2]. وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعُزَّىٰ من العزيز[3]. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها[4].**

ش: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»[5]. أخرجاه في «الصحيحين» من

---

(١) **في قرة عيون الموحدين:** أراد رحمه الله بهذه الترجمة الرد علىٰ من يتوسل بالأموات، وأن المشروع هو التوسل بالأسماء الحسنىٰ والصفات العليا، والأعمال الصالحة. [الفقي].

(٢) **ضعيف:** رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥٤٦٦)، وابن أبي حاتم (٨٥٨٣) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾: التكذيب، واللفظ لابن أبي حاتم، وللطبري قال: الإلحاد: التكذيب، وسقط عند الطبري ذكر علي بن أبي طلحة، وهذا إسناد ضعيف، لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، ثم إن عليًّا فيه كلام، أما تفسيره بـ: «يشركون» فهو مروي عن قتادة، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٨٤)، والطبري (١٥٤٦٧)، وابن أبي حاتم (٨٥٨٦) من طريق معمر، عن قتادة قوله ورواية معمر، عن قتادة فيها ضعف.

(٣) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٥٨٤)، والطبري (١٥٤٦٤)، عن ابن عباس قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ قال: الإلحاد، الملحدين أن دعوا اللات والعزىٰ في أسماء الله عز وجل.

وإسناده مسلسل بالضعفاء، فقد روياه بإسناد العوفيين عن ابن عباس.

(٤) **إسناده ضعيف جدًّا:** رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٥٨٧) من طريق مبشر بن عبيد القرشي، عن الأعمش به، ومبشر متروك.

(٥) **صحيح:** رواه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

حديث سفيان بن عيينة. ورواه البخاري [1]عن أبي اليمان عن أبي الزناد عن الأعرج عنه.

وأخرجه الترمذي عن الجوزجاني، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شُعيب بسنده، مثله.

وزاد - بعد قوله: «يُحب الوتر» -: هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، المَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الأحد، الفرد، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، المعطي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ» [2].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٣٩٢).

(٢) ضعيف: رواه الترمذي (٣٥٠٧)، والبغوي (١٢٥٧)، وابن حبان (٨٠٨)، والحاكم (١/ ١٦)، وابن منده في التوحيد (٢٣٢)، (٢٤٥)، (٢٦٠)، (٣٦٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢)، وفي «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٧ - ٢٨)، وفي الاعتقاد (صـ٤٥)، وفي «الأسماء والصفات» (٦)، والطبراني في «الدعاء» (١١١) من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم نا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

والوليد بن مسلم مدلس تدليس تسوية وصرح عن شيخه إلَّا أنه عنعن الإسناد، ثم إنه قد خالف الوليد بن مسلم أبا اليمان الحكم بن نافع وعلي بن عباس وبشير بن شعيب فزاد في روايته ذكر الأسماء، ورواه الأثبات عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بدون ذكر الأسماء.منهم مالك وابن عيينة وذلك مما يؤكد شذوذ الوليد بن مسلم بسرد الأسماء، وانظر تحقيق شيخنا أبي عبد الله أحمد بن أبي العينين في «الاعتقاد» للبيهقي.

وقد أعل هذا الحديث بالاضطراب والإدراج والضعف انظر الفتح (١١/ ٢١٤)، و«التلخيص الحبير» (٤/ ١٧٢)، والمحلىٰ لابن حزم (٨/ ٣١)، والفتاوىٰ لابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢)، وتفسير الحافظ ابن كثير (٢/ ٢٦٩)، وتحقيق =

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلَّا في هذا الحديث.

والذي عول عليه جماعة من الحفاظ: أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه. وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك الصنعاني عن زهير بن محمد: أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك. أي: إنهم جمعوها من القرآن، كما رُوي عن جعفر بن محمد وسفيان وأبي زيد اللغوي، والله أعلم.

هذا ما ذكره العماد ابن كثير في «تفسيره». ثم قال: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنىٰ ليست منحصرة في تسعة وتسعين. بدليل ما رواه أحمد، عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: **«مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ. أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ: أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»**. فقيل: يا رسول الله: ألا نتعلمها؟ فقال: **«بَلَىٰ. يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»**(١). وقد أخرجه

=
صحيح ابن حبان (٣/ ٨٩ - ٩١) للشيخ شعيب الأرناؤوط، ورواه ابن ماجه (٣٨٦١) من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني عن أبي المنذر زهير بن محمد التيمي: حدثنا موسىٰ بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا. وعبد الملك بن محمد الصنعاني ضعيف، ورواية الشاميين عن زهير بن محمد ضعيفة وعبد الملك شامي. ورواه إسماعيل بن محمد في «الحجة» (٤٢) من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن موسىٰ بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا.

والوليد شامي، ولعله دخل عليه هذا في حديث أبي الزناد والله أعلم، قاله شيخنا أحمد بن أبي العينين.

وهذا الحديث له طريق آخر عن أبي هريرة عند البيهقي في «الاعتقاد» (صـ٤٦)، والحاكم (١/ ١٧)، والطبراني في «الدعاء» (١١٢)، وغيرهم، وفي إسناده عبد العزيز بن الحصين وهو ضعيف. وانظر تحقيق «الاعتقاد» للبيهقي والكلام عليه، ط. دار الفضيلة.

(١) **إسناده ضعيف:** رواه أحمد (١/ ٣٩١)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣)، والحاكم (١/ ٥٠٩)، وأبو يعلىٰ (٥٢٩٧)،
=

أبو حاتم وابن حبان في صحيحه.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾. قال: إلحاد الملحدين: أن دعوا اللات في أسماء الله[1].

وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾. قال: اشتقوا اللات من الله، واشتقوا العزىٰ من العزيز[2].

=

والشاشي (٢٨٢)، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢)، وفي الدعاء (١٠٣٥) من طريق فضيل بن مرزوق حدثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله مرفوعًا وفي الإسناد فضيل بن مرزوق وهو مختلف فيه، وأبو سلمة الجهني مجهول كما قال الحسيني والذهبي وابن حجر وغيرهم انظر «تعجيل المنفعة» ترجمة أبي سلمة الجهني و«لسان الميزان» (٨/ ٦٢) ط. الفاروق (ترجمة أبي سلمة الجهني)، وقد قال يحيىٰ بن معين – علىٰ سبيل الظن؛ كما في «الكنىٰ» للدولابي (١/ ١٩١) –: أراه موسىٰ الجهني يعني موسىٰ بن عبد الله الجهني الثقة من رجال التهذيب إلَّا أن كل من جاء بعد يحيىٰ فرق بين هذين الرجلين انظر «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٢٨٨)، (٩/ ٣٩)، وثقات ابن حبان (٧/ ٤٩، ٦٥٩)، والجرح والتعديل (٨/ ١٤٩)، وغيرهم وتحقيق مسند أحمد حـ (٣٧١٢) ط. الرسالة، حيث فصّل المحقق في ذلك خير تفصيل.

وله طريق آخر رواه البزار (٣١٢٢ كشف) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٠) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن به، وعبد الرحمن بن إسحاق متفق علىٰ ضعفه، ثم إنه أعل بالإرسال كما سيأتي في كلام الدارقطني.

وله شاهد من حديث أبي موسىٰ. رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٩) من طريق عبد الله بن زبيد عن أبي موسىٰ به، وفي الإسناد عبد الله بن زبيد بن الحارث اليامي، ذكره ابن حبان في «الثقات» وذكره البخاري في «التاريخ» وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ولم يدرك أبا موسىٰ الأشعري فالإسناد فيه رجل مجهول مع الانقطاع.

سئل عنه الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٠٠ – ٢٠١)، فقال: يرويه القاسم بن عبد الرحمن واختلف عنه. فرواه فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود. وتابعه محمد بن صالح الواسطي رواه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم عن أبيه عن ابن مسعود. وخالفهما علي بن مسهر فرواه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم عن ابن مسعود مرسلًا وإسناده ليس بالقوي.

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٥٤٦٤) بإسناد العوفيين وهو إسناد مسلسل بالضعفاء.

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٥٤٦٥) من طريق ابن جريج عن مجاهد وابن جريج مدلس وقد عنعن وقيل: لم يسمع منه إلَّا حرفًا.

وقال قتادة: يُلحدون: يُشركون(١). وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب(٢).

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف. ومنه اللحد في القبر؛ لانحرافه إلىٰ جهة القبلة عن سمت الحفر.

قال ابن القيم رحمه الله:

وَحَقِيقَةُ الإِلْحَادِ فِيهَا المَيْلُ بِالْإِشْـ ــرَاكِ والتَّعْطِيلِ والنُّكْرَانِ

وأسماء الرب تعالىٰ كلها أسماء وأوصاف تَعَرَّفَ بها تعالىٰ إلىٰ عباده، ودلت علىٰ كماله جل وعلا.

وقال رحمه الله تعالىٰ: فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات.

وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد؛ فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها. حتىٰ قال زعيمهم: هو المسمىٰ بمعنىٰ كل اسم ممدوح عقلًا وشرعًا وعرفًا. وبكل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا. تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. انتهىٰ.

قلت: والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة - متقدمهم ومتأخرهم -: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١].

وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذىٰ حذوه ومثاله، وكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتًا حقيقة لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله صفات حقيقة لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٥٤٦٧) من طريق معمر عن قتادة، ورواية معمر عن قتادة فيها ضعف.

(٢) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥٤٦٦)، وقال: حدثني المثنىٰ، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا معاوية، عن ابن عباس. فذكره. والمثنىٰ هو الآملي ولم يعرف له توثيق، وعبد الله بن صالح ضعيف. وفي هذا الإسناد سقط علي بن أبي طلحة بين معاوية وابن عباس، وعلي لم يسمع ابن عباس.

رسوله، أو تأوله علىٰ غير ما ظهر من معناه: فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين. كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[النساء: ١١٥].

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ - أيضًا:

فائدة جليلة: ما يجري صفةً أو خبرًا علىٰ الرب تبارك وتعالىٰ أقسام:

أحدها: ما يرجع إلىٰ نفس الذات، كقولك ذات وموجود.

الثاني: ما يرجع إلىٰ صفاته ونعوته، كالعليم والقدير، والسميع، والبصير.

الثالث: ما يرجع إلىٰ أفعاله، كالخالق والرازق.

الرابع: التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتًا، إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام.

الخامس: - ولم يذكره أكثر الناس -: وهو الاسم الدال علىٰ جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دال علىٰ معان، نحو المجيد، العظيم، الصمد؛ فإن المجيد: من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل علىٰ هذا؛ فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه: استَمْجدَ المَرْخُ والعَفارُ[1]، وأمجد الناقة: علفها. ومنه ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله علىٰ رسوله، كما علَّمناه ﷺ؛ بأنه في مقام طلب المزيد والتعرُّض لسعة العطاء، وكثرته ودوامه. فأتىٰ في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلىٰ التوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه. ومنه الحديث الذي في «المسند» والترمذي: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»[2]. ومنه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ،**

---

(١) المرخ: شجر سريع الوري والاشتعال. والعفار - كسحاب -: شجر يتخذ منه الزناد، والمراد: كثرت النار، ويضرب المثل للكثرة.[الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٤/ ١٧٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٧١٦، ١١٥٦٣)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٩٤)، وفي «الدعاء» (٩٢)، والحاكم (١/ ٤٩٨ - ٤٩٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٩٣) من طريق عبد الله بن المبارك =

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[(١)].

فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده، وأنه: لا إله إلَّا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته. وما أحق ذلك بالإجابة، وأعظمه موقعًا عند المسئول! وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر. وذلك قدر زائد علىٰ مفرديهما نحو: الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن؛ فإن الغِنَىٰ صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنىٰ مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف المعارف.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: إثبات الأسماء.

=

عن يحيىٰ بن حسان عن عامر بن ربيعة مرفوعًا، وإسناده صحيح.

وله شاهد من حديث أنس عند الترمذي (٣٥٢٤، ٣٥٢٥)، والطبراني في «الدعاء» (٩٣، ٩٤) من طريقين عن أنس وفيهما ضعف. وشاهد آخر من حديث أبي هريرة عند الحاكم (١/ ٤٩٩) بإسناد ضعيف.

(١) **صحيح بطرقه**: رواه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وأحمد (٣/ ١٥٨، ٢٤٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٧٥)، وابن حبان (٨٩٣)، والطبراني في «الدعاء» (١١٦)، والحاكم (١/ ٥٠٣ - ٥٠٤)، والبغوي (١٢٥٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٨) من طريق خلف بن خليفة عن حفص بن عمر ابن أخي أنس بن مالك عن أنس بن مالك فذكره مرفوعًا، وخلف بن خليفة حسن الحديث ولكن اختلط بآخره.

وللحديث طرق عن أنس:

منها: ما رواه ابن ماجه (٣٨٥٨)، وأحمد (٣/ ١٢٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٧٢) من طريق وكيع عن أبي خزيمة عن أنس بن سيرين عن أنس به. وفي الإسناد أبو خزيمة إن كان نصر بن مرداس فالإسناد حسن، وإن كان يوسف بن ميمون الصباغ فالإسناد ضعيف. ومنها: ما رواه أحمد (٣/ ٢٦٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٧٤)، والبخاري في «التاريخ» (٦/ ٢٧) من طريق محمد بن إسحاق حدثني عبد العزيز بن مسلم مولىٰ آل رفاعة حدثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عن أنس وإسناده حسن وقد توبع عبد العزيز بن مسلم. فرواه الحاكم (١/ ٥٠٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٤) من طريق عياض بن عبد الله الفهري عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عن أنس به، وعياض ضعيف، وله طرق أخرىٰ فيها ضعف. انظر الترمذي (٣٥٤٤).

الثانية: كونها حسنىٰ.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

* * *

(٥١)
بَابٌ: لا يقال: السلام على الله

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب لا يقال: السلام علىٰ الله.**

في الصحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام علىٰ الله من عباده، السلام علىٰ فلان، فقال النبي ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَىٰ الله، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ».

ش: هذا الحديث: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا جلسنا مع النبي ﷺ في الصلاة قُلنا: السلام علىٰ الله قبل عباده، السلام علىٰ فلان وفلان. الحديث[1] وفي آخره ذِكْرُ التشهد الأخير.

ورواه الترمذي من حديث الأسود بن يزيد عن ابن مسعود[2]. وذكر في الحديث سبب النهي عن ذلك بقوله: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»[3].

وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثًا وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام**»[4].

وفي الحديث: «إِنَّ هَذَا هُوَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[5].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٨٣٥)، بلفظ المصنف، وانظر مسلم (٤٠٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩)، والنسائي (٢/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

(٣) انظر البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٥٩١).

(٥) **حديث منكر:** جزء من حديث طويل رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم مفصلًا، ورفعه منكر، كما قال المنذري في «الترهيب» (٤/ ٥٤٨)، وسبق الكلام عليه تحت باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله. من حديث محمد بن علي بن الحسين.

وله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ بلفظ «السَّلَامُ تَحِيَّةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» عند أحمد (٩٤٠٤) ط. الرسالة، وانظر =

وفي التنزيل ما يدلُّ علىٰ أن الرب – تبارك وتعالىٰ – يسلِّم عليهم في الجنة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨].

ومعنىٰ قوله: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ» إنه تعالىٰ سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص.

قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: السلام اسم مصدر. وهو من ألفاظ الدعاء، يتضمن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تُناقض الجهة الإنشائية، وهو معنىٰ السلام المطلوب عند التحية. وفيه قولان مشهوران:

الأول: أن الله عز وجل هو السلام. ومعنىٰ الكلام: نزلت بركته عليكم ونحو هذا. فاختير في هذا المعنىٰ من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدر بمعنىٰ السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية. ومن حُجة أصحاب هذا القول: أنه يأتي منكَّرًا، فيقول المسلم: سلام عليكم، ولو كان اسمًا من أسماء الله لم يُستعمل كذلك. ومن حجتهم: أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنىٰ، وإنما المقصود منه: الإيذان بالسلامة خبرًا ودعاءً.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وفصل الخطاب أن يُقال: الحق في مجموع القولين. فكل منهما بعض الحق والصواب، في مجموعهما.

وإنما يتبين ذلك بقاعدة، وهي: أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنىٰ أن يسأل في كل مطلوب ويتوسل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب، المناسب لحصوله، حتىٰ إن الداعي متشفع إلىٰ الله تعالىٰ متوسل إليه به.

فإذا قال: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور، فقد سأله أمرين وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه.

وقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وقد سأله ما يدعو به: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا

=

الكلام عليه هناك، وجاء عن ابن عباس موقوفًا: «السَّلَامُ اسْمُ اللهِ وَهُوَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؛ ذكره الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٣)، وعزاه إلىٰ البيهقي في «الشعب».

كَثِيرًا وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[(١)].

فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتىٰ في طلبها بصيغة اسم من أسماء الله تعالىٰ وهو السلام، الذي تطلب منه السلامة، فتضمن لفظ السلام معنيين:

أحدهما: ذكر الله.

والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم، وقد تضمن سلام عليكم: اسمًا من أسماء الله وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة.

وحقيقته: البراءة والخلاص، والنجاة من الشرور والعيوب وعلىٰ هذا المعنىٰ تدور تصاريفه، فمن ذلك قولك: سلمك الله ومنه دعاء المؤمنين علىٰ الصراط: رب سلم سلم[(٢)].

ومنه سلم الشيء لفلان، أي: خلص له وحده، قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩].

أي: خالصًا له وحده، لا يملكه معه غيره، ومنه السِّلم ضد الحرب، لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذىٰ الآخر، ولهذا بُني فيه علىٰ المفاعلة، فقيل: المسالمة مثل المشاركة، ومنه: القلب السليم، وهو النقي من الدغل والعيب.

وحقيقته: الذي قد سلم لله وحده فخلص من دغل الشرك وغله ودغل الذنوب والمخالفات فهو المستقيم علىٰ صدق حبه وحسن معاملته وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته.

ومنه أخذ الإسلام فإنه من هذه المادة، لأنه الاستسلام والانقياد لله والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه وللمشرك به.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٣٨٧)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٣).

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

* * *

(٥٢)
بَابُ: قول: اللهم اغفر لي إن شئت

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول:** اللهم اغفر لي إن شئت.

ش: يعني: أن ذلك لا يجوز لورود النهي عنه في حديث الباب.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:** «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»[1]. ولمسلم: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

ش: بخلاف العبد؛ فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه منه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره.

فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسئول، مخافة أن يُعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين تعالىٰ، فإنه لا يليق به ذلك؛ لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام.

وفي الحديث: «يَمِينُ اللهِ مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وفي يَدِهِ الْأُخْرَىٰ الْقِسْطُ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ»[2][3]. يعطي تعالىٰ لحكمة ويمنع لحكمة وهو الحكيم الخبير. فاللائق بمن سأل الله

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).

(٣) رواه البخاري في عدة مواضع من الجامع، ومسلم عن أبي هريرة وفيه زيادة: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ» بعد «خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ». وفي تفسير سورة «هود» من البخاري أول الحديث: «أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»، وقال: «يَدُ الله مَلْأَىٰ... الحديث» قال الحافظ في «الفتح»: «وترد رواية: «يَمِينُ الله» علىٰ من فسر اليد هنا بالنعمة، وأبعد منه من فسرها بالخزائن. اهـ. ومعنىٰ: «يَغِيضُهَا» ينقصها، يقال: غاض الماء إذا نقص. ومعنىٰ: «سَحَّاءُ» أي: دائمة الصب
=

أن يعزم المسألة، فإن الله تعالىٰ لا يعطي عبده شيئًا عن كراهة، ولا عن عظم مسألة.

وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه:

وَيَعْظُمُ فِي عَـيْنِ الـصَّغِيرِ صِـغَارُهَا   وَيَـصْغُرُ فِي عَـيْنِ العَظِـيمِ العَظَـائِمُ

وأما هذا: بالنسبة إلىٰ ما في نفوس أرباب الدنيا، وإلا فإن العبد يُعطي تارة ويمنع أكثر، ويُعطي كرهًا، والبخل عليه أغلب. وبالنسبة إلىٰ حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم.

وأما ما يعطيه الله عباده فهو دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال من حيث وضعت النطفة في الرحم؛ فنعمه علىٰ الجنين في بطن أمه دارّة، يربيه أحسن تربية، فإذا وضعت أمه عطف عليه والديه ورباه بنعمه حتىٰ يبلغ أشده، يتقلب في نعم الله مدة حياته، فإذا كانت حياته علىٰ الإيمان والتقوىٰ، ازدادت نعم الله تعالىٰ عليه إذا توفاه: أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدر قدرها إلَّا الله، مما أعده الله تعالىٰ لعباده المؤمنين المتقين. وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم، وإن كان بعضها علىٰ يد مخلوق، فهو بإذن الله وإرادته وإحسانه إلىٰ عبده.

فإن الله تعالىٰ هو المحمود علىٰ النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدّرها وأجراها عن كرمه وجوده وفضله، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

وقد يمنع تعالىٰ عبده إذا سأله؛ لحكمة وعلم بما يُصلح عبده من العطاء والمنع، وقد يؤخِّر ما سأله عبده لوقته المقدر، أو ليُعطيه أكثر. فتبارك الله رب العالمين.

قوله: (ولمسلم: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ**»[1]) أي: في سؤاله لربه حاجته، فإنه يعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا. «**فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»، أي: ليس شيء عنده يعظم، وإن عظم في نفس المخلوق؛ لأن سائل المخلوق لا يسأله إلَّا ما يهون عليه بذله بخلاف رب العالمين، فإن عطاءه كلام: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢].

=

والعطاء الكبير.. [الفقي].

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٧٩).

فسبحان من لا يقدِّر الخلقُ قدْرَه، لا إله غيره ولا رب سواه.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «لِيَعْزِم المَسْأَلَةَ».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

* * *

(٥٣)
بَابُ: لا يقول: عبدي وأَمَتي

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب لا يقول: عبدي وأمتي.**

في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال، «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

ش: قوله: (باب لا يقول: عبدي وأمتي). ذكر الحديث الذي في «الصحيح» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: **«لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»**[(١)].

هذه الألفاظ المنهي عنها: وإن كانت تطلق لغة، فالنبي ﷺ نهىٰ عنها تحقيقًا للتوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأن الله تعالىٰ هو رب العباد جميعهم.

فإذا أطلق علىٰ غيره شاركه في هذا الاسم، فيُنهىٰ عنه لذلك. وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالىٰ. وإنما المعنىٰ أن هذا مالكٌ له. فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار. فالنهي عنه حسمًا لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقًا للتوحيد، وبُعدًا عن الشرك حتىٰ في اللفظ.

وهذا من أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب تعالىٰ، وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم ﷺ إلىٰ ما يقوم مقام هذه الألفاظ. وهو قوله: **«سَيِّدِي وَمَوْلَايَ»** وكذا قوله: **«وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي»**؛ لأن العبيد: عبيد الله، والإماء: إماء الله. قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]. ففي إطلاق هاتين الكلمتين علىٰ غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيمًا لله تعالىٰ وأدبًا

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

وإبعادًا عن الشرك وتحقيقًا للتوحيد. وأرشدهم إلىٰ أن يقولوا: «فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

وهذا من باب حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد، فقد بلّغ ﷺ أمته كل ما فيه نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين. فلا خير إلَّا دلهم عليه، خصوصًا في تحقيق التوحيد، ولا شر إلَّا حذرهم - صلوات الله وسلامه عليه -، خصوصًا ما يقرب من الشرك لفظًا وإن لم يقصد. وبالله التوفيق.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أَطْعِمْ ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي، وفتاتي، وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتىٰ في الألفاظ.

* * *

(٥٤)
بَابٌ: لا يرد من سأل بالله

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب لا يرد من سأل بالله.**

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[1]. رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

ش: ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله، لكن هذا العموم يحتاج إلىٰ تفصيل بحسب ما ورد في الكتاب والسنة، فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق كبيت المال أن يجاب فيعطىٰ منه علىٰ قدر حاجته وما يستحقه، وكذلك إذا سأل المحتاج مَن في ماله فضل فيجب أن يعطيه علىٰ حسب حاله ومسألته.

وأما إذا سأل من لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه علىٰ قدر حال المسئول ما لا

---

(١) **صحيحه الشيخ الألباني:** رواه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٥/ ٨٢)، وفي «الكبرىٰ» (٢٣٤٨)، والطيالسي (٢٠٠٧ ط. هجر)، والقضاعي في «مسنده»، (وابن حبان (٣٤٠٨)، وأحمد (٢/ ٦٨، ٩٩، ٢٧)، والبيهقي (٤/ ١٩٩)، والحاكم (٢/ ٦٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٥٦)، وابن الأعرابي في «المعجم» (٣٧٦) من طريق أبي عوانة، وجرير، وعمار بن رزيق، وعبد العزيز بن مسلم، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر به، ورجاله ثقات إِلَّا أن الأعمش مدلس، وقد عنعن، وفي رواية الأعمش، عن مجاهد بعض الكلام من حيث السماع، ويخشىٰ أن يكون بينه وبين مجاهد أبو يحيىٰ القتاف، كما قال ابن المديني، أو: ليث؛ كما قال أحمد، كما في «تهذيب» ابن حجر، ويخشىٰ أن يكون الأعمش أسقطه. وتابعهم حصين والعوام بن حوشب، كما في الطبراني في «الكبير» (١٣٤٨٠، ١٣٥٣٠)، وتابع الأعمش ليث ابن أبي مسلم، كما عند أحمد (٢/ ٩٩٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٢٨، ٦/ ٥٥٦)، وليث فيه ضعف، وصححه ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» لابن علان (٥/ ٢٥٠)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٥٤)، ورواه ابن حبان «إحسان» (٣٣٥٥، ٣٤٠٩) من طريق عبد الملك بن معن، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن مجاهد، عن ابن عمر به، بإثبات واسطة بين الأعمش ومجاهد. وفي الإِسناد ليث بن أبي مسلم، والصواب: سليم.

يضره ولا يضر عائلته، وإن كان مضطرًا وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته.

ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود وضدهما من البخل والشح. فالأول محمود في الكتاب والسنة. والثاني مذموم فيهما.

وقد حث الله تعالىٰ عباده علىٰ الإنفاق؛ لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧ - ٢٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] وذلك الإنفاق في خصال البر المذكورة في قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة. وذلك - والله أعلم - لتعدي نفعه.

وذكره تعالىٰ في الأعمال التي أمر بها عباده، وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه علىٰ الصدقة حتىٰ النساء، نُصحًا للأمة وحثًّا لهم علىٰ ما ينفعهم عاجلًا وآجلًا.

وقد أثنىٰ الله سبحانه علىٰ الأنصار ﷺ بالإيثار، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩]. والإيثار من أفضل خصال المؤمن كما تُفيده هذه الآية الكريمة، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٨ - ٩].

والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدًّا، ومن كان سعيه للدار الآخرة رغب في هذا ورغّب، وبالله التوفيق.

قوله: «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ». هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض: إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين.

قوله: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ». ندبهم ﷺ على المكافأة على المعروف؛ فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله تعالى ورسوله، كما دل عليه هذا الحديث، ولا يُهمل المكافأة على المعروف إلَّا اللئيم من الناس. وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة، كما يقع ذلك كثيرًا من بعضهم، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

بخلاف حال أهل التقوى والإيمان، فإنهم يدفعون بالحسنة السيئة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه، كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٦ - ٩٨]. وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥]. وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة.

قوله: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ». أرشدهم ﷺ إلى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف، فيدعو له بحسب معروفه.

قوله: «حَتَّىٰ تَرَوْا - بضم التاء أي: تظنوا - **أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»** ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى تعلموا. ويؤيده ما في «سنن أبي داود» في حديث ابن عمر: **«حَتَّىٰ تَعْلَمُوا»**. فتعين الثاني للتصريح به. وفيه: **«مَنْ سَأَلَكُمْ بِالله فَأَجِيبُوهُ»**[1]. أي: إلى ما سأل. فيكون بمعنى: أعطوه. وعند أبي داود في رواية أبي نَهِيك عن ابن عباس: **«مَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ الله فَأَعْطُوهُ»**[2]. وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث: **«وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِالله»**، كما في

(١) عند أبي داود: «وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِالله فَأَعْطُوهُ». [الفقي].

(٢) حسن لغيره: رواه أبو داود (٥١٠٨)، وأحمد (١/ ٢٤٩ - ٢٥٠)، وأبو يعلى (٢٥٣٦، ٢٧٥٥)، والبيهقي في

حديث ابن عمر[1].

*** قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل الله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة علىٰ الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلَّا عليه.

السادسة: قوله: «حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

* * *

=

«الأسماء والصفات» والترمذي في «العلل الكبير» (٦٨٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٥٨) من طريق خالد بن الحارث حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي نهيك عن ابن عباس فذكره مرفوعًا.

وفي الإِسناد قتادة وهو مدلس وقد عنعن، وأبو نهيك هو عثمان بن نهيك، وأبو نهيك ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال ابن القطان: لا يعرف وقد روىٰ عنه جماعة. واضطرب فيه الحافظ في «التقريب» فقال في «الكنىٰ»: ثقة، وقال في «الأسماء»: مقبول، قال أبو عيسىٰ: سألت محمدًا عن هذا الحديث، فقال: سعيد بن أبي عروبة يسند هذا الحديث عن قتادة وغيره يقول خلاف هذا ولا يسنده. قال: محمد أبو نهيك هو خرساني مروزي ولم يعرف محمد اسمه.

والحديث يحسن بشاهد ابن عمر السابق، والله أعلم.

(١) انظر حديث ابن عمر السابق وحديث ابن عباس.

(٥٥)

بَابُ: لا يسأل بوجه الله إلاَّ الجنة

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة.**

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إِلَّا الجَنَّةُ»[1]. رواه أبو داود.

ش: قوله: (باب لا يُسأل بوجه الله إِلَّا الجنة).

ذكر فيه حديث جابر - رواه أبو داود، عن جابر - قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا

---

(١) **ضعيف:** رواه أبو داود (١٦٧١)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ١٦٦)، وفي «الأسماء والصفات» (٦٦١)، وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٨٩)، والبزار كما في «صفة الجنة» لابن كثير (٢٧٤) بتحقيقي، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٣٥١١١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٥٧)، والمزي في «تهذيب الكمال (٢١١٣٤) من طريق أبي العباس القلوري، عن يعقوب، عن سليمان بن قرم بن معاذ، عن محمد بن المنكدر، عن جابر به.
وأبو العباس القلوري روىٰ عنه جماعة، ولم يذكر ابن حجر أحدًا من العلماء وثقه، ولكنه قال في «التقريب»: ثقة.

قلت: وتابعه محمد بن عبد الله بن عمار، وهو ثقة كما عند الفسوي (٣/ ٤٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (٣٥٣٧)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٣٥١)، ومدار الإسناد علىٰ سليمان بن قرم، وهو ضعيف واهٍ.
قال ابن عدي: وهذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر إِلَّا من رواية سليمان بن قرم، وذكر الذهبي هذا الحديث في «الميزان» في ترجمة سليمان بن قرم، وقال: انفرد به سليمان عن أحمد بن عمرو العصفوري «القلوري» عن يعقوب، ونقل المزي في «تهذيب الكمال» عن ابن شاهين أنه قال: انفرد به الحضرمي، ولا أعلم من حدث به إِلَّا القلوري، وهو حديث غريب. اهـ.

قلت - محمد -: وهناك من العلماء من فرق بين سليمان بن قرم، وسليمان بن معاذ وقالوا: راوي هذا الحديث هو سليمان بن معاذ، وهناك من جعله واحد كأبي حاتم كما في «الجرح والتعديل» (٤/ ١٣٦). وانظر الذهبي في «الميزان» وابن حجر في «التهذيب».

وقالوا: هو سليمان بن قرم بن معاذ، وقد نسبه أبو داود إلىٰ جده كي لا يفطن له كما قال أبو حاتم.

قلت: وإن كان سليمان هو ابن معاذ فإنه في عداد المجهولين، فقد ذكره البخاري في «تاريخه» (٤/ ٣٩)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في «ثقاته» (٦/ ٣٩٢)، وقال ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٧٣)، ولم أر للمتقدمين فيه كلام، وفي بعض ما يروي المناكير. اهـ. وإن كان الراجح الأول. والله أعلم.

يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ».

وهنا سؤال: وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند مُنصرفه من الطائف، حين كذبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا ﷺ بالدعاء المأثور: **«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ. أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرُ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي»**. وفي آخره: **«أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ. لَكَ العُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**[1][2]. والحديث المروي في الأذكار: **«اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ»** - وفي آخره -: **«أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ»**[3].

وفي حديث آخر: **«أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ، وَبِاسْمِ اللهِ العَظِيمِ، وَبِكَلِمَاتِهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ السَّامَّةِ وَاللَّامَّةِ، وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتَ أَيْ رَبِّ، وَمِنْ شَرِّ هَذَا اليَوْمِ وَمِنْ شَرِّ مَا بَعْدَهُ، وَمِنْ شَرِّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»**[4]. وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

فالجواب: أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يُقرِّب إلىٰ الجنة أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يُقرِّب إلىٰ الجنة؛ كما في الحديث الصحيح: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ**

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبراني في «الكبير» قطعة من الجزء ١٣ صـ ٧٣ ط. السلفي)، وفي «الدعاء» (١٠٣٦) من طريق محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر فذكره.

وفي الإسناد محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وضعف الحديث: الشيخ الألباني في تعليقه علىٰ «فقه السيرة» للغزالي (صـ١٢٦) ط. دار القلم.

(٢) رواه ابن إسحاق والطبراني عن عبد الله بن جعفر.. [الفقي].

(٣) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٠٢٧) من طريق فضال بن جبير عن أبي أمامة فذكره.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١١٧): وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف مجمع علىٰ ضعفه.

(٤) صح ذلك من قول سعيد بن المسيب عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٧٥) بإسناد صحيح من قوله. وجاء نحوه عن ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٦٣، ٦٦٤)، وغيرهما بإسناد ضعيف عنهما.

مِنَ النَّارِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»[1].

بخلاف ما يختص بالدنيا كسؤاله المال والرزق والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة. فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله، وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث كما لا يخفى. والله أعلم.

وحديث الباب: من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى؛ فإنه صفة كمال، وسلبُه غاية النقص والتشبيه بالناقصات، كسلبهم جميع الصفات أو بعضها. فوقعوا في أعظم مما فروا منه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وطريقة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته، فيثبتون له ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ، وينفون عنه مشابهة المخلوق، فكما أن ذات الرب تعالى لا تُشبه الذوات، فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها فقد سلبه الكمال.

* **قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلَّا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

* * *

(١) إسناده صحيح: رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وأحمد (٦/ ١٣٤، ١٤٦، ٢٤٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٠٢٥، ٦٠٢٦)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١١٢٦٣ - ٢٦٤)، وأبو يعلى (٤٤٧٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٩) من طريق جبير بن حبيب، وفي رواية الجريري - عن أم كلثوم بنت أبي بكر عن عائشة وإسناده صحيح - ولبعضه شاهد من حديث جابر بن سمرة عند الطيالسي (٧٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٥٨)، وانظر الصحيحة (١٥٤٢).

(٥٦)
بَابُ: ما جاء في اللَّوِّ

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى**: باب ما جاء في اللو.

ش: أي: من النهي عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرىٰ بها القدر، لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسىٰ علىٰ ما فات، مما لا يمكن استدراكه.

فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة وهو الصبر علىٰ ما أصاب العبد مما يكره. والإيمان بالقدر: أصل من أصول الإيمان الستة.

وأدخل المصنف رحمه الله أداة التعريف علىٰ لو، وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفًا كنظائرها؛ لأن المراد هذا اللفظ كما قال الشاعر:

رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مبَارَكًا ... شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الخِلَافَةِ كَاهِلُهُ

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى**: وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ش: قاله بعض المنافقين يوم أحد؛ لخوفهم وجزعهم وخورهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم. فما منا من رجل إلَّا ذقنه في صدره، قال: فوالله إني لأسمع قول مُعتِّب بن قُشير ما أسمعه إلَّا كالحلم: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لقول معتب[1]. رواه ابن أبي حاتم.

---

(١) إسناده حسن: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٣٧٣) من طريق محمد بن إسحاق عن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فذكره. وعزاه إليه ابن كثير (١/ ٣٥٩)، ورواه الطبري (٨٠٩٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٣)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٢٣) من طريق ابن إسحاق به مختصرًا.

قال الله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي: هذا قدر مقدّر من الله عز وجل، وحكم حتم لازم لا محيد عنه ولا مناص منه.

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] قال العماد ابن كثير: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾: أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قُتلوا مع من قتل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي لكم أن لا تموتوا، والموت لا بد آت إليكم، ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين.

قال مجاهد، عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وأصحابه[1] يعني: أنه هو الذي قال ذلك.

وأخرج البيهقي عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه. قال: والطائفة الأخرى - المنافقون - ليس لها هم إلّا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] إنما هم أهل ريب وشك بالله عز وجل[2].

قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أبيّ في غزوة أحد، قال: فلما انخذل يوم أحد وقال: يَدَع رأيي ورأيه، ويأخذ برأي الصبيان؟ - أو كما قال - انخذل معه خلق كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك. فأولئك كانوا مسلمين، وكان معهم إيمان، هو الضوء الذي ضرب الله به المثل. فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (٨٢٠٢) من طريق الحسين، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن جابر فذكر نحوه. والحسين هو سُنيد وفيه ضعف، وابن جريج مدلس وقد عنعن، وقيل: لم يسمع التفسير من مجاهد.

(٢) الحديث عند البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٣)، والحديث عند البخاري من وجه آخر (٤٠٦٨).

الإسلام، ولم يكونوا من المؤمنين حقًّا الذين امتحنوا فثبتوا على المحنة، ولا من المنافقين حقًّا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة.

وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم، إذا ابتُلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا، وينافق كثير منهم. ومنهم من يُظهر الردة إذا كان العدو غالبًا.

وقد رأينا من هذا - ورأىٰ غيرنا من هذا - ما فيه عبرة. وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين علىٰ عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسل باطنًا وظاهرًا، لكن إيمانًا لا يثبت علىٰ المحنة، ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم، وهؤلاء من الذين قالوا آمنا، فقيل لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] أي: الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًّا؛ فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله تعالىٰ، كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب. انتهىٰ.

قوله: وقد رأينا من هذا - ورأىٰ غيرنا من هذا - ما فيه عبرة.

قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو، من إعانتهم العدو علىٰ المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام، وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره. والله المستعان.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1].**

ش: (في **«الصحيح»**) أي: «صحيح مسلم» (**عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله ﷺ قال: «احْرِصْ»**) الحديث.

اختصر المصنف هذا الحديث، وتمامه: عن النبي ﷺ أنه قال: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤).

وَأَحَبُّ إِلَىٰ الله مِن الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ». أي: في معاشك ومعادك. والمراد الحرص علىٰ فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالىٰ لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه، ليتم له سببه وينفعه، فيكون اعتماده علىٰ الله تعالىٰ في ذلك؛ لأنه تعالىٰ هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلَّا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب علىٰ الله تعالىٰ. ففعل السبب سنة، والتوكل علىٰ الله توحيد. فإذا جمع بينهما تم له مراده.

قوله: «وَلَا تَعْجَزَنَّ» النون نون التوكيد الخفيفة، نهاه ﷺ عن العجز وذمه، والعجز مذموم شرعًا وعقلًا.

وفي الحديث: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ الله الْأَمَانِيَّ»[1][2].

فأرشده في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره فلا يقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن يقول: قَدَرُ الله وما شاء فعل، أي: هذا قَدَرُ الله، والواجب التسليم للقدر والرضا به، واحتساب الثواب عليه.

قوله: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أي: لما فيها من التأسف علىٰ ما فات والتحسر ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضا، والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض، قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وأحمد (٤/ ١٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٧١٤٣)، والحاكم (١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١)، والبغوي (٤١١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٧، ٨/ ٣٦٩)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٦٩)، وفي الشعب (١٠٥٤٦)، وغيرهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن حمزة بن حبيب عن شداد بن أوس مرفوعًا. وأبو بكر بن أبي مريم ضعيف.

وله طريق آخر عند الطبراني في «الكبير» (٧١٤١)، وفي الصغير (٢/ ٣٦)، وفي السند عمرو بن بكر السكسي وهو متروك.

(٢) رواه أحمد والترمذي- وحسنه-، والحاكم وقال: «صحيح علىٰ شرط البخاري»، وتعقبه الذهبي بأن فيه ابن أبي مريم وهو واهٍ. وهذا من حديث شداد بن أوس. وهو عندهم بدون كلمة: «**الْأَمَانِيَّ**». [الفقي].

عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[١].

وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن.

قال شيخ الإسلام - وذكر حديث الباب بتمامه - ثم قال في معناه: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع من مقدور، ومن الناس من يجمع كلا الشرين، فأمر النبي ﷺ بالحرص على النافع والاستعانة بالله.

والأمر يقتضي الوجوب، وإلا فالاستحباب، ونهى عن العجز، وقال: «إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ»[٢]. والعاجز ضد الذين هم ينتصرون، فالأمر بالصبر والنهي عن الجزع مأمور به في مواضع كثيرة، وذلك لأن الإنسان بين أمرين: أمر أُمر بفعله، فعليه أن يفعله ويحرص عليه ويستعين الله ولا يعجز. وأمرٌ أصيب به من غير فعله. فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه. ولهذا قال بعض العقلاء - ابن المقفع أو غيره -: الأمور أمران: أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه.

وهذا في جميع الأمور، لكن عند المؤمن: الذي فيه حيلة هو ما أمر الله به، وأحبه له؛ فإن الله لم يأمره إلَّا بما فيه حيلة له، إذ لا يكلف الله نفسًا إلَّا وسعها، وقد أمره بكل خير له فيه حيلة. وما لا حيلة فيه هو ما أصيب به من غير فعله. واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين:

فالأفعال: مثل قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي شيبة (١٣٠) من طريق أبي إسحاق قال: قال علي... فذكره مختصرًا. وأبو إسحاق مدلس ثم إنه لم يسمع من علي، وله طريق آخر بلفظ المصنف عند اللالكائي (١٥٦٩) من طريق محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن علي فذكره. ومحمد بن زياد الميموني كذبوه، وقد سبق هذا الأثر.

(٢) إسناده ضعيف: رواه أبو داود (٣٦٢٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٦)، وأحمد (٦/ ٢٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم ٩٧)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٨١)، وفي «الشعب» (١٢١٣)، وغيرهم. من طريق بقية بن الوليد، قال: حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن سيف عن عوف بن مالك مرفوعًا. وفي الإسناد سيف وهو مجهول، وبقية بن الوليد مدلس تسوية وقد عنعن الإسناد.

مِثْلَهَا﴾[الأنعام: ١٦٠]. ومثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء: ٧]. ومثل قوله تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[الشورىٰ: ٤٠]. ومثل قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[البقرة: ٨١] إلىٰ آيات كثيرة من هذا الجنس.

والقسم الثاني: ما يجري علىٰ العبد بغير فعله من النعم والمصائب. كما قال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[النساء: ٧٩]. والآية قبلها، فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم. والسيئة: المصائب، وهذا هو الثاني من القسمين.

وأظن شيخ الإسلام ذكره في هذا الموضع، ولعل الناسخ أسقطه، والله أعلم.

ثم قال رحمه الله تعالىٰ: فإن الإنسان ليس مأمورًا أن ينظر إلىٰ القدر عندما يؤمر به من الأفعال، ولكن عندما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها، فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم، فاصبر عليه وارض وسلم. قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾[التغابن: ١١]. ولهذا قال آدم لموسىٰ: **«أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ؛ لِأَنَّ مُوسَىٰ قَالَ لَهُ: لِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ»**[(١)][(٢)]. فلامه علىٰ المصيبة التي حصلت بسبب فعله، لا لأجل كونها ذنبًا. وأما كونه لأجل الذنب – كما يظنه طوائف من الناس – فليس مرادًا بالحديث؛ فإن آدم – عليه السلام – كان قد تاب من الذنب. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس. انتهىٰ.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: فتضمن هذا الحديث الشريف أصولًا عظيمة من أصول الإيمان:

أحدها: أن الله سبحانه موصوف بالمحبة، وأنه يحب حقيقة.

الثاني: أنه يحب مقتضىٰ أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر ويحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٠٩)، وأطرافه، ومسلم (٢٦٥٢)، وأطرافه.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب[الفقي].

يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها: أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض.

ومنها: أن سعادة الإنسان في حرصه علىٰ ما ينفعه في معاشه ومعاده. والحرص: هو بذل الجهد واستفراغ الوسع. فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا، وأن يكون حرصه علىٰ ما ينتفع به، فإن حرص علىٰ ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه من غير حرص: فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص علىٰ ما ينفع.

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره: أن يستعين بالله ليجتمع له مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]. فإن حرصه علىٰ ما ينفعه عبادة لله تعالىٰ. ولا يتم إلَّا بمعونته فأمره أن يعبده وأن يستعين به. فالحريص علىٰ ما ينفعه، المستعين بالله ضد العاجز. فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلىٰ ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه.

فإن فاته ما لم يُقدَّر له فله حالتان: عجز. وهو مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلىٰ «لو» ولا فائدة من «لو» هاهنا، بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان. فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح، وأمره بالحالة الثانية، وهي النظر إلىٰ القدر وملاحظته، وأنه لو قُدِّر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له هاهنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإن انتفت امتنع وجوده، ولهذا قال: «**فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**». فأرشده إلىٰ ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول مطلوبه، وحالة فواته، فلهذا كان الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدًا، بل هو أشد ضرورة إليه، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنًا في حالة حصول المطلوب وعدمه، وبالله التوفيق. انتهىٰ.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير الآيتين في «آل عمران».

الثانية: النهي الصريح عن قول: «لو» إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلىٰ الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص علىٰ ما ينفع، مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.

* * *

(٥٧)

بَابُ: النهي عن سب الريح

*** قال المصنف رحمه الله تعالى: باب النهي عن سب الريح.**

عن أُبي بن كعب: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»[1]. صححه الترمذي.

---

(١) صحيح بشواهده: وقد اختلف في حديث أبي بن كعب في الوقف والرفع وبإثبات ذر بن عبد الله المرهبي من عدمه، فقد رواه الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي أبزىٰ، عن أبيه، عن أبي بن كعب. واختلف عن الأعمش فرواه عنه أسباط بن محمد، واختلف عنه، فرواه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢١٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٩)، عن أسباط بن محمد، عن الأعمش، عن حبيب، عن سعيد عن أبيه، عن أُبي موقوفًا، ورواه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٢٣)، والضياء في «المختارة» (١٢٢٣) من طريق محمد بن المثنىٰ، عن أسباط به إِلَّا أنه رفعه، وتابع أسباط علىٰ رواية الرفع أبو عوانة كما عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٥)، وتابعهما محمد بن فضيل عند الترمذي (٢٢٥٢)، والضياء (١٢٢٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٩١٨)، وعبد الله في «زوائد المسند» (٥/ ١٢٣)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٢٩٨)، وفي هذا الطريق بإثبات ذر بن حبيب، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبي أبزىٰ، ولكن في رواية ابن السني، ولم يذكر ذرًّا في الإِسناد، وخالفهم جرير بن عبد الحميد فرواه عن الأعمش به، إِلَّا أنه أوقفه علىٰ أبي بن كعب، كما عند النسائي في «اليوم والليلة» (٩٣٦)، والحاكم (٢/ ٢٧٢)، والطحاوي (٩١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٦٩)، ورواه شعبة، عن حبيب، واختلف عنه، فرواه مسلم بن إبراهيم، وسهل بن حماد، عن شعبة، عن حبيب به مرفوعًا، كما عند عبد بن حميد (١٦٧)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٩٣٧) والضياء (١٢٢٥)، وخالفهما محمد بن أبي عدي، والنضر بن شميل ويحيىٰ بن سعيد القطان، فرووه عن شعبة به موقوفًا علىٰ أُبي.

كما عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٨، ٩٣٩)، والطحاوي بإثر حديث (٩١٨)، وأحمد في «مسائل ابنه صالح» (٥٩٦)، وقد صوب الإِمام النسائي الوقف كما نقله الطحاوي في «شرح المشكل» وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة بإسناد حسن، رواه ابن ماجه (٣٧٢٧)، أحمد (٢/ ٢٥٠)، والطبراني في «الدعاء» (٩٧٣) من =

ش: لأنها - أي: الريح - إنما تهب عن إيجاد الله تعالىٰ وخلقه لها وأمره، لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمسبتها مسبة للفاعل، وهو الله سبحانه، كما تقدم في النهي عن سب الدهر، وهذا يُشبهه. ولا يفعله إلَّا أهل الجهل بالله ودينه وبما شرعه لعباده، فنهىٰ ﷺ أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء، وأرشدهم إلىٰ ما يجب أن يُقال عند هبوب الرياح، فقال: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ**». يعني: إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت، فارجعوا إلىٰ ربكم بالتوحيد وقولوا: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**».

ففي هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان الذين حُرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلىٰ الكلام النافع إذا رأىٰ الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلىٰ أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر.

* * *

= طريق الزهري حدثني ثابت الزرقي، قال: سمعت أبا هريرة. فذكره مرفوعًا، وهذا إسناد حسن، ويشهد للحديث حديث عائشة بلفظ النبي ﷺ كان إذا عصفت الريح قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**» رواه مسلم (طرف حديث ٨٩٩)، والبخاري مختصرًا (١٣٢، ٣٢٠٦، ٤٨٢٩).

(٥٨)

باب: قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالىٰ:** ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقولـه: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولىٰ: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفُسِّر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته.. ففسر بإنكار الحكمة. وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله علىٰ الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة «الفتح»، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق. فمن ظن أنه يُديل الباطل علىٰ الحق إدالة مستقرة يضمحلُّ معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرىٰ بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجرّدة. فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده فليعتن اللبيب الناصحُ لنفسه بهذا، وليتُب إلىٰ الله وليَستَغْفِره من ظنه بربه ظنَّ السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا علىٰ القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟!

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

ش: قوله: باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآية.

هذه الآية ذكرها الله تعالىٰ في سياق قوله تعالىٰ في ذكر وقعة أُحد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾. يعني: أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالىٰ ينصر رسوله ﷺ وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾[الفتح: ١٢].

وهكذا هؤلاء: اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهلَه، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة.

عن ابن جريج قال: قيل لعبد الله بن أبي: قُتل بنو الخزرج اليوم؟ قال: وهل لنا من الأمر من شيء؟[١].

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ - في الكلام علىٰ ما تضمنته وقعة أُحد[٢]: وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل وأنه يُسلِمه للقتل، وفُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة له فيه. ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ، ويظهره علىٰ الدين كله.

هذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة «الفتح» حيث يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾[الفتح: ٦].

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (٨٠٩٢) من طريق الحسين، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج فذكره، والحسين هو سُنيد ضعيف. وابن جريج رواه مرسلًا.

(٢) زاد المعاد (جـ ٢ صـ ١٠٣ - ١٠٦)، وقد بسط القول في ذلك أيضًا في إغاثة اللهفان.[الفقي].

وإنما كان هذا ظن السوء وظن الجاهلية العُلىٰ - وهو المنسوب إلىٰ أهل الجهل - وظن غير الحق؛ لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يُخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون.

فمن ظن به أنه لا يُنصر رسله ولا يتم أمره ولا يؤيده، ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يُديل الشرك علىٰ التوحيد، والباطل علىٰ الحق إدالة مستقرة، يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا، فقد ظن به ظن السوء، ونسبه إلىٰ خلاف ما يليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته؛ فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبىٰ ذلك، وتأبىٰ أن يُذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به.

فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله. وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره، فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته. وكذلك من أنكر أن يكون قَدَّر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة، وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فواتها، وأن تلك الأسباب المكروهة له المفضية إليها، لا يخرج تقديرها عن الحكمة؛ لإفضائها إلىٰ ما يُحب وإن كانت مكروهة له، فما قدرها سُدًىٰ ولا شاءها عبثًا ولا خلقها باطلًا. ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧] .

وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق، ظن السوء: فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلَّا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده.

فمن قنط من رحمته وأيس من روحه: فقد ظن به ظن السوء. ومن جوّز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويسوي بينهم وبين أعدائه: فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن أنه يترك خلقه سدًىٰ معطلين عن الأمر والنهي، لا يرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه، بل يتركهم هَمَلًا كالأنعام، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه لن يجمعهم بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازىٰ المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين: فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن أنه يُضيِّع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه علىٰ امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، وأنه يعاقبه بما لا صُنع له فيه ولا اختيار له ولا قُدرة ولا إرادة له في حصوله، بل يعاقبه علىٰ فعله هو سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله، ويجريها علىٰ أيديهم يُضلون بها عباده، وأنه يحسن منه كل شيء حتىٰ تعذيب من أفنىٰ عمره في طاعته، فيخلده في الجحيم في أسفل سافلين، ويُنعم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه إلىٰ أعلىٰ عليين، وكلا الأمرين في الحسن سوء عنده، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلَّا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحُسن الآخر، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحق لم يخبر به وإنما رمز إليه رموزًا بعيدة، وأشار إليه إشارات مُلغِزٍ لم يصرح به، وصرح دائمًا بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد من خلقه أن يُتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله علىٰ غير تأويله، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي[1] أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته علىٰ عقولهم وآرائهم لا علىٰ كتابه، بل أراد منهم أن لا يحملوا كلامه علىٰ ما يعرفونه من خطابهم ولغتهم، مع قدرته علىٰ أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدىٰ والبيان، فقد ظن به ظن السوء؛ فإنه إن قال: إنه غير

(١) يقال: كلمة محجية: مخالفة المعنىٰ للفظ. وهي إما من معنىٰ الناحية، وتقديرها أنها جاءت من غير حجاها، أو من معنىٰ الفطنة وهي الأحجية والأحجوة. قال صاحب «المثل السائر»: وأما اللغز والأحجية فإنهما شيء واحد، وهو كل معنىٰ يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازًا. ولا يفهم منه غرضه. انتهىٰ من هامش الأصل نقلًا عن «سر الليال». [الفقي].

قادر علىٰ التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه: فقد ظن بقدرته العجز، وإن قال: إنه قادر ولم يبين، وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلىٰ ما يوهم، بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد: فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء.

ومن ظن أنه وسلفه عبّروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله، وأن الهدىٰ والحق في كلامهم وعباراتهم، وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال، وظاهر كلام المتهوكين والحيارىٰ هو الهدىٰ والحق، فهذا أسوأ الظن بالله.

فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية.

ومن ظن به أنه يكون في مُلكه ما لا يشاء ولا يقدر علىٰ إيجاده وتكوينه: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه كان مُعطلًا من الأزل إلىٰ الأبد علىٰ أن يفعل، ولا يوصف حينئذ بالقدرة علىٰ الفعل، ثم صار قادرًا عليه بعد أن لم يكن قادرًا: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات، ولا عدد السموات ولا النجوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم ولا إرادة، ولا كلام يقوم به، وأنه لا يكلم أحدًا من الخلق ولا يتكلم أبدًا، ولا قال، ولا يقول، ولا له أمر ولا نهي يقوم به: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته علىٰ عرشه بائنًا من خلقه، وأن نسبة ذاته إلىٰ عرشه كنسبتها إلىٰ أسفل سافلين، وإلىٰ الأمكنة التي يُرغب عن ذكرها، وأنه أسفل كما أنه أعلىٰ، وأن من قال: سبحان ربي الأسفل كان كمن قال: سبحان ربي الأعلىٰ: فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن أنه يحب الكفر والفسوق والعصيان، ويحب الفساد كما يحب الإيمان والبر والطاعة والإصلاح: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضىٰ، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يوالي ولا يعادي،

ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحد، وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين: فقد ظن بالله ظن السوء.

ومن ظن به أنه يسوي بين المتضادين، أو يفرق بين المتساويين من كل وجه، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها، فيخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم أبد الآبدين بتلك الكبيرة، ويُحبط بها جميع طاعاته ويُخلده في العذاب كما يُخلد من لم يؤمن به طرفة عين، واستنفد ساعات عمره في مساخطه ومعاداة رسله ودينه: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أن له ولدًا أو شريكًا، أو أن أحدًا يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم: فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يُنال بطاعته والتقرب إليه: فقد ظن به خلاف حكمته، وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا ترك شيئًا لأجله لم يعوضه خيرًا منه، أو من فعل شيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يغضب علىٰ عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جُرم، ولا سبب من العبد إلَّا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتضرع إليه وسأله: واستعان به، وتوكل عليه أنه يُخيبه ولا يعطيه ما سأله: فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله.

ومن ظن به أنه يثيبه إذا عصاه، كما يثيبه إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه: فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه، ثم اتخذ من دونه أولياء ودعا من دونه ملكًا أو بشرًا حيًّا أو ميتًا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه، ويخلصه من عذابه: فقد ظن به ظن السوء.

فأكثر الخلق بل كلهم - إلَّا من شاء الله - يظنون بالله غير الحق وظن السوء؛ فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما شاء الله وأعطاه. ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر علىٰ التصريح به.

ومن فتش نفسه، وتغلغل في معرفة طواياها: رأىٰ ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا علىٰ القدر وملامة له، واقتراحًا له خلاف ما جرىٰ به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم من ذلك؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليَتُبْ إلىٰ الله ويستغفره في كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوىٰ كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة علىٰ الجهل والظلم. فهي أولىٰ بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد، الذي له الغنىٰ التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنىٰ.

فَلَا تَظْنُنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ ... فَإِنَّ اللهَ أَوْلَىٰ بِالْجَمِيلِ

وَلَا تَظْنُنَّ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا ... فَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولِ

وَقُلْ: يَا نَفْسُ مَأْوَىٰ كُلِّ سُوءٍ ... أَتَرْجُو الْخَيْرَ مِنْ مَيِّتٍ بَخِيلِ

وَظُنَّ بِنَفْسِكَ السُّوآىٰ تَجِدْهَا ... كَذَاكَ وَخَيْرُهَا كَالْمُسْتَحِيلِ

وَمَا بِكَ مِنْ تُقَىٰ فِيهَا وَخَيْرٍ ... فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ

وَلَيْسَ لَهَا وَلَا مِنْهَا وَلَكِنْ ... مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ

قوله: ﴿الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾. قال ابن جرير في «تفسيره»: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل

الإيمان بك على أعدائك، ولن يُظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين بـه. وذلـك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع.

يقول - تعالىٰ ذكره -: علىٰ المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن: دائرة السوء. يعني: دائرة العذاب تدور عليهم به.

واختلفت القراء في قراءة ذلك: فقرأته عامة قراء الكوفة ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بفـتح السـين. وقرأ بعض قراء البصرة (**دَائِرَةُ السُّوءِ**) بضم السين. وكان الفـراء يقـول: الفـتح أفـشىٰ في السين. وقلّ ما تقول العرب (**دَائِرَةُ السُّوءِ**) بضم السين.

قوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ونـالهم بغـضب منـه، ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾. يقـول: وأبعـدهم فأقصاهم من رحمتـه، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ يقـول: وأعـد لهـم جهـنم يـصلونها يـوم القيامـة ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝﴾ يقول: وساءت جهنم منزلًا يصير إليـه هـؤلاء المنـافقون والمنافقـات والمشركون والمشركات.

وقال العماد ابن كثـير: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: يتهمون الله في حُكمه، ويظنون بالرسـول ﷺ وأصـحابه أن يقتلـوا ويـذهبوا بالكلية؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾. وذكر في معنىٰ الآية الأخرىٰ نحوًا مما ذكـره ابن جرير - رحمهما الله تعالىٰ -.

قوله: (**قال ابـن القـيم - رحمـه الله تعـالىٰ -**) الـذي ذكـره المـصنف في المـتن قدمتـه لاندراجه في كلامه الذي سقته من أوله إلىٰ آخره.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير آية «آل عمران».

الثانية: تفسير آية «الفتح».

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلَّا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

* * *

(٥٩)
باب: ما جاء في منكري القدر

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: قوله: باب ما جاء في منكري القدر.**

ش: أي: من الوعيد الشديد ونحو ذلك.

أخرج أبو داود، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»**(١)(٢).

---

(١) قال في عون المعبود (جـ ٤ صـ ٣٥٧): قال الخطابي: إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة. وكذلك القدرية يضيفون الخير إلىٰ الله، والشر إلىٰ غيره.اهـ. وقال المنذري: هذا منقطع. أبو حازم - سلمة بن دينار - لم يسمع من ابن عمر. وقد روي هذا الحديث من طرق عن ابن عمر، ليس فيها شيء يثبت. اهـ. [الفقي]

(٢) **ضعيف**: قد رُوي عن جماعة من الصحابة:

١-**عن أنس**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢١٧) حدثنا علي بن عبد الله الفرغاني قال: حدثنا هارون بن موسىٰ الفروي، قال: حدثنا أبو حمزة أنس بن عياض عن حميد عن أنس فذكره مرفوعًا. وهذا إسناد حسن إلَّا أنه يخشىٰ من تفرد الطبراني في «الأوسط» بهذا الإسناد فإنه ذكر في هذا الكتاب غرائب مشايخه.

٢-**أبو هريرة**: رواه ابن أبي عاصم (٣٤٢)، والفريابي في «القدر» (٢٣٥)، والآجري في «الشريعة» (٣٨٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٧٤ - ٢٧٥) من طريق عبد الأعلىٰ بن حماد وسوار بن عبد الله عن المعتمر بن سليمان عن أبي الحسن يزيد بن هارون عن جعفر بن الحارث عن يزيد بن ميسرة عن عطاء الخراساني عن مكحول عن أبي هريرة، وهذا الإسناد مسلسل بالضعفاء، ففيه جعفر وعطاء وكلاهما ضعيف، ويزيد بن ميسرة مجهول، ومكحول لم يسمع أبا هريرة، ورواه في «المفرد» (٢٣٣)، والآجري في «الشريعة» (٣٨٥) من طريق عبد الأعلىٰ بن حماد عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن مكحول عن أبي هريرة، وفي الإسناد عبد الأعلىٰ بن حماد لا بأس به. والصواب: الطريق الأول وخاصة وقد تابعه سوار بن عبد الله القاضي - وهو ثقة - علىٰ الإسناد الأول، وله طريق آخر عند ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١٦)، وفي إسناده مسلمة بن علي وهو متروك؛ ورواه الفريابي في «القدر» (٢٣٢) من طريق سليمان التيمي عن رجل عن مكحول عن أبي هريرة به والرجل مبهم، ومكحول لم يسمع أبا هريرة.

٣-**جابر**: رواه ابن ماجه (٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٨)، والآجري في «الشريعة» (٣٨٤)، والطبراني في =

وعن عمر مولىٰ غُفرة[1] عن رجل من الأنصار عن حذيفة - وهو ابن اليمان - ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ»[2].

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتىٰ يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وتؤمن بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». رواه مسلم.**

=

«الصغير» (١/ ٢٢١) من طريق محمد بن مصفىٰ، قال: حدثنا بقية بن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر به.

وفيه محمد بن مصفىٰ والوليد بن مسلم وابن جريج وهم مدلسون تدليس تسوية، وأبو الزبير رمي بالتدليس وقد عُنعِن الإسناد، وقد تابع ابن مصفىٰ جحدر عند ابن الجوزي في «العلل» (٢٠٤٤)، وجحدر متهم بالسرقة بل إنه سرقه من ابن المصفىٰ كما قال ابن عدي ونقله ابن الجوزي.

٤ - **حذيفة**: رواه أحمد (٥/ ٤٠٦ - ٤٠٧)، وأبو داود (٤٦٩٢)، وابن أبي عاصم (٣٢٩)، واللالكائي (١١٥٥)، والفريابي في «القدر» (٢٣٦) من طريق عمر مولىٰ غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة. وعمر ضعيف والرجل مبهم.

ورواه البزار (٢٩٣٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٣٨) من طريق أبي معشر عن عمر مولىٰ غفرة عن عطاء بن يسار عن حذيفة. وعمر ضعيف، وأبو معشر قال يحيىٰ: ليس بشيء، كما نقله ابن الجوزي.

٥ - **ابن عمر**: وله عنه عدة طرق:

وخير من فصل فيها شيخنا أحمد بن أبي العينين في «تحقيقه لكتاب الاعتقاد» (صـ٣١٤)، وضعفها.

إلىٰ أن قال: قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» (صـ٢٧٣) بعد ذكره جملة من طرق هذا الحديث: لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة وإنما يصح الموقوف منها - وضعفه الشيخ الأرناؤوط في تحقيقه مسند أحمد حـ(٥٥٨٤)، ونقل عن الدارقطني أن الصواب من حديث ابن عمر الوقف.

(١) **قال المنذري**: عمر مولىٰ غفرة - بضم الغين وسكون الفاء - لا يحتج بحديثه. وهو رجل من الأنصار مجهول، وقد رُوي من طرق أخرىٰ عن حذيفة. ولا يثبت. [الفقي]

(٢) **إسناده ضعيف**: وانظر الكلام عليه في الحديث السابق.

ش: حديث ابن عمر هذا: أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابـن ماجـه عن يحيىٰ بن يعمر، قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجُهني، فانطلقـت أنـا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحـدًا مـن أصـحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوفق الله لنا عبـد الله بـن عمـر داخـلًا المسجد، فاكتنفتـه أنـا وصـاحبي، فظننـت أن صـاحبي سـيكل الكـلام إليّ، فقلـت: أبـا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبلنا أناس يقرءون القـرآن، ويتقفّـرون العلـم[1] يزعمـون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف، فقال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء منـي. والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه ما قبلـه الله منـه، حتىٰ يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحـن عنـد رسـول الله ﷺ إذ طلـع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفيه علىٰ فخذيـه. وقـال: «**يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَام**» قال رسول الله ﷺ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». قال: «**صَدَقْتَ**». فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ**» قـال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وتـؤمن بِالْقَـدَرِ خَـيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قـال: «**صَدَقْتَ**». قال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟**» قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَـإِنْ لَمْ تَكُـنْ تَـرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ**» قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِـن الـسَّائِلِ**». قـال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟**» قال: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**». قال: فانطلق. فلبثت ثلاثًا – وفي رواية مسلم: مليًا –. ثم قال: «**يَـا عُمَـرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[2].

ففي هذا الحديث: أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمـن لم يُـؤمن

---

(١) يقال: اقتفرت الأثر، أي: تتبعته وقفوته. فمعنىٰ يتقفرون العلم أي: يتطلبونه. [الفقي].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٧/ ٩٨)، وابن ماجه (٦٣).

بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلًا من أصول الدين وجحده، فيشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عُبادة بن الصامت، أنه قال لابنه: يا بُني، إنك لن تجد طَعْمَ الإيمان، حتىٰ تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ». يا بُني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[1].**

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٨)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٤)، وفي «الاعتقاد» (صـ١٤٩ - ١٥٠) وفي «الشاميين» (٥٩) من طريق يحيىٰ بن حسان التنيسي، عن رباح بن الوليد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة - وهو حبش بن شريح - عن عبادة به.

وفي الإسناد أبو حفصة، وهو مقبول، وخالف يحيىٰ بن حسان مروان بن محمد العامري عند الطبراني في «الشاميين» (٥٨) فرواه عن رباح بن الوليد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي يزيد الأزدي، عن عبادة به، وأبو يزيد مجهول، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢) من طريق الطبراني عند الشاميين ولكن جعل مكان أبي يزيد الأزدي أبا عبد العزيز الأردني. والأردني هذا لا يعرف له ترجمة في هذه الطبقة، وإن كان الأردني الذي يروي عن يحيىٰ بن أبي كثير، فهو لا يدرك عبادة، ورواه ابن أبي عاصم (١٠٣)، وأحمد (٥/ ٣١٧) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الوليد بن عبادة، عن عبادة به، وابن لهيعة فيه مقال مشهور، ورواه الطيالسي (٥٧٨ ط. هجر)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وأحمد (٥/ ٣١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١١١)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١١٤)، والآجري في «الشريعة» (٢٤٦، ٣٧١، ٤٣٨)، والفريابي في «القدر» (٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥)، واللالكائي (٣٥٧، ١٠٩٧، ١٢٣٣)، والشاشي (١١٩٣)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٣٤٤٤)، وابن بطة في «الإِبانة» قسم القدر (١٠/ ٣٣٣ رقم ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٤٤٦، ١٤٤٧)، وغيرهم. بعضهم من طريق أيوب بن زياد، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن عبادة به وأيوب بن زياد فيه جهالة، وبعضهم من طريق عبد الواحد عن عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه به وعبد الواحد بن سليم ضعيف، وعطاء بن أبي رباح له طريق آخر من طريق بقية بن الوليد، عن معاوية بن سعيد عن عطاء، به، وبقية مدلس، وقد عنعن، ومعاوية بن سعيد فيه جهالة وبعضهم من طريق عثمان بن أبي عاتكة، حدثني سليمان بن حبيب، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به. وعثمان فيه ضعف. والحديث بمجموع هذه الطرق يصح. وله شواهد من حديث أبي هريرة، وحديث ابن عباس، انظر الآجري في «الشريعة» (١٧٩)، وتحقيق «الاعتقاد» (صـ٥٠ - ٥١) لشيخنا أحمد بن أبي العينين، وتحقيق مسند أحمد (٥/ ٣١٧) رقم (٢٢٧٠٧) للشيخ شعيب الأرناؤوط.

وفي رواية لأحمد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ: الْقَلَمَ، فَقَالَ لَـهُ: اكْتُـبْ فَجَـرَىٰ فِي تِلْـكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1].

وفي رواية لابن وهب، قال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَـيْرِهِ وَشَرِّهِ: أَحْرَقَـهُ اللهُ بِالنَّارِ»[2].

ش: قوله: **(وعن عبادة)** قد تقدم ذكره في باب فضل التوحيد، وحديثه هذا رواه أبو داود.

ورواه الإمام أحمد بكماله[3] قال: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا ليـث، عـن معاويـة، عن أيوب بن زياد، حدثني عُبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي، قال: دخلت علىٰ عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني. قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله: حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه وكيف أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليـصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ

---

(١) رواية أحمد (٥/ ٣١٧)، وابن أبي عاصم (١٠٧) من طريق أيوب بن زياد الحمصي، عن عبادة بن الوليد، عن أبيه، عن عبادة به، وأيوب فيه جهالة، ولكن ما سبق يغني عنه.

(٢) **جاء بلفظ:** «الْقَدَرُ عَلَىٰ هَذَا مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا أَدْخَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ النَّارَ» رواه ابـن أبي عاصـم (١١١)، والآجـري (٣٧١، ٤٣٨) من طريق عثمان بن أبي عاتكة، حدثني سليمان بن حبيب المحاربي، عن الوليد بن عبادة بهذا اللفظ، وعثمان ضعيف، وروىٰ الآجـري (٣٤٦، ٣٧٢)، وابـن بطـة في «الإبانـة» (١٤٤٨) مـن طريـق أيـوب بـن زيـد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن عبادة به، وأيوب الحمصي فيه جهالة، لكن يتقوىٰ بمجموع الطريقين، وانظر ابن وهب في «القدر» (٢٦) بلفظ المؤلف، وفي إسناده انقطاع، وانظر حديث زيد بن ثابـت عنـد أحمد (٢١٥٨٩) تحقيق الشيخ شعيب، وأبي الدرداء عند أحمد (٣٧٤٩٠)، وابن عبـاس عنـد الترمـذي (٢١٤٤)، والطبراني (١١٢٤٣)، والحاكم (٢/ ٥٤٢)، وابن عمر في «الأوسط» (١١٧٦)، وقوله «**أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ**».
رواه ابن عباس عند أبي يعلىٰ (٢٣٢٩)، وابن جرير (١٩/ ١١)، والطبراني (١٢٢٢٧)، والبيهقي (٣١٩)، وعمر عنـد ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٦)، والطحاوي في «الشاميين» (٦٧٣، ١٥٧٢)، وعن أبي هريـرة عنـد الآجـري في «الشريعة» (١٧٩).

(٣) المسند (جـ ٥ صـ ٣١٧)، وهو عند أبي داود أخصر مما عند أحمد، ومن طريـق جعفـر بـن مـسافر الهـذلي، أخبرنـا يحيىٰ بن حسان، أخبرنا الوليد بن رباح، عن إبراهيم بن أبي جميلة، عن أبي حفصة، قال: قال عبادة بـن الـصامت لابنه... الحديث. وسكت عنه المنذري. [الفقي].

الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». يا بني، إن مت ولست علىٰ ذلك دخلت النار[١].

ورواه الترمذي بسنده المتصل إلىٰ عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه[٢]، وقال: حسن صحيح غريب.

وفي هذا الحديث ونحوه: بيان شمول علم الله تعالىٰ وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق: ١٢][٣].

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله لما سُئل عن القدر قال: القدر: قدرة الرحمن. واستحسن هذا ابن عقيل من أحمد رحمه الله تعالىٰ.

والمعنىٰ: أنه لا يمتنع عن قُدرة الله شيء، ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالىٰ فضلوا عن سواء السبيل.

وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصموا، وإن جحدوه كفروا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ: والناس في باب خلق الرب وأمره، ولِمَ فعل ذلك، علىٰ طرفين ووسط:

فالقدرية من المعتزلة وغيرهم قصدوا تعظيم الرب تعالىٰ؛ بتنزيهه عما ظنوه قُبحًا من الأفعال وظلمًا. فأنكروا عموم قدرته ومشيئته، ولم يجعلوه خالقًا لشيء، ولا أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. بل قالوا: يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء. ثم إنهم وضعوا لربهم شريعة فيما يجب عليه ويحرم بالقياس علىٰ أنفسهم، وتكلموا في التقدير والتجويز بهذا القياس الفاسد الذي شبَّهوا فيه الخالق بالمخلوق، فضلُّوا وأضلوا!!.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي «المسند»، و«السنن»، عن ابن الديلمي،**

---

(١) انظر الحديث السابق حديث عبادة.

(٢) انظر الكلام عليه في أول رواية للحديث السابق.

(٣) في قرة العيون: والآيات في إثبات القدر كثيرة، وقد استدل العلماء علىٰ إثبات القدر بشمول القدرة والعلم، كما في الآية.[الفقي].

قال: أتيتُ أُبَيَّ بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي، فقال: «لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَـٰذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح، رواه الحاكم في «صحيحه».

ش: قوله: (وفي المسند وسنن أبي داود عن ابن الديلمي) وهو أبو بُسر - بالسين المهملة، وبالباء المضمومة -. ويقال: أبو بشر - بالشين المعجمة وكسر الباء - وبعضهم صحح الأول. واسمه: عبد الله بن فيروز.

ولفظ أبي داود: قال: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَـهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَـهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». قال: فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حُذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. وأخرجه ابن ماجه[1][2].

---

(١) **حسن بطريقيه:** رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وعبد بن حميد (٢٤٧)، وأحمد (٥/ ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٥)، وابنه في «السنة» (٨٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٤٩٤٠)، وابن حبان كما في «الإِحسان» (٧٢٧)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٢٠٤)، وابن بطة في «الإِبانة» قسم «القدر» (١٤٤٣)، من طريق سعيد بن سنان الشيباني، عن وهب بن خالد الحميري، عن ابن الديلمي به. وسعيد بن سنان مختلف في توثيقه وتضعيفه، ورواه الآجري في «الشريعة» (٣٧٣)، وابن بطة في «الإِبانة» قسم «القدر» (١٤٤٤) من طريق أبي صالح، حدثني معاوية بن صالح، أن أبا الزاهرية حدثه عن كثير بن مرة، عن ابن الديلمي به. وعبد الله بن صالح أبو صالح فيه ضعف.

وبمجموع الطريقين يحسن الحديث، وورد نحوه عن عمران بن حصين، وابن مسعود عند الطبراني (١٠٥٦٤)، وابن بطة في «الإِبانة» (١٤٤٥)، وإسناده ضعيف، وصحح الحديث الشيخ الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢٤٥).

(٢) قال في عون المعبود (جـ ٤ صـ ٣٦٢): فيصير الحديث مرفوعًا. قال المنذري: وفي إسناده أبو سفيان الشيباني، وثقه ابن معين وغيره، وتكلم فيه أحمد وغيره. [الفقي].

وقال العماد ابن كثير: عن سُفيان، عن منصور، عن ربعي بن خِراش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١). وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شُميل، عن شعبة، عن منصور به. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن ربعي عن علي فذكره.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» من رواية عبد الله بن وهب وغيره، عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُليّ، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه منصور عن ربعي بن خراش واختلف عنه، فرواه زائدة وجرير وشريك عن منصور عن ربعي عن علي به مرفوعًا. كما عند أبي يعلىٰ (٣٥٢، ٥٨٣)، والحاكم (١/ ٣٣)، والفريابي في «القدر» (١٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٠، ٨٨٨)، وابن ماجه (٨١)، والخطيب في «التاريخ» (٣/ ٣٦٦).

ورواه شعبة واختلف عنه، فرواه محمد بن جعفر وأبو داود الطيالسي عنه عن منصور عن ربعي عن علي به، كما عند الترمذي (٢١٤٥)، والطيالسي (١٠٨ ط. هجر) وأحمد (١/ ٩٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٤٥، ٨٨٧)، والبزار (٩٠٤ البحر الزخار) ورواه معاذ والنضر بن شميل عن شعبة عن منصور عن ربعي عن رجل عن علي كما عند الفريابي في «القدر» (١٩٥)، والترمذي علىٰ إثر حديث (٢١٤٥)، ورجح الترمذي الرواية الأولىٰ عن شعبة، ورواه سفيان الثوري واختلف عنه، فرواه محمد بن كثير وأبو عاصم عن سفيان عن منصور عن ربعي عن علي كما عند الحاكم (١/ ٣٢)، وابن حبان (١٧٨)، ورواه أبو حذيفة (موسىٰ بن مسعود)، ووكيع وأبو نعيم عنه عن منصور عن ربعي عن رجل عن علي به. كما عند أحمد (١/ ١٣٣)، وابنه في «السنة» (٨٤٦)، والبغوي (٦٦)، وعبد بن حميد (٧٥)، والحاكم (١/ ٣٣)، ورجح الحاكم الرواية الأولىٰ عن سفيان، ورواه أبو الأحوص (سلام بن سليم) واختلف عنه، فرواه الفريابي (١٩٤)، والطيالسي (١٦٥) من طريق سلام عن منصور عن ربعي عن علي بمتن قريب ورواه أبو يعلىٰ (٣٧٦) من طريق سلام عن منصور عن ربعي عن رجل عن علي به.

ورجح الدارقطني طريق منصور عن ربعي عن رجل عن علي، وسئل الدارقطني عن الحديث كما في علله (٣/ ١٩٦) فقال حدث به شريك وورقاء وجرير وعمرو بن أبي قيس عن منصور عن ربعي عن علي، وخالفهم سفيان الثوري وزائدة وأبو الأحوص وسليمان التيمي، فرواه عن منصور عن ربعي عن رجل من بني راشد عن علي. وهو الصواب. اهـ. وقد رجح الترمذي والحاكم طريق منصور عن ربعي عن علي، وربعي سمع من علي قال الترمذي بعد ذكر حديث النضر بن شميل: حديث أبي داود عن شعبة عندي أصح من حديث النضر وهكذا روىٰ غير واحد عن منصور عن ربعي عن علي. وقال الحاكم: جرير من أعرف الناس بحديث منصور.

«إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - زاد ابن وهب -: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ» (١). ورواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وكلُّ هذه الأحاديث وما في معناها: فيها الوعيد الشديد علىٰ عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة علىٰ نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم. ومن مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي.

وفي الحقيقة: إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر، فقد حكموا علىٰ أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا. وهذا لازم لهم علىٰ مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار (٢).

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتىٰ يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرىٰ بالمقادير في تلك الساعة إلىٰ قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلىٰ رسول الله ﷺ فقط.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦).

(٢) **في قرة العيون**: وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع، وكثير منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب - تعالىٰ وتقدس -. [الفقي]

(٦٠)

باب: ما جاء في المصورين

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** باب ما جاء في المصورين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تعالىٰ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»[١]. أخرجاه.

ولهما عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ الله تَعَالَىٰ»[٢].

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[٣].

ولهما عنه مرفوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[٤].

ش: قوله: **(باب ما جاء في المصورين)** أي: من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه.

وقد ذكر النبي ﷺ العلة: وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأن الله تعالىٰ له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٧ - ٩].

فالمصور لما صور الصورة علىٰ شكل ما خلقه الله تعالىٰ من إنسان أو بهيمة صار

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١)

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (طرف ٢١٠٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٢٢٥، ٧٠٤٢، ٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (طرف حديث ٢١١٠).

مضاهيًا لخلق الله. فصار ما صوَّره عذابًا له يوم القيامة، وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ، فكان أشد الناس عذابًا، لأن ذنبه من أكبر الذنوب.

فإذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوّى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بها لا يستحقه غيره، من كل عمل يُحبه الله من العبد ويرضاه؟

فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكًا له فيما اختص به تعالى وتقدس، هو أعظم ذنب عُصي الله تعالى به. ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى. فنجى تعالى رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جحد التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد، فما أعظمه من ذنب! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨، ١١٦]. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[الحج: ٣١].

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى:** ولمسلم، عن أبي الهيَّاج، قال: قال لي علي: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[(١)(٢)].

ش: قوله: **(ولمسلم عن أبي الهياج)** الأسدي، حيان بن حصين.

(قال: قال لي علي) هو أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»).

فيه: التصريح بأن النبي ﷺ بعث عليًا لذلك. أما الصور: فلمضاهاتها لخلق الله. وأما

---

(١) **في قرة العيون:** فهذا ما صح عن النبي ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[البقرة: ٥٩]. فأكثروا التصوير واستعملوه وأكثروا البناء على القبور وزخرفوها وجعلوها أوثانًا، وزعموه دينًا، وهو أعظم المنكرات وأكبر السيئات، تعظيمًا للأموات وغلوًّا، وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حق الله على عباده. [الفقي].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٩٦٩).

تسوية القبور: فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله. فصرف الهمم إلىٰ هذا وأمثاله، من مصالح الدين ومقاصده وواجباته. ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطًّا لرحال العابدين المعظِّمين لها. فصرفوا لها جلّ العبادة: من الدعاء والاستعانة والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كل شرك محرم محظور.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: [1] ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهىٰ عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم. رأىٰ أحدهما مضادًّا للآخر، مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدًا.

فنهىٰ رسول الله ﷺ عن الصلاة إلىٰ القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها.

ونهىٰ عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمُّونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله. ونهىٰ عن إيقاد السُّرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف علىٰ إيقاد القناديل عليها.

ونهىٰ أن تُتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها؛ كما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن أبي الهياج الأسدي - فذكر حديث الباب - وحديث ثُمامة بن شُفَي وهو عند مسلم أيضًا قال: كنا مع فَضالة بن عُبيد بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسُوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهىٰ عن تجصيص القبر والبناء عليه؛ كما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن جابر، قال: نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يُقعد عليه، وأن يبنىٰ عليه[2]. ونهىٰ عن الكتابة عليها؛ كما روىٰ أبو داود في «سننه». عن جابر: أن رسول الله ﷺ: نهىٰ عن تجصيص

---

(١) في إغاثة اللهفان الجزء الأول. [الفقي]

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٧٠).

القبور، وأن يُكتب عليها[١] . قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره.

ونهىٰ أن يُزاد عليها غير ترابها؛ كما روىٰ أبو داود عن جابر أيضًا أن رسول الله ﷺ نهىٰ أن يُجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يُزاد عليه. وهؤلاء يزيدون عليه الآجُر والأحجار والجص[٢] .

قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجُر علىٰ قبورهم.

والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السُّرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب: مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادّون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر. وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي: ولو أُبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله، ولأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام.

قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد علىٰ القبور لهذا الخبر، ولأن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». يحذر ما صنعوا[٣] . متفق عليه. ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد رُوِّينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها. انتهىٰ.

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلىٰ أن شرعوا للقبور حجًّا. ووضعوا لها

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٢٦)، والترمذي (١٠٥٢)، والحاكم (١/ ٣٧٠)، وغيرهم ولفظة «وأن يكتب عليها» الإسناد إليها لا يصح.

(٢) اختصر المؤلف كلام ابن القيم وهو علىٰ ما يأتي: (ونهىٰ عمر بن عبد العزيز أن يبنىٰ القبر بآجر، وأوصىٰ أن لا يفعل ذلك بقبره، وأوصىٰ الأسود بن يزيد أن لا تجعلوا علىٰ قبري آجرًا. وأوصىٰ أبو هريرة رضي الله عنه حين حضرته الوفاة أن لا يضربوا علىٰ قبره فسطاطًا. وكره الإمام أحمد أن يضرب علىٰ القبر فسطاطًا). اهـ إغاثة اللهفان (جـ١ صـ١٠٣).[الفقي] .

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

مناسك حتىٰ صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه «مناسك حج المشاهد» مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام.

ولا يخفىٰ أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام، فانظروا إلىٰ هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده، من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه.

ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يُعجَز عن حصره.

فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها.

ومنها: اتخاذها أعيادًا.

ومنها: السفر إليها.

ومنها: مُشابهة عِبادة الأصنام بما يفعل عندها: من العُكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها، وعُبّادها يرجحون المجاورة عندها علىٰ المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل لقيِّمها ليلة يطفئ القنديل المعلَّق عليها.

ومنها: النذر لها ولسدنتها.

ومنها: اعتقاد المشركين بها أن بها يُكشف البلاء وينصر علىٰ الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتُقضىٰ الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلىٰ غير ذلك.

ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج عليها.

ومنها: الشرك الأكبر الذي يُفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم. فإنهم يؤذيهم ما يُفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح – عليه السلام – يكره ما يفعل النصارىٰ عند قبره.

وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارىٰ عند قبورهم. ويوم القيامة يتبرءون منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن

دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٧ - ١٨].

قال الله للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٩]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

ومنها[1]: إماتة السنن وإحياء البدع.

ومنها[2]: تفضيلها علىٰ خير البقاع وأحبها إلىٰ الله، فإن عُبّاد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب، والعكوف بالهمة علىٰ الموتىٰ بما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريبًا منه.

ومنها: أن الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تَذَكُّرُ الآخرة، والإحسان إلىٰ المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية، فيكون الزائر محسنًا إلىٰ نفسه وإلىٰ الميت.

فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركة منه، ونصره لهم علىٰ الأعداء، ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلىٰ أنفسهم وإلىٰ الميت.

وكان رسول الله ﷺ قد نهىٰ الرجال عن زيارة القبور سدًّا للذريعة. فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها علىٰ الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هُجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولًا وفعلًا.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «زُورُوا الْقُبُورَ؛

---

(١) اختصر المؤلف من كلام ابن القيم ما يأتي: ومنها: مشابهة اليهود والنصارىٰ في اتخاذ المساجد والسرج عليها. ومنها: محادة الله ورسوله، ومناقضة ما شرعه فيها. ومنها: التعب العظيم مع الوزر الكبير والإثم العظيم. [الفقي].

(٢) زاد في الإغاثة: ومنها: أن ذلك يتضمن عمارة المشاهد وخراب المساجد، ودين الله الذي بعث به رسوله بضد ذلك. ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد وخربوا المساجد. [الفقي].

فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»[١].

وعن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ»[٢]. رواه أحمد والترمذي وحسنه[٣].

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما اعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟! وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إِلَّا ما أصلح أولها[٤]. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم، عوَّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرَّد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتىٰ كان أحدهم إذا سلم علىٰ النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلىٰ جدار القبر ثم دعا[٥].

ونص علىٰ ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتىٰ لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة.

---

(١) صحيح: وهي قطعة من «صحيح مسلم» (طرف حديث ٩٧٦).

(٢) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (١٠٥٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٦١٣) من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس مرفوعًا، وقابوس لين الحديث.

وقد صح عند مسلم (٩٧٥) من حديث بريدة «السَّلَامُ عَلَىٰ أَهْلِ الدِّيَارِ مِن الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ» وجاء عند مسلم (٩٧٤) نحوه من حديث عائشة مرفوعًا.

(٣) حذف المؤلف رحمه الله حديث ابن مسعود: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ». رواه ابن ماجه. وحديث أبي سعيد: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً». رواه الإمام أحمد. [الفقي].

(٤) وعزاه القاضي عياض في «الشفا» إلىٰ «المبسوط» لمحمد بن الحسن الشيباني.

فانظر «الشفا في زيارة قبر النبي ﷺ» بتحقيقي. ط. ابن رجب.

(٥) قال ابن القيم: فقال سلمة بن وردان: «رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه يسلم علىٰ النبي ﷺ، ثم يسند ظهره إلىٰ جدار القبر ثم يدعو». [الفقي]

وفي الترمذي وغيره مرفوعًا: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»(١). فجرد السلف العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلّا ما أذن فيه رسول الله ﷺ من الدعاء لأصحابها، والاستغفار لهم والترحم عليهم.

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»(٢). وإسناده جيد، رواته ثقات مشاهير وقوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا». أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقرآن، فتكون بمنزلة القبور.

فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهىٰ عن تحري العبادة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارىٰ وأشباههم.

ثم إن(٣) في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلّا الله، ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة علىٰ التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن:

.... ما لجرح بميت إيلام

فمن المفاسد: اتخاذها أعيادًا والصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود علىٰ ترابها وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغيرُ ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من كل مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبّلوا الأرض، وكشفوا الرءوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتىٰ تسمع لهم النشيج! ورأوا أنهم قد أربوا في الربح علىٰ الحجيج،

(١) إسناده صحيح: رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧) وغيرهم من حديث النعمان بن بشير، وسبق هذا الحديث قبل ذلك.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٠٤٢) وغيره، وقد سبق تخريجه تحت باب: ما جاء في حماية المصطفىٰ جناب التوحيد.

(٣) الذي في نسخ «إغاثة اللهفان» التي بأيدينا المخطوطة والمطبوعة أن قول المؤلف رحمه الله: (ثم إن في تعظيم القبور...) إلخ فصل متقدم قبل ما نقله المؤلف هنا. [الفقي].

فاستغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد.

وحتىٰ إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلىٰ إلىٰ القبلتين!! فتراهم حول القبر رُكّعًا وسجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملئوا أكفهم خيبةً وخسرانًا!.

فلغير الله - بل للشيطان - ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات.

ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدىٰ للعالمين. ثم أخذوا في التقبيل والاستلام؛ أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام؟! ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود.

ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحِلاق، و ستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق.

وقد يعطي لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقرباتهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضًا ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًّا.

فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف إلىٰ البيت الحرام، فيقول: لا، ولا بحجك كل عام!!

هذا، ولم نتجاوز فيما حكينا عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، وهذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح كما تقدم.

وكل من شم أدنىٰ رائحة من العلم والفقه يعلم أن أهم الأمور، سدُّ الذريعة إلىٰ هذا المحظور. وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهىٰ عنه وما يئول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه، وأن الخير والهدىٰ في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته. انتهىٰ كلامه - رحمه الله تعالىٰ -[1].

---

(١) اختصره المؤلف - رحمه الله تعالىٰ -، وتصرف فيه بالتقديم والتأخير علىٰ حسب ما بيدنا من نسخ «إغاثة اللهفان».
=

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله. لقوله: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**».

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً**».

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

* * *

=

والله يرحم الجميع ويغفر لنا ولهم. [الفقي].

(٦١)
بَابُ: ما جاء في كثرة الحلف

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء في كثرة الحلف.**

ش: أي من النهي عنه والوعيد.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

ش: قال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير[١]. وذكر غيره من المفسِّرين عن ابن عباس: يريد لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا[٢].

والمصنف أراد من الآية المعنىٰ الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أخرجاه**[٣].

ش: أي: البخاري ومسلم. وأخرجه أبو داود والنسائي.

والمعنىٰ: أنه إذا حلف علىٰ سلعته أنه أعطي فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة علىٰ قيمتها، والبائع كاذب وحلف طمعًا في الزيادة، فيكون قد عصىٰ الله تعالىٰ، فيعاقب بمحق البركة.

فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسًا. وما عند الله لا ينال إلَّا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب.

---

(١) انظر الطبري في «التفسير» (٥/ ٣٢- ٣٣) دار الكتب العلمية عند آية (٨٩) من سورة «المائدة».

(٢) انظر البغوي في «التفسير» (٢/ ٦٢).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٠٦٠٦)، وأبو داود (٣٣٣٥)، والنسائي (٧/ ٢٤٦).

* قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن سلمان، أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»(١). رواه الطبراني بسند صحيح.

ش: وسلمان: لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة، وشهد الخندق، روىٰ عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما. قال النبي ﷺ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»(٢)، «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً: عَلِيًّا، وَأَبَا ذَرٍّ، وَسَلْمَانُ، وَالْمِقْدَادُ»(٣). أخرجه الترمذي وابن ماجه.

قال الحسن: كان سلمان أميرًا علىٰ ثلاثين ألفًا، يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها(٤).

توفي في خلافة عثمان، قال أبو عبد الله: سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة. ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي.

قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ»(٥) نفي كلام الرب - تعالىٰ وتقدس - عن هؤلاء العصاة

---

(١) إسناده صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (٦١١)، والأوسط (٥٥٧٣)، و«الصغير» (٩٧٥) حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا سعيد بن عمرو الأشعثي، ثنا حفص بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان به، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٧٢).

(٢) ضعيف جدًّا: رواه الحاكم (٣/ ٥٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٦٠٤٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٦٢، ٧/ ٢٣١)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٥٤) من طريق كثير بن عبد الله المزي عن أبيه عن جده مرفوعًا وكثير المزني ضعيف جدًّا وقد جاء نحوه عن علي موقوفًا انظر الطبراني (٦٠٤١)، و«الحلية» (١/ ١٨٧)، والفسوي في «المعرفة» (٢/ ٥٤٠)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٢).

(٣) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٣٧١٨)، وابن ماجه (١٤٩)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٥١، ٣٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٢)، والحاكم (٣/ ١٣٠) مختصرًا من طريق شريك حدثنا أبو ربيعة عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعًا، وشريك ضعيف، وأبو ربيعة وهو عمير بن ربيعة ضعيف.

(٤) منقطع بين الحسن وسلمان: رواه ابن سعد (٤/ ٦٥)، وأبو نعيم (١/ ١٢٧ - ١٢٨) من طريق الحسن عن سلمان.

(٥) في قرة العيون: هذا وعيد شديد في حقهم؛ لأنه قد تواتر أنه - تعالىٰ - يكلم أهل الإيمان ويكلمونه في عرصات القيامة. والأدلة علىٰ ذلك في الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه. وفيه الرد علىٰ الجهمية والأشاعرة نفاة صفة الكلام. [الفقي]

دليل على أنه يكلم من أطاعه. وأن الكلام صفة من صفات كماله.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه. وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين: قيام الأفعال بالله سبحانه، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئًا فشيئًا، ولم يزل متصفًا به.

فهو حادث الآحاد قديم النوع، كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]. فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضًا. وذلك في القرآن كثير.

قال شيخ الإسلام: فإذا قالوا لنا - يعني: النفاة -: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قائمة به؟ قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟! ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل.

ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الأعراض والنقائص، والله منزه عن ذلك، ولكن يقوم به ما شاء من كلامه وأفعاله ونحو ذلك: مما دل عليه الكتاب والسنة.

والقول الصحيح: قول أهل العلم الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء؛ كما قال ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من أئمة السنة. انتهى.

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم.

قوله: «**وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**». لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات.

قوله: «**أُشَيْمِطٌ زَانٍ**» صغره تحقيرًا له[1]؛ وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا: محبة المعصية والفجور، وعدم خوفه من الله.

وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها

---

(١) تصغير أشمط: وهو الذي بشعره شمط أي: شيب. [الفقي].

علىٰ المعصية فينتهي ويراجع.

وكذلك العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلىٰ الكبر؛ لأن الداعي إلىٰ الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة. و العائل الفقير، لا داعي له إلىٰ أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل علىٰ أن الكبر طبيعة له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته لعدم الداعي إلىٰ هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي.

قوله: «وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ» بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه.

وهذه أعمال تدل علىٰ أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف وأعماله ضعيفة، بحسب ما قام بقلبه وظهر علىٰ لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة علىٰ قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من كل عملٍ لا يحبه ربنا ولا يرضاه.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ:** «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - **قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟** - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[1].

ش: قوله: (وفي «الصحيح») أي: «صحيح مسلم». وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ «خَيْرُكُمْ»[2].

قوله: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي» لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها وكثر أهله، وقلّ الشرُّ فيها وأهله، واعتزَّ فيها الإسلام والإيمان، وكثُر فيها العلم والعلماء.

«ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» فضّلوا علىٰ من بعدهم لظهور الإسلام فيهم، وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه والقائم به. وما ظهر فيه من البدع أنكر واستعظم وأُزيل، كبدعة الخوارج

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٥٧).

(٢) بل رواه باللفظين، فرواية: «خَيْرُ أُمَّتِي أَهْلُ قَرْنِي» في فضائل الصحابة. ورواية: «خَيْرُكُمْ» في عدة مواضع منه. [الفقي].

والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل فيمن عاند منهم ولم يتب.

قوله: (فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟) هذا شكٌّ من راوي الحديث عمران بن حصين. والمشهور في الروايات: أنَّ القرون المفضَّلة ثلاثةٌ، الثالث دون الأولين في الفضل، لكثرة ظهور البدع فيه، لكنَّ العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء.

فقال: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ» لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم للصدق، وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم.

قوله: «وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ» يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم.

قوله: «وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ» أي: لا يؤدُّون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدلُّ على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

قوله: «وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها.

وفي حديث أنس: **«لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّىٰ تَلْقَوا رَبَّكُمْ»**. قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ(١) فما زال الشر يزيد في الأمة حتىٰ ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتىٰ فيمن ينتسب إلىٰ العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف(٢).

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى:** وفيه عن ابن مسعود، عنه أن النبي ﷺ قال: **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٠٦٨).

(٢) في قرة العيون: فحدث التفرق والاختلاف في الدين، أو حدث الغلو في أهل البيت من بني أمية في المشرق، لما كان لهم دولة، وبنوا المساجد على القبور وغلوا في أربابها، وظهرت دولة القرامطة وظهر فيهم الكفر والإلحاد في شرائع الدين، ومذهبهم معروف وظهر فيهم من البدع ما يطول عده، وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين، وما زال أهل السنة على الحق، ولكن كثرت البدع والأهواء حتىٰ عاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير. [الفقي]

يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[(١)].

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة والعهد ونحن صغار[(٢)(٣)].

ش: قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلىٰ الدنيا ونسي المعاد، فخفف أمر الشهادة واليمين عنده تحملًا وأداء؛ لقلة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب علىٰ الأكثر. والله المستعان.

فإذا كان هذا قد وقع في الصدر الأول ففي ما بعده أكثر بأضعاف. فكن من الناس علىٰ حذر.

قوله: (**قال إبراهيم**) - هو النخعي -.

(**كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة والعهد ونحن صغار**) وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد، ولا يقوم الدين إلَّا به.

وفي هذا: رغبة في تمرين الصغار علىٰ طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلَّا بيمينه.

الرابعة: التنبيه علىٰ أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ علىٰ القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار علىٰ الشهادة والعهد.

---

(١) **في قرة العيون:** في هذا الحديث أن خير القرون ثلاثة بلا شك. [الفقي]

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٣٦٥١) بهذا اللفظ وعند مسلم (طرف حديث ٢٥٣٣) بلفظ: «كَانُوا يَنْهَوْنَنَا وَنَحْنُ غِلْمَانٌ عَنِ الْعَهْدِ وَالشَّهَادَاتِ».

(٦٢)
بَابُ: ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله.**

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١].

ش: قال العماد ابن كثير: وهذا مما يأمر الله تعالىٰ به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة علىٰ الأيمان المؤكدة. ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾. ولا تعارض بين هذا وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] وبين قوله: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] أي: لا تتركوها بلا تكفير. وبين قوله ﷺ في الصحيحين: «**إني وَالله - إنْ شَاءَ اللهُ - لَا أَحْلِفُ عَلَىٰ يَمِينٍ فَأَرَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا**» - وفي رواية -: «**وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي**»[1].

لا تعارض بين هذا كله وبين الآية المذكورة هنا، وهي قوله: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة علىٰ حث أو منع، ولهذا قال مجاهد في الآية: يعني: الحلف أي: حلف الجاهلية.

يؤيده ما رواه الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً**»[2].

وكذا رواه مسلم. ومعناه أن الإسلام لا يحتاج معه إلىٰ الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فإن التمسك بالإسلام حماية وكفاية عما كانوا فيه.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها.

---

(١) رواه البخاري (٦٧١٨، ٦٧١٩)، ومسلم (١٦٤٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣٠)، وأحمد (٤/ ٨٣).

* **قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن بُريدة، قال: كان رسول الله ﷺ، إذا أمَّر** أميرًا على جيش أو سَرِيَّة، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا. فقال: «اغْزُوا بِاسْمِ الله، فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِينَ. وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ. فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله تَعَالَىٰ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ. فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ. فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ الله، فَلَا تُنْزِلْهُمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ. فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي: أَتُصِيبُ حُكْمَ الله فِيهِمْ أَمْ لَا»[1] رواه مسلم.

ش: قوله: **(عن بريدة)** هو ابن الحصيب الأسلمي. وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه. قاله في «المفهم».

قوله: **(كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصَّته بتقوى الله تعالى)** فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيَّتهم.

قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. والجيش: ما كان أكثر من ذلك. وتقوى الله: التحرز بطاعته من عقوبته.

قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) وسبق الإشارة إليه.

قوله: (ومن معه من المسلمين خيرًا) أي: ووصَّاه بمن معه منهم أن يفعل معهم خيرًا: من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

وقوله: «اغْزُوا بِاسْمِ الله» أي: اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له.

قلت: فتكون الباء في بسم الله هنا للاستعانة والتوكل علىٰ الله.

قوله: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله» هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم. وقد خصص منهم من له عهد والرهبان والنسوان، ومن لم يبلغ الحلم، وقد قال متصلًا به: «وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا». وإنما نهىٰ عن قتل الرهبان والنسوان؛ لأنه لا يكون منهم قتال غالبًا. فإن كان منهم قتال أو تدبير قتلوا.

قلت: وكذلك الذَّراري والأولاد.

قوله: «وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا». الغلول: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها. والغدر: نقض العهد. والتمثيل هنا: التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأذنه والعبث به. ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهة المثلة.

وقوله: «وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِلَالٍ - أَوْ خِصَالٍ -». الرواية بـ«أو» للشك وهو من بعض الرواة. ومعنىٰ الخلال والخصال واحد.

قوله: «فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ». قيدناه عمن يوثق بعلمه.

وتقييده بنصب أيتهن علىٰ أن يعمل فيها أجابوك لا علىٰ إسقاط حرف الجر. وما زائدة. ويكون تقدير الكلام: فإلىٰ أيتهن أجابوك فاقبل منهم. كما تقول: أجبتك إلىٰ كذا أو في كذا، فيُعدَّىٰ إلىٰ الثاني بحرف الجر.

قلت: فيكون في ناصب «أَيَّتُهُنَّ» وجهان: ذكرهما الشارح. الأول: منصوب علىٰ الاشتغال. والثاني: علىٰ نزع الخافض.

قوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ» كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم. «ثُمَّ ادْعُهُمْ» بزيادة «ثُمَّ» والصواب إسقاطها. كما رُوي في غير «كتاب مسلم»، كـ«مصنف أبي داود»[1]،

---

(١) انظر أبو داود (٢٦١٣).

و«كتاب الأموال» لأبي عبيد؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال.

وقوله: «**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِينَ**» يعني: المدينة. وكان هذا في أول الأمر وقت وجوب الهجرة إلىٰ المدينة علىٰ كل من دخل في الإسلام، وهذا يدل علىٰ أن الهجرة واجبة علىٰ كل من آمن من أهل مكة وغيرها[1].

قوله: «**فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا**» يعني: أن من أسلم ولم يجاهد ولم يهاجر لا يُعطىٰ من الخمس ولا من الفيء شيئًا.

وقد أخذ الشافعي رحمه الله بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئًا، وأن لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فتردُّ علىٰ فقرائهم، كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرف كل مال في أهله. وسوَّىٰ مالك وأبو حنيفة بين المالين، وجوّزا صرفهما للضعيف.

وقوله: «**فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ**». فيه: حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر: عربيًّا كان أو غيره، كتابيًّا كان أو غيره.

وذهب أبو حنيفة إلىٰ أنها تؤخذ من الجميع إلَّا من مشركي العرب ومجوسهم.

وقال الشافعي: لا تؤخذ إلَّا من أهل الكتاب عربًا كانوا أو عجمًا. وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ من المجوس. قلت: لأن النبي ﷺ أخذها منهم، وقال: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ**»[2].

---

(١) في قرة العيون: وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلدة. نص عليه الفقهاء في كتبهم. اهـ. يعني: إذا غلبت المعاصي وأهلها ولم يقدر ولم يجد سبيلًا للإنكار عليهم. أما إذا وجد السبيل لإقامة الحجة، فإن بقاءه يكون واجبًا لتبليغ الدين، خصوصًا إذا كان يدعو إلىٰ التوحيد ومحاربة الشرك والبدع، ويجد من يسمع له ويصغي إليه وينتفع بدعوته. والله الموفق. [الفقي].

(٢) منقطع: رواه مالك (١/ ٢٧٨)، وعبد الرزاق (٦/ ٦٨ - ٦٩)، و(١٠/ ٣٢٥)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٤٣)، والقاسم بن سلام في كتاب «الأموال» (٧٨)، والبيهقي (٩/ ١٨٩) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب سأل عن جزية المجوسي فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره. وهذا منقطع بين محمد بن علي وبين عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب، وقال ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ٩٧) ط:
=

وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية: فقال مالك: أربعة دنانير علىٰ أهل الذهب، وأربعون درهمًا علىٰ أهل الورق، وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟ قولان. وقال الشافعي: فيه دينار علىٰ الغني والفقير. وقال أبو حنيفة والكوفيون: علىٰ الغني ثمانية وأربعون درهمًا، والوسط أربعة وعشرون درهمًا. والفقير اثنا عشر درهمًا. وهو قول أحمد بن حنبل.

قال يحيى بن يوسف الصرصري الحنبلي:

وَقَاتِلْ يَهُودًا وَالنَّصَارَىٰ وَعُصْبَةَ الـ ـمجوسِ فَإِنْ هُمْ سَلَّمُوا الجِزْيَةَ اصْدُدْ
عِلىٰ الأَدْوَنِ اثْنَي عَشَرَ دِرْهَمًا افْرِضَنَّ وَأَرْبَعَةً مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ زَيِّدْ
لِأَوْسَطِهِمْ حَالًا وَمَنْ كَانَ مُوسِرًا ثَمَانِيَةً مَعَ أَرْبَعِينَ لِتَنْقُدْ
وَتَسْقُطُ عَنْ صِبْيَانِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَشَيْخٍ لَهُمْ فَانٍ وَأَعْمَىٰ وَمُقْعَدِ
وَذِي الفَقْرِ والمَجْنُونِ أَوْ عَبْدِ مُسْلِمٍ وَمَنْ وَجَبَتْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ فَيَهْتَدِي

وعند مالك وكافة العلماء علىٰ الرجال الأحرار البالغين والعقلاء دون غيرهم، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأىٰ بداره، ويجب تحويلهم إلىٰ بلاد المسلمين أو حربهم..

قوله: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ» الكلام إلىٰ آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إنَّ المصيب في مسائل الاجتهاد واحد. وهو المعروف من مذهب مالك

= الفاروق: هذا حديث منقطع؛ لأن محمد بن علي لم يلق عمر ولا عبد الرحمن بن عوف. رواه أبو علي الحنفي عن مالك فقال فيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مع هذا أيضًا منقطع؛ لأن علي بن حسين لم يلق عمر ولا عبد الرحمن بن عوف.. وساق لهذا الطريق إسنادين... إلىٰ أن قال: أبو الحسن علي بن عمر لم يقل في هذا الإسناد: عن جده فمن حدث به عن مالك غير أبي علي الحنفي وكان ثقة وهو في الموطأ جعفر عن أبيه أن عمر. قال أبو عمر: هو مع هذا كله منقطع، ولكن معناه متصل من وجوه حسان.اهـ ورُوي مثله عند الطبراني (١٩/ ٤٣٧)، وسنده واهٍ انظر الإصابة (٣/ ٤١٦)، والفتح (٦/ ٣٠٢) عند حديث (٣١٥٧)، وهامش «التمهيد» (٧/ ٩٧ - ٩٨) ط: الفاورق. وقد صح أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر كما في البخاري (٣١٥٦، ٣١٥٧).

وغيره. ووجه الاستدلال لأنه ﷺ قد نص على أن الله تعالىٰ قد حكم حكمًا معينًا في المجتهدات، فمن وافقه فهو المصيب ومن لم يوافقه فهو المخطئ.

قوله: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله». الحديث. الذمة: العهد، وتخفر تنقض يقال: أخفرتَ الرجل، إذا نقضت عهده، وخفرته أجرته.

ومعناه: أنه خاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، كجهلة الأعراب. فكأنه يقول: إن وقع نقض من متعد كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالىٰ. والله أعلم.

قوله[1]: وقول نافع وقد سئل عن الدعوة قبل القتال[2][3].

ذكر فيه أن مذهب مالك يجمع بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال.

قال: وهو أن مالكًا قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يُدْعَوا، ولا تلتمس غرتهم إلَّا أن يكونوا بلغتهم الدعوة، فيجوز أن تأخذ غرتهم.

وهذا الذي صار إليه مالك وهو الصحيح؛ لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدو أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدين فإن علموا بذلك أمكن أن يكون ذلك سببًا مميلًا لهم إلىٰ الانقياد إلىٰ الحق، بخلاف ما إذا جهلوا مقصود المسلمين، فقد يظنون أنهم يقاتلون للممالك وللدنيا فيزيدون عتوًّا وبغضًا[4]. والله أعلم.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

---

(١) قوله: أي: القرطبي في كتاب «المفهم» وهو شرح «صحيح مسلم» الذي نقل عنه المؤلف هذا الشرح.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه أبو داود (٢٦٣٣) حدثنا سعيد بن منصور حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا ابن عون قال: كتبت إلىٰ نافع أسأله عن دعاء المشركين عند القتال، فكتب إلي: إن ذلك كان في أول الإسلام، وقد أغار علىٰ بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تُسقىٰ علىٰ الماء، فقتل مقاتلتهم وسبىٰ سبيهم، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث. حدثني بذلك عبد الله وكان في ذلك الجيش. قال أبو داود: هذا حديث نبيل. رواه ابن عون عن نافع ولم يشركه فيه أحد.

(٣) ليس في نسخ المتن التي بأيدينا قول نافع هذا فليحرر. [الفقي].

(٤) غير أن من الأحسن، كما قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٢١٦) الدعاء قبل القتال، لأن رسول الله ﷺ كان يأمر سراياه بذلك، وكان يدعو كل من يقاتله علىٰ اشتهار كلمته ودينه في جزيرة العرب والله أعلم. قاله الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في تحقيق «فتح المجيد» (٢/ ٨٢٤) ط: الصميعي.

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلىٰ أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: «**اغْزُوا بِسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله**».

الرابعة: قوله: «**قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله**».

الخامسة: قوله: «**اسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْهُمْ**».

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟

* * *

(٦٣)
بَابُ: ما جاء في الإقسام على الله

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء في الإقسام علىٰ الله.**

عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة، أوبقت دنياه وآخرته.

ش: قوله: (باب ما جاء في الإقسام علىٰ الله). ذكر المصنف فيه حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ رَجُلٌ: وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»[1]. رواه مسلم.

قوله: «**يَتَأَلَّىٰ**» أي: يحلف. والألِيَّة بالتشديد: الحلف. وصح من حديث أبي هريرة.

قال البغوي في «شرح السنة» - وساق بالسند إلىٰ عكرمة بن عمار - قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ قال: يا يمامي، تعال. وما أعرفه، قال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبدًا ولا يدخلك الجنة.

قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة، قال: فقلت: إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأهله إذا غضب، أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابَّيْنِ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي العِبَادَةِ، وَالآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ مُذْنِبٌ،**

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٢١).

فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ. قَالَ: فَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّي حَتَّىٰ وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ فَقَالَ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ وَلَا يُدْخِلُكَ الجَنَّةَ أَبَدًا. قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُل الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَىٰ عَبْدِي رَحْمَتِي؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ». قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلَّم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته[1].

ورواه أبو داود في «سننه»، وهذا لفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَىٰ الْآخَرَ عَلَىٰ الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ - أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الجَنَّةَ -، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَىٰ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُل الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ»**[2] إلىٰ آخره.

قوله: (وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد) يشير إلىٰ قوله في هذا الحديث: **«أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ»**.

وفي هذه الأحاديث: بيان خطر اللسان، وذلك يفيد التحرز من الكلام، كما في حديث معاذ، قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ** - أو قال: **عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ**

(١) **إسناده حسن:** رواه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣، ٣٦٣)، وابن حبان، كما في «الإحسان» (٥٧١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٨٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٨٤ - ٣٨٥)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٤٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٩٠٠)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٣/ ٣٢٦) من طريق عكرمة بن عمار، عن ضمضم بن جوس، عن أبي هريرة.

(٢) **إسناده حسن:** وانظر الحديث السابق.

أَلْسِنَتِهِمْ؟!»[1][2]. والله أعلم.

* **قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شِراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ**» إلخ.

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

* * *

---

(١) **صحيح بطرقه وشواهده**: رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٢٦)، والحاكم (٤/ ٢٨٦ - ٢٨٧) من طريق عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد عن عبادة بن الصامت به وهذا إسناد حسن، وصححه الشيخ مقبل في تعليقه على الحاكم (٤/ ٤٢٥ ط: الحرمين) وقد جاء عن معاذ من عدة طرق. رواه البزار (٢٦٤٣)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٢٧ - ١٢٨)، وفي إسناده تحريف. انظر تحقيق رسالة ابن البناء في رسالة السكوت ولزوم البيوت (٥) من طريق أبي عمرو الشيباني عن معاذ بن جبل به. وأبو عمرو الشيباني وهو سعد بن إياس قد أدرك معاذًا وروى عن الكبار من الصحابة، ولكن ينظر هل له سماع من معاذ أم لا؟ ورواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وغيرهم من طريق معمر عن عاصم عن أبي وائل عن معاذ به، وأبو وائل لم يسمع من معاذ، ورواية معمر عن العراقيين فيها شيء، كما في مقدمة الفتح «هدي الساري» وعاصم بن أبي النجود كوفي.

ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦٤) من طريق شهر بن حوشب ثنا عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل به. وشهر فيه ضعف. ورواه أحمد (٥/ ٢٣٦)، والبزار (١٦٥٣ كشف) وغيرهما من طريق شهر به. مطولًا بدون ذكر الشاهد. ورواه هناد في «الزهد» (١٠٩١) من طريق مكحول عن معاذ به، ومكحول لم يسمع من معاذ.

وثم طرق أخرى انظر تحقيق مسند أحمد حـ (٢٢٠٢٦) ط: الرسالة.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح، وفي قرة العيون: وفيه معنى قوله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ**». [الفقي].

(٦٤)
بَابُ: لا يستشفع بالله على خلقه

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: باب لا يستشفع بالله علىٰ خلقه.**

عن جُبير بن مطعم؛ قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نُهِكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك علىٰ الله. فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!» فما زال يُسبِّح، حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ». وذكر الحديث، رواه أبو داود[١].

ش: قوله: (باب لا يستشفع بالله علىٰ خلقه). وذكر الحديث[٢] وسياق أبي داود في سننه أتم مما ذكره المصنف رحمه الله ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: أتىٰ رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله، جُهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونُهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك علىٰ الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النبي ﷺ: **«وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟»** وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتىٰ عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: **«وَيْحَكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَىٰ سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا** - وقال بإصبعه مثل القبة عليه - **وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»** قال ابن بشار في حديثه: **«إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ»**[٣].

---

(١) **في قرة العيون:** هذا الحديث رواه أبو داود ورضيه علىٰ عادته فيما كان عنده صحيحًا أو حسنًا وسكت عليه. اهـ.

أقول: بل تكلم أبو داود في سنده، فخطأ بعض رواته في سياقه وصوب من قال: إنه روىٰ كتابة من نسخة وهب ابن جرير لا تحديثًا، وأن مداره فيها علىٰ محمد بن إسحاق عنعنة لا سماعًا. [الفقي].

(٢) **يعني:** أن المصنف ساق حديث جبير بن مطعم ناسبًا له إلىٰ أبي داود ولكنه اختصره. [الفقي].

(٣) **ضعيف:** رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (صـ ١٠٣ - ١٠٤)، والدارمي في «الرد علىٰ

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في «الرد على الجهمية» من حديث محمد بن إسحاق بن يسار[1].

قوله: «**وَيْحَكَ**[2] **إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ**» فإنه تعالىٰ رب كل شيء ومليكه، والخير كلُّه بيده، لا مانع لما أعطىٰ ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضىٰ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا. إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كُن فيكون. والخلقُ وما في أيديهم مُلكُه يتصرف فيهم كيف يشاء، وهو الذي

=

الجهمية» (صـ٢٧٢)، وفي «الرد علىٰ المريسي» (صـ٤٤٧، ٤٦٢) كما في «عقائد السلف» واللالكائي (٦٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٧٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٥٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٢٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٥٥٤)، والدارقطني في «الصفات» (٣٨، ٣٩)، وعثمان بن أبي شيبة في «العرش» (١١)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤٧)، والبخاري في «التاريخ» (٢/ ٢٢٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٤/ ٥٠٥ ترجمة جبير بن محمد) والذهبي في «العلو» (صـ٣٧ - ٣٩) من طريق وهب بن جرير، واختلف عنه، فرواه علي بن المديني، ويحيىٰ بن معين، وأحمد بن سعيد الرباطي، وأبو الأزهر النيسابوري، وعبد الله بن محمد المسندي، ومحمد بن يزيد الواسطي، ومحمد بن بشار، في وجه عنه، رووه عن وهب بن جرير، عن أبيه جرير بن حازم، عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده به.

وخالفهم عبد الأعلىٰ بن حماد النرسي، ومحمد بن المثنىٰ العنزي، ومحمد بن بشار في الوجه الثاني عنه، رووه عن وهب بن جرير، عن أبيه، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، وجبير بن محمد، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه به، وصحح الوجه الأول أبو داود.

وقال الدارقطني: ومن قال يعقوب بن عتبة وجبير فقد وهم، وقال الذهبي: الأول أصح.

فالراجح الإِسناد الأول، وسيأتي ذكر علته.

ورواه الآجري في «الشريعة» (٦٦٧) من طريق حفص بن عبد الرحمن، قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده به، وإسناده ضعيف ففيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعن، ومدار الأسانيد علىٰ جبير بن محمد وهو مجهول.

(١) يشير بذلك إلىٰ ضعف الحديث لأن محمد بن إسحاق مدلس. وانظر الكلام علىٰ الحديث وشروح الأئمة له في «عون المعبود» (جـ ٤ صـ ٣٧٠). [الفقي].

(٢) في قرة العيون: ويحك: كلمة تقال للزجر. قوله: «أَتَدْرِي مَا اللهُ؟» فيه إشارة إلىٰ قلة علمه بعظمة الله وجلاله. [الفقي].

يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر علىٰ الأعرابي.

قوله هذا، وسبح لله كثيرًا وعظَّمه لأن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده إن شأن الله أعظم من ذلك.

وفي هذا الحديث: إثبات علو الله علىٰ خلقه، وأن عرشه فوق سماواته. وفيه تفسير الاستواء بالعلو، كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة.

خلافًا للمعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم، كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنىٰ الذي وضعت له، ودلت عليه من إثبات صفات الله - تعالىٰ - التي دلت علىٰ كماله جل وعلا.

كما عليه السلف الصالح والأئمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة، فإنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله من صفات كماله علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل.

قال العلامة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» - بعد كلام سبق فيما يُعرِّف العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته - قال بعد ذلك:

والثاني: أن يتجاوز هذا إلىٰ النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها.

ثم يفتح له باب بعد باب حتىٰ ينتهي به سير القلب إلىٰ عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته. يرىٰ السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرىٰ الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير.

والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلَّا ربها ومليكها.

فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين، وإعزاز قوم وإذلال آخرين، وإنشاء ملك وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلىٰ محل.

وقضاء الحاجات علىٰ اختلافها وتبيانها وكثرتها: من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران،

وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان.

فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج علىٰ اختلافها وتباينها واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلَّا هو العزيز الحكيم.

فحينئذٍ يقوم القلبُ بين يدي الرحمن مطرقًا لهيبته، خاشعًا لعظمته عان لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين، سجدة لا يرفع رأسه منها إلىٰ يوم المزيد، فهذا سفر القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فيا له من سفر ما أبركه وأروحه! وأعظم ثمرته وربحه! وأجل منفعته وأحسن عاقبته! سفر هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. انتهىٰ كلامه رحمه الله تعالىٰ.

وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فالمراد به: استجلاب دعائه، وليس خاصًا به ﷺ بل كلُّ حيٍّ صالح يُرجىٰ أن يستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة أو العامة؛ كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «**لَا تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ صَالِحِ دُعَائِكَ**» [(١)(٢)].

وأما الميت: فإنما يشرع في حقه الدعاء له علىٰ جنازته وعلىٰ قبره وفي غير ذلك. وهذا هو الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دلَّ الكتاب والسنة علىٰ النهي

---

(١) **إسناده ضعيف** رواه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، وأحمد (١/ ٢٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٠٧) من طريق عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر به، وعاصم بن عبيد الله ضعيف، وللحديث طريق آخر عن عمر عند ابن سعد «في الطبقات» (٣/ ٢٠٧)، وسنده ضعيف واهٍ.

(٢) رواه أبو داود وأحمد في المسند (جـ ١ صـ ٢٩ وجـ ٢ صـ ٥٩) عن عبد الله بن عمر: «أن عمر استأذن النبي ﷺ في العمرة، فأذن له. فقال: «**يَا أَخِي أَشْرِكْنَا فِي صَالِحِ دُعَائِكَ وَلَا تَنْسَنَا**». قال عبد الرزاق في حديثه: فقال عمر: ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس. لقوله: يا أخي. [الفقي]

عنه والوعيد عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤]. فبين الله تعالىٰ أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شركٌ، يكفر به المدعو يوم القيامة، أي: ينكره ويعادي من فعله، كما في آية «الأحقاف»: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٦]. فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر.

والصحابة ﷺ، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، حتىٰ في أوقات الجدب، كما وقع لعمر ﷺ لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عمِّ النبي ﷺ، فأمره أن يستسقي؛ لأنه حيٌّ حاضر يدعو ربه[1]. فلو جاز أن يُستسقىٰ بأحد بعد وفاته لاستسقىٰ عمر ﷺ في السابقين الأولين بالنبي ﷺ.

وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت؛ لأن المقصود من الحي دعاؤه إذا كان حاضرًا. فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلىٰ الله بطلب الدعاء ممن يدعوه ويتضرَّع إليه، وهم كذلك يدعون ربهم.

فمن تعدَّىٰ المشروع إلىٰ ما لا يُشرع، ضل وأضل. فلو كان دعاء الميت خيرًا لكان الصحابة إليه أسبق وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم. فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد علىٰ عقله هلك. وبالله التوفيق.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: إنكاره علىٰ من قال: نستشفع بالله عليك.

الثانية: تغيره تغيرًا عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك علىٰ الله».

الرابعة: التنبيه علىٰ تفسير سبحان الله.

الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (١٠١٠).

(٦٥)
باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، وسدِّه طرق الشرك

* قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ حمىٰ التوحيد، وسدِّه طرق الشرك.

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه[١] قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيِّدنا. فقال: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[٢] رواه أبو داود بسندٍ جيد.

وعن أنس، أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ[٣]، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[٤] رواه النسائي بسندٍ جيد.

ش: قوله: (باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ حمىٰ التوحيد، وسده طرق الشرك). حمايته ﷺ حمىٰ التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص[٥]،

---

(١) قال في أسد الغابة: عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش.. العامري ثم الكعبي ثم من بني الحريش، وهو بطن من بني عامر بن صعصعة، له صحبة. سكن البصرة - ثم ساق بسنده إلىٰ مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه أنه قال: قدمت علىٰ رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر، فقالوا: يا رسول الله، أنت سيدنا، وأنت والدنا، وأنت أفضلنا علينا فضلًا، وأنت أطولنا علينا طولًا، وأنت الجفنة الغراء، وأنت وأنت. فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». وقولهم: (أنت الجفنة الغراء). كانت العرب تدعو السيد المطعام (جفنة)؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها، فسمي باسمها. و(الغراء) البيضاء أي: أنها مملوءة بالشحم والدهن. قاله أبو السعادات في النهاية. [الفقي].

(٢) صحيح لغيره: وسيأتي الكلام عليه في الشرح.

(٣) رواه مسلم من حديث أبي سعد وأبي هريرة، ورواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان. [الفقي].

(٤) صحيح لغيره: وسيأتي الكلام عليه في الشرح.

(٥) في قرة العيون: وقد اشتمل هذا الكتاب - علىٰ اختصاره - علىٰ أكثر ذلك، والنهي عما ينافي التوحيد أو يضعفه، =

وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ كقوله: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[١] وتقدم. وقوله: «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ»[٢] ونحو ذلك.

ونهىٰ عن التمادح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنسانًا: «**وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**»[٣] والحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه: أن رجلًا أثنىٰ علىٰ رجل عند النبي ﷺ فقال له: «**قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ** - ثلاثًا»[٤].

وقال: «**إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**»[٥] أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن الأسود.

وفي هذا الحديث: نهىٰ عن أن يقولوا: أنت سيدنا. وقال: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**». ونهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا وقال: «**لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»[٦].

وكذلك قوله في حديث أنس: أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»[٧] كره ﷺ

يعرف ذلك من تدبره وعرف ما تضمنه بابًا بابًا. [الفقي].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) **إسناده ضعيف**: وسبق تحت باب: من الشرك أن يستغاث بغير الله.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠).

(٤) رواه أبو داود (٤٨٠٥).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠٢)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٢)، وأبو داود (٤٨٠٤).

(٦) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٧٤، ١٠٠٧٥، ١٠٠٧٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٨٢)، وأحمد (٤/ ٢٤، ٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٨٩) من طريق مطرف بن عبد الله الشخير عن أبيه، وله طريق آخر في «الدلائل» للبيهقي (٥/ ٣١٨)، وفي إسناده رجل لم يوثق، وله شاهد عن أنس، وهو الآتي إن شاء الله.

(٧) **صحيح**: رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٨، ٢٤٩)، وابن حبان «إحسان» (٦٢٤٠)، وأحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩)، وعبد بن حميد (١٣٠٧، ١٣٣٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٤٩٨)، والضياء في «المختارة» (١٦٢٦، ١٦٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٢) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس به، وعند بعضهم حماد، عن حميد، عن أنس به، وعند آخرين حماد عن ثابت وحميد عن أنس به. ويشهد له الحديث السابق.

أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلىٰ الغلو.

وأخبر ﷺ أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه - ولو بما فيه - من عمل الشيطان؛ لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد.

فإن العبادة لا تقوم إلَّا بقطب رحاها الذي لا تدور إلَّا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالىٰ، وأنه لا يرىٰ نفسه إلَّا في مقام الذم لها، والمعاتبة لها في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلَّا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكره الله من الأقوال والأعمال والإرادات.

ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتىٰ أخلص العبد الذل لله والمحبة له خلصت أعماله وصحت، ومتىٰ أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب دخل علىٰ مقام العبودية بالنقص أو الفساد.

وإذا أداه المدح إلىٰ التعاظم في نفسه والإعجاب بها وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة كما في الحديث: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي شَيْئًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**»[1][2]. وفي الحديث: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[3][4].

وهذه الآفة قد تكون محبة المدح سببًا لها وسلَّمًا إليها، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٠) نحوه بلفظ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**».

(٢) رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص[*] بإسناد رجاله رجال الصحيح[الفقي].

(*) قوله: (رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص) إلخ. أقول: وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ**».[ابن باز].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩١).

(٤) **في قرة العيون**: فأعلىٰ مراتب العبد هاتان الصفتان: العبودية الخاصة والرسالة. وللنبي ﷺ أكملها. وقد أخبر الله تعالىٰ أنه وملائكته يصلون عليه، وأثنىٰ عليه بأحسن ثناء وأبلغه، وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره، فلا يذكر في الأذان والتشهد والخطب إلَّا ذكر معه. صلوات الله وسلامه عليه.[الفقي]

وأما المادح فقد يفضي به المدح إلىٰ أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهىٰ عنه الرسول ﷺ وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه حتىٰ صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلىٰ شيء من ذلك.

والنبي ﷺلما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح، صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلىٰ ترك ذلك نصحًا لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك ووسائله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] ورأوا أن فعل ما نهاهم ﷺعن فعله قربة من أفضل القربات، وحسنة من أعظم الحسنات!

وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك:

قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: اختلف الناس في جواز إطلاق السيد علىٰ البشر. فمنعه قوم، ونقل عن مالك. واحتجوا بقول النبي ﷺلما قيل له: يا سيدنا قال: **«السَّيِّدُ اللهُ»**.

وجوّزه قومٌ، واحتجوا بقول النبي ﷺللأنصار: **«قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ»**[1][2]. وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي: سيد كِندة، ولا يقال: الملك سيد البشر. قال: وعلىٰ هذا فلا يجوز أن يطلق علىٰ الله هذا الاسم، وفي هذا نظر؛ فإن السيد إذا أطلق عليه تعالىٰ فهو في منزلة المالك، والمولىٰ والرب، لا بمعنىٰ الذي يطلق علىٰ المخلوق. انتهىٰ.

قلت: فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).

(٢) قال هذا حين رأىٰ سعد بن معاذ آتيًا علىٰ حمار قد أسندوه؛ لأنه كان مريضًا من جرح أصابه من المشركين في الخندق. وقد دعا به رسول الله ﷺليحكم في بني قريظة بعد أن حاصرهم، وقبلوا أن ينزلوا علىٰ حكم سعد، فكان هذا القول منه ﷺ؛ لأنه مريض ولا يستطيع أن ينزل عن الحمار وحده، فأمرهم أن يقوموا لينزلوه، ولأنه جاء لهذه القضية، فأراد أن يجعل له من التعظيم ما يناسب هذه الواقعة. وكان سعد بن معاذ سيد الأوس ورئيسهم رضي الله عنه [الفقي]

رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]: أي: إلهًا وسيدًا[(١)].

وقال في قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢]: أنه السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد[(٢)].

وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهىٰ سؤدده[(٣)].

وأما استدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ**». فالظاهر أن النبي ﷺ لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفصيل والله أعلم.

*** قال المُصَنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تحذير الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول مَنْ قيل له: أنت سيدنا.

الثالثة: قوله: «**لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي**».

* * *

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ١٤٧).

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم (٣٨٣٢٩) من طريق أبي صالح قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس به فذكره، وأبو صالح عبد الله بن صالح ضعيف وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس.

(٣) **إسناده صحيح**: رواه البخاري معلقًا (٨/ ٧٣٩)، ووصله الطبري (٣٨٣٢٦، ٣٨٣٢٧، ٣٨٣٢٨)، والفريابي كما في «الفتح» (٨/ ٧٤٠) عن الأعمش عن وائل به وإسناده صحيح.

وقد جاء من طريق عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود عند ابن أبي عاصم (١/ ٢٩٩) بإسناد حسن.

(٦٦)
بَابُ: ما جاء في قول الله تعالى:
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

* **قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: باب ما جاء في قول الله تعالىٰ:** ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧].

عن ابن مسعود قال: جاء حَبْر من الأحبار إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع. فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر. ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية. متفق عليه.

وفي رواية مسلم: والجبال والشجر علىٰ إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله.

وفي رواية للبخاري: يجعل السموات علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع. أخرجاه[1].

ش: قوله: (باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾.

أي: من الأحاديث والآثار في معنىٰ هذه الآية الكريمة.

قال العماد ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ -: يقول تعالىٰ: ما قدر المشركون الله حق قدره، حتىٰ عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر علىٰ كل شيء المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦)، وأحمد (١/ ٤٥٧).

قال مجاهد: نزلت في قريش[١].

وقال السُّدِّي: ما عظموه حق عظمته[٢].

وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه[٣].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله علىٰ كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره[٤].

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها من مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف ﷺ في هذا الباب قال: ورواه البخاري في غير موضع من «صحيحه». والإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن مهران - وهو الأعمش - عن إبراهيم، عن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه.

قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية حدثنا الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله يحمل الخلائق علىٰ إصبع، والسموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع، فضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه. قال: وأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية. وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به[٥].

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٢١٠) من طريق أسباط عن السدي فذكره، وأسباط فيه ضعف، وإن كان رواية السدي.

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧).

(٤) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٢٠٩) من طريق أبي صالح قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأبو صالح عبد الله بن صالح ضعيف، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس.

(٥) انظر الحديث السابق.

وقال **الإمام أحمد**: حدثنا الحسين بن حسن الأشقر، حدثنا أبو كدينة[١] عن عطاء عن أبي الضحىٰ عن ابن عباس قال: مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السموات علىٰ ذه - وأشار بالسبابة - والأرض علىٰ ذه، والجبال علىٰ ذه، وسائر الخلق علىٰ ذه؟ كل ذلك يشير بأصابعه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٢]. وكذا رواه الترمذي في «التفسير» بسنده عن أبي الضحىٰ مسلم بن صبيح به. وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه.

ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**». تفرد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر[٣].

وقال البخاري في موضع آخر: حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمي القاسم بن يحيىٰ عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرَضِينَ، وَتَكُونُ السَّمَاءُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**» تفرد به أيضًا من هذا الوجه. ورواه مسلم من وجه آخر[٤].

وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن عبيد الله بن مقسم

---

(١) اسمه يحيىٰ بن المهلب البجلي الكوفي. قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق من السابعة روىٰ له الترمذي والنسائي أيضًا. [الفقي].

(٢) صحيح لغيره: رواه الترمذي (٤٢٤٠)، وأحمد (١/ ٢٥١)، والطبري (٣٠٢٢١) من طريق أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن أبي الضحىٰ عن ابن عباس به، والإسناد فيه عطاء بن السائب وهو مختلط.

وفي الإسناد أحمد الحسين الأشقر وهو ضعيف، لكن تابع محمد بن الصلت عند الترمذي والطبري ويشهد له حديث ابن مسعود السابق.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٨١٢)، ورواه مسلم (٤٧٨٧) من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٤١٢)، ورواه مسلم (٢٧٨٨) من طريق سالم عن ابن عمر.

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية يومًا على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧] ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر، «**يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ**». فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتىٰ قلنا: ليخرّنّ به. (١) اهـ.

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»(٢).**

ورُوي عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن، إلَّا كخردلة في يد أحدكم(٣).

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ، إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (٢/ ٧٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٩٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٢)، وابن حبان (٧٣٢٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٤٦)، وغيرهم من طريق حماد بن سلمة أخبرنا إسحاق بن عبد الله يعني ابن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، وأخرجه مسلم بأقصر من ذلك (طرف حديث ٢٧٨٨) من طريق عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر.

(٢) صحيح إلَّا لفظة «بشماله»: رواه مسلم (٢٧٨٨)، وقد تفرد بها عمر بن حمزة، عن سالم، عن ابن عمر، وعمر بن حمزة فيه ضعف، وهذه لفظة منكرة، انظر البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٠٦) فقد قال البيهقي: وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روىٰ هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم، عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال..... إلىٰ آخر ما قاله رحمه الله ولفظة الشمال لها طرق أخرىٰ لا تصح.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣٠٢١٢) من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به، وفي الإسناد عمرو بن مالك النكدي وهو مُتكلَّم فيه.

مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ»[١].

(١) ضعيف: رواه الطبري (٧٥٩٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٢٠) من طريق ابن زيد حدثني أبي، عن النبي ﷺ به. وقال: قال أبو ذر عن النبي ﷺ به، والإسناد الأول مرسل، والثاني منقطع بين ابن زيد، وأبي ذر، قال الذهبي في «العلو» (صـ٩١). هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف، فقد سمىٰ الذهبي ابن زيد هنا عبد الرحمن بن زيد وهو الصواب.
لأن عبد الرحمن بن زيد هو المشهور في التفسير والله أعلم، وقال ابن كثير في «النهاية» (١/ ١١): أول الحديث مرسل، وعن أبي ذر منقطع، ورواه ابن أبي شيبة في «العرش» (٥٨) من طريق أحمد بن علي الأسدي، عن المختار بن غسان العبدي، عن إسماعيل بن سلم، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر به، وإسناده ضعيف ففيه أحمد بن علي الأسدي، قال محقق كتاب «العرش»: لم أجد من ترجمه. اهـ.
والمختار بن غسان العبدي مجهول، وترجمته في «التهذيب» وإسماعيل بن سلم قال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٩): لم أعرفه، وغالب الظن أنه إسماعيل بن مسلم فقد ذكروه في شيوخ المختار بن عبيد، وهو المكي البصري، وهو ضعيف.
ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٥٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦٦١ – ١٦٨) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثني أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر به، وفي الإسناد إبراهيم بن هشام، وهو متروك.
ورواه البيهقي في «السنن» (٩/ ٤) مختصرًا بدون الشاهد، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٨)، وابن عدي في «الكامل» (٧٠/ ٢٤٤) مختصرًا، وأبو اشيخ في «العظمة» (٢٠٦) من طريق يحيىٰ بن سعيد السعدي، حدثنا ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر به، ويحيىٰ بن سعيد السعدي، قال فيه العقيلي لا يتابع علىٰ حديثه، وليس بمشهور بالنقل، وقال ابن حبان: شيخ يروي عن ابن جريج، المقلوبات والملزقات، لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي بعد أن ذكر طرفًا من الحديث: وهذا حديث منكر من هذا الطريق، عن ابن جريج، عن عطاء عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر، وهذا الحديث ليس له من الطرق إلَّا من رواية أبي إدريس الخولاني، والقاسم بن محمد، عن أبي ذر، والثالث حديث ابن جريج، وهذا أنكر الروايات، ويحيىٰ بن سعيد هذا يعرف بهذا الحديث ورواه ابن مردويه، كما عند ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣) ط: أولاد الشيخ، وفي «البداية والنهاية» (١/ ١١) قال ابن مردويه: أخبرنا سليمان بن أحمد أخبرنا عبد الله بن وهب الغزي، أخبرنا محمد بن أبي السري العسقلاني، أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي، عن القاسم بن محمد الثقفي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري به مرفوعًا، ومحمد بن أبي السري العسقلاني ضعيف، وهو محمد بن المتوكل، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٥٢) من طريق إسماعيل بن عياش، عن أشعث بن عبد الله التميمي، عن عبد العزيز بن عمر، أو عمران – الشك من ابن العياش – أن أبا ذر..فذكره. وهذا إسناد ضعيف واهٍ. فيه أشعث بن عبد الله التميمي، لم يذكر بجرح ولا تعديل، فهو في عداد المجهولين.
انظر: «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٧٤)، وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز صدوق يخطئ، وإن كان عبد العزيز بن
=

وعن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم[1]. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله.

ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ

=

عمران بن عبد العزيز فهو متروك، وإسماعيل بن عياش في روايته عن غير الشاميين فيها ضعف، وشيخه هنا تميمي، ورواه الدارمي في «الرد علىٰ المريسي» (صـ٧٤) عن ابن مسعود نحوه موقوفًا، وفي إسناده الحكم بن ظهير وهو متروك.

(١) إسناده حسن: رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (صـ١٠٥، ١٠٦)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ح٨١)، وفي «الرد علىٰ المريسي» (٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩)، والذهبي في «العلو» (صـ٣٩)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢٨ رقم ٨٩٨٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود به، وإسناده حسن.

ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (صـ٣٧٦ - ٣٧٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٠٣٠) من طريق روح بن عبادة، وهاشم بن القاسم كلاهما، عن المسعودي، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود به، مثل حديث حماد، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٦٥) من طريق يزيد بن هارون، عن المسعودي عن أبي وائل وزر، عن ابن مسعود به، وذكر أبي وائل عن ابن مسعود بسبب اختلاط المسعودي، وخاصة أن يزيد روىٰ عن المسعودي بعد اختلاطه.

ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٢) من طريق أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن مهدي، عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به.

وأحمد بن عبد الجبار ضعيف، فالغلط منه، أو من المسعودي لاختلاطه.

ورواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٥٩) من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود به، والحسن بن أبي جعفر ضعيف.

ورواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١٨) من طريق حفص بن سليمان البزار، عن عاصم عن أبي وائل، عن ابن مسعود به، وحفص بن سليمان متروك.

وأصح الطرق طريق عاصم، عن زر، عن ابن مسعود وإسناده حسن.

وَالأَرْضِ؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»[1]. أخرجه أبو داود وغيره.

ش: قوله: (ولمسلم عن ابن عمر) الحديث. كذا في رواية مسلم. وقال الحميدي وهي أتم، وهي عند مسلم من حديث سالم عن أبيه. وأخرجه البخاري من حديث عبيد الله عن

---

(١) ضعيف: وفي المتن نكارة. رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٢) «والرد على المريسي» (رقم ١١٣)، وابن أبي عاصم (٥٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٠٢٩٠١). وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٤٠٢، ٢٠٥، ٥٦٨)، والآجري في «الشريعة» (٦٦٣)، واللالكائي (٧/ ١٤٠)، وعثمان بن أبي شيبة في «العرش» (١٠٢٩)، والبزار في «مسنده» (١٣٠٩، ١٣١٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٦)، وابن منده في «التوحيد» (٢١، ٤٦)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢١٢)، والجوزقاني في «الصحاح والمشاهير» (٧٢) من ط ق عن سماك عن ابن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب به، وعند بعضهم بعدم ذكر الأحنف، وعند بعضهم رواه عن الأحنف مرسلًا، وعند بعضهم رواه موقوفًا، والحديث ضعيف، لا يصح لتفرد سماك به، ولجهالة عبد الله بن عميرة، وقال البخاري: لا يعلم له سماعًا من الأحنف «التاريخ» (٥/ ١٥٩)، ولنكارة المتن لأن فيه تشبيه صور الملائكة حملة العرش بصورة الوعل، ورُوي نحوه من حديث الحسن، عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده منقطع وفي المتن نكارة.

رواه الترمذي (٣٢٩٨)، وأحمد (٢/ ٢٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٨)، وابن الجوزي في «العلل» (١/ ١٢)، وابن أبي عاصم والبزار كما في «تفسير ابن كثير» أول سورة «الحديد» (٤/ ٢٦٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٠١)، والجوزقاني في «الأباطيل» (٢٦٥) من طرق عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة به، وقال الترمذي: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد، وعلي بن زيد، قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. اهـ وقال ابن الجوزي: هذا لا يصح عن النبي ﷺ والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

وقال الجوزقاني: هذا حديث باطل، وله علة تخفى على من لم يتبحر، ثم ذكر الانقطاع بين الحسن وأبي هريرة: وقال الذهبي في «العلو» (صـ٦٠): الحسن مدلس، والمتن منكر. ورواه ابن جرير (٣٣٥٩٣)، وقال: حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة فذكره مرسلًا، قال الحافظ ابن كثير: ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم.

نافع عن ابن عمر، قال: «**إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَرْضِينَ، وَتَكُونُ السَّمَاءُ بِيَمِينِهِ**».
وأخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم.

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته. وقد تعرف - سبحانه وتعالىٰ - إلىٰ عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته.

وكلها تعرف وتدل علىٰ كماله، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته[1]، وتدل علىٰ إثبات الصفات له علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفىٰ آثارهم علىٰ الإسلام والإيمان.

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي ﷺ ربه بذكر صفات كماله علىٰ ما يليق بعظمته وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل علىٰ عظمته.

وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالىٰ علىٰ عرشه، ولم يقل النبي ﷺ في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد أو أنها تدل تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقًّا بلّغه أمينه أمته، فإن الله أكمل به الدين، وأتم به النعمة فبلّغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم إلىٰ يوم الدين.

وتلقىٰ الصحابة ﷺ عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فآمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم، والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصفوا الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ ولم يجحدوا شيئًا من الصفات، ولا قال أحد منهم: إن ظاهرها غير مراد، ولا أنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا علىٰ من

---

(١) في قرة العيون: وأن العبادة لا تصلح إلَّا له سبحانه وبحمده، ولا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا لنبي مرسل، ولا لمن دونهما. [الفقي].

قال ذلك غاية الإنكار، وصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – رحمه الله تعالىٰ –: وهذا كتاب الله من أوله إلىٰ آخره، وسنة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر أن الله تعالىٰ فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو علىٰ عرشه، مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. **وقوله تعالىٰ**: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. **وقوله تعالىٰ**: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣ – ٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣]. فذكر التوحيدين في هذه الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٤ – ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٨ – ٥٩]

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٤ - ٥].

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم إحاطته وعموم رؤيته.

وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦ - ١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر: ١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]. انتهىٰ كلامه رحمه الله.

قلت: وقد ذكر الأئمة - رحمهم الله تعالىٰ - فيما صنفوه في الرد علىٰ نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم، أقوال الصحابة والتابعين:

فمن ذلك: ما رواه الحافظ الذهبي في «كتاب العلو» وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]. قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. رواه ابن المنذر واللالكائي وغيرهما بأسانيد صحاح[1].

---

(١) ضعيف: رواه اللالكائي (٦٦٣)، والصابوني في «عقيدة السلف» (صـ ١٧٧ - ١٧٩) من طريق أبي كنانة محمد بن أشرس الأنصاري قال: ثنا أبو المغيرة الحنفي عن قرة بن خالد عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة فذكرته. وفي الإسناد أبو كنانة. قال الذهبي: متهم في الحديث، كما في «الميزان» (٣/ ٤٨٥)، وأبو المغيرة الحنفي وهو عمير بن عبد المجيد وفيه ضعف، ووقع عند اللالكائي أبو عمير، وعزاه إلىٰ الذهبي في «العلو» (٦٥)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم (٨٢) الحاشدي في «تحقيق الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٦).

ولذا قال الحافظ الذهبي في «العلو» صـ٦٥ هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبو جعفر =

قال: وثبت عن سفيان بن عيينة، أنه قال: لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن: كيف الاستواء؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التصديق[1].

وقال ابن وهب: كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾ كيف استوىٰ؟ فأطرق مالك وأخذته الرّحضاء، وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾، كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه. رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب. ورواه عن يحيىٰ بن يحيىٰ أيضًا، ولفظه: قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[2].

قال الذهبي: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلىٰ تفسير، ونفوا عنه الكيفية.

قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ علا علىٰ العرش[3].

وقال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

الترمذي، فأما أم سلمة فلا يصح؛ لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه. وقال ابن تيمية في «الفتاوىٰ» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك في «الاستواء» وقد رُوي هذا الجواب عن أم سلمة ﷺ موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

(١) إسناده صحيح: رواه اللالكائي (٦٦٥)، والذهبي في «العلو» (صـ٩٨)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩٠) كما عزاه إليه الحاشدي في «تحقيق الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٦) من طريق يحيىٰ بن آدم عن ابن عيينة به. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٤٠)، وروىٰ الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة – فذكره – وله طريق آخر عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٨)، وإسناده ضعيف.

(٢) إسناده صحيح: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧) والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (١٠٤) واللالكائي (٦٦٤) والصابوني في «اعتقاد السلف» (صـ ١٨٠ – ١٨١)، وأبو نعيم (٦/ ٣٢٥ – ٣٢٦) من طريق يحيىٰ بن يحيىٰ وجعفر بن ميمون وجعفر بن عبد الله – متفرقين – عن مالك به، وفي رواية الدارمي من طريق جعفر بن عبد الله عن رجل عن مالك، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٦) من طريق ابن وهب.

(٣) رواه البخاري معلقًا (١٣/ ٤٠٣)، وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٥): ووصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه.

﴿ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] أي: ارتفع[١].

وقال محمد بن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ أي: علا وارتفع[٢].

وشواهده في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم. فمن ذلك قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَىٰ الْكَافِرِينَا

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا

وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ ... مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوَّمِينَا[٣]

وروى الدارمي والحاكم والبيهقي بأصح إسناد إلىٰ علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت ابن المبارك يقول: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته علىٰ العرش استوىٰ، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية[٤].

---

(١) رواه اللالكائي (٦٦٢) من طريق إسحاق أخبرنا بشر بن عمر فذكره.

(٢) انظر الطبري (٨/ ٣٩١) دار الكتب العلمية سورة «طه» آية (٤ـ ٥).

(٣) انظر الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٩٠٠ - ٩٠١) ضمن قصته مع زوجته وأمته - وقال: رويناها من وجوه صحاح، فتعقبه الذهبي في «العلو» (صـ١٠٦) بقوله: رُوي من وجوه مرسلة ثم ذكره، وكما عزاه شعيب والتركي في «تحقيق الطحاوية» (١/ ٣٦٨).

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨ - ١١٢)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٨) من طريق عبد العزيز ابن أخي الماجشون بلغنا أنه كانت لعبد الله بن رواحة جارية فذكره، ورواه ابن عساكر (٢٨/ ١١٣) من طريق أسامة بن زيد الليثي عن نافع فذكره عن ابن رواحة.

وأسامة الليثي صدوق يهم. ونافع لم يدرك ابن رواحة فالإسناد منقطع، وعزاه الذهبي في «السير» (١/ ٢٣٨) إليه من طريق أسامة به.

ورواه ابن عساكر (٢٨/ ١١٤) من طريق يزيد بن الهاد عن ابن رواحة به، ويزيد من الخامسة فالإسناد مرسل إن لم يكن معضلًا، ورواه الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (صـ٢٧) كما عزاه الدوسري في «النهج السديد» (ح٦١٥) من طريق قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب وقدامة في «الجرح والتعديل» (٧/ ١٢٧) لابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وروايته عن ابن رواحة منقطعة أو معضلة.

(٤) **إسناده صحيح:** رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٠٢) من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك به. وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد».

قال الدارمي: حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك: قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة علىٰ العرش بائن من خلقه [١].

وقد تقدم قول الأوزاعي: كنا – والتابعون متوافرون – نقول: إن الله – تعالىٰ ذكره – فوق عرشه بائن من خلقه، ونؤمن بما وردت به السنة [٢].

وقال أبو عمر الطلمنكي في «كتاب الأصول»: أجمع المسلمون من أهل السنة علىٰ أن الله استوىٰ علىٰ عرشه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة علىٰ أن الله تعالىٰ استوىٰ علىٰ عرشه علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز. ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان.

ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنىٰ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو علىٰ عرشه كيف شاء. وهذا لفظه في كتابه [٣].

وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين والأئمة، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله علىٰ الحقيقة علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، ولم يمثلوا ولم يكيفوا، علىٰ ما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالىٰ فوق عرشه: هو الجعد بن درهم. وكذلك أنكر جميع الصفات. فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة [٤]، وأخذ عنه هذه المقالة الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها واحتج لها

---

(١) إسناده حسن: رواه الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» رقم (٦٧) حدثنا الحسن بن الصباح به.

(٢) إسناده لين: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٥) من طريق محمد بن كثير المصيصي قال: سمعت الأوزاعي فذكره، ومحمد بن كثير صدوق كثير الغلط.

(٣) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (صـ١٤٢) «والعلو» للذهبي (صـ٢٦٤)، و«الفتاوىٰ» (٥/ ١٨٩).

(٤) قصة قتل خالد بن عبد الله القسري للجعد مشهورة، ولكن أسانيدها فيها ضعف.

رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٣)، وفي «التاريخ الكبير» (١/ ٦٤)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٥ - ٢٠٦)، و«الأسماء والصفات» (٥٦٣)، والخطيب (١٢/ ٤٢٥)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (١٣، ٣٨٨)، وفي «الرد علىٰ =

بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر، مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدىٰ.

فقال الأوزاعي، إمام أهل الشام علىٰ رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده إلىٰ أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري - ببغداد - حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الأوزاعي يقول: كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله فوق عرشه. ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته[1].

أخرجه البيهقي في «الصفات» ورواته أئمة ثقات.

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالىٰ -: لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردها.

ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل.

ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه، كما نفىٰ عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١]. اهـ من فتح الباري[2].

قوله: (وعن العباس بن عبد المطلب) ساقه المصنف مختصرًا، والذي في «سنن أبي داود»: عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «**مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟**» قالوا: السحاب. قال: «**وَالْمُزْنَ**»

=

المريسي» (١٥٦) من طريق القاسم بن محمد عن عبد الرحمن بن محمد عن أبيه عن جده، وذكر قصة الجعد بن درهم. والقاسم بن محمد هو ابن أبي سفيان العمري، متهم بالكذب، وهناك خلاف هل هو القاسم بن محمد العمري أو المعمري، انظر «التنكيل» للمعلمي (١/ ٦٦)، وتحقيق الحاشدي للبيهقي في «الأسماء والصفات»، ومحمد بن حبيب مجهول، وعبد الرحمن بن محمد قال فيه الحافظ: مقبول، أي: إذا توبع وإلا فلين، وثم طرق أخر من طريق عيسىٰ بن أبي عمران عن أيوب بن سويد عن السري بن يحيىٰ فذكر القصة. وأيوب بن سويد ضعيف، وعيسىٰ بن أبي عمران متكلم فيه، انظر «الجرح والتعديل» (٦/ ٢٨٤).

(١) **إسناده لين**: وسبق قريبًا في نفس الباب.

(٢) نقله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٧)، وعزاه إلىٰ ابن أبي حاتم في «مناقب الشافعي».

قالوا: والمزن. قال: «وَالعَنَانَ». قالوا. والعنان – قال أبو داود: لم أتقن العنان جيدًا – قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قالوا: لا ندري. قال: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَو اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ الَّتِي فَوْقَهَا كَذَلِكَ – حَتَّىٰ عَدَّد سَبْعَ سَمَوَاتٍ – ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ، بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ»[١] . وأخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن غريب.

وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن[٢] .

وروىٰ الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «بُعْدُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ». ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو علىٰ سير القافلة مثلًا، ونيف وسبعون سنة علىٰ سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يومًا باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد. وروىٰ شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه. هذا آخر كلامه[٣] .

---

(١) **ضعيف:** وسبق قريبًا في هذا الباب من حديث العباس بن عبد المطلب. انظر الروايات الآتية في تخريج الحديث هناك.

(٢) في إسناده الوليد بن أبي ثور لا يحتج بحديثه. وقد ساقه أبو داود من غير طريق الوليد. وقال العلامة ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود: أما رد الحديث بالوليد بن أبي ثور ففاسد؛ فإن الوليد لم ينفرد به بل تابعه عليه إبراهيم بن طهمان كلاهما عن سماك. ومن طريقه رواه أبو داود. ورواه أيضًا عمرو بن أبي قيس عن سماك. ومن حديثه رواه الترمذي عن عبد بن حميد أخبرنا عبد الرحمن بن سعد عن عمرو بن أبي قيس. اهـ. ورواه ابن ماجه من حديث الوليد بن أبي ثور عن سماك. وأي ذنب للوليد في هذا، وأي تعلق به؟ وإنما ذنبه روايته ما يخالف قول الجهمية وهي علته المؤثرة عند القوم اهـ. [الفقي].

(٣) **في قرة العيون:** قلت: وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن، فلا عبرة بقول من ضعفه. وقد ابتدأ المصنف – رحمه الله تعالىٰ – هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الإلهية؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد. فالدعوة إلىٰ ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه، وأعطاه القدرة علىٰ الدعوة إليه، والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته، فقرر هذا التوحيد كما ترىٰ في =

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه، كما تقدم في الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

وهذا الحديث له شواهد في «الصحيحين» وغيرهما، ولا عبرة بقول مَن ضعّفه لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله: يدل علىٰ عظمة الله وكماله وعظيم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسوله ﷺ، وعلىٰ كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه.

وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلىٰ الله علىٰ سيد المرسلين وإمام المتقين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

تم كتاب «فتح المجيد» بعون الملك الحميد

*** قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:**

الأولىٰ: تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

الثانية: إن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها.

= هذه الأبواب، ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن أكثر العامة ليس لهم التفات الىٰ هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلىٰ العلم. وأما من ينتسب إلىٰ العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم، وأحسنوا الظن بأهل الكلام، وظنوا أنهم علىٰ شيء، فقبلوا ما وجدوه عنهم، فقرروا مذهب الجهمية، وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين، وما زال أهل السنة متمسكين بذلك لكنهم قلوا، فهدىٰ الله هذا الإمام إلىٰ معرفة أنواع التوحيد فقررها بأدلتها، فلله الحمد علىٰ توفيقه وهدايته إلىٰ الحق حين اشتدت غربة الإسلام، فضل عنه من ضل من أهل القرىٰ والأمصار.وغيرهم. وبالله التوفيق.

فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالىٰ – بقوله:

وَالعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ... مِنْ رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبْيَانِ

عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الإِلَهِ وَفِعْلِهِ ... وَكَذَلِكَ الأَسْمَاءِ لِلرَّحْمَنِ

وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي

وصلىٰ الله علىٰ سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. [الفقي].

الثالثة: أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ صدَّقه ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنىٰ. والأرضين في الأخرىٰ.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «**كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ**».

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلىٰ السماء.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلىٰ الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلىٰ سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماء مائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السموات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة. والله أعلم. والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *



فهـــرس الموضـــوعات

فهرس الموضوعات

الموضـوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضـوع **الصفحة**



تلفاكس : 02 22999527
جـــوال : 010 6695743